

مطبوعات دار المأثور

الدكتور محمد فوزي رفاعي

الأدب من ذهب

مكتبة الثقافة والبقاة

مديرية الصحافة والنشر والثقافة

المصرية

الأدبية

سلسلة المصادر العربية

فتح الطبيب

تأليف العلامة أحمد المقرئ المغربي المالكي الأشعري

في عشرين جزءاً

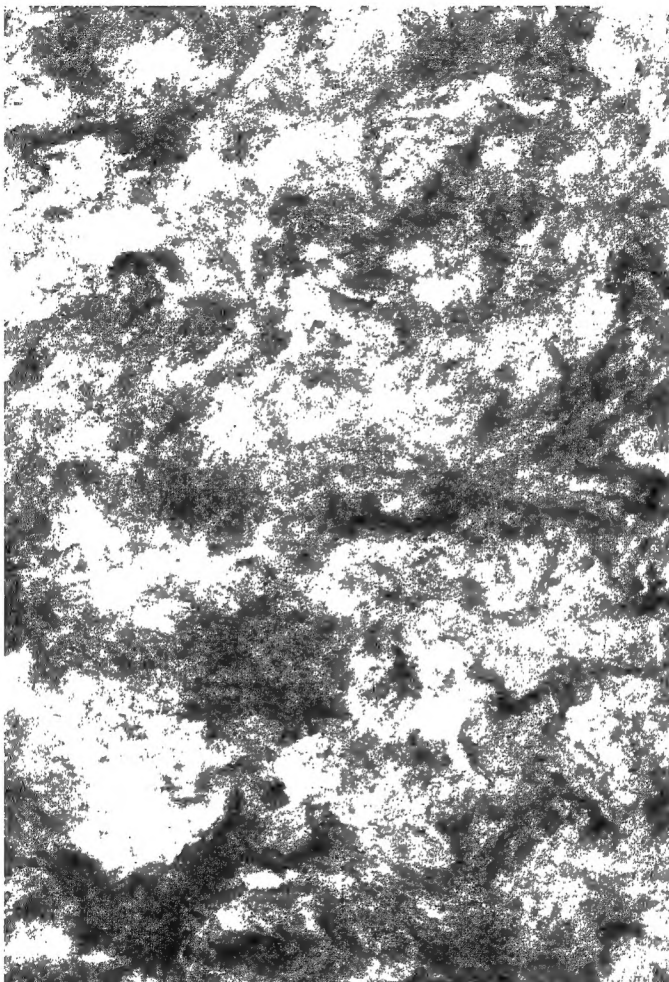
مضبوطة ومشروحة ومملقة عليها

راجعت وزارة المعارف العمومية هذا الكتاب

الجزء الثاني

حقوق الطبع محفوظة

طبع بمطبعة عيسى الباني الحلبي وشركاه بمصر



اهداءات ٢٠٠٢

الشيخ/ عبد العزيز توفيق جاويد

شيخ المترجمين - القاهرة

شيخ المنة

مكتبة الامويون

مطبوعات دار المأمون

الدكتور محمد بن عبد الرحمن

الدكتور محمد بن عبد الرحمن

مدير ادارة الصحافة والنشر والثقافة

مكتبة التراث والثقافة

المصرية

الادبية

سلسلة المصادر العربية

فتح الطبيب

تأليف العلامة احمد المقرئ المغربي المكي الاشعري

في عشرين جزءاً

مضبوطة ومشروحة ومعلقة عليها

راجعت وزارة المعارف العمومية هذا الكتاب

الجزء الثاني

مكتبة عربيه
راهدان

رقم التسجيل

حقوق الطبع محفوظة

طبع بمطبعة عيسى الباني الحلبي وشركاه بمصر

مَقَرَّةُ الْكُتُبِ

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ نَسْتَعِينُ ، وبالصلاة على نبيك نسالهم التوفيق
لما يقتضيه الدين . أما بعد فقد قال العباد الأصفياء في :

إِنِّي رَأَيْتُ أَنَّه لَا يَكْتُبُ إِنْسَانٌ كِتَابًا فِي يَوْمِهِ إِلَّا قَالَ فِي
عَهْدِهِ : لَوْ غَيْرَ هَذَا كَانَ أَحْسَنَ ، وَلَوْ زِيدَ كَذَا كَانَ يُسَمُّونُ
وَلَوْ قُدِّمَ هَذَا كَانَ أَفْضَلَ ، وَلَوْ تَرَكْتُ هَذَا كَانَ أَجْمَلَ ،
وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْعُجْبِ ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى اسْتِيلَا انْقِصَافٍ عَلَى حُسْنِ الْبَشَرِ

العباد الأصفياء في

* *

الجزر بالاندلس

« وَأَمَّا الْجَزُرُ الْبَحْرِيَّةُ بِالْأَنْدَلُسِ » فَيَنْهَا جَزِيرَةُ
 قَادِسَ، وَهِيَ مِنْ أَعْمَالِ إِشْبِيلِيَّةَ، وَقَالَ ابْنُ سَعِيدٍ إِنَّهَا مِنْ
 كُورَةِ شَرِيشٍ، وَلَا مُنَافَاةَ لِأَنَّ شَرِيشًا مِنْ أَعْمَالِ إِشْبِيلِيَّةَ
 كَمَا مَرَّ. قَالَ: وَيَدِ صَمِّ قَادِسَ مِفْتَاحٌ، وَلَمَّا ثَارَ بِقَادِسَ
 ابْنُ أُخْتِ الْقَائِدِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَيْمُونٍ، وَهُوَ عَلَى بَنِي عَيْسَى
 قَائِدُ الْبَحْرِ بِهَا ظَنَّ أَنَّ تَحْتَ الصَّمِّ مَالًا فَهَدَمَهُ فَلَمْ يَجِدْ
 شَيْئًا. أُنْتَهَى. وَهِيَ - أَغْنَى جَزِيرَةُ قَادِسَ - فِي الْبَحْرِ الْمُحِيطِ.
 وَفِي الْمُحِيطِ الْجَزَائِرُ الْخَالِدَاتُ السَّبْعُ، وَهِيَ غَرْبِيَّ مَدِينَةِ
 سَلَا، تَلُوحُ لِلنَّاطِرِ فِي الْيَوْمِ الصَّاحِي الْخَالِي الْجَوُّ مِنْ
 الْأَبْجَرَةِ الْقَلِيطَةِ، وَفِيهَا سَبْعَةُ أَصْنَامٍ عَلَى أَمْثَالِ الْأَدَمِيِّينَ
 تُشِيرُ أَنْ لَا عُبُورَ وَلَا مَسَلَكَ وَرَاءَهَا. وَفِيهِ يَجْهَرُ الشَّمَالُ
 جَزَائِرُ السَّعَادَاتِ، وَفِيهَا مِنَ الْمُدُنِ وَالْقُرَى مَالًا يُحْصَى.

وَمِنْهَا يُخْرِجُ قَوْمٌ يُقَالُ لَهُمُ الْمَجُوسُ عَلَى دِينِ النَّصَارَى .
أَوَّلُهَا جَزِيرَةُ بَرْطَانِيَّةَ ، وَهِيَ بِي وَسَطِ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ بِأَقْصَى
شَمَالِ الْأَنْدَلُسِ ، وَلَا جِبَالَ فِيهَا وَلَا عُيُونَ ، وَإِنَّمَا يَشْرَبُونَ
مِنْ مَاءِ الْمَطَرِ وَيَزْرَعُونَ عَلَيْهِ .

جزيرة شلطيـش « قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ » : وَفِيهِ جَزِيرَةُ شَلْطِيش^(١) وَهِيَ آهَلَةٌ
وَفِيهَا مَدِينَةٌ ، وَبَحْرُهَا كَثِيرُ السَّمَكِ ، وَمِنْهَا يُحْمَلُ مُمْلَجًا
إِلَى إِيْشْبِيلِيَّةَ ، وَهِيَ مِنْ كُورَةِ لَبْلَةَ مُضَافَةً إِلَى عَمَلِ أُونَبَةَ^(٢) .
انْتَهَى .

« وَقَالَ بَعْضُهُمْ » لَمَّا أَجْرَى ذِكْرَ قَرْطَاجَنَةَ مِنْ بِلَادِ
الْأَنْدَلُسِ : إِنَّ الزَّرْعَ فِي بَعْضِ أَقْطَارِهَا يَكْتَفَى بِمَطَرَةٍ وَاحِدَةٍ ،

(١) في معجم البلدان ج خامس ص ٢٨٨ : شلطيـش : بلدة بالأندلس
صغيرة في غربي اشبيلية على البحر (٢) أونبة : قرية في غربي الأندلس
على خليج البحر المحيط كما جاء في معجم البلدان ج أول ص ٣٧٨
وبها توفي الامام ابن حزم

وَبِهَا أَقْوَسُ مِنَ الْحِجَارَةِ الْمُقْرَبَصَةِ^(١) ، وَفِيهَا مِنَ التَّصَاوِيرِ
وَالْتَمَائِلِ وَأَشْكَالِ النَّاسِ وَصُورِ الْحَيَوَانَاتِ ، مَا يُحَيِّرُ
الْبَصَرَ وَالْبَصِيرَةَ . وَمِنْ أَعْجَبِ بَنَائِهَا الدَّوَامِيسُ^(٢) ، وَهِيَ
أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ عَلَى صَفٍّ وَاحِدٍ مِنْ حِجَارَةٍ مُقْرَبَصَةٍ ،
طُولُ كُلِّ دَامُوسٍ مِائَةٌ وَثَلَاثُونَ خُطْوَةً فِي عَرْضِ سِتِّينَ
خُطْوَةً ، وَارْتِفَاعُ كُلِّ وَاحِدٍ أَكْثَرُ مِنْ مِائَتَيْ ذِرَاعٍ ، بَيْنَ
كُلِّ دَامُوسَيْنِ أَنْقَابٌ^(٣) مُحْكَمَةٌ تُتَّصِلُ فِيهَا أَلْيَاءُ مِنْ

(١) أى المنحوتة على هيئة قربوس الغرس ، وللسرج قربوسان فأما
القربوس القدم ففيه العضدان وهما رجا السرج ويقال لهما حنواه . ولعل
الكلمة محرفة عن (مقرنصة) بالنون أو مقرنسة من القرناس وهو شبه
الأنف يتقدم من الجبل ، والقرناس صنارة للغزل ، ويقال : سقف مقرنس
عمل على هيئة السلم . والصاد لغة فيه . وقال بعض الباحثين من الفرنجة :
ومن أغرب ما اصطنعوه (أى الأندلسيين) عمل المقرنص في القباب
مؤلّفا من عدة قباب صغرى متناسقة بدون أن ترى اللحمة بينها .

قال ياقوت : ولم يكن بقربها عين جارية ولا قناة سارية فجلب عامرها
إليها الماء من نواحي القبروان وبينهما مسيرة ثلاثة أيام في جبال منحدرة
بعضها من بعض وقد وصل بين تلك الجبال بعقود معقودة وعمد مبنية
كلمنار العالية ، وجعل مجرى الماء فوق ذلك المعقود والأزج الحكم
المنحوت وأهل تلك البلاد يسمونها الحنايا وهى متون كثيرة (٢) الذى فى
اللسان أن الديماس : هو السرب يبنى ويكون مظلماً . والداموس الفترة
كالناموس ، والمدايسة المواراة . والفترة : مكن الصائد يكمن فيها للصيد
(٣) أنقاب جمع نقب : وهو الثقب والطريق الضيق فى الجبل

بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ فِي أَلْعُلُ الشَّاهِقِ بِهَنْدَسَةٍ عَجِيبَةٍ وَإِحْكَامٍ
بَدِيعٍ . اُنْتَهَى .

قُلْتُ: أَظُنُّ هَذَا غَلَطًا ، فَإِنَّ قَرَطَاجَنَةَ الَّتِي بِهَذِهِ الصِّفَةِ
قَرَطَاجَنَةُ إِفْرِيقِيَّةٍ ، لَا قَرَطَاجَنَةَ الْأَنْدَلُسِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .
« وَقَالَ صَاحِبُ مَنَاهِجِ الْفِكْرِ » عِنْدَ مَا ذَكَرَ قَرَطَاجَنَةَ :
وَهِيَ عَلَى الْبَحْرِ الرُّومِيِّ مَدِينَةٌ قَدِيمَةٌ بَقِيَ مِنْهَا آثَارٌ لَهَا
فَحَصُّ^(١) طُولُهُ سِتَّةُ أَيَّامٍ وَعَرْضُهُ يَوْمَانِ مَعْمُورٌ بِالْقُرَى .
اُنْتَهَى .

* *

وَذَكَرَ قَبْلَ ذَلِكَ فِي لُورَقَةٍ^(٢) أَنَّ بِنَاحِيَّتَهَا يُوجَدُ حَجَرٌ
الْأَلَازُورْدِ ، وَفِي الْبَحْرِ الشَّامِيِّ أَخْلَاجٌ مِنَ الْمُحِيطِ جَزِيرَتَيْنِ
مَيُورَقَةٍ وَمَنُورَقَةٍ وَبَيْنَهُمَا خَمْسُونَ مِيلًا . وَجَزِيرَةٌ مَيُورَقَةٌ

جزيرتا: يورقة
ومنورقة

(١) الفحص: كل موضع يسكن، وقال ياقوت: وسألت بعض أهل الأندلس
ما تعنون به (أى بالفحص)؟ فقال كل موضع يسكن سهلا كان أو جبلا
بشرط أن يزرع نسميه فحسا، أى أنهم يعنون به الريف والسواد، وهو فى
الأصل اسم لما استوى من الأرض (٢) وفى معجم البلدان ج سابع
ص ٣٢٧ لرقعة بضم اللام بغير واو: حصن فى شرقى الأندلس، غربى
مرسية وفى ص ٣٤٢ لورقة (بفتح الراء) ويقال لرقعة مدينة من أعمال تدمير

مَسَافَةٌ يَوْمٍ ، بِهَا مَدِينَةٌ حَسَنَةٌ ، وَتَدْخُلُهَا سَاقِيَةٌ جَارِيَةٌ
 عَلَى الدَّوَامِ ، وَفِيهَا يَقُولُ ابْنُ اللَّبَانَةِ :
 بَلَدٌ أَعَارَنَهُ الْحَمَامَةُ طَوْفَهَا
 وَكَسَاهُ حُلَّةَ رِيَشِهِ الطَّائِفُوسُ
 فَكَأَنَّمَا الْأَنْهَارُ فِيهِ مُدَامَةٌ
 وَكَأَنَّ سَاعَاتِ الدِّيكِ كُثُوفُوسُ
 وَقَالَ مُحَاطِبٌ ^(١) مَلِكُهَا ذَلِكَ الْوَقْتُ :
 وَغَمَرَتْ بِالْإِحْسَانِ أَرْضَ مِيرْقَةٍ
 وَبَنَيْتَ مَا لَمْ يَبْنِهِ إِلَّا سَكَنْدَرُ
 وَجَزِيرَةُ يَابِسَةٌ ^(٢) . وَأُسْتَقْصَاءُ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَذَا الْفَصْلِ
 يَطُولُ ، وَلَوْ تَتَبَعَ لَكَانَ تَأْلِيفًا مُسْتَقِلًّا ، وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ
 ابْنِ خَفَاجَةَ :

- (١) ابن اللبانة هو أبو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمي الباني ، كان
 ماثلاً إلى بني عباد بطبعه ، إذ كان المتمدن بن عباد هو الذي حذب بضبعه ، وله فيه
 للمدائح الأنيقة ، وله في نكباته قصائد تثير العبرات وتوصل بعد وفاة المتمدن
 بملك ميروقة بمبشر بن سليمان العامري للملقب الناصر وفد عليه سنة
 ٤٨٩ فحظي عنده وله فيه قصائد مختارة ، وتوفي بميروقة سنة ٥٠٧ هـ
 (٢) جزيرة في طريق من يقلع من دانية يريد ميروقة ، وهي كثيرة الزبيب

إِنَّ لِلْجَنَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ مُجْتَلَى حُسْنٍ وَرَبَّانَا نَفْسٍ
فَسْنَا^(١) صُبْحَهَا مِنْ شَنْبٍ^(٢) وَدُجَى لَيْلِهَا مِنْ لَعَسٍ^(٣)
وَإِذَا مَا هَبَّتِ الرِّيحُ صَبَاً صَحْتُ وَاشَوْقِي إِلَى الْأَنْدَلُسِ
وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي طُلَيْطَلَةَ :

زَادَتْ طُلَيْطَلَةُ عَلَى مَا حَدَّثُوا بَلَدَ عَلَيْهِ نَصْرَةٌ وَنَعِيمٌ
اللَّهُ زَيْتُهُ فَوْشَحَ خَصْرَهُ نَهْرُ الْمَجْرَةِ وَالْفُصُونُ مُجُومٌ
وَلَا حَرَجَ إِنْ أَوْرَدْنَا هُنَا مَا خَاطَبَ بِهِ أَدِيبُ
الْأَنْدَلُسِ أَبُو بَحْرٍ صَفْوَانٌ^(٤) ابْنُ إِدْرِيسَ الْأَمِيرِ
عَبْدَ الرَّحْمَنِ ابْنِ السُّلْطَانِ يُوسُفَ بْنَ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ
ابْنِ عَلِيٍّ فَإِنَّهُ مُنَاسِبٌ وَنَصُهُ : مَوْلَايَ أَمْتَعَ اللَّهُ
بِيقَاتِكَ الزَّمَانَ وَأَبْنَاءَهُ ، كَمَا ضَمَّ عَلَى حُبِّكَ أَخْنَاءَهُمْ^(٥)
وَأَخْنَاءَهُ ، وَأَوْصَلَ لَكَ مَا شِئْتَ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْأَمَانِ ، كَمَا
نَظَّمُ فَلَايِدَ فَخَرِكَ عَلَى لَبَّةٍ^(٦) الدَّهْرِ نَظْمَ الْجُمَانِ ، فَإِنَّكَ
الْمَلِكُ الْهَامُّ ، وَالْقَمَرُ الْتَمَامُ ، أَيَّامُكَ غُرُرٌ وَحُجُولُ^(٧) ،

(١) أي نور صباحها (٢) هو بريق الأسنان (٣) اللعس : حمرة الشفة
تضرب الى السواد (٤) توفي سنة ٥٩٨ هـ (٥) أي صدورهم (٦) أي منعر
(٧) بياض في الرجلين والفرجة بياض في الجبهة

وَفَرِنْدُ^(١) بِهَائِهَا فِي صَفَحَاتِ الدَّهْرِ يَجُولُ ، أَلْبَسَتْ
الرَّعِيَّةَ بُرُودَ الثَّامِينَ ، فَتَنَافَسَتْ فِيكَ مِنْ نَفِيسِ ثَمِينٍ ،
وَتَلَقَّتْ دَعَوَاتِ خُلْدِكَ^(٢) لَهَا بِالْيَمِينِ ، فَكَمْ لِلنَّاسِ ،
مِنْ أَمْنٍ بِكَ وَإِنْسٍ ، وَلِلْأَيَّامِ ، مِنْ لَوْعَةٍ فِيكَ وَهَيْامٍ ،
وَلِلْأَفْطَارِ ، مِنْ لُبَانَاتٍ^(٣) لَدَيْكَ وَأَوْطَارٍ ، وَلِلْبَلَادِ ، مِنْ قِرَاعٍ
عَلَى تَمَلُّكِكَ لَهَا وَجِلَادٍ ، يَتَمَنُّونَ شَخْصَكَ الْكَرِيمَ
عَلَى اللَّهِ وَيَقْتَرِحُونَ ، وَيَعْتَبِقُونَ^(٤) فِي رِيَاضِ ذِكْرِكَ
الْعَاطِرِ بِمَدَامِ حُبِّكَ وَيَصْطَبِحُونَ^(٥) ، « كُلُّ حِزْبٍ بِمَا
لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ » ، مَحَبَّةً مِنْ اللَّهِ أَلْقَاهَا لَكَ حَتَّى عَلَى الْجَمَادِ ،
وَنَصْرًا مُؤَزَّرًا^(٦) تَنْطِقُ بِهِ السِّنَةُ السُّيُوفِ عَلَى أَفْوَاهِ
الْأَعْمَادِ ، وَمَنْ أَسْرَّ سَرِيرَةَ أَلْبَسَهُ اللَّهُ رِدَاءَهَا ، وَمَنْ
طَوَى حُسْنَ نِيَّةٍ خَتَمَ اللَّهُ لَهُ بِالْجَمِيلِ إِعَادَتَهَا وَإِبْدَاءَهَا ،
وَمَنْ قَدَّمَ صَالِحًا فَلَا بُدَّ أَنْ يُوَازِيَهُ ، « وَمَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ
لَا يَمْدَمُ جَوَازِيَهُ » .

(١) فرند السيف : ماؤه (٢) الخلد : طول البقاء والدوام (٣) اللبانات
والأوطار : الحاجات (٤) الاعتباق : الشرب ليلا (٥) الاضطباح : الشرب
صباحا (٦) مؤزرا : قويا بليغا

مناظرة بين
بلاد الأندلس

وَلَمَّا تَخَاصَمْتَ فِيكَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ الْأَمْصَارُ ،
وَطَالَ بِهَا الْوُقُوفُ عَلَى حُبِّكَ وَالِاقْتِصَارُ ، كُلُّهَا يُفْصِحُ
قَوْلًا ، وَيَقُولُ أَنَا أَحَقُّ وَأَوْلَى ، وَيُصِيخُ إِلَى إِجَابَةِ دَعْوَتِهِ
وَيُصْنِي ، وَيَتْلُو إِذَا بُشِّرَ بِكَ « ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي » ،
« تَمَيَّزَتْ ^(١) خِصْ غَيْظًا » وَكَادَتْ تَقِيطُ ^(٢) فَيْظًا ،
وَقَالَتْ : مَا لَهُمْ يَرِيدُونَ وَيَنْقُصُونَ ، وَيَطْمَعُونَ وَيَحْرِصُونَ ،
« إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ » ، أَلَهُمْ
السَّهْمُ الْأَسَدُ ؟ ، وَالسَّاعِدُ الْأَشَدُّ ؟ ، وَالنَّهْرُ اللَّيْلُ يَتَعَاقَبُ
عَلَيْهِ الْجَزُرُ وَالْمَدُّ ؟ ، أَنَا مِصْرُ الْأَنْدَلُسِ وَالنَّيْلُ نَهْرِي ،
وَسَمَائِي التَّائِسُ ^(٣) وَالنُّجُومُ زَهْرِي ، إِنْ تَجَارَيْتُمْ فِي ذَلِكَ
الشَّرَفِ ، فَحَسْبِي أَنْ أَفِيضَ فِي ذَلِكَ الشَّرَفِ ^(٤) ، وَإِنْ
تَبَجَّحْتُمْ بِأَشْرَفِ اللَّبُوسِ ، فَأَيُّ إِزَارٍ اشْتَمَلْتُمُوهُ كَسْتَبُوسِ ^(٥) ،

(١) أى تمزقت من الغيظ ، وفى الأصل تممرت : أى لبست جلد النمر
وحمص الأندلس هى اشبيلية (٢) فاط : مات ، يقال فاضت نفسه وفاظت
أى خرجت (٣) التائس : ضد الوحشة (٤) الشرف من سواد اشبيلية
وفد تقدم ذكره (٥) شنبوس : لعله موضع باشبيلية

لِي مَا شِئْتُ مِنْ أُنْبِيَّةٍ رِحَابٍ ، وَرَوْضٍ يَسْتَفْنِي بِضُرَّتِهِ عَنْ
السَّعَابِ ، قَدْ مَلَأَتْ زَهْرَاتِي وَهَادًا وَنَجَادًا ، وَتَوَشَّحَ سَيْفُ
نَهْرِي بِحَدَائِقِي نِجَادًا ، فَأَنَا أَوْلَاكُمْ بِسَيِّدِنَا الْهَمَامِ
وَأَحَقُّ ، أَلَا نَحْصُصَ الْحَقَّ . « فَنَظَرَهَا قُرْطُبَةُ شَرْرًا ^(١) »
وَقَالَتْ : لَقَدْ كَثُرَتْ تَزْرَأُ ^(٢) ، وَبَذَرَتْ فِي الصَّخْرِ الْأَصَمِّ
بَذْرًا ، كَلَامُ الْعِدَا ^(٣) ضَرْبٌ مِنَ الْهَذْيَانِ ، وَإِنِّي لِلْإِيضَاحِ
وَالْبَيَانِ : مَتَى اسْتَحَالَ الْمُسْتَقْبَحُ مُسْتَحْسَنًا ، وَمَنْ أَوْدَعَ
أَجْفَانَهُ الْمَهْجُورِ وَسْنَا ^(٤) ؟ ، « أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَأَاهُ
حَسَنًا » يَاعَجَبًا لِلْمَرَاكِزِ ^(٥) تُقَدِّمُ عَلَى الْأَسِنَّةِ ، وَلِلْأَنْفَارِ ^(٦)
تُفْضِلُ عَلَى الْأَعْنَةِ ، إِنْ أَدْعَيْتُمْ سَبَقًا ، « فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ
وَأَبْقَى » ، لِي أَلَيْتُ الْمُطَهَّرَ ^(٧) الشَّرِيفُ ، وَالْإِسْمُ الَّذِي ضَرَبَ

(١) أى نظر غضب (٢) أى قليلا . أى جعلت اليسير كثيرا (٣) كلام العدا

ضرب من الهذيان - عجز بيت لثني في مدح كافور الاخشيدى والبيت :

ولله سر في علاك وانما كلام العدا ضرب من الهذيان

(٤) الوسن : النوم (٥) ركز الرمح يركزه غرزه في الارض قائما

والموضع مركز (٦) جمع نفر ، بالتحريك ، وقد يسكن : السير الذى فى

مؤخر السرج (٧) مسجد قرطبة الاعظم الذى بناه عبد الرحمن الداخل

وكان من أعظم مساجد الاسلام

عَلَيْهِ رُؤَاةُ التَّعْرِيفِ ، فِي بَقِيَةِ حَلِّ الرِّجَالِ الْأَفْاضِلِ ،
فَلْيُزْغَمْ أَنْفُ الْمُنَاضِلِ ، وَفِي جَامِعِي مَشَاهِدُ لَيْلَةِ الْقَدْرِ ، فَحَسْبِي
مِنْ نَبَاهَةِ الْقَدْرِ ، فَمَا لِأَحَدٍ أَنْ يَسْتَأْثِرَ عَلَىٰ بِهَذَا السَّيِّدِ
الْأَعْلَى ، وَلَا أَرْضَىٰ لَهُ أَنْ يُوْطَىٰ غَيْرَ تُرَابِي نَعْلًا ، فَأَقْرِؤُوا
لِي بِالْأُبُوءِ ، وَاتَّقَادُوا لِي عَلَىٰ حُكْمِ الْبُؤَةِ ، « وَلَا تَكُونُوا
كَأَلَّتِي تَقَضَّتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ » ، وَكُفُّوا عَنْ تَبَارِكِكُمْ ،
« ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِكِكُمْ » .

« فَقَالَتْ غَرْنَاطَةٌ » لِي الْمَعْقِلِ ^(١) الَّذِي يَمْتَنِعُ سَاكِنُهُ مِنْ
النُّجُومِ ، وَلَا تَجْرِي إِلَّا تَحْتَهُ جِيَادُ الْغَيْثِ السَّجُومِ ، فَلَا
يَلْحَقُنِي مِنْ مُعَانِدٍ ضَرَرٌ وَلَا حَيْفٌ ، وَلَا يَهْتَدِي إِلَىٰ خِيَالٍ
طَارِقٌ وَلَا طَيْفٌ ، فَاسْتَسْلِمُوا قَوْلًا وَفِعْلًا ، « فَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ
مَنْ اسْتَعْلَى » ، لِي بِطَاحٍ تَقَلَّدَتْ مِنْ جَدَائِلِهَا أَسْلَاكًا ،
وَأُطْلَعَتْ كَوَاكِبَ زَهْرَهَا فَعَادَتْ أَفْلَاكًا ^(٢) ، وَمِيَاهُ تَسِيلُ
عَلَىٰ أَعْطَافِي كَأَدْمُعِ الْعُشَاقِ ، وَبَرْدُ نَسِيمٍ يَرُدُّ دَمَاءَ ^(٣) الْمُسْتَجِيرِ .

(١) كانت غرناطة من أحسن مدن الأندلس (٢) السلك: الحيط ، والفلك :

مدار النجوم ، والبطاح: جمع أبطح وهو مسيل واد واسع فيه دقاق الحصى

(٣) الذماء بقية الروح والنفس ، وفي الأصل دماء وهو تحريف

بِالْإِنْتِشَاقِ ، فَحَسْنِي لَا يُطْمَعُ فِيهِ وَلَا يَحْتَالُ ، فَدَعُونِي
فَكُلُّ ذَاتِ ذَيْلٍ تَحْتَالُ^(١) ، فَأَنَا أَوَّلِي هَذَا السَّيِّدِ الْأَعْدَلِ ،
وَمَالِي بِهِ مِنْ عَوْضٍ وَلَا بَدَلٍ ، وَلِمَ لَا يَمْطِفُ عَلَيَّ عِنَانُ
مَجْدِهِ وَيَتَنِي ، وَإِنْ أَنشَدَ يَوْمًا فَيَأْتِيَ لِيَعْنِي :
بِلَادُهَا عَقُ^(٢) الشَّبَابُ تَمَائِي

وَأَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِي تُرَابُهَا
فَمَا لَكُمْ تَعْتَرُونَ^(٣) لِفَخْرِي وَتَنْتُمُونَ ، وَتَسْأَخِرُونَ
فِي مِيدَانِي وَتَتَقَدَّمُونَ ؟ تَبَرَّأُوا إِلَيَّ مِمَّا تَزْعُمُونَ ، « ذَلِكُمْ
خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » .
« فَقَالَتْ مَالِقَةُ » : أَتَبْرَأُ كُونِي بَيْنَكُمْ هَمَلًا ، ؟ وَلَمْ
تُعْطُونِي فِي سَيِّدِنَا أَمَلًا ، وَلِمَ وَلِيَ الْبَحْرُ الْعَجَّاجُ ؟ وَالْجَنَّاتُ
الْأَثِيرَةُ ، وَالْفَوَاكِهُ الْكَثِيرَةُ ، لَدَيَّ مِنَ الْبَهْجَةِ مَا تَسْتَغْنِي
بِهِ الْحَمَامُ عَنِ الْهَدِيدِ ، وَلَا تَجْنَحُ الْأَنْفُسُ الرِّقَاقُ الْخَوَاشِي
إِلَى تَعْوِيضٍ عَنْهُ وَلَا تَبْدِيلٍ ، فَمَالِي لَا أُعْطَى فِي نَادِيكُمْ
كَلَامًا ، وَلَا أَنُشْرَفَ فِي جَيْشٍ فَخَارِكُمْ أَعْلَامًا ، ؟ فَكَأَنَّ

(١) مثل يضرب لمن يتباهى بما اختص به ويفتخر بما يجعله أهلاً للفتخر
من ثروة أو جمال (٢) عَقُ : قطع ، . والبيت كناية عن الوطن والمنشأ
(٣) اعتزى : انتسب

الْأَمْصَارَ نَظَرَ سَهَا أَزْدَرَاءَ ، فَلَمْ تَرَ لِحَدِيثِهَا فِي مَيْدَانِ اللَّهِ كَرِ اجْرَاءَ ،
لِأَنَّهَا مَوْطِنٌ لَا يُحْلَى ^(١) مِنْهُ بِطَائِلٍ ، وَنَظْنُ الْبِلَادِ تَأَوَّلَتْ
فِيهَا قَوْلُ الْقَائِلِ :

إِذَا نَطَقَ السَّفِيهُ فَلَا تُجِبُهُ فَخَيْرٌ مِنْ إِبَابَتِهِ الشُّكُوتُ
« فَقَالَتْ مُرْسِيَّةٌ » : أَمَايِ تَتَعَاطُونَ الْفَخْرَ ، وَبِحَضْرَةِ
الَّذِ تَنْفَقُونَ ^(٢) الصَّخْرَ ، إِنْ عُذَّتِ الْمَفَاخِرُ ، فَلِي مِنْهَا الْأَوَّلُ
وَالْآخِرُ ، أَيْنَ أَوْشَالِكُمْ ^(٣) مِنْ بَحْرِي ، وَخَرَزُكُمْ مِنْ
لَوْلُو نَحْرِي ، وَجَعَجَعْتُكُمْ ^(٤) مِنْ نَفَثَاتِ سِحْرِي ، فَلِي

(١) يقال : ما حلّ منه بطائل ، أى ما فاز بغناؤه ولم يستفد كبير فائدة ، وما
حليت منه حليا أى ما أصبت ، وهو من معنى الحلّى والحلية لأن النفس
تعدّ الحلية ظفرا (٢) نفق الشيء : روجه (٣) الوشل : الماء القليل
(٤) الجعجعة : صوت الرحا ونحوها . يراد بهاهنا الكلام الذى لا طائل تحته
وفى التلّ : أسمع جعجعة ولا أرى طحنا ، يضرب لمن يكثر الكلام ولا يعمل ،
ولمن يمد ولا يفعل (٥) جمع نفثة . ومن ضرب السحر ما يتلوه الساحر أو
الشعوذ على الحيط ، وكلما تلا شعبذته عقد عقدة ونفل عليها من ريقه .
ودرجات البصاق فى اللغة على الترتيب الآتى : أوله البزق . ثم التفل وهو
أقل منه . ثم النفث . ثم النفخ بلارىق : وفى التنزيل « ومن شر
النفاثات فى العقد » والمراد بنفثات السحر هنا الكلام البليغ قوى التأثير
فى النفوس ، وتقول : هذا من نفاثات فلان أى من جيد شعره

الرَّوْضُ التَّضْيِيرُ، وَالْمَرَأَى الَّذِي مَالَهُ مِنْ نَظِيرٍ، وَرَتَقَاتِي^(١)
الَّتِي سَارَ مَثَلُهَا فِي الْأَفَاقِ، وَتَبَرَّقَعَ وَجْهُ جَمَالِهَا بِعُرَّةِ
الْإِصْفَاقِ. فَمِنْ دَوَّحَاتٍ، كَمَ لَهَا مِنْ بُكُورٍ وَرَوَّحَاتٍ، وَمِنْ
أَرْجَاءٍ، إِلَيْهَا تُمَدُّ أَيْدِي الرِّجَاءِ، فَأَبْنَانِي فِيهِ فِي الْجَنَّةِ الدُّنْيَوِيَّةِ
مُودَعُونَ^(٢)، يَتَنَعَّمُونَ فِيهَا يَأْخُذُونَ وَيَدْعُونَ، وَلَهُمْ فِيهَا
مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُهُمْ وَلَهُمْ فِيهَا مَا يَدْعُونَ، فَاتَّقَادُوا لِأَمْرِي
وَحَازِرُوا أَصْطِلَاءَ جَمْرِي، وَخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ سَيِّدِنَا أَيْ زَيْدٍ

(١) الرقة: الفروج بين الأصابع - وكان الراد النواحي الفضائية غير المسكونة
على الجواز، وقد يكون رتقاني (بالنون) من الرونق وهو الصفاء والحين .
والترنيق من الاضداد يكون تكديرا او يكون نصفية ، يقال : رنق الله فلانك
أى صفاها ، ورنق القوم بالمكان أقاموا به . وأصفقوا على كذا : أجمعوا عليه
وانفقوا مطبقين (٢) وكانت مرسية ذات أشجار وحدائق محذقة بها كثيرة
للنازه والبساتين والمناظر البديعة التي تسرح فيها العيون . وبها كان منزل
الامير أبى عبد الله محمد بن سعد المعروف بابن مرد نيش صاحب شرق
الاندلس مرسية وما انضاف اليها (المتوفى سنة ٥٦٧) وعمرت في زمانه حتى
صارَت قاعدة الاندلس

وَالْأَصْرَبُكُمْ ضَرْبَ زَيْدٍ^(١) ، فَأَنَا أَوْلَاكُمْ بِهَذَا الْمَلِكِ
الْمُسْتَأْثِرِ بِالْعَظِيمِ ، « وَمَا يَلْقَاهَا إِلَّا ذَوْحٌ عَظِيمٌ » .
« فَقَالَتْ بَلَنَسِيَّةٌ » : فِيمَ الْجِدَالُ وَالْقِرَاعُ ؟ وَعَلَامَ
الِاسْتِهَامِ^(٢) وَالِافْتِرَاعِ^(٣) ؟ وَالْأَمَ التَّعْرِيفِ^(٤) ، وَالتَّصْرِيحِ ؟ ،
وَتَحْتَ الرَّغْوَةِ^(٥) اللَّابِنُ الصَّرِيحُ ، أَنَا أَحْزُهُ مِنْ دُونِكُمْ ،

(١) يريد زيد الخيل بن مهلهل بن زيد الطائي النباهي سمي زيد الخيل
لشجاعته ، وسماه النبي صلى الله عليه وسلم زيد الخير وأثنى عليه . ولعله يشير إلى
المثال الذي تداوله النحاة وهو قولهم ضرب زيد عمرا (يحملون زيدا ضاربا
أبدا وعمرا مضروبا دائما) حتى ضرب الأديباء الأمثال بذلك - وللأديب
نظام الدين أبي الحسن علي بن محمد بن يوسف بن مسعود القيسي القرطبي
المعروف بابن خروف الشاعر المشهور رسالة ظريفة يصف فيها فروة
يقول منها : لا كطيلسان ابن حرب ، ولا جلد عمر والمزق بالضرب
(٢)، (٣) استهم القوم واقتروا : عملوا القرعة . كأن يصفوا سهامهم في جعبة
ويغمض الآخذعينة مثلا فن أخذ سهمها مخصوصا متفقا عليه فاز والخاب .
وفي التنزيل « اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم » وهي السهام فكان
الفائز زكريا عليه السلام (٤) التعريف : الإيحاء إلى الشيء في عرض
الكلام بدون ذكره ، والتصريح ذكره باسمه معينا (٥) أي أن الحق وراء
ما تدكرون ، ومستور وراء ظواهر ما به تتفاضلون ، كما أن رغبة الابن تعالىه
ولكن الخالص منه تحت هذه الرغبة وهو مثل يضرب للأمر تظهر حقيقته
بعد خفائها ، وأصله لما مر بن الظرب قال : إن لكل عام طعاما ، ولكل راع
مرعى ، ولكل مراح مريحا ، وتحت الرغبة الابن الفصيح الخ وقال فضلة السلمي :

رأوه فازدروه وهو خرق وينفع أهله الرجل القبيح

فلم يخشوا مصائبه عليهم وتحت الرغبة الابن الفصيح

جو يري الابن الصريح

فَأَخَذُوا نَارِي تَحَرَّكُمْ وَهَدُونَكُمْ^(١) ، فَلَئِ الْمَحَاسِنُ
الْشَّائِغَةُ الْأَعْلَامَ ، وَالْجَنَاتُ الَّتِي تُنَلِّي إِلَيْهَا الْأَفَاقُ يَدَ
الْإِسْتِسْلَامِ^(٢) ، وَبِرْصَاقِي وَجِسْرِي أُعَارِضُ مَدِينَةَ السَّلَامِ^(٣)
فَأَجْمِعُوا عَلَى الْإِثْقَادِ لِي وَالسَّلَامِ ، وَإِلَّا فَعَضُّوا بَنَاتًا ،
وَأَقْرَعُوا^(٤) أَسْنَانًا ، فَأَنَا حَيْثُ لَا تُدْرِكُونَ وَأَنَا ، وَمَوْلَانَا
لَا يُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا .

« فَعِنْدَ ذَلِكَ أَرْتَمْتُ جَمْرَةً تُدْمِرُ بِالشَّرَارِ » وَأُسْتَدَّتْ^(٥)
أَسْنَانُهَا لِخُورِ الشَّرَارِ ، وَقَالَتْ : عِشْ رَجَبًا^(٦) تَرَعَجَبًا ، أَبَعْدَ
الْعَصِيَانِ وَالْعُقُوقِ ، تَهَيَّأَنَّ^(٧) لِرُبِّ ذَوِي الْحُقُوقِ ، هَذِهِ

(١) أى سكونكم . وأصل الهدنة السكون بعد الهيج (٢) الانقياد
(٣) هى بغداد ، وصرافها وجسر هايتغنى بهما الشعراء ، فهذا على بن الجهم يقول :
عيون لها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى
أعدن لى الشوق القديم ولم أكن سلوت ولكن زدن جمرا على جمر
سامن وأسلمن القلوب كأنما تشاك بأطراف الثقفة السمر
(٤) قرع سنه : ندم وتحسر وعض على يده غيظا (٥) أى فوقت سهامها
(٦) يضرب مثلا فى تحول الدهر وتقلبه وإتيان كل يوم بما يتعجب منه وأول
من قاله الحرث بن عباد بن قيس بن ثعلبة (٧) فى بعض النسخ تهيين
خطاب لمرسية ، والكلام بعده يرجع ذلك لأنه خطاب لواحدة

سَمَاءُ الْفَخْرِ فَمَنْ صَمَكٌ^(١) أَنْ تَعْرِجِي ، لَيْسَ بِعُشْكٍ^(٢) ،
فَاذْرُجِي ، لَكَ الْوَصَبُ^(٣) وَالْحَبْلُ^(٤) آ لَانَ وَقَدْ عَصَيْتِ
قَبْلُ ، أَيُّهَا الصَّانِعَةُ الْفَاعِلَةُ^(٥) ، مَنْ أَذْرَاكَ أَنْ تَضْرِبِي^(٦) وَمَا
أَنْتِ فَاعِلَةٌ ، مَا الَّذِي يُجْدِيكَ الرُّوضُ وَالزَّهْرُ؟ ، أَمْ مَا يُفِيدُكَ
الْجُدُولُ وَالنَّهْرُ؟ ، وَهَلْ يُصْلِحُ الْعَطَارُ مَا أَفْسَدَ^(٧) الدَّهْرُ؟ .
هَلْ أَنْتِ إِلَّا عَحْطُ رَحْلِ النَّفَاقِ ، وَمَنْزِلُ مَا لِسُوقِ الْحَصْبِ
فِيهِ مِنْ نَفَاقٍ^(٨) . ذَرَاكِ^(٩) لَا يَكْتَحِلُ الطَّرْفُ فِيهِ بِهَجُوعٍ ،

(١) أظنها محرفة عن ضمك (٢) مثل يقال لمن يتقدم في مقام ليس له بأهل
ولن يرفع نفسه فوق قبره أى ليس مما ينبغي لك فزل عنه ، وليس هذا
من الأمر الذى لك فيه حق فدعيه - ودرج: مشى ومضى فى تقارب خطو
وضعف مشى (٣) الوصب : العذاب المؤلم (٤) الحبل : الجنون ، والحبل :
الفساد ، وأصله فساد الأعضاء حتى لا يدرك كيف يمضى ، وخيله الحزن والداء
(٥) أى الفاجرة ، والفاعل الأجبر أيضا . ويقولون : هو فاعل تارك لمن
تكثرت ذنوبه ، قال نور الدين العسيلي :

يتركب ذنبا ولا ذنب لى فاعجب لهذا الفاعل التارك

(٦) نكتة نحوية : فنى قولك : ضربت زينب : زينب فاعلة للفعل ضرب
(٧) مثل . يضرب لمن شوهه الكبر والهرم ويحاول بالصباغ أن يظهر
بمظهر الشباب ، قال الشاعر :

عجوز تمنى أن تكون فتية وقد لب الخنبان واحدودب الظهر
تروح الى العطار تبغى صلاحها وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر؟

(٨) أى رواج (٩) الذرا - بفتح الذال : فناء الدار ونواحيها . وكل
ما استترت به ، يقال أنا فى ظل فلان وفى ذراه أى فى كنفه ، والذرى كل

ما أكن من الريح الباردة من حائط أو شجر . والهجوع النوم

وَقِرَاكِ^(١) « لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ » ، فَأَلَامَ تَبَرُّزُ الْإِمَاءِ^(٢)
 فِي مَنْصَةِ الْعَقَائِلِ^(٣) ؟ ، وَلَكِنْ أَذْكَرِي قَوْلَ الْقَائِلِ :
 بِلَنْسِيَّةٍ يَبْنِي^(٤) عَنِ الْقَلْبِ سَلَوَةً
 فَإِنَّكَ رَوْضٌ لَا أَحْنُ لِزَهْرِكَ
 وَكَيْفَ يُحِبُّ الْمَرْءُ دَارًا تَقَسَّمَتْ
 عَلَى صَارِمِي جُوعٍ وَفِتْنَةٍ مُشْرِكِ
 يَبْدُ أَتَى أَسْأَلَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُوقِدَ مِنْ تَوْفِيقِكَ^(٥)
 مَا تَحَدَّ ، وَيُسِيلَ مِنْ تَسْدِيدِكَ مَا تَحَدَّ ، وَلَا يُطِيلَ عَلَيْكَ
 فِي الْجَهَالَةِ الْأَمَدَ . وَإِيَّاهُ سُبْحَانَهُ نَسْأَلُ أَنْ يَرُدَّ سَيِّدَنَا
 وَمَوْلَانَا إِلَى أَفْضَلِ عَوَائِدِهِ ، وَيَجْعَلَ مَصَائِبَ أَعْدَائِهِ

(١) هو ما يقدم للضيف من طعام (٢) جمع أمة : الجارية المملوكة (٣) للنصة بفتح اليم : الحجلة تعد للعروس ، والنصة بكسر الميم : الكرسي وشبهه من نحو سرير تظهر عليه العروس ، والملاشطة تنص العروس فتعدها على النصة لترى من بين النساء ، والعقائل : جمع عقيلة : أى السيدة الشريفة الكريمة المخدرة (٤) أى ابعدى (٥) كناية عن ردها الى حظيرة ملوك الاسلام وكان الروم قد ملكوها سنة ٤٨٧ واستردها المثلثون الذين كانوا ملوكا بالمغرب قبل عبد المؤمن بن علي سنة ٤٩٥ . فالظاهر أنها تدعو لها بصلاح حالها ، وعودة الرشد اليها ، وكأنها تعرض بها أنها فقدت منزلتها وسامت بعد صلاحها

مِنْ فَوَائِدِهِ ، وَيُمْكِنُ حُسَامُهُ مِنْ رِقَابِ الْمُشْغِبِينَ^(١) ،
وَيُفْقِيهِ « وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنْ الْمُقَرَّرِينَ » ؛ وَيَصِلُ
لَهُ تَأْيِيدًا وَتَأْيِيدًا ، وَيُمَهِّدُ لَهُ الْآيَامَ حَتَّى تَكُونَ الْأَخْرَارُ
لِعَبِيدِ عِبِيدِهِ عَيْدًا ، وَيَمُدُّ عَلَى الدُّنْيَا بِسَاطِ سَعْدِهِ ، وَيَهْبِ لَهُ
مُلْكًا لَا يَنْبَنِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ :

أَمِينَ آمِينَ لَا أَرْضَى بِوَاحِدَةٍ
حَتَّى أَضِيفَ إِلَيْهَا أَلْفَ آمِينَا
ثُمَّ السَّلَامُ الَّذِي يَتَأَنَّقُ عِبْقًا^(٢) وَنَشْرًا ، وَيَتَأَلَّقُ رَوْتَقًا^(٣)
وَبِشْرًا ، عَلَى حَضْرَتِهِمُ الْعَلِيَّةِ ، وَمَطَالِجِ أَنْوَارِهِمُ الْأُسْنِيَّةِ
الْجَلِيَّةِ ، وَرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتِهِ . انْتَهَى .

وَلَمَّا أَلَمَ^(٤) الرَّحَالَةَ ابْنُ بَطُوطَةَ فِي رِحْلَتِهِ بِدُخُولِهِ
بِلَادَ الْأَنْدَلُسِ ، أَعَادَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِلْإِسْلَامِ ، قَالَ : فَوَصَلْتُ
إِلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ - حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى - حَيْثُ الْأَجْرُ مَوْفُورٌ
لِلْسَاكِنِ ، وَالْثَوَابُ مَذْخُورٌ^(٥) لِلْمُقِيمِ وَالطَّاعِينَ ، إِلَى أَنْ

ابن بطوطة
الرحالة

(١) الذين يسارعون إلى الشغب والثورة (٢) العبق والنشر : الرائحة الذكية

(٣) أى يضىء حسنا وفرحا ويشرق بهجة ونضرة (٤) ألم به : نزل

(٥) ذخّر الشيء اتخذّه واختاره ، وذخّر لنفسه حديثا حسنا أبقاها

قَالَ عِنْدَ ذِكْرِهِ غَرْنَاطَةَ مَا نَصَهُ :

قَاعِدُهُ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَعَرُوسُ مُدْنِهَا ، وَخَارِجُهَا^(١)
لَا نَظِيرَ لَهُ فِي الدُّنْيَا ، وَهُوَ مَسِيرُهُ أَرْبَعِينَ مِيلًا يَخْتَرِقُهُ
نَهْرُ شَيْبِلِ الْمَشْهُورِ ، وَسِوَاهُ مِنَ الْأَنْهَارِ الْكَثِيرَةِ ،
وَالْبَسَاتِينِ الْجَلِيلَةِ ، وَالْجَنَّاتِ وَالرِّيَاضَاتِ وَالْقُصُورِ .
وَالْكُرُومِ مُحْدَقَةٍ بِهَا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ . وَمِنْ عَجِيبِ
مَوَاضِعِهَا : عَيْنُ الدَّمْعِ وَهُوَ جَبَلٌ فِيهِ الرِّيَاضَاتُ وَالْبَسَاتِينُ
لَا مِثْلَ لَهُ بِسِوَاهَا . اُنْتَهَى .

« وَقَالَ الشَّقْنَدِيُّ » : غَرْنَاطَةُ دِمَشْقُ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ ،
وَمَسْرَحُ الْأَبْصَارِ وَمَطْمَحُ الْأَنْفُسِ ، وَلَمْ تَحُلْ مِنْ
أَشْرَافِ أَمَاثِلَ ، وَعُلَمَاءِ أَكَابِرَ ، وَشُعَرَاءِ أَفَاضِلَ ، وَلَوْ
لَمْ يَكُنْ بِهَا إِلَّا مَا خَصَّهَا اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ كَوْنِهَا قَدْ
نَبَغَ فِيهَا النِّسَاءُ الشَّوَاعِرُ كَنْزُهُونَ الْقُلُوعَةِ وَالرَّكُوتِيَّةِ
وغيرهما ، وَنَاهِيكَ بِهِمَا فِي الظَّرْفِ وَالْأَدَبِ^(٢) . اُنْتَهَى

(١) أى ضواحيها (٢) نسبة إلى القلعة وهى إقليم من كورة قبرة بالأندلس
وزهرة الوهيبة جارية الكاتب أبى عبد الله محمد بن وهب الحميرى كانت إحدى
عجائب القيان حنقا وطبعها وحسنا وظرفا وحفصة الركونية توفيت سنة ٥٨٦هـ

وَلِبَعْضِهِمْ يَتَشَوَّقُ إِلَى غَرْنَاطَةٍ فِيمَا ذَكَرَهُ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ،
وَالصَّوَابُ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ قِيلَتْ فِي قُرْطُبَةٍ كَمَا مَرَّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ
أَغْرَنَاطَةُ الْفَرَاءِ هَلْ لِي أَوْبَةٌ

إِلَيْكَ وَهَلْ يَدُنُو لَنَا ذَلِكَ الْعَهْدُ
سَقَى الْجَانِبَ الْغُرْبَى مِنْكَ غَمَامَةٌ

وَقَعَقَعَ فِي سَاحَاتِ رَوْضَتِكَ الرَّعْدُ
لِيَا لِيكَ أَسْحَارُ وَأَرْضُكَ جَنَّةُ

وَتُرْبُكَ فِي أَسْتِنْسَاقِهَا عَبْرٌ وَرَدٌ^(١)
وَقَالَ ابْنُ مَالِكٍ الرَّعَيْنِيُّ:

رَعَى اللَّهُ بِالْحُمْرَاءِ^(٢) عَيْشًا قَطَعَتْهُ

ذَهَبَتْ بِهِ لِلْأُنْسِ وَاللَّيْلِ قَدْ ذَهَبَ
تَرَى الْأَرْضَ مِنْهَا فِضَّةً فَإِذَا كَتَسَتْ

بِشَمْسِ الضُّحَى عَادَتْ سَيِّكُهَا ذَهَبٌ

(١) الورد : الأحمر الضارب الى الصفرة - ومن كلام نافع بن الأزرق : وقتلته وأنا على برذون ورد (٢) الحمراء : اسم لمدينة لبلة بالاندلس وهى مدينة قديمة كان بها آثار عجيبة ، وقصر الحمراء مشهور وتسمى حمراء غرناطة سميت الحمراء لاحمرار جدرانها وللون التربة التى قامت عليها فى سفح جبل غرناطة

وَهُوَ الْقَائِلُ :

لَا تَظُنُّوا أَنَّ شَوْقِي حَمْدًا بَعْدَ كُمْ أَوْ أَنَّ دَمْعِي جَمْدًا
كَيْفَ أَسْأَلُو عَنِّ أَنْاسٍ مِثْلَهُمْ قَلَّ أَنْ تُبْصِرَ عَيْنِي أَحَدًا
« وَغَرْنَاطَةُ » مِنْ أَحْسَنِ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ ، وَتُسَمَّى
بِدِمَشْقِ الْأَنْدَلُسِ لِأَنَّهَا أَشْبَهَتْ شَيْءَهَا ، وَيَشْفُهَا نَهْرُ حُدْرَةَ ^(١) ،
وَيُطِلُّ عَلَيْهَا الْجَبَلُ الْمُسَمَّى بِشَلِيرَ ، الَّذِي لَا يَزُولُ الثَّلْجُ
عَنْهُ شِتَاءً وَصَيْفًا ، وَيَحْمَدُ عَلَيْهِ حَتَّى يَصِيرَ كَالْحَجَرِ الصَّلْدِ ،
وَفِي أَغْلَاهُ الْأَزَاهِرُ الْكَثِيرَةُ ، وَأَجْناسُ الْأَفَاوِيزِ الرِّفِيعَةِ ،
وَتَرَكَلْ بِهَا أَهْلُ دِمَشْقَ لَمَّا جَاءُوا إِلَى الْأَنْدَلُسِ لِأَجْلِ الشَّيْءِ
الْمَذْكُورِ . وَقُرِئَ غَرْنَاطَةَ - فِيمَا ذَكَرَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ -
هَائِثَانِ وَسَبْعُونَ قَرْيَةً

« وَقَالَ ابْنُ جُزَيٍّ » مُرَّ بَرْحَلَةِ ابْنِ بَطْوَطَةَ بَعْدَ
ذِكْرِ كَلَامِهِ مَا نَصَّهُ : قَالَ ابْنُ جُزَيٍّ : لَوْ لَا خَشْيَةُ أَنْ تُنْسَبَ

(١) قَالَ يَاقُوتُ فِي وَصْفِ غَرْنَاطَةَ : وَيَشْفُهَا النَّهْرُ الْمَعْرُوفُ بِنَهْرِ قُلُومٍ فِي
الْقَدِيمِ وَيَعْرِفُ الْآنَ بِنَهْرِ حُدْرَةَ يَلْقُطُ مِنْهُ سَحَابَةُ الذَّهَبِ الْخَالِصِ وَعَلَيْهِ
أَرْحَاءُ كَثِيرَةٌ فِي دَاخِلِ الْمَدِينَةِ وَقَدْ اقْتَطَعَ مِنْهُ سَاقِيَةٌ كَبِيرَةٌ تَخْتَرِقُ نِصْفَ
الْمَدِينَةِ فَتَعْمُ حَمَامَاتُهَا وَسَاقِيَاتُهَا وَكَثِيرًا مِنْ دُورِ الْكِبَرَاءِ الْخ

إِلَى الْعَصِيَّةِ لَأَطْلُتُ الْقَوْلُ فِي وَصْفِ غَرْنَاطَةٍ فَقَدْ وَجَدْتُ
مَكَانَهُ، وَلَكِنْ مَا اشْتَهَرَ كَاشْتَهَارَهَا لَا مَعْنَى لِإِطَالَةِ الْقَوْلِ
فِيهِ، وَلِلَّهِ دَرُّ شَيْخِنَا أَبِي بَكْرٍ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ شَيْبَانَ السَّبْتِيِّ^(١)
تَزِيلِ غَرْنَاطَةٍ حَيْثُ يَقُولُ :

رَعَى اللَّهُ مِنْ غَرْنَاطَةٍ مُنبِئًا^(٢)

يَسُرُّ حَزِينًا أَوْ يُحِيرُ طَرِيدًا
تَبَرَّمَ مِنْهَا صَاحِبِي عِنْدَمَا رَأَى
مَسَارِحَهَا بِالْبَلْعِ عُدْنَ جَلِيدًا
هِيَ الثَّغْرُ صَانَ اللَّهُ مِنْ أَهْلَتْ^(٣) بِهِ
وَمَا جِئْتُ نَعْرَ لَا يَكُونُ بُرُودًا^(٤)!

وَقَالَ ابْنُ سَعِيدٍ عِنْدَمَا أُجْرِيَ ذِكْرُ قَرْيَةِ نَارِجَةَ - وَهِيَ
قَرْيَةٌ كَبِيرَةٌ تُضَاهِي الْمَدْنَ، قَدْ أَخْدَقَتْ بِهَا الْبَسَاتِينُ، وَلَهَا
نَهْرٌ يَفْتِنُ النَّاطِرِينَ، وَهِيَ مِنْ أَعْمَالِ مَالِقَةَ : إِنَّهُ اجْتَارَ
مَرَّةً عَلَيْهَا مَعَ وَالِدِهِ أَبِي عِمْرَانَ مُوسَى، وَكَانَ ذَلِكَ زَمَانَ

(١) أبو بكر محمد بن شيبان المؤرخ الكاتب توفي سنة ٧٤٧ (٢) أى مقاما
ومنزلا (٣) أهل المكان : عمر (٤) البرود : البارد : وفي الكلام تورية لانتحى

صِبَاغَةِ الْحَرِيرِ عِنْدَهُمْ ، وَقَدْ ضَرَبُوا فِي بَطْنِ الْوَادِي بَيْنَ
مُقْطَعَاتِهِ خَيْمًا ، وَبَعْضُهُمْ يَشْرَبُ ، وَبَعْضُهُمْ يُغْنَى وَيَطْرَبُ ،
وَسَأَلُوا : بِمَ يُعْرَفُ ذَلِكَ الْمَوْضِعُ ؟ فَقَالُوا الطَّرَازُ^(١) ، فَقَالَ
وَالِدِي : اِسْمُ طَائِفٍ مُسَمَّاهُ ، وَلَفْظٌ وَافِقٌ مَعْنَاهُ .

وَقَدْ وَجَدْتُ مَكَانَ الْقَوْلِ^(٢) ذَاسِعَةً

فَإِنْ وَجَدْتَ لِسَانًا قَائِلًا فَقُلْ

ثُمَّ قَالَ أَجْزَ^(٣) :

بِنَارِجَةٍ حَيْثُ الطَّرَازُ الْمُتَمَنِّمُ

فَقُلْتُ : أَقِمْ فَوْقَ نَهْرٍ نَعْرُهُ يَبْسَمُ

فَقَالَ : وَسَمْعَكَ نَحْوَ الْهَاتِفَاتِ^(٤) فَإِنَّهَا

فَقُلْتُ : لِمَا أَبْصَرْتُ مِنْ بَهْجَةٍ تَتَرَنَّمُ

فَقَالَ : أَيَا جَنَّةَ الْفِرْدَوْسِ لَسْتُ بِأَدَمٍ

(١) الطراز في الأصل للوضع الذي تنسج فيه الثياب الجيدة . والطراز
الجيد في كل شيء . (٢) البيت للثبني : أى وجدت مقاما يستدعى قولاً
فان واتتك البلاغة فقل (٣) الاجازة في الشعر : الاتيان بمصراع يكمل
المصراع الاول ، وأن ينظم الشاعر على شعر غيره في معناه ما يكون به
تمامه وكماله ، وهى مشتقة من الاجازة في السقي يقال : أجاز فلان فلانة
إذا سقاه أو سقى له (٤) أى الجاهل ، وهتافها : تتريدها وترجييعها .

فَقُلْتُ : فَلَا يَكُ حَظِّي مِنْ جَنَّاكِ اُتْسَدُّمُ
 فَقَالَ : يَعْزُ عَلَيْنَا أَنْ نَزُورَكَ مِثْلَ مَا
 فَعَلْتُ : يَزُورُ خِيَالٍ مِنْ سُلَيْمَى مُسَلِّمُ
 فَقَالَ : فَلَوْ أَنِّي أُعْطِيَ الْخِيَارَ لَمَّا عَدْتُ
 فَعُلْتُ : مَحَلِّكَ لِي عَيْنُ عِمْرَآكِ تَنْمُ
 فَقَالَ : بِحَيْثُ الصَّبَا وَالطَّلُّ مِنْ نَفَثَاتِهَا
 فَعُلْتُ : وَقَتَ لَسَعِ رَوْضٍ فِيهِ لِلنَّهْرِ أَرْقَمُ^(١)
 فَقَالَ : فَوَا أَسْفَا إِنْ لَمْ تَكُنْ لِي عَوْدَةٌ
 فَعُلْتُ : فَكُنْ مَا لِكَآ^(٢) إِنِّي عَلَيْكَ مُتَمِّمُ
 فَقَالَ : فَأَحْسِبْ هَذَا آخِرَ الْعَهْدِ يَلِينَا

(١) شبه تجمد ماء النهر بظهور الحية الرقطاء في مشيها كما يقولون : والمياه تنساب في جداولها انسياب الأرقام (٢) أى ان لم تكن لي عودة فسيطول أسفى وحزنى وبكائى عليك ، بل ستكون منى بمنزلة مالك من أخيه متمم بن نويره : فقد بكى متمم أخاه مالكاً حتى دمت عينه العوراء ، ورناء بمرات خالدة ، وفيه يقول أكرم بن صيفى : فتى ولا كمالك ، ومن كلام متمم :

وقالوا أنبكى كل قبر رأيته لقبر نوى بين اللوفا لكادك

فقلت لهم ان الأسمى يبعث الأسمى دعونى فهذا كله قبر مالك

فَقُلْتُ : وَقَدْ يَلْحَظُ الرَّحْمَنُ شَوْقِي فَيَرْحَمُ
فَقَالَ : سَلَامٌ سَلَامٌ لَا يَزَالُ مُرَدِّدًا
فَقُلْتُ : عَلَيْكَ وَلَا زَالَتِ بِكَ السُّحُبُ تُسَجِّمُ

* *

« وَقَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : إِنَّ كُورَةَ بَلَنْسِيَةَ مِنْ شَرْقِ وَصَفِ بَلَنْسِيَةِ
الْأَنْدَلُسِ، يَنْبُتُ بِهَا الزَّعْفَرَانُ، وَتُعْرَفُ بِمَدِينَةِ التُّرَابِ، وَبِهَا
كُمُنْرَى تُسَمَّى الْأُزْرَةَ فِي قَدْرِ حَبَّةِ الْعِنَبِ، قَدْ جَمَعَ مَعَ
حَلَاوَةِ الطَّعْمِ ذِكَاةَ الرَّاحَةِ، إِذَا دَخَلَ دَارًا عُرِفَ بِرِيحِهِ .
وَيُقَالُ إِنَّ ضَوْءَ بَلَنْسِيَةِ يَزِيدُ عَلَى ضَوْءِ سَائِرِ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ .
وَبِهَا مَنَازِلُهُ وَمَسَارِحُهُ، وَمِنْ أَسْمَاءِهَا وَأَشْهُرِهَا الرُّصَافَةُ
وَمُنْيَةُ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ . وَقَالَ الشَّرَفُ أَبُو جَعْفَرِ بْنِ مَسْعَدَةَ
الْفَرَنْجِي مِنْ أَيْكَتِ فِيهَا :

هِيَ الْفِرْدَوْسُ فِي الدُّنْيَا جَمَالًا

لِسَاكِتِهَا، وَكَارِهُهَا الْبَعُوضُ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِيهَا :

ضَاقَتْ بَلَنْسِيَةُ بِي وَدَادَ عَنِّي عُمُوزِي

رَقِصُ الْبَرَاغِيثِ فِيهَا عَلَى غِنَاءِ الْبُغُوزِ
وَفِيهَا لِابْنِ الرُّزَّاقِ ^(١) الْبَلَنْسِيُّ :

بَلَنْسِيَّةٌ إِذَا فَكَّرْتُ فِيهَا وَفِي آيَاتِهَا أُسْنَى ^(٢) الْبِلَادِ
وَأَعْظَمُ شَاهِدِي مِنْهَا عَلَيْهَا وَأَنَّ جَمَالَهَا لِلْعَيْنِ بَادِي
كَسَاهَا رَبُّهَا دِيْبَاجَ حُسْنٍ لَهَا عِلْمَانِ مِنْ بَحْرِ وَوَادِي
« وَقَالَ ابْنُ سَعِيدٍ أَيْضًا : « أَنْشَدَنِي وَالِدِي ، قَالَ أَنْشَدَنِي
مَرْوَانَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَلِكُ بَلَنْسِيَّةَ لِنَفْسِهِ
بِعَمْرَا كُشَّ قَوْلُهُ :

كَأَنَّ بَلَنْسِيَّةً كَاعِبٌ ^(٣) وَمَلْبَسُهَا مُنْدُسٌ أَخْضَرُ
إِذَا جِئَتْهَا سَمَرَتْ نَفْسَهَا ^(٤) بِأَكْمَامِهَا ^(٥) فَهِيَ لَا تَظْهَرُ

(١) هو أبو الحسن علي بن عطية توفى سنة ٥٣٠ (٢) من السنا: مقصورا: وهو
النور أى أكثر البلاد نورا (٣) الكاعب: الفتاة برزهاها، والبيتان ينسبان
لأبي العباس أحمد بن الرزاق يصف بلنسية ويدكر أن البساتين محفوفة بها
(٤) ويروى سرت وجهها (وهو اللطف) (٥) الكم : ما تفتح عن الثمرة وكم
القميمص معروف ، والكمة كل ظرف غطيت به شيئا وألبسته اياه فصار
كالخلاف له ففي أكمام فى البيت تورية وفى البيتين حسن تعليل بديع :
أى أنها محوطة بالأشجار فلا تظهر مبانيها لوفرة ما يكتنفها من الشجر

وَأَمَّا قَوْلُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيَّاشٍ : « بَلَنْسِيَّةٌ بَيْنِي ^(١) » ،
الْبَيْتَيْنِ وَقَدْ سَبَقَا فَقَالَ ابْنُ سَعِيدٍ إِنَّ ذَلِكَ حَيْثُ صَارَتْ
ثَغْرًا يُصَابِحُهَا الْعَدُوُّ وَيَمَاسِيهَا . انْتَهَى .

« وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ حَرِيقٍ ^(٢) » يُجَابُ ابْنُ عِيَّاشٍ :
بَلَنْسِيَّةٌ قَرَارَةٌ كُلُّ حُسْنٍ حَدِيثٌ صَحَّ فِي شَرْقٍ وَغَرْبٍ
فَإِنْ قَالُوا مَحَلُّ غَلَاءٍ سِعْرٍ وَمَسْقُطٌ دِيمَتِي طَعْنٍ وَضَرْبٍ
فَقُلْ هِيَ جَنَّةٌ حَفَّتْ رُبَاهَا

بِمَكْرُوهَيْنِ ^(٣) مِنْ جُوعٍ وَحَرْبٍ
وَقَالَ الرُّصَافِيُّ ^(٤) فِي رِصَاقِهَا :
وَلَا كَالرِّصَافَةِ مِنْ مَنَزَلٍ
سَقَتُهُ السَّحَابُ صَوْبَ الْوَلِيِّ ^(٥)

(١) في قوله فيما تقدم :

بلنسية بيني عن القلب سلوة فانك روض لأحن زهرك الخ
(٢) توفي علي بن حريق سنة ٦٢٢ (٣) يشير إلى الحديث المأثور :
حفت الجنة بالمسكارة (٤) هو أبو عبد الله محمد بن غالب الرفاء الأندلسي
البلنسي الرصافي توفي سنة ٥٧٢ بمدينة مالقة (٥) الولي من المطر : ما جاء
بعد الوسمي : والمطر بعد المطر : والوسمي : « مطر الربيع الأول » سمي به
لأنه يسم الأرض بالنبات ، أصاب الأرض الوسمي

أَحِنُّ إِلَيْهَا وَمَنْ لِي بِهَا ؟

وَأَيْنَ السَّرِيِّ^(١) مِنَ الْمَوْصِلِ

« وَقَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : وَبِرُصَافَةِ بَلَنْسِيَّةَ مَنَظَرُ وَبَسَاتِينُ

وَمِيَاهُ ، وَلَا نَعْلَمُ فِي الْأَنْدَلُسِ مَا يُسَمَّى بِهَذَا الْأِسْمِ إِلَّا هَذِهِ وَرُصَافَةُ قُرْطُبَةَ^(٢) . اُنْتَهَى .

وَمِنْ أَعْمَالِ بَلَنْسِيَّةَ قَرْيَةُ الْمُنْصَفِ الَّتِي مِنْهَا الْفَقِيهُ
الزَّاهِدُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمُنْصِفِيُّ ، وَقَبْرُهُ كَانَ بِسَبْتَةِ زُرَّارٍ ، رَحِمَهُ
اللَّهُ تَعَالَى . وَمِنْ نَظْمِهِ :

قربة المنصف

قَالَتْ لِي النَّفْسُ أَتَاكَ الرَّدَى^(٣)

وَأَنْتَ فِي بَحْرِ الْخَطَايَا مُقِيمٌ

فَمَا أَذْخَرْتَ الزَّادَ ، قُلْتُ أَقْصِرِي

هَلْ يُحْمَلُ الزَّادُ لِذَاكَ الْكَرِيمِ ؟

(١) يريد الشاعر للشهور أبا الحسن السري بن أحمد بن السري الكندي
الرفاء الموصل ، اتصل بعد أن جاد شعره ومهر فيه بسيف الدولة بن حمدان
في حلب ومدحه وأقام عنده مدة ، وبعد وفاة سيف الدولة انتقل الى بغداد
ومدح الوزير المهلي وجماعة من رؤسائها حتى توفي بها سنة ٣٦٦ (٢) مدينة
أنشأها عبد الرحمن الداخل وسماها الرصافة تشبيها برصافة جده هشام بن
عبد الملك في الشام (٣) أى الموت .

وَمِنْ عَمَلٍ بَلَنْسِيَّةَ قَرْيَةٍ بِطَرْنَةِ وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا
الْوَقْعَةُ الشَّهْرُورَةُ لِلنَّصَارَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَفِيهَا يَقُولُ
أَبُو إِسْحَقَ بْنُ يَعْلَى الطَّرْسُونِيُّ^(١) :

لَبِسُوا الْحَدِيدَ إِلَى الْوَعَى وَلَبِسْتُمْ
حُلَّ الْحَرِيرِ^(٢) عَلَيْكُمْ أَلْوَانَا
مَا كَانَ أَفْبَحَهُمْ وَأَحْسَنَكُمْ بِهَا
لَوْ لَمْ يَكُنْ يَبْطَرْنَةُ مَا كَانَا

وَمِنْ عَمَلٍ بَلَنْسِيَّةَ مَنِيْطَةَ الَّتِي نُسِبَ إِلَيْهَا جَمَاعَةٌ مِنْ
الْعُلَمَاءِ وَالْأَدْبَاءِ . وَمِنْ عَمَلٍ بَلَنْسِيَّةَ مَدِينَةِ أُنْدَةَ الَّتِي فِي
جَبَلِهَا مَعْدِنُ الْحَدِيدِ - وَأَمَّا رُنْدَةُ^(٣) بِالرَّاءِ فَهِيَ فِي مُتَوَسِّطِ
الْأَنْدَلُسِ - وَلَهَا حِصْنٌ يُعْرَفُ بِأُنْدَةَ أَيْضًا ، وَفِي إِشْبِيلِيَّةَ
- أَعَادَهَا اللَّهُ مِنَ الْمُتَفَرِّجَاتِ وَالْمُتَزَهَّاتِ كَثِيرٌ ، وَمِنْ ذَلِكَ
مَدِينَةُ طَرِيَانَةَ ، فَإِنَّهَا مِنْ مُدُنِ إِشْبِيلِيَّةَ وَمُتَزَهَّاتِهَا ،

(١) طرسونة : مدينة بالقرب من تطيلة (٢) في قوله : ولبستم حلل الحرير
مع انكسارهم معنى التفرج (٣) رندة : معقل حصين بين اشيلية ومالقة

وَكَذَلِكَ تَيْطَلُ قَقْدُ ذَكَرِ ابْنِ سَعِيدٍ جَزِيرَةً تَيْطَلُ فِي
الْمُتَفَرِّجَاتِ^(١)

« وَقَالَ أَبُو عَمْرٍانَ » مُوسَى بْنُ سَعِيدٍ فِي جَوَابِهِ لِأَبِي
يَحْيَى صَاحِبِ سَبْتَةَ لَمَّا أُسْتُوزَرَهُ مُسْتَنْصِرُ^(٢) بَنِي عَبْدِ
الْمُؤْمِنِ ، وَكَتَبَ إِلَى الْمَذْكُورِ يُرَغِّبُهُ فِي الثَّقَلَةِ عَنْ
الْأَنْدَلُسِ إِلَى مَرَاكُشَ مَا نَصَّ حَلَّ الْحَاجَةِ مِنْهُ :
وَأَمَّا مَا ذَكَرَ سَيِّدِي مِنَ التَّخْيِيرِ بَيْنَ تَرْكِ الْأَنْدَلُسِ
وَبَيْنَ الْوُصُولِ إِلَى حَضْرَةِ مَرَاكُشَ ، فَكُنِيَ الْفَهْمُ الْعَالِي
مِنْ الْإِشَارَةِ قَوْلُ الْقَائِلِ :

وَالْعِزُّ مَحْمُودٌ وَمُلْتَمَسٌ وَالذُّهُ مَا كَانَ فِي الْوَطَنِ
فَإِذَا نِلْتُ بِكَ السَّمَاءِ فِي تِلْكَ الْحَضْرَةِ ، فَعَلَى مَنْ أَسْوَدُ
فِيهَا ؟ وَمَنْ ذَا أَصَاهِي بِهَا ؟
لَا رَقَّتْ بِي هِمَّةٌ إِنْ لَمْ أَكُنْ فَيْكَ قَدْ أَمَلْتُ كُلَّ الْأَمَلِ

(١) أى المنزهات (٢) هو أبو يعقوب يوسف بن محمد بن يعقوب بن
يوسف ابن عبد المؤمن بن علي ولد سنة ٥٩٤ هـ وولى الأمر سنة ٦١٦ وتوفى
سنة ٦٢٠

وَبَعْدُ فَكَيْفَ أَفَارِقُ الْأَنْدُلُسَ؟ وَقَدْ عَلِمَ سَيِّدِي أَنَّهَا
جَنَّةُ الدُّنْيَا بِمَا حَبَّاهَا اللَّهُ بِهِ مِنْ أَعْنِدَالِ الْهَوَاءِ، وَعُذُوبَةِ
الْمَاءِ، وَكَثَافَةِ الْأَفْيَاءِ^(١)، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَبْرَحُ فِيهَا بَيْنَ
قُرَّةِ عَيْنٍ وَقَرَارِ نَفْسٍ^(٢) :

هِيَ الْأَرْضُ لَا وَرْدَ لَهَا مُكَدَّرٌ
وَلَا ظِلٌّ مَقْصُورٌ وَلَا رَوْضٌ مُجَدِّبٌ
أَفْقٌ صَقِيلٌ، وَيَسَاطٌ مُدَبِّجٌ، وَمَا يَسَاحُجٌ، وَطَائِرٌ مُتَرَنِّمٌ
وَهُوَ الْإِبْلِيلُ، وَكَيْفَ يَمْدِدُ الْأَدِيبُ عَنْ أَرْضٍ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ؟!
فَيَا سَمَوِّ^(٣) أَلَوْ فَاءَ، وَيَا حَايِمَ^(٤) السَّمَاحِ، وَيَا جَذِيمَةَ^(٥) الصِّفَاءِ،

(١) جمع فيء، وهو الظل (٢) يريد السرور ورخاء البال (٣) السموأل
ابن عادياء الاسرائيلي : استودعه امرؤ القيس دروعه وذهب عنه وجاء
أعداء امرؤ القيس يطلبون تلك الدروع وقد اختطفوا ابنا للسموأل
فلما أطل عليهم من حصنه الأبلق خيروهم بين أن يدفع إليهم الدروع
والسلاح أو يقتلوا ابنه ، فأبى أن يخفر ذمته وسلم في قتل ابنه فتمزق
به اللث في الوفاء (٤) هو حاتم الطائي أشهر من أن يعرف ، بل صار اسمه
علما على الكرم الذي لا غاية له (٥) هو جذيمة الأبرش أحد ملوك العرب
الذين سألهم الأبيات واتخذ له نديعين لشرايه وفيهما يقول متمم بن نويرة
في رثاء أخيه :

وَكُنَّا كَنَدِمَانِي جَذِيمَةَ حَقْبَةٍ مِنْ النُّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ تَنْقَطَا
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لَطُولِ اجْتِمَاعِ لَمْ تَبْتَ لَيْلَةً مَعَا
(٣ - نقيح الطيب - ثان)

كَمَلْ لِمَنْ أَمْلَكَ النِّعْمَةَ بِتَرْكِهِ فِي مَوْطِنِهِ ، غَيْرَ مُكَدِّرٍ
لِخَاطِرِهِ بِالتَّحَرُّكِ مِنْ مَعْدِنِهِ ، مُتَلَفِّتًا إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ :

وَمَوَّلَتْ لِي نَفْسِي أَنْ أَفَارِقَهَا

وَالْمَاءُ فِي الْمَزْنِ ^(١) أَصْنَى مِنْهُ فِي الْغُدْرِ ^(٢)

فَإِنْ أَغْنَاهُ اهْتِمَامُ مُؤَمِّلِهِ عَنْ ارْتِيَادِ الْمَرَادِ ^(٣) ، وَبَلَّغَهُ
دُونَ أَنْ يَشُدَّ قَتَبًا وَلَا أَنْ يُنْضَى ^(٤) عَيْسًا غَايَةَ الْمُرَادِ ،

أَنْشَدَ نَاجِحَ الْمَرْغُوبِ ، بِالْغِ الْمَطْلُوبِ :

وَلَيْسَ الَّذِي يَتَّبِعُ الْوَيْلَ رَائِدًا

كَمَنْ جَاءَهُ فِي دَارِهِ رَائِدُ الْوَيْلِ

وَرُبَّ قَائِلٍ إِذَا سَمِعَ هَذَا التَّبَسُّطَ عَلَى الْأَمَانِيِّ ، مَا لَهُ

تَشْطُّطٌ ^(٥) ؟ ، وَعَبْدَلٌ عَنْ سَبِيلِ التَّأْدُّبِ وَالتَّبَسُّطِ . وَلَا

جَوَابَ عِنْدِي إِلَّا قَوْلُ الْقَائِلِ :

(١) جمع مزنة : وهي السحابة : وفي التنزيل « أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمِزْنِ »

(٢) جمع غدير : ويجمع أيضا على غدران : ماء غامر غير جار نبت فيه

الأعشاب (٣) من راد السكان يروده إذا خرج يطلب مواضع السكلا

ومساقط الغيث (٤) ينضى : يجهد ويتمب (٥) أى تجاوز الحد

فَهَذِهِ خُطَّةٌ مَا زِلْتُ أَرْقُبُهَا
 فَالْيَوْمَ أَبْسُطُ أَمَالِي وَأَحْكُمُ
 وَمَالِي لَا أَتَشِدُّ مَا قَالَهُ الْمُتَنَبِّي فِي سَيْفِ الدَّوْلَةِ :
 وَمَنْ كُنْتَ بَحْرًا لَهُ يَاعْلَى م لَمْ يَقْبَلِ الدَّرُّ إِلَّا كِبَارًا
 انْتَهَى الْمُقْصُودُ مِنْهُ . « وَقَالَ الْحَجَّارِيُّ » : إِنَّ مَدِينَةَ شَرِيشَ
 بِنْتُ إِسْذِيلِيَّةَ ، وَوَادِيهَا ابْنُ وَادِيهَا ، مَا أَشْبَهَ سَعْدَى ^(١) بِسَعِيدٍ ،
 وَهِيَ مَدِينَةٌ جَلِيلَةٌ صَحْمَةٌ الْأَسْوَاقِ ، لِأَهْلِهَا هَمٌّ وَظَرْفٌ
 فِي اللَّبَاسِ وَإِظْهَارُ الرِّقَاقِيَّةِ ، وَتَخْلُقُ بِالْأَدَابِ ، وَلَا
 تَكْادُ تَرَى بِهَا إِلَّا عَاشِقًا أَوْ مَعْشُوقًا ، وَلَهَا مِنَ الْقَوَاكِ
 مَا يَمُّ وَيُفْضَلُ ، وَمِمَّا اخْتَصَّتْ بِهِ إِحْسَانُ الصَّنْعَةِ فِي الْمُجَبَّنَاتِ ^(٢)
 وَطِيبُ جُبْنِهَا يُعِينُ عَلَى ذَلِكَ ، وَيَقُولُ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ : مَنْ
 دَخَلَ شَرِيشَ وَلَمْ يَأْكُلْ بِهَا الْمُجَبَّنَاتِ فَهُوَ مُحْرَمٌ . انْتَهَى .
 وَالْمُجَبَّنَاتُ نَوْعٌ مِنَ الْقَطَائِفِ يُضَافُ إِلَيْهَا الْجُبْنُ فِي
 عَجِينِهَا وَتُقَالُ بِالزَّيْتِ الطَّيِّبِ . وَفِي شِلْبٍ يَقُولُ الْفَاضِلُ
 الْكَاتِبُ أَبُو عَمْرٍو بْنُ مَالِكِ بْنِ سَيْدَمِيرَ

(١) قد تكون محرفة عن : ما أشبه سعدا بسعيد (بالتصغير) - إشارة للثلث
 المشهور : أسعد أم سعيد ، وهما ابنناضية بن أد (٢) القطائر المخصوصة التي وصفها

أَشْجَاكَ النَّسِيمُ حِينَ يَهْبُ ؟
 أَمْ سَنَا الْبَرْقُ إِذْ يَحْبُ^(١) وَيَحْبُو
 أَمْ هَتُوفُ^(٢) عَلَى الْأَرَاكِةِ تَشْدُو
 أَمْ هَتُونُ^(٣) مِنْ الْقُمَّامَةِ سَكْبُ
 كُلُّ هَذَاكَ لِلصَّبَابَةِ دَاعٍ
 أَيُّ صَبٍّ دُمُوعُهُ لَا تُصَبُّ ؟
 أَنَا لَوْلَا النَّسِيمُ وَالْبَرْقُ وَالْوَرْدُ^(٤)
 قُوصُوبُ الْقُمَّامِ مَا كُنْتُ أَصْبُو
 ذَكَرْتَنِي شَلْبًا وَهِنَاتٍ مَنِي
 بَعْدَ مَا اسْتَحْكَمَ التَّبَاعُدُ شَلْبُ
 وَلَسَمَى أَعْمَالُ شَلْبٍ كُورَةَ أَشْكُونِيَّةَ ، وَهِيَ مُتَّصِلَةٌ
 بِكُورَةِ أَشْبُونَةِ ، وَهِيَ - أَغْنَى أَشْكُونِيَّةَ - قَاعِدَةٌ جَلِيلَةٌ لَهَا
 مُدُنٌ وَمَعَاقِلُ^(٥) ، وَدَارُ مُلْكِهَا قَاعِدَةُ شَلْبٍ ، وَيَنْهَاهَا وَيَزِينُ

(١) يسرع في الاشعاع ثم يطفأ (٢) حمامة كثيرة المتاف ، وتهتف :
 تنوح وتصوت وتحن . والاراكه : نوع من الشجر - وشد الطائر : غرد
 وغنى (٣) سحابة دائمة المطر (٤) جمع ورقاء : نوع من الحمام (٥) حصون

قُرْطَبَةَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ . وَلَمَّا صَارَتْ لِيْنِي عَبْدُ الْمُؤْمِنِ مُلُوكِ
مَرَّاكِسَ أَصَافُوهَا إِلَى كُورَةِ إِشْبِيلِيَّةَ . وَتَقْتَحِرُ شِلْبُ
يَكُونُ ذِي الْوِزَارَتَيْنِ ابْنِ عَمَّارٍ مِنْهَا - سَاحَهُ اللَّهُ - وَمِنْهَا
الْقَائِدُ أَبُو مَرْوَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ بَدْرَانَ - وَرُبَّمَا قِيلَ ابْنُ
بَدْرُونَ^(١) - الْأَدِيبُ الْمَشْهُورُ شَارِحُ قَصِيدَةِ ابْنِ عَبْدِوْنَ^(٢)
الَّتِي أَوَّلُهَا :

الْدَّهْرُ يَفْجَعُ^(٣) بَعْدَ الْعَيْنِ بِالْأَثَرِ

فَمَا الْبُكَاءُ عَلَى الْأَشْبَاحِ وَالصُّوَرِ؟

وَهَذَا الشَّرْحُ شَهِيرٌ بِهَذِهِ الْبِلَادِ الْمَشْرِقِيَّةِ . وَمِنْ نَظْمِ
ابْنِ بَدْرُونَ الْمَذْكُورِ قَوْلُهُ :

الْمِشْقُ لَدَنَّتُهُ ائْتَعْنِقُ وَالْقُبْلُ

كَمَا مُنْقَصُهُ^(٤) ائْتَرِبُ^(٥) وَالْعَدَلُ

(١) هو الامام الفقيه الكاتب الاديب الوزير أبو مروان عبد الملك بن
عبد الله بن بدر بن الحضرمي البستي في القرن السادس الهجري (٢) هو
عبد المجيد بن عبدون بن محمد الفهرى الاديب الشاعر توفى سنة ٥٢٠
(٣) يفجع: يوجع ويؤلم باصابة الدواهي (٤) منقصه: مكدره (٥) التثريب :
اللون . وثرِبَ عليه فعله : غاب وذمه

يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يُقْضَىٰ وَصَالُكُمْ؟
لَوْ لَا الْفَنَى لَمْ يَكُنْ ذَا الْعُمْرُ يَتَّصِلُ
وَمِنْهَا نَحْوِي زَمَانِهِ وَعَلَامَتُهُ ، أَبُو مُحَمَّدٍ ^(١) بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنُ السَّيِّدِ الْبَطْلِيِّ سِئْ ، فَإِنَّ شِلْبًا يَبْضُتُهُ ^(٢) ، وَمِنْهَا كَانَتْ
حَرَكَتُهُ وَنَهَضَتُهُ ، كَمَا فِي الذَّخِيرَةِ ، وَهُوَ الْقَائِلُ :
إِذَا سَأَلُونِي عَنْ حَالِي وَحَاوَلْتَ عُذْرًا فَلَمْ يُمْكِنْ
أَقُولُ بِخَيْرٍ وَلِكِنَّهُ كَلَامٌ يَدُورُ عَلَى الْأَلْسُنِ
وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا فِي الصُّدُورِ وَيَعْلَمُ خَائِنَةَ ^(٣) الْأَعْيُنِ
وَقَالَ الْوَزِيرُ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْفَلَّاسِ يَمْدَحُ بَطْلِيوسَ
بِقَوْلِهِ :

بَطْلِيُوسُ لَا أَسْأَلُ مَا أُنْصَلَ الْبُعْدُ
فَلِلَّهِ غَوْزِي جَنَابِكَ أَوْ نَجْدُ
وَلِلَّهِ دَوَّاحَاتُ مُحْفُوكٍ يَتَمَّ
تَفَجَّرَ وَاذِيهَا كَمَا شَقَّ الْقُرْدُ

(١) هو عبد الله بن محمد بن السيد عالم الأديب شاعر توفى سنة ٥٢١ هـ (٢) أى أصله
(٣) الأعين الخائنة : التي تنظر خلسة إلى محرم نظر ربيية ، وعجز البيت
اقتباس من القرآن الكريم

وَبَنُو النَّعْلَانِ مِنْ أَعْيَانِ حَضْرَةِ بَطْلَيْوَسَ ، وَأَبُو عَمْرٍو
الْمَذْكُورُ أَشْهَرُهُمْ ، وَهُوَ مِنْ رِجَالِ الدَّخِيرَةِ وَالْمُسْهَبِ
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . ، وَفِي شَاطِئَةِ يَقُولُ بَعْضُهُمْ :

نَعَمْ مُلْقَى ^(١) الرَّحْلِ شَاطِئَةً لِقَى طَالَتْ بِهِ الرَّحْلُ
بَلَدُهُ أَوْقَاتُهَا سَحَرٌ وَصَبَا فِي ذَيْلِهِ بَلَلٌ
وَبَسِيمٌ عَرُفُهُ أَرْجٌ وَرِيَاضٌ غُصْنُهَا ^(٢) تَمِيلُ
وَوُجُوهٌ كُلُّهَا غُرُرٌ وَكَلَامٌ كُلُّهُ مَثَلٌ
وَفِي بَرَجَةٍ يَقُولُ بَعْضُهُمْ :

إِذَا جِئْتَ بَرَجَةً مُسْتَوْفِزًا ^(٣) فَخُذْ فِي الْمَقَامِ وَخَلِّ السَّفَرَ
فَكُلُّ مَكَانٍ بِهَا جَنَّةٌ وَكُلُّ طَرِيقٍ إِلَيْهَا مَقَرٌ
وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْأَنْدَلُسِ مِنَ الْفَضْلِ سِوَى
كَوْنِهَا مَلَاعِبَ الْجَيَادِ لِلْجِهَادِ لَكَانَ كَافِيًا ، وَيَرْحَمُ اللَّهُ
لِسَانَ الدِّينِ بْنِ الْحَطِيبِ حَيْثُ كَتَبَ عَلَى لِسَانِ سُلْطَانِهِ
إِلَى بَعْضِ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ مَا فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى بَعْضِ ذَلِكَ

(١) أى نعم المقام (٢) غصنها نمل : أى يتمايل تمايل النمل « السكران »

(٣) أى متحفزا للرحيل

مَا نَصَهُ : مِنْ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَانَ إِلَى الشَّيْخِ كَذَا ابْنِ
الشَّيْخِ كَذَا ، وَصَلَّ اللَّهُ لَهُ سَعَادَةً تَجْدِبُهُ ، وَعِنَايَةً إِلَيْهِ
تَقْرُبُهُ ، وَقَبُولًا مِنْهُ يَدْعُوهُ إِلَى خَيْرٍ مَا عِنْدَ اللَّهِ وَيَنْدِبُهُ ،
سَلَامٌ كَرِيمٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . أَمَّا بَعْدُ
حَمْدُ اللَّهِ الْمُرْشِدِ الْمُتَّبِعِ ، السَّمِيعِ الْمُجِيبِ ، مُوَدِّ اللُّطْفِ
الْخَفِيِّ وَالْمُشْنَعِ الْمُجِيبِ ، الْمُتَكَفِّلِ بِإِنْجَازٍ وَعَدِ النَّصْرِ
الْغَزِيرِ وَالْفَتْحِ الْقَرِيبِ ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا
وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ ذِي الْقَدْرِ الرَّفِيعِ ، وَالْإِزِّ الْمُنِيعِ ،
وَالْجَنَابِ الرَّحِيمِ ، الَّذِي بِهِ نَرْجُو ظُهُورَ عَبْدَةِ اللَّهِ عَلَى
عَبْدَةِ الصَّلِيبِ ، وَلَنَسْتَظْهِرُ^(١) مِنْهُ عَلَى الْعَدُوِّ بِالْحَبِيبِ ،
وَنَعْمُدُهُ عُدَّتَنَا لِلْيَوْمِ الْعَصِيبِ ، وَالرُّضَا عَنْ آلِهِ وَصَحْبِهِ
الَّذِينَ فَازُوا مِنْ مُشَاهَدَتِهِ بِأَوْفَى النَّصِيبِ ، وَرَمَوْا إِلَى
هَدَفِ مَرْضَاتِهِ بِالسَّهْمِ الْمُصِيبِ ، فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ
- كَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى لَكُمْ عَمَلًا صَالِحًا يَخْتِمُ الْجِهَادُ صَحَائِفَ

بِرِّهِ ، وَتَمَحَّضُ^(١) لِأَن تَكُونَ كَلِمَةً اللَّهُ هِيَ الْعُلْيَا
جَوَامِعُ أَمْرِهِ ، وَجَعَلَ كُمْ يَمْنَنَ تَهَنَّى فِي الْأَرْضِ الَّتِي فُتِحَ
فِيهَا أَبْوَابُ الْجَنَّةِ مُدَّةَ عُمرِهِ - مِنْ سَحَرَاءَ غَرَّاطَةَ - حَرَسَهَا
اللَّهُ تَعَالَى - وَطُفُّ اللَّهُ هَامِي السَّحَابِ ، وَصُنْعُهُ رَائِقُ
الْجَنَابِ ، وَاللَّهُ يَصِلُ لَنَا وَلَكُمْ مَا عَوَدَهُ مِنْ صَلَهِ لُطْفِهِ ،
عِنْدَ انْبِثَاتِ^(٢) الْأَسْبَابِ . وَإِلَى هَذَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي هُوَ
بَرَكَهُ الْمَغْرِبِ الْمُشَارُّ إِلَيْهِ بِالْبَنَانِ ، وَوَاحِدُهُ فِي رِفْعَةِ
الْشَّانِ ، الْمُؤَيَّرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ عَلَى الزُّخْرَفِ الْفَتَّانِ ،
الْمُتَقَلِّلُ مِنَ التَّمَاعِ الْفَانِ^(٣) ، الْمُسْتَشْرِفُ إِلَى مَقَامِ الْعِرْفَانِ ،
مِنْ دَرَجِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ ، فَإِنَّا لِمَا نُؤَيِّرُهُ
مِنْ بَرِّكُمْ الَّذِي نَعُدُّهُ مِنَ الْأَمْرِ الْأَكِيدِ ، وَلَضْمِرُهُ مِنْ
وَدِّكُمْ الَّذِي نُجِلُّهُ مَحَلَّ الْكَنْزِ الْعَتِيدِ^(٤) ، وَلَتَلْتَمِسُهُ مِنْ
دُعَائِكُمُ التَّمَاسَ الْعُدَّةِ وَالْعَدِيدِ ، لَا نَزَالُ نَسْأَلُ عَنْ

(١) أى تنجلى ، وقد تكون (تتمحض) من المحض وهو خالص الشيء
ونقاؤه . وتمحضت الظالماء : تكشفت . أو (وتمحض) أى تغاص (٢) أى
انقطاعها (٣) الفانى (٤) الكنز العتيد : الحاضر المهيأ

أَحْوَالِكُمْ الَّتِي تَرَقَّتْ فِي أَطْوَارِ السَّعَادَةِ ، وَوَصَلَتْ جَنَابَ
الْحَقِّ بِهَجْرِ الْعَادَةِ ، وَأَلْقَتْ إِلَى يَدِ التَّسْلِيمِ لِلَّهِ وَالْتَوَكَّلِ
عَلَيْهِ بِالْمَقَادَةِ ، فَنَسَرَّ بِمَا هَيَّأَ اللَّهُ تَعَالَى لَكُمْ مِنَ الْقَبُولِ ،
وَبَلَّغَكُمْ مِنَ الْمَأْمُولِ ، وَأَلْهَمَكُمْ مِنَ الْكَلْفِ ^(١)
بِالْقُرْبِ إِلَيْهِ وَالْوُضُولِ ، وَالْفَوْزِ بِمَا لَدَيْهِ وَالْحُصُولِ .
وَعِنْدَ مَا رَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْنَا مُلْكَنَا الرَّدَّ الْجَمِيلَ ،
وَأَنَالَنَا الْفَضْلَ الْجَزِيلَ ، وَكَانَ لِعِثَارِنَا الثَّقِيلِ ^(٢) ، حَاطَبِنَا كُمْ
بِذَلِكَ لِمَكَانِكُمْ مِنْ وَدَادِنَا ، وَخَلَّكُمْ مِنْ حُسْنِ
أَعْتَادِنَا ، وَوَجَّهَنَا إِلَى وَجْهِ دُعَائِكُمْ وَجْهَ أَعْتَادِنَا ،
وَاللَّهُ يَتَقَعَّنَا بِجَمِيلِ الظَّنِّ فِي دِينِكُمُ الْمُتَيْنِ ، وَفَضْلِكُمُ
الْمُبِينِ ، وَيَجْمَعُ الشَّمْلَ بِكُمْ فِي الْجِهَادِ عَنِ الدِّينِ ؛ وَلَعَرَفْنَا
أَلَّا نَبْنِي لَهُ بِأَنْبَائِكُمْ أَعْتَابَهُ ، وَعَلَى جَلَالِكُمْ حَمْدُونَا ، وَلِجَنَابِ
وُدِّكُمْ أَعْتَزَلَهُ وَأَتَمَّاهُ ، بِتَجَاوُلِ ^(٣) عَزَمِكُمْ بَيْنَ حَجَرِ
مَبْرُورٍ تَرْغَبُونَ مِنْ أَجْرِهِ فِي أَزْدِيَادٍ ، وَتُجَدِّدُونَ الْعَهْدَ مِنْهُ

(١) الكلف : الولوج بالشيء أو الحب للفرط (٢) للثقل من العثرة : الذي
يرفع من السقوط (٣) التجاؤل : التردد ، ويقال للمتساوون : أجالوا
الرأى فيما بينهم ، أى أداروه وقلبوه على وجوهه

بِأَلْفٍ أُعْتِكَدَ، وَيَيْنَ رِبَاطٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَجِهَادٍ، وَتَوْثِيرٍ^(١)
 مِيهَادٍ يَيْنَ رَبًّا أُثِيرَ^(٢) عِنْدَ اللَّهِ وَوِهَادٍ، يُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 شُهَدَاؤُهُمَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ
 فَرَحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ
 الصَّادِقِينَ، حَيْثُ لَا غَارَةَ لِعَيْرِ عَدُوِّ الْإِسْلَامِ تَتَّقَى، إِلَّا
 لَا بُغْيَاءَ مَا لَدَى اللَّهِ تُرْتَقَى، حَيْثُ رَحْمَةُ اللَّهِ قَدْ فُتِحَتْ
 أَبْوَابُهَا، وَحُورُ الْجَنَانِ قَدْ زُيِّنَتْ أَتْرَابُهَا، دَارُ الْعَرْبِ الَّذِينَ
 قَرَعُوا بَابَ الْفَتْحِ، وَقَارُوا بِمَجْزِيلِ الْمَنْحِ، وَخَلَدُوا الْآثَارَ
 وَأَرْغَمُوا الْكُفَّارَ، وَأَقَالُوا الْعِثَارَ، وَأَخَذُوا الثَّارَ، وَأَمِنُوا
 مِنْ لَفْحِ جَهَنَّمَ بِمَا عَلَا عَلَى وُجُوهِهِمْ مِنْ ذَلِكَ الْعِبَارِ،
 فَكُتِبْنَا إِلَيْكُمْ هَذَا نُقْوَى بِصِيرَتِكُمْ عَلَى جِهَةِ الْجِهَادِ
 مِنَ الْعَزَمِينَ، وَهَبْ^(٣) بِكُمْ إِلَى إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ، وَالصُّبْحُ
 غَيْرُ خَافٍ عَلَى ذِي عَيْنَيْنِ، وَالْفَضْلُ ظَاهِرٌ لِإِحْدَى
 الْمَنَرِ لَتَيْنِ؛ فَإِنَّكُمْ إِنْ حَبَجْتُمْ أَعَدْتُمْ فَرَضًا أَدَيْتُمُوهُ،

(١) أى تمهيد فراش وتوطيته (٢) أثيرة : عظمة الاثر وذات منزلة

(٣) اعلمها ونهيب بكم : أى نناديكم وتدعوكم

وَفَضَّلَا أَرْتَدَيْتُمُوهُ، فَأَيْدَتْهُ عَلَيْكُمْ مَقْصُورَةٌ ، وَفَضَّيْتُهُ
فِيكُمْ مَحْصُورَةٌ ؛ وَإِذَا أَقَمْتُمُ الْجِهَادَ جَلَبْتُمُ إِلَى حَسَنَاتِكُمْ
عَمَلًا غَرِيبًا ، وَأُسْتَأْنَفْتُمُ مِنَ اللَّهِ سَعِيًّا قَرِيبًا ، وَلَعَدَّتِ
الْمَنْفَعَةُ إِلَى الْوَفِّ مِنَ النَّفُوسِ ، الْمُسْتَشْعِرَةُ لِبَاسِ الْبُوسِ ؛
وَلَوْ كَانَ الْجِهَادُ بِحَيْثُ يَحْفَى عَلَيْكُمْ فَضْلُهُ لَأَطْنَبْنَا ^(١) ،
وَأَعْنَتَ الْإِسْتِدْلَالَ أَرْسَلْنَا . هَذَا لَوْ قَدِمْتُمْ عَلَى هَذَا الْوَطَنِ
وَفَضَّلْتُمْ ^(٢) غُفْلًا مِنَ الْإِشْتِهَارِ ، وَمَنْ بِهِ لَا يُوجِبُ لَكُمْ
تَرْفِيعَ الْمَقْدَارِ ، فَكَيْفَ وَفَضَّلْتُمْ أَشْهَرُ مِنْ مُحْيَا النَّهَارِ ،
وَلِقَاؤُكُمْ أَشْهَى الْأَمَالِ وَآثَرُ الْأَوْطَارِ ، فَإِنَّ قَوَى
عَزْمِكُمْ - وَاللَّهُ يُقَوِّيه ، وَلُيَعِينُنَا مِنْ بَرِّكُمْ عَلَى مَا نَنْوِيهِ -
فَالْبِلَادُ بِلَادُكُمْ وَمَا فِيهَا طَرِيفُكُمْ ^(٣) وَتِلَادُكُمْ ^(٤) ،
وَكُھُولُهَا إِخْوَانُكُمْ ، وَأَخْدَانُهَا أَوْلَادُكُمْ ، وَتَرْجُو أَنْ
تَجِدُوا لِلدِّكْرِكُمْ اللَّهُ فِي رَبَّاهَا حَلَاوَةً زَائِدَةً ، وَلَا تَعْدُمُوا مِنْ
رُوحِ اللَّهِ فِيهَا فَايِدَةً ، وَتَكَيْفَ نَفْسُكُمْ فِيهَا تَكَيْفَاتٍ

(١) أى أطلننا، ولعلنا الأصل مراعاة للسجع (٢) غفل : خال (٣) أى جديدكم

(٤) أى قديمكم

تَقْصُرُ عَنْهَا خَلَوَاتُ السُّلُوكِ ، إِلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ ، حَتَّى تَقْتَبِطُوا
بِفَضْلِ اللَّهِ الَّذِي يُورِيكُمْ ، وَتَرَوْا أَثَرَ رَحْمَتِهِ فِيكُمْ ،
وَتُخْلَفُوا فخرَ هَذَا الْإِنْقِطَاعِ إِلَى اللَّهِ فِي قَبِيلِكُمْ وَبَنِيكُمْ ،
وَتَحْتَمُوا الْعُمَرَ الطَّيِّبَ بِالْجِهَادِ الَّذِي يُعَلِّيكُمْ ، وَمِنْ اللَّهِ تَعَالَى
يُذْنِكُمْ . فَنَبِّئْكُمْ الْعَرَبِيَّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ - نَبِيَّ
الرَّحْمَةِ وَالْمَلَأِمْ ^(١) ، وَمُعْمِلُ الصَّوَارِمِ ، وَبِجِهَادِ الْفَرَنْجِ
خَتَمَ عَمَلَ جِهَادِهِ وَالْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِمِ ، هَذَا عَلَى بُمْدٍ
بِلَادِهِمْ مِنْ بِلَادِهِ ، وَأَنْتُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِاقْتِفَاءِ جِهَادِهِ ،
وَالِاسْتِيقَاقِ إِلَى آمَادِهِ . هَذَا مَا عِنْدَنَا حَثْنًا كُمْ عَلَيْهِ ،
وَنَدْبًا كُمْ إِلَيْهِ ، وَأَنْتُمْ فِي إِثَارِ هَذَا الْجَوَارِ ، وَمُقَارَصَةِ
مَا عِنْدَنَا بِقُدُومِكُمْ عَلَى بِلَادِنَا مِنْ الْإِسْتِشَارِ ، بِحَسَبِ
مَا يَخْلُقُ عَنْكُمْ مِنْ يَدِهِ مَقَادَةُ الْإِخْتِيَارِ ، وَتَصْرِيفُ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ ، وَتَقْلِيبُ الْقُلُوبِ وَإِجَالَةُ الْأَفْكَارِ ، وَإِذَا تَعَارَضَتِ

(١) لللاحم: جمع ملحمة: الموقعة الحربية الكثيرة القتل، مأخوذ من اشتباك
الناس واختلاطهم فيها كاشتباك لحمه الثوب بالسدى، وفي قولهم: (نبي للملحمة)
تفسيران: أحدهما نبي الجهاد، والثاني نبي الصلاح وتأليف الناس وجمع
أمور الأمة، من لحم الأمر إذا أحكمه وأصلحه.

الْحُطُوطُ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ، وَالذَّارُ الْآخِرَةُ دَارُ
الْقَرَارِ ، وَخَيْرُ الْأَعْمَالِ عَمَلٌ أَوْصَلَ إِلَى الْجَنَّةِ وَبَاعَدَ مِنَ
النَّارِ ، وَلِتَعْلَمُوا أَنَّ نَفُوسَ أَهْلِ الْكَشْفِ وَالْإِطْلَاعِ ، بِهِدْيِهِ
الْأَرْجَاءُ^(١) وَالْأَصْقَاعِ ، قَدْ انْتَهَتْ أَخْبَارُهَا ، وَاتَّحَدَتْ
أَسْرَارُهَا ، عَلَى الْبَشَارَةِ يَفْتَحُ قُرْبَ أَوَانِهِ ، وَأَظْلَمَ زَمَانُهُ ؛
فَتَرْجُو اللَّهَ أَنْ تَكُونُوا مِمَّنْ يَحْضُرُ مَدْعَاهُ ، وَيَكْرُمُ فِيهِ
مَسْعَاهُ ، وَيُسَلِّفُ^(٢) فِيهِ الْعَمَلَ الَّذِي يَشْكُرُهُ اللَّهُ وَيَرْعَاهُ .
وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ يَخْصُكُمْ ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .
أَنْتَهَى .

وَلَمَّا دَخَلَ الْأَنْدَلُسَ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ عَلِيُّ بْنُ أَمِيرِ
الْمُسْلِمِينَ يُونُسُ بْنُ تَاشِفِينَ اللَّمْتُونِيُّ^(٣) مَلِكُ الْمَغْرِبِ
وَالْأَنْدَلُسِ ، وَأَمْعَنَ النَّظَرَ فِيهَا وَتَأَمَّلَ وَصَفَهَا وَحَالَهَا
قَالَ : إِنَّهَا تُشَبِّهُ عُقَابًا^(٤) تَحَالِبُهُ طَلِيظَةٌ ، وَصَدْرُهُ قَلْعَةٌ
رَبَاجٍ^(٥) وَرَأْسُهُ جَبَانٌ^(٦) ، وَمِنْقَارُهُ غَرَنَاطَةٌ ، وَجَنَاحُهُ الْإِيمَنُ

(١) الأرجاء : النواحي . والأصقاع : جمع صقع وهي القرى والجهات

(٢) يسلف : يقدم (٣) في الأصل للتمتوني وهو تحريف ، ولتمتونة من

قبائل البربر (٤) العقاب طائر من الجوارح حاد البصر جبان (٥) مدينة

من أعمال طليطلة إلى الغرب منها (٦) مدينة لها كورة واسعة شرق قرطبة

بَاسِطٌ إِلَى الْمَغْرِبِ ، وَجَنَاحُهُ الْإَيْسَرُ بَاسِطٌ إِلَى الْمَشْرِقِ ،
 فِي خَيْرِ طَوِيلٍ لَمْ يَخْضُرْنِي الْآنَ ، إِذْ تَرَكَتُهُ مَعَ كَثْبِي
 بِالْمَغْرِبِ . جَمَعَنِي اللَّهُ بِهَا عَلَى أَحْسَنِ الْأَحْوَالِ . وَمَعَ
 كَوْنِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ سُبَّاقَ حَلْيَةِ الْجِهَادِ ، مُهْطِعِينَ^(١) إِلَى
 دَاعِيهِ مِنَ الْجِبَالِ وَالْوَهَادِ ، فَكَانَ لَهُمْ فِي التَّرَفِّ وَالْتِّعْمِ
 وَالْمُجُوبِ وَمُدَارَاةِ الشُّعْرَاءِ خَوْفَ الْهَجَاءِ مَحَلٌّ وَثِيرٌ
 الْيَهَادِ . وَسَيَأْتِي فِي الْبَابِ السَّابِعِ مِنْ هَذَا الْقِسْمِ مِنْ
 ذَلِكَ وَغَيْرِهِ مَا يَشْنِي وَيَكْنِي . وَلَكِنْ سَنَحَ لِي أَنْ أَذْكَرُ
 هُنَا حِكَايَةَ أَبِي بَكْرٍ الْمَخْزُومِيِّ الْهَجَّاءِ الْمَشْهُورِ ، الَّذِي
 قَالَ فِيهِ لِسَانُ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ فِي الْإِحَاطَةِ : إِنَّهُ كَانَ
 أَعْمَى شَدِيدَ الشَّرِّ مَعْرُوفًا بِالْهَجَاءِ مُسَلِّطًا عَلَى الْأَعْرَاضِ ،
 سَرِيعَ الْجَوَابِ ، ذَكِيَّ الدَّهْنِ ، فَطِنًا لِلْمَعَارِضِ^(٢) ، سَابِقًا

(١) مهطعين : مسرعين (٢) للمعارض : من الكلام ما عرض به ولم
 يصرح : والتورية بالشئ عن الشئ ، وفي الأثر : « ان في للمعارض
 لندوحة عن الكذب » أى سعة ، (ومفرد معارض معراض ، وهو من
 التعريض خلاف التصريح) وفي حديث ابن عباس : « ما أحب للمعارض
 الكلام حمر النعم » .

فِي مَيْدَانِ الْهَجَاءِ ، فَإِذَا مَدَحَ صَعَفَ شِعْرُهُ . « وَالْحِكَايَةُ »
 هِيَ مَا حَكَاهُ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ سَعِيدٍ فِي الطَّلَاعِ السَّعِيدِ ،
 إِذْ قَالَ حِكَايَةً عَنْ أَبِيهِ فِيمَا أَظُنُّ : قَدِيمَ الْمَذْكُورِ
 - يَعْنِي الْمَخْزُومِيَّ - عَلَى غَرَاظَةِ أَيَّامِ وَلَايَةِ أَبِي بَكْرٍ
 ابْنِ سَعِيدٍ ، وَتَرَلَّ قَرِيبًا مِنِّي ، وَكُنْتُ أَسْمَعُ بِهِ بِنَارٍ
 حَاصِقَةً يُرْسِلُهَا اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، ثُمَّ رَأَيْتُ
 مَنْ أَبْدَاهُ بِالتَّائِسِ وَالْإِحْسَانِ فَاسْتَدْعَيْتُهُ بِهَذِهِ الْآيَاتِ :

يَا تَائِسًا لِلْمَعْرَى	فِي حُسْنِ نَظْمٍ وَثَرٍ
وَقَرَطٍ ظَرْفٍ وَبُئِلٍ	وَعَوْصٍ فَهْمٍ وَفَكْرٍ
صِلْ ثُمَّ وَاصِلٌ حَفِيًّا ^(١)	بِكُلِّ بَرٍّ وَشُكْرِ
وَلَيْسَ إِلَّا حَدِيثٌ	كَمَا زَهَا عِقْدٌ دُرٍّ
وَشَادِنٌ يَتَقَنَّى	عَلَى رَبَابٍ وَزَمَرٍ
وَمَا يُسَامِحُ فِيهِ أَلَّا	مَقُورٌ مِنْ كَلْسٍ حَمَرٍ
وَيَنْتَنًا عَهْدٌ حِلْفٍ ^(٢)	لِيَأْسِرَ حِلْفَ كُفْرِ

(١) حفيّا : برا بمبالغا في الكرامة ، والحفي أيضا اللطيف بك يتركوي بلاطفك
 ويحتفي بك ، وحفي بفلان حفاوة اذا قام في حاجته وأحسن مثواه وبالغ في
 كرامه (٢) حلف : عهد ، والحلف الصديق يحلف لاصاحبه أنه لا يفسد به

نَعَمْ فَجَدَّدَهُ عَهْدًا بِطِيبِ شُكْرِ وَيُسْرِ
وَالْكَاسِ مِثْلُ رِضَاعٍ وَمَنْ كَمِثْلِكَ يَذَرِي؟
وَوَجَّهَ لَهُ الْوَزِيرُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ سَعِيدٍ عَبْدًا صَغِيرًا
قَادَهُ ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِهِ الْمَجْلِسُ وَأَفْعَمَتْهُ ^(١) رَوَائِحُ النَّدِّ وَالْعُودِ
وَالْأَزْهَارِ ، وَهَزَّتْ عِطْفُهُ الْأَوْتَارُ ، قَالَ :
دَارُ السَّعِيدِيِّ ذِي أَمِّ دَارٍ رِضْوَانِ
مَا تَشْتَهِي النَّفْسُ فِيهَا حَاضِرٌ دَانِي؟
سَقَتْ أَبَارِقَهَا لِلنَّدِّ سَحْبٌ نَدَى
تُحْدَى بِرَعْدٍ لِأَوْتَارٍ وَعِيدَانِ
وَالْبَرْقُ مِنْ كُلِّ دَنٍّ ^(٢) سَاكِبٌ مَطَرًا
يُجْنِي بِهِ مَيْتَ أَفْكَارٍ وَأَشْجَانِ
كَذَا النِّعِيمُ الَّذِي كُنَّا نُحْدِثُهُ
وَلَا سَبِيلَ لَهُ إِلَّا بِأَذَانِ
فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ سَعِيدٍ وَالْيَ الْآنَ لَا سَبِيلَ لَهُ ^(٣) ،

(١) ملائنه ، وأفعم للسك البيت : طيبه وملاؤه أنفه برائحته الذكية : وفغمة
الطيب (بالعين المعجمة) سد خياشيمه ، وأفغمه : ملاه ، وفغمة الطيب
وفغوته : رائحته ، والفغم : الأنف لأن الرائحة تفغمه (٢) أى خابية الحجر
(٣) يمرض به وأنه أعمى

إِلَّا بِالْأَذَانِ ، فَقَالَ : حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ وَلَدَ زَيْنَى كُلَّمَا أَثْنَدَتْ
هَذِهِ الْأَيَّاتُ قَالَ إِنَّهَا لِأَعْمَى ، فَقَالَ أَمَّا أَنَا فَلَا أَنْطِقُ بِحَرْفٍ ،
فَقَالَ : مَنْ صَمَتَ نَجَا . وَكَانَتْ تَزْهُونُ بِنْتُ الْقِلَاعِيِّ حَاضِرَةً
فَقَالَتْ : وَرَاكَ يَا أَسْتَاذَ قَدِيمِ النِّعْمَةِ بِمَجْمَرٍ نَدَى وَغَنَاءِ
وَشَرَابٍ ، فَتَعَجَّبُ مِنْ تَأْتِيهِ وَتُشَبِّهُهُ نَيْمِ الْجَنَّةِ وَتَقُولُ :
مَا كَانَ يُعْلَمُ إِلَّا بِالسَّمَاعِ وَلَا يُبْلَغُ إِلَيْهِ بِالْعَيْنِ ، وَلَكِنْ
مَنْ يَجِيءُ مِنْ حِصْنِ الْمُدَوَّرِ ، وَيَنْشَأُ بَيْنَ ثِيُوسٍ وَبَقَرٍ ، مِنْ
أَيْنَ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِمَجَالِسِ النِّعَمِ ؟ ! فَلَمَّا أَسْتَوْفَتْ كَلَامَهَا
تَخَنَّنَ الْأَعْمَى ، فَقَالَتْ لَهُ : ذُبْحَةٌ ^(١) . فَقَالَ : مَنْ هَذِهِ الْفَاضِلَةُ ^(٢) ؟
فَقَالَتْ عَجُوزٌ مَقَامُ امْكُ ، فَقَالَ كَذَبْتَ مَا هَذَا صَوْتُ
عَجُوزٍ ، إِنَّمَا هَذِهِ نِعْمَةٌ قُحْبَةٌ ^(٣) مُحْتَرَقَةٌ ^(٤) تَشْمُ رَوَائِحَ هَهْنَا عَلَى

(١) الذبْحَةُ : وَجَعٌ فِي الْحَلْقِ . دَعَاءٌ عَلَيْهِ (٢) قَدِيكُونَ : الْفَاعِلَةُ (٣) أَصْلُ
الْقُحْبِ فِي اللُّغَةِ مِنْ يَأْخُذُهُ السَّعَالُ كَثِيرًا ، وَالْقُحْبَةُ الْفَاسِدَةُ الْجَوْفِ مِنْ
دَاءٍ ، وَقِيلَ لِلْبَنَى قُحْبَةٌ لِأَنَّهَا كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تُؤْذِنُ طُلَابَهَا بِقُعْبَاهَا وَهِيَ
سَعَالُهَا تَرْزُ بِهِ . أَوِ الْقُحْبَةُ بِهَذَا الْمَعْنَى كَلِمَةُ مَوْلَدَةٍ ، قَالَ بَعْضُ ذَوِي الْمَجْنُونِ :
وَقُحْبَةٌ إِذَا رَأَى جَهْلًا الْعَلْقَ سَجَدَ .

(٤) قَدْ تَكُونُ : مُحْتَرَقَةٌ ، أَوْ مُحْتَرَقَةٌ ، وَمِنْهُ الْحَارِقَةُ وَهِيَ الْمَرَأَةُ الضَّيْقَةُ
الْمَالِيَّةُ ، وَالتِّي تَضُمُّ الشَّيْءَ لَضَيْقِهَا وَتَقْهَرُهُ فَعَلٌ مِنْ يَحْرِقُ أَسْنَانَهُ ، وَالتِّي
تَقْلِبُهَا الشَّهْوَةُ حَتَّى تَحْرِقَ أَنْيَابَهَا بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ أَشْفَاقًا مِنْ أَنْ تَبْلُغَ
الشَّهْوَةُ بِهَا النُّجْخِيرَ أَوِ الشَّهْقَ فَتَسْتَحْيِي مِنْ ذَلِكَ

فَرَأَيْتَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا أَسْتَادُ هَذِهِ تَرْهُونُ بِنْتَ أُنْقِلَاعِي
الشَّاعِرَةِ الْأَدِيبَةِ، فَقَالَ سَمِعْتُ بِهَا - لَا أَفْهَمُهَا اللَّهُ خَيْرًا،
وَلَا أَرَاهَا إِلَّا أَيْرًا - فَقَالَتْ لَهُ: يَا شَيْخَ سُوءٍ ^(١) تَنَاقَضْتَ
وَأَيُّ خَيْرٍ لِلْمَرْأَةِ مِثْلُ مَا ذَكَرْتَ؟ فَفَكَّرَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ:
عَلَى وَجْهِ تَرْهُونٍ مِنَ الْحُسْنِ مَسْحَةٌ ^(٢)

وَأِنْ كَانَ قَدْ أَمْسَى مِنَ الضَّوءِ عَارِيًا
قَوَاصِدُ تَرْهُونٍ تَوَارِكُ غَيْرَهَا
وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقْلَّ السَّوَابِقَا ^(٣)
فَاعْمَلْتَ فِكْرَهَا ثُمَّ قَالَتْ:

قُلْ لِلْوَضِيعِ مَقَالًا يُثَلَّى إِلَى حِينٍ يُحْشَرُ
مِنْ الْمُدَوَّرِ انْشَنَّتْ وَأَخْرَأَ مِنْهُ أَغْطَرُ
حَيْثُ الْبَدَاوَةُ أَمْسَتْ فِي مَشِيهَا تَبَّحَّرَ
لِذَاكَ أَمْسَيْتَ صَبًّا بِكُلِّ شَيْءٍ مُدَوَّرُ
خُلِقْتَ أَعْمَى وَلَكِنْ تَهَيَّمُ فِي كُلِّ أَعْوَرٍ ^(٤)

(١) يا شيخ سوء : أي يامن يعمل عمل سوء (٢) مسحة : أي أثر ظاهر

(٣) نقل كلام أبي الطيب الى هجو لاذع للسيدة ، وتعرض خفي

(٤) فيه تورية لانتحني ، وهي على قبحها حسنة

جَازَيْتُ شِعْرًا بِشِعْرِ
فَقُلْ لَعَمْرِي مَنْ أَشْعَرَ؟
إِنْ كُنْتُ فِي الْخَلْقِ أَتْنَى
فَإِنَّ شِعْرِي مُذَكَّرٌ
فَقَالَ لَهَا أَسْمَعِي :

أَلَا قُلْ لِنَزْهُونَةٍ مَالَهَا
تَجَرُّ مِنْ أُلْتِيهِ أَذْيَالَهَا؟
وَلَوْ أَبْصَرْتَ فَيْشَةً^(١) شَمَرْتَ - كَمَا عَوَّدْتَنِي سِرِّبَالَهَا
فَحَلَفَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ سَعِيدٍ أَلَّا يَزِيدَ أَحَدَهُمَا عَلَى
الْآخَرِ فِي هَجْوِ كَلِمَةٍ

« فَقَالَ الْمَخْزُومِيُّ » أ كُونُ هَجَاءَ الْأَنْدَلُسِ وَأَكْفُ
عَنْهَا دُونَ شَيْءٍ؟ فَقَالَ أَنَا أَشْتَرِي مِنْكَ عِرْضَهَا فَأَطْلُبُ ،
فَقَالَ بِالْمَبْدِ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ فَقَادَنِي إِلَى مَنْزِلِكَ فَإِنَّهُ لَيَنْ
أَلِيدَ رَقِيقُ الْمَشْيِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : لَوْ لَا كَوْنُهُ صَغِيرًا
كُنْتُ أَبْلِغُكَ بِهِ مُرَادَكَ وَأَهْبُهُ لَكَ ، فَفَهَمَ قَصْدَهُ وَقَالَ :
أَصْبِرْ عَلَيْهِ حَتَّى يَكْبَرَ ، وَلَوْ كَانَ كَبِيرًا مَا آثَرْتَنِي بِهِ
عَلَى نَفْسِكَ . فَضَحِكَ أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ : إِنْ لَمْ تَهْجُ نَظْمًا
هَجَوْتَ تَرًّا ، فَقَالَ : أَيُّهَا الْوَزِيرُ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ .

وَأَنْفَصَلَ^(١) الْمَخْزُومِيُّ بِالْعَبْدِ بَعْدَ مَا أَصْلَحَ الْوَزِيرُ يَنْتَهُ
وَبَيْنَ تَرْهُونَ . أَتَتْهُ .

وَفِي كِتَابِ « الدَّرُّ الْمُنْصَدِّ » فِي وَفَيَاتِ أَعْيَانِ أُمَّةِ
مُحَمَّدٍ . تَأْلِيفِ الْإِمَامِ صَارِمِ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ دُقَمَاقٍ
قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ خَلْفٍ : كَانَ - يَعْنِي الْمَخْزُومِيُّ الْمَذْكُورَ -
حَيًّا بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ . أَتَتْهُ

وَنَقَلْتُ مِنْ كِتَابِ قُطْبِ الشُّرُورِ ، لِابْنِ الرَّقِيقِ
الْمَغْرِبِيِّ مَا مُلْخَصُهُ :

وَمِمَّنْ أَدْرَكَتُهُ وَعَاشَرَتْهُ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ حُسَيْنٍ
أَبْنُ جَعْفَرٍ الْحَاجِبُ ، وَذَكَرَتْهُ هُنَا لِأَنَّهُ مُلْحَقٌ بِالْأَمْرَاءِ
الْمُتَقَدِّمِينَ غَيْرَ خَارِجٍ مِنْهُمْ وَلَا مُقَصَّرٍ عَنْهُمْ ، بَلْ كَانَ
وَاحِدَ عَصْرِهِ فِي الْغِنَاءِ الرَّائِقِ ، وَالْأَدَبِ الرَّائِعِ ،
وَالشُّعْرِ الرَّقِيقِ ، وَاللَّفْظِ الْإِنِّيقِ ، وَرِقَّةِ الطَّبْعِ ، وَإِصَابَةِ
النَّادِرِ ، وَالتَّشْبِيهِ الْمُصِيبِ ، وَالْبَدِيعَةِ الَّتِي لَا يُلْحَقُ

عبد الوهاب
الحاجب

فِيهَا، مَعَ شَرَفِ النَّفْسِ وَعُلُوِّ الْهِمَّةِ ؛ وَكَانَ قَدْ قَطَعَ
عُمُرَهُ ، وَأَفْنَى دَهْرَهُ ، فِي اللَّهِوِ وَاللَّيْبِ ، وَالْفِكَاهَةِ^(١)
وَالطَّرَبِ ، وَكَانَ أَعْلَمَ النَّاسِ بِضَرْبِ الْعُودِ وَاخْتِلَافِ
طَرَائِقِهِ وَصَنَعَةِ اللَّحُونِ ، وَكَثِيرًا مَا يَقُولُ الْمَعَانِي
اللطيفةَ فِي الْآيَاتِ الْحَسَنَةِ ، وَيَصُوغُ عَلَيْهَا الْأَلْحَانَ^(٢)
الْمُطَرَّبَةَ الْبَدِيعَةَ الْمُعْجِبَةَ اخْتِرَاعًا مِنْهُ وَحِذْقًا ، وَكَانَتْ
لَهُ فِي ذَلِكَ قَرِيبَةٌ وَطَبْعٌ ، وَكَانَ إِذَا لَمْ يَزُرْهُ أَحَدٌ
مِنْ إِخْوَانِهِ أَخْضَرَ مَائِدَتَهُ وَشَرَابَهُ عَشْرَةً مِنْ أَهْلِ
بَيْتِهِ مِنْهُمْ وَلَدُهُ وَعَبْدُ اللَّهِ ابْنُ أَخِيهِ وَبَعْضُ غُلَامَانِهِ ،
وَكُلُّهُمْ يُعْنَى فَيُجِيدُ ، فَلَا يَزَالُونَ يُعْنُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ
حَتَّى يَطْرَبَ فَيَدْعُو بِالْعُودِ وَيُعْنَى لِنَفْسِهِ وَلَهُمْ . وَكَانَ
بِشَارَةِ الزَّامِرِ الَّذِي يَزِمُّ عَلَيْهِ مِنْ حُذَاقِ زَمَرَةِ الْمَشْرِقِ ،
وَكَانَ بَعِيدَ الْهِمَّةِ سَمَحًا بِمَا يَجِدُ ، ثَقُلَ^(٣) عَلَيْهِ ضِيَاعُهُ كُلِّ
عَامٍ أَمْوَالًا جَلِيلَةً ، فَلَا تَحُولُ السَّنَةُ حَتَّى يَنْفَدَ جَمِيعُ

(١) الفِكَاهَةُ: الزَّاح ، لَا تَبْسَاطُ النَّفْسِ بِهَا (٢) الْأَلْحَانُ : جَمْعُ لَحْنٍ ،
وَهُوَ مِنَ الْأَصْوَاتِ الْمَوْغَةِ لِلْوَضُوعَةِ (٣) ثَقُلَ : تَمَطَّى الْغَلَا - أَيْ الدَّخَلَ

ذَلِكَ وَيَسْتَسْلِفَ غَيْرَهُ ، فَكَانَ لَا يَطْرَأُ مِنَ الْمَشْرِقِ
مُنْفًى إِلَّا سَأَلَ مَنْ يَقْصِدُ بِهَذَا الشَّانِ فَيَدُلُّ عَلَيْهِ ، فَمَنْ
وَصَلَّهُ مِنْهُمْ أَسْتَقْبَلَهُ بِصُنُوفِ الْبِرِّ وَالْإِكْرَامِ ، وَكَسَاهُ
وَخَلَطَهُ بِنَفْسِهِ وَلَمْ يَدْعُهُ إِلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ ، فَلَا يَزَالُ
مَعَهُ فِي صَبُوحٍ ^(١) وَغُبُوقٍ وَهُوَ مُجَدِّدٌ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ كَرَامَةً ،
حَتَّى يَأْخُذَ جَمِيعَ مَا مَعَهُ مِنْ صَوْتِ مُطْرِبٍ أَوْ حِكَايَةٍ
نَادِرَةٍ . وَجَلَسَ يَوْمًا وَقَدْ زَارَهُ رَجُلَانِ مِنْ إِخْوَانِهِ
وَحَضَرَ أَقْرَبَاؤُهُ فَطَعِمُوا وَشَرِبُوا وَأَخَذُوا فِي الْإِنْيَاءِ ، فَأَرْجَحَ
الْمَجْلِسُ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ بَعْضُ غِلْمَانِهِ فَقَالَ :



بِالْبَابِ رَجُلٌ غَرِيبٌ عَلَيْهِ ثِيَابُ السَّفَرِ ذَكَرَ أَنَّهُ ضَيْفٌ ، مِنْ حَاقِ
فَأَمَرَ بِإِدْخَالِهِ ، فَإِذَا رَجُلٌ أَسْمَرٌ مِسْنَاطٌ ^(٢) رَثُّ الْهَيْئَةِ ، فَسَلَّمَ
عَلَيْهِ ، قَالَ : أَيْنَ بَلَدُ الرَّجُلِ ؟ قَالَ الْبَصْرَةُ ، فَرَحَّبَ بِهِ
وَأَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ فَجَلَسَ مَعَ الْعُلَمَاءِ فِي صُفَّةٍ ^(٣) ، وَأَتَى بِطَعَامٍ

(١) الصبوح : شراب الغداة ، والغبوق شراب العشي (٢) لا يثبت شعر
لحيته وقد سنط (مثل كرم وفرج) اذا لم تكن له لحية . والسناط يوصف
به الواحد والجمع (٣) الصفة : البيت الصفي والموضع المظلل

فَأَكَلْ وَسُقِيَ أَقْدَاحًا ، وَدَارَ الْغِنَاءُ فِي الْمَجْلِسِ حَتَّى انْتَهَى
إِلَى آخِرِهِمْ ، فَلَمَّا سَكَتُوا أُنْذِفَ يَعْنِي بِصَوْتِ نَدَى
وَطَبَعِ حَسَنٍ :

أَلَا يَادَارُ مَا أَلْهَجُرُ لِسُكَّانِكَ مِنْ شَانِي
سُقِيتِ الْغَيْثَ مِنْ دَارٍ وَإِنْ هَيَّجَتْ أَشْجَانِي
وَلَوْ شِئْتُ لَمَّا أَسْتَسْقَيْتُ غَيْثًا غَيْرَ أَجْفَانِي
بِنَفْسِي حَلَّ أَهْلُوكِ وَإِنْ بَانُوا بِسُلُوفَانِي
وَمَا أَلْدَهَرُ بِمَأْمُونٍ عَلَى تَشْنِيتِ خُلَانِي

فَطَرَبَ عَبْدُ الْوَهَّابِ وَصَاحَ ، وَتَبَيَّنَ الْحَذَقُ فِي إِشَارَتِهِ
وَالطِّيبَ فِي طَبْعِهِ ، وَقَالَ يَا غُلَامُ خُذْ يَدِي إِلَى الْحَمَّامِ ،
وَعَجَّلْ عَلَيَّ بِهِ ، فَأَدْخَلَ الْحَمَّامَ وَنُظِّفَ ، ثُمَّ دَعَا عَبْدَ الْوَهَّابِ
بِخِلْمَةٍ مِنْ ثِيَابِهِ فَأَلْقَيْتَ عَلَيْهِ وَرَفَعَهُ فَأَجْلَسَهُ عَنْ يَسَارِهِ
وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَبَسَطَهُ فَقَعَى لَهُ :

قَوْمِي أَمْزِجِي التَّبَرَّ^(١) بِاللَّجَيْنِ وَأُحْتَلِي الرُّطْلَ بِالْيَدَيْنِ
وَأُغْنِمِي غَفْلَةَ اللَّيَالِي قُرْبَمَا أَيْقَظَتْ لِحَيْنِ^(٢)

(١) أى الحمر الصفراء بالماء الصافي (٢) الحين : الهلاك

فَقَدْ لَعَمْرِي أَفْرَمِنَا هَلَالٌ^(١) شَوَالٍ كُلُّ عَيْنٍ
ذَاتُ الْخَلَاخِيلِ أَبْصَرَتْهُ كَنِصْفِ خَلْعَالِهَا اللَّجَيْنِ^(٢)

فَطَرِبَ وَشَرِبَ وَأَسْتَزَادُهُ فَعَنَاهُ :

مَنْ لِي عَلَى رَغْمِ الْحُسُودِ بِقَهْوَةٍ

بِكُرِّ رَيْبَةٍ حَانَةٍ عَذْرَاءٍ ؟

مَوْجٌ مِنَ الذَّهَبِ الْمَذَابِ تَضُمُهُ

كَأْسٌ كَقَشْرِ الدَّرَّةِ الْبَيْضَاءِ

وَالْتَجَمُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ كَانَهُ

عَيْنٌ تُخَالِسُ غَفْلَةَ الرُّقْبَاءِ

فَشَرِبَ عَبْدُ الْوَهَّابِ، ثُمَّ قَالَ زِدْنِي، فَعَنَاهُ :

وَأَنْتَ الَّذِي أَشْرَقْتَ عَيْنِي بِمَا هِيَ

وَعَلَّمْتَنِي بِالْهَجْرَانِ تَهْجُرُ النُّعْمَا^(٣)

وَأَغْرَقْتَنِي بِالذَّمْعِ حَتَّى جُفُونَهَا

لِيُنْكَرُ مِنْ فَقْدِ الْكَرَى بَعْضُهَا بَعْضًا

فَمَرَّ يَوْمٌ مِنْ أَحْسَنِ الْأَيَّامِ وَأَطْيَبِهَا، وَوَصَلَهُ وَأَحْسَنَ

(١) أى ذهب شهر الصوم (٢) اللجين : الفضة (٣) النعص : أى النوم

إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ مُقَرَّبًا مُكْرَمًا ، وَكَانَ خَلِيعًا ^(١) مَاجِنًا
مُشْتَهَرًا بِالنَّبِيذِ فَخْلَاهُ وَمَا أَحَبَّ ، ثُمَّ وَصَفَ لَهُ الْأَنْدُلُسَ
وَطَيْبَهَا وَكَثْرَةَ مُخُورِهَا فَمَضَى إِلَيْهَا وَمَاتَ بِهَا . وَعَلَى نَحْوِ
هَذِهِ الْحَالِ كَانَ يَفْعَلُ بِكُلِّ طَائِرٍ يَطْرَأُ مِنَ الشَّرْقِ ،
وَلَوْ ذَكَرْتُهُمْ لَطَالَ بِهِمُ الْكِتَابُ . اُنْتَهَى

وَعَرَضِي مِنْ إِرَادِ هَذِهِ الْحِكَايَةِ هُنَا كَوْنُهُ وَصَفَ
لِلشَّرْقِ الْأَنْدُلُسَ وَطَيْبَهَا ، وَذَلِكَ أَمْرٌ لَا يُشْكُ فِيهِ وَلَا
يُرْتَابُ ، وَاللَّهُ الْمَسْتُورُ فِي حُسْنِ الْمَتَابِ . وَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ
كُتُبِ تَارِيخِ الْأَنْدُلُسِ فِي تَرْجَمَةِ السُّلْطَانِ بَادِيسَ
الصَّنَهَاجِيِّ صَاحِبِ غَرْ نَاطَةِ ^(٢) : مَا نَصَبَهُ . وَهُوَ الَّذِي أَكْمَلَ

(١) الخليع : التهنيت المستخف . والماجن : الذي لا يبالي ما صنع وما قيل له
(٢) أول من سكن مدينة غرناطة سكنى استبداد وصبرها دار ملكه
ومقر أمره الحاجب النصور أبو مثنى زيري بن مناد لما تغلب جيش البربر
مع أميرهم سليمان بن الحكم على قرطبة واستولى على كثير من كور
الأندلس سنة ٤٠٣ هـ . فما بعدها ، ثم اجتاز البحر إلى إفريقية بعد أن
ملك غرناطة سبع سنين واستخلف ابن أخيه حيوس ابن ماكس وكان
حازما داهية إلى أن توفي سنة ٤٢٩ هـ وتولى بعده حفيده عبد الله بن
بلكين بن باديس إلى أن خلع سنة ٤٨٣ هـ وصار أمرها إلى يوسف بن
ناشقين

تَرْتِيبَ قَصَبَةِ مَالِقَةَ وَكَانَ أَفْرَسَ النَّاسِ وَأَنْبَلَهُمْ ، ذَا مُرُوءَةٍ
وَبَجْدَةٍ ، وَقَصْرُهُ بِغَرْنَاطَةِ لَيْسَ بِيَلَادِ الْإِسْلَامِ وَالْكَفْرِ
مِثْلُهُ فِيمَا قِيلَ . انْتَهَى ،

وَهَذَا الْقَصْرُ هُوَ الَّذِي عَنْهُ لِسَانُ الدِّينِ بْنِ الْحَطِيبِ ^{تصرعبد الوهاب}
فِي قَصِيدَتِهِ السَّيْنِيَّةِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْبَابِ الْخَامِسِ مِنَ الْقِسْمِ
الثَّانِي مِنْ هَذَا الْكِتَابِ فَلْتَرَجِعْ مُتَمَّةً .

وَذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَالْمُؤَرِّخِينَ أَنَّ ^{عجائب سرقطة}
مَدِينَةَ سَرْقُطَةَ لَا يَدْخُلُهَا الثُّعْبَانُ مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ ،
وَإِذَا أَدْخَلَهُ أَحَدٌ لَمْ يَتَحَرَّكَ . وَنَظِيرُ هَذَا الْمَعْنَى فِي بَعْضِ
الْحَيَوَانَاتِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى بَعْضِ الْبِلَادِ كَثِيرٌ وَذَلِكَ بِرِصْدِ
أَوْ طِلْسَمٍ ^(١) ، وَقَدْ اسْتَطَرَدَ بَعْضُ عُلَمَاءِ أَصُولِ الدِّينِ
ذَلِكَ عِنْدَ مَا تَكَلَّمُوا عَلَى السَّحْرِ حَسْبَمَا قُرِّرَ فِي مَحَلِّهِ

(١) الطلسم : عبارة عن تمزيج القوى السماوية الفعالة بالقوى الأرضية
المنفعلة بواسطة خطوط مخصوصة ، يستخدمها من يتعاطى هذا الفن ليدفع
كل مؤذ . كلمة يونانية

وَاللَّهُ أَعْلَمُ . هَكَذَا رَأَيْتُ فِي كَلَامِ بَعْضِ عُلَمَاءِ الْمَشَارِقَةِ .
وَالَّذِي رَأَيْتُهُ لِبَعْضِ مُؤَرِّخِي الْمَغْرِبِ فِي سَرَقِسطَةِ أَنَّهَا
لَا تَدْخُلُهَا عَقْرَبٌ وَلَا حَيَّةٌ إِلَّا مَاتَتْ مِنْ سَاعَتِهَا ،
وَيُؤْتَى بِالْحَيَّاتِ وَالْعَقَارِبِ إِلَيْهَا حَيَّةً فَيَنْفَسُ مَا تَدْخُلُ
إِلَى جَوْفِ الْبَلَدِ تَمُوتُ ، قَالَ وَلَا يَنْسَوِسُ^(١) فِيهَا شَيْءٌ
مِنَ الطَّعَامِ وَلَا يَمُتُّ ، وَيُوجَدُ فِيهَا الْقَمَحُ مِنْ مِائَةِ
سَنَةٍ ، وَالْعِنَبُ الْمُعَلَّقُ مِنْ سِتَّةِ أَعوَامٍ ، وَالتِّينُ
وَالْخَوْخُ وَحَبُّ الْمُلُوكِ وَالتَّفَّاحُ وَالْإِجَاصُ^(٢) الْيَابِسَةُ
مِنْ أَرْبَعَةِ أَعوَامٍ ، وَالْفُولُ وَالْحِمَصُ مِنْ عِشْرِينَ
سَنَةً ، وَلَا يُسَوِسُ فِيهَا خَشَبٌ وَلَا ثَوْبٌ كَانَ صُوفًا
أَوْ حَرِيرًا أَوْ كَتَانًا ، وَلَيْسَ فِي بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ أَكْثَرُ
فَاكِهَةٍ مِنْهَا وَلَا أَطْيَبُ طَعْمًا وَلَا أَكْبَرُ جَرَمًا ، وَالبَسَاتِينُ
مُحْدَقَةٌ بِهَا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ثَمَانِيَةُ أَمْيَالٍ ، وَلَهَا أَعْمَالٌ
كَثِيرَةٌ : مُدُنٌ وَخُصُونٌ وَقُرَى مَسَافَةً أَرْبَعِينَ مِيلًا ،

(١) ساس الطعام يساس ، وأساس ، وسوس ، واستاس ، ونسوس : اذا
وقع فيه السوس (٢) الاجاص : ثمر وشجره معروف ، الواحدة إجاصة .
وهو دخیل .

وَهِيَ تَضَاهِي مُدُنَ الْعِرَاقِ فِي كَثَرَةِ الْأَشْجَارِ وَالْأَنْهَارِ .
وَبِالْجُمْلَةِ : فَأَمَرُهَا عَظِيمٌ وَقَدْ أَسْلَفْنَا ذِكْرَهَا .

وَأَعْلَمُ أَنَّ بَارِضِ الْأَنْدَلُسِ مِنَ الْخُصْبِ وَالنُّصْرَةِ
وَعَجَائِبِ الصَّنَائِعِ وَغَرَائِبِ الدُّنْيَا مَا لَا يُوجَدُ مَجْمُوعَةً غَالِبًا
فِي غَيْرِهَا ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ الْحَجَّارِيُّ فِي الْمُسْهِبِ أَنَّ
السَّمُورَ^(١) الَّذِي يُعْمَلُ مِنْ وَبَرِهِ الْفِرَاءُ الرَّفِيعَةُ يُوجَدُ فِي
الْبَحْرِ الْمُحِيطِ بِالْأَنْدَلُسِ مِنْ جِهَةِ جَزِيرَةِ بَرْطَانِيَّةَ
وَيُجْلِبُ إِلَى سَرَقُطَّةَ وَيُصْنَعُ بِهَا ، وَلَمَّا ذَكَرَ ابْنُ غَالِبٍ
وَبَرَّ السَّمُورِ الَّذِي يُصْنَعُ بِقُرْطَبَةَ ، قَالَ هَذَا السَّمُورُ
الْمَذْكُورُ هُنَا لَمْ أَتَحَقَّقْ مَا هُوَ ؟ وَلَا مَا عُنِيَ بِهِ . إِنْ
كَانَ هُوَ نَبَاتًا عِنْدَهُمْ أَوْ وَبَرُ الدَّابَّةِ الْمَعْرُوفَةِ ، فَإِنْ
كَانَتْ الدَّابَّةُ الْمَعْرُوفَةُ فَهِيَ دَابَّةٌ تَكُونُ فِي الْبَحْرِ

(١) السَّمُور : حيوان يرى يشبه السنور ، ويقرب من النمس وهو جرىء
حذر . تتخذ من جلوده الفراء الثمينة للينها وخفيتها وحسنها ودفنها . قال
مجاهد : رأيت على النعبي قباء سمور

وَتَخْرُجُ إِلَى الْبَرِّ وَعِنْدَهَا قُوَّةٌ مِزٌ^(١) . وَقَالَ حَامِدُ بْنُ
 سَمْعُونِ الطَّبِيبُ صَاحِبُ كِتَابِ الْأَدْوِيَةِ الْمُرَدَّةِ : هُوَ
 حَيَوَانٌ يَكُونُ فِي بَحْرِ الرُّومِ وَلَا يُحْتَاجُ مِنْهُ إِلَّا إِلَى
 خُصَاهُ فَيَخْرُجُ الْحَيَوَانُ مِنَ الْبَحْرِ فِي الْبَرِّ فَيُؤْخَذُ وَتُقَطَّعُ
 خُصَاهُ وَيُطْلَقُ ، فَرُبَّمَا عَرَضَ لِلْقَنَاصِينَ مَرَّةً أُخْرَى ، فَإِذَا
 أَحَسَّ بِهِمْ وَخَشِيَ أَلَّا يَفُوتَهُمْ اسْتَلْقَى عَلَى ظَهْرِهِ ، وَفَرَّجَ
 بَيْنَ فَخْذَيْهِ ، لِيَرَى مَوْضِعَ خُصْيَيْهِ خَالِيًا ، فَإِذَا رَأَاهُ الْقَانِصُونَ
 كَذَلِكَ تَرَكَوهُ . قَالَ ابْنُ غَالِبٍ وَيُسَمَّى هَذَا الْحَيَوَانُ
 أَيْضًا الْجُنْدَبَا دَسْتَر ، وَالِدَوَاءُ الَّذِي يُصْنَعُ مِنْ خُصْيَيْهِ
 مِنَ الْأَدْوِيَةِ الرَّفِيعَةِ وَمَنَافِعُهُ كَثِيرَةٌ وَخَاصَّتُهُ فِي الْعِلَلِ
 الْبَارِدَةِ ، وَهُوَ حَارٌّ يَابِسٌ فِي الدَّرَجَةِ الرَّابِعَةِ .

وَالْقَتْلِيَّةُ حَيَوَانٌ أَدَقُّ مِنَ الْأَرْزَبِ وَأَطْيَبُ فِي الطَّعْمِ
 وَأَحْسَنُ وَبَرًّا ، وَكَثِيرًا مَا يُلْبَسُ فِرَاوُهَا ، وَيَسْتَعْمَلُهَا أَهْلُ
 الْأَنْدَلُسِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالنَّصَارَى ، وَلَا تُوجَدُ فِي بَرٍّ

منافع القتلية

أَبْرَرَ إِلَّا مَا جُلِبَ مِنْهَا إِلَى سَبْتَةٍ فَتَشَّأَ فِي جَوَانِبِهَا ،
قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ: وَقَدْ جُلِبَتْ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ إِلَى تُوُسَ
حَضْرَةِ إِفْرِيقِيَّةَ .

* *

وَيَكُونُ بِالْأَنْدَلُسِ مِنَ الْغَزَالِ وَالْأَيْلِ ^(١) وَحِمَارٍ وَحُوشِ الْأَنْدَلُسِ
وَالْوَحْشِ وَبَقَرِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُوجَدُ فِي غَيْرِهَا
كَثِيرًا . وَأَمَّا الْأَسَدُ فَلَا يُوجَدُ فِيهَا أَلْبَتَّ ، وَلَا الْفِيلُ
وَالزَّرَافَةُ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يَكُونُ فِي أَقَالِيمِ الْحَرَارَةِ ، وَلَهَا
سَمْعٌ يُعْرَفُ بِاللَّبِّ أَكْبَرُ بِقَلِيلٍ مِنَ الذَّنْبِ فِي نِهَائِهِ
مِنَ الْفَحْصَةِ ^(٢) ، وَقَدْ يَفْتَرِسُ الرَّجُلُ إِذَا كَانَ جَائِعًا .
وَبِغَالِ الْأَنْدَلُسِ فَارِهَةٌ ^(٣) وَخَيْلُهَا ضَخْمَةٌ الْأَجْسَامِ حُصُونُ
لِلْقِتَالِ لِحَمَلِهَا الدُّرُوعَ وَثِقَالِ السَّلَاحِ وَالْعَدُوِّ فِي خَيْلِ
الْبَرِّ الْجُنُوبِيِّ . وَلَهَا مِنَ الطُّيُورِ الْجَوَارِحِ وَغَيْرِهَا
مَا يَكْثُرُ ذِكْرُهُ وَيَطُولُ . وَكَذَلِكَ حَيَوَانُ الْبَحْرِ وَدَوَابُّ

(١) الأيل : الذكر من الأوعال . (٢) أى الجراءة وعدم الببالاة (٣) فارهة :

ماهرة نشيطة خفيفة : جمع فاره

يَحْرِهَا الْمُحِيطُ فِي نِهَآيَةِ مِنَ الطُّولِ وَالْعَرْضِ . قَالَ ابْنُ
سَعِيدٍ : عَايَنْتُ مِنْ ذَلِكَ الْعَجَبَ ، وَالْمُسَافِرُونَ فِي الْبَحْرِ
يَخَافُونَ مِنْهَا لِيَلَّا تَقْلِبَ الْمَرَكَبَ فَيَقْطَعُونَ الْكَلَامَ ،
وَلَهَا نَفْخٌ بِالْمَاءِ مِنْ فِيهَا يَقُومُ فِي الْجَوْ ذَا ارْتِفَاعٍ مُفْرِطٍ .

وَقَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : قَالَ الْمَسْعُودِيُّ فِي مُرُوجِ الذَّهَبِ : فِي
الْأَفَاوِيهِ مِنَ أَنْوَاعِ الْأَفَاوِيهِ ^(١) خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ صِنْفًا ، مِنْهَا
السُّبُّلُ ، وَالْقَرْفُلُ ، وَالصَّنْدَلُ ، وَالْقَرْفَةُ ، وَقَصَبُ الذَّرِيرَةِ ^(٢)
وغير ذلك . وَذَكَرَ ابْنُ غَالِبٍ أَنَّ الْمَسْعُودِيَّ قَالَ : أَصُولُ
الطَّيِّبِ خَمْسَةٌ أَصْنَافٍ : الْمِسْكُ وَالْكَافُورُ وَالْعُودُ وَالْعَبَرُ
وَالزَّعْفَرَانُ ، وَكُلُّهَا مِنْ أَرْضِ الْهِنْدِ إِلَّا الزَّعْفَرَانَ وَالْعَبَرَ

(١) الأفافيه : ما يعالج به الطيب وما أعد له من الرياحين ، كأن التوابل
ما تعالج به الاطعمة ، يقال فوه ، وأفواه ، وجمع الجمع أفافيه . وقد نكون
الأفواف من البقول ، قال جميل :

بها قضب الرياح تندى وحنوة ومن كل أفواه البقول بها بقل

(٢) الذريرة : ما تتحت من قصب الطيب ، وقيل هو مجموع أخلاط وبه
فسر حديث عائشة رضي الله عنها : طيب رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاحرامه بذريرة

فَإِنَّهَا مَوْجُودَانِ فِي أَرْضِ الْأَنْدَلُسِ ، وَيُوجَدُ الْعَنْبَرُ فِي
أَرْضِ الشَّحْرِ^(١) ، قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : وَقَدْ تَكَلَّمُوا فِي أَصْلِ
الْعَنْبَرِ فَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ عِيُونٌ تَتَّبِعُ فِي قَعْرِ الْبَحْرِ يَصِيرُ
مِنْهَا مَا تَبْلَعُهُ الدَّوَابُّ وَتَقْذِفُهُ . قَالَ الْحَجَّارِيُّ : وَمِنْهُمْ مَنْ
قَالَ : إِنَّهُ نَبَاتٌ فِي قَعْرِ الْبَحْرِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ قَوْلُ الرَّازِي : إِنَّ
الْمَحَلَّ وَهُوَ الْمَقْدَمُ فِي الْأَفَويَةِ ، وَالْمُفَضَّلُ فِي أَنْوَاعِ
الْأَشْجَانِ ، لَا يُوجَدُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا بِالْهِنْدِ وَالْأَنْدَلُسِ .
قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : وَفِي الْأَنْدَلُسِ مَوَاضِعٌ ذَكَرُوا أَنَّ النَّارَ إِذَا
أُطْلِقَتْ فِيهَا فَاحَتْ بِرَوَائِحِ الْعُودِ وَمَا أَشْبَهَهُ ، وَفِي جَبَلٍ
شَلِيرٍ^(٢) أَفَويَةٌ هِنْدِيَّةٌ .

(١) الشحر وعمان ببلاد العرب (٢) جبل شلير (بالتصغير) من أعمال
البصرة لا يفارقه الثلج . قال بعض المغاربة وقد مر بشاير فوجد ألم
بالبرد القارس :

يحل لنا ترك الصلاة بأرضكم	وشرب الخما وهو شئ محرم
فرارا الى نار الجحيم فانها	أخف علينا من شلير وأرحم
اذا هبت الريح الشمال بأرضكم	فطوبى لعبد في لظى يتنعم
أقول ولا ألقى على ما أقوله	كما قال قبلى شاعر متقدم
غان كان يوما مدخلى فى جهنم	ففى مثل هذا اليوم طابت جهنم
(٥ - نفع الطيب - ثان)	

* *

نمار الأندلس قال وَأَمَّا الثَّمَارُ وَأَصْنَافُ الْفَوَاكِهِ فَلَا تُنْدَلَسُ أَسْعَدُ
بِلَادِ اللَّهِ بِكَثْرَتِهَا ، وَيُوجَدُ فِي سَوَاحِلِهَا قَصَبُ الشُّكْرِ
وَالْمَوْزُ ، وَيُوجَدَانِ فِي الْأَقَالِيمِ الْبَارِدَةِ ، وَلَا يُعْدَمُ
مِنْهَا إِلَّا التَّمْرُ ، وَلَهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْفَوَاكِهِ مَا يُعْدَمُ فِي غَيْرِهَا
أَوْ يَقِلُّ ، كَالثَّيْنِ الْقُوطِيِّ وَالثَّيْنِ السَّفَرِيِّ بِإِشْبِيلِيَّةَ . قَالَ
أَبْنُ سَعِيدٍ : وَهَذَانِ صِنْفَانِ لَمْ تَرَ عَيْنِي وَلَمْ أَذُقْ لِهَمَا مُنْذُ
خَرَجْتُ مِنَ الْأَنْدَلُسِ مَا يَفْضُلُهُمَا ، وَكَذَلِكَ الثَّيْنُ الْمَالِقِيُّ
وَالزَّيْبُ الْمُنَكَّبِيُّ^(١) ، وَالزَّيْبُ الْعَسَلِيُّ ، وَالرَّمْثَانُ السَّفَرِيُّ
وَالْخَوْخُ وَالْجَوْزُ وَاللُّوزُ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يَطُولُ ذِكْرُهُ .

* *

مصادن الأندلس وَقَدْ ذَكَرْتُ أَنَّ سَعِيدًا أَيْضًا أَنَّ الْأَرْضَ الشَّمَالِيَّةَ الْمَغْرِبِيَّةَ
فِيهَا الْمَعَادِنُ السَّبْعَةُ ، وَأَنَّهَا فِي الْأَنْدَلُسِ الَّتِي هِيَ بَعْضُ تِلْكَ
الْأَرْضِ . وَأَعْظَمَ مَعْدِنٍ لِلذَّهَبِ بِالْأَنْدَلُسِ فِي جِهَةِ شَنْتِ يَاقُورَ

(١) نسبة الى النكب : بلد على ساحل جزيرة الأندلس من أعمال البيرة

بينه وبين غرناطة ٤٠ ميلا

قَاعِدَةَ الْجَلَالَةِ عَلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ ، وَفِي جِهَةِ قُرْبَةِ
الْفِضَّةِ وَالزُّبْقِ ؛ وَالنُّحَاسِ فِي شِمَالِي الْأَنْدَلُسِ كَثِيرٌ ،
وَالصُّفْرُ^(١) الَّذِي يَكَادُ يُشَبِّهُ الذَّهَبَ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ
الْمَعَادِنِ الْمُتَفَرِّقَةِ فِي أَمَاكِنِهَا ، وَالْعَيْنُ الَّتِي يَخْرُجُ
مِنْهَا الزَّاجُ^(٢) فِي لَيْلَةٍ مَشْهُورَةٍ ، وَهُوَ كَثِيرٌ مُفَضَّلٌ فِي
الْبِلَادِ مَنْسُوبٌ لِجَبَلِ طُلَيْطَلَةَ جَبَلِ الطُّفْلِ الَّذِي يُجَاهِزُ
إِلَى الْبِلَادِ وَيُفَضَّلُ عَلَى كُلِّ طِفْلِ بِالْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ .



وَبِالْأَنْدَلُسِ عِدَّةُ مَقَاطِعَ لِلرُّخَامِ ، وَذَكَرَ الرَّازِيُّ أَنَّ بِجَبَلِ
قُرْبَةِ مَقَاطِعَ الرُّخَامِ الْأَبْيَضِ النَّاصِعِ اللَّوْنِ وَالْحُمْرِيِّ
وَفِي نَاشِرَةٍ^(٣) مَقْطَعٌ عَجِيبٌ لِلْعُمْدِ ؛ وَبِإِغَاةٍ مِنْ تَمَلُكَةِ
غَرْطَاةٍ مَقَاطِعُ لِلرُّخَامِ كَثِيرَةٌ غَرِيبَةٌ مُوشَاةٌ فِي حُمْرَةٍ
وَصُفْرَةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْمَقَاطِعِ الَّتِي بِالْأَنْدَلُسِ مِنْ
الرُّخَامِ الْحَالِكِ وَالْمُجَزَّعِ^(٤) . وَحَصَى الْمَرِيَّةُ يُحْمَلُ إِلَى

(١) هو معدن أصفر ، أو هو النحاس الجيد (٢) الزجاج : ملح يصنع به -
مغرب زالك بالفارسية (٣) لعلها (ناجرة) مدينة في شرقي الأندلس من أعمال
نطيلة و. (باشك) ناحية من الأندلس من أعمال طليطلة بفتح الطاء واللام ،
التي هي من أعمال طليطلة ، (يايرة) بلدي غربي الأندلس (٤) المجزع :
مافيه سواد وبياض

الْبِلَادِ ، فَإِنَّهُ كَالْدُرِّ فِي رَوْقِهِ ، وَلَهُ الْوَانُ عَجِيبَةٌ ، وَمِنْ
عَادَاتِهِمْ أَنْ يَضَعُوهُ فِي كِيزَانِ الْمَاءِ .

أُمنان الأندلس وَفِي الْأَنْدَلُسِ مِنَ الْأُمْنَانِ ^(١) الَّتِي تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ الْقَرْمِزُ
الَّذِي يَنْزِلُ عَلَى شَجَرَةِ الْبَلُوطِ ، فَيَجْمَعُهُ النَّاسُ زَمَنَ الشُّعْرَى ^(٢)
فَيَصْبِغُونَ بِهِ فَيَخْرُجُ مِنْهُ اللَّوْنُ الْأَحْمَرُ الَّذِي لَا تَقْوَاهُ حُمْرَةٌ .

مصنوعات
الأندلس قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : وَإِلَى مَصْنُوعَاتِ الْأَنْدَلُسِ يَنْتَهِي التَّفْضِيلُ
وَالْمُتَعَصِّينَ لَهَا فِي ذَلِكَ كَلَامٌ كَثِيرٌ ، فَقَدْ اخْتَصَّتِ
الْعَرَبِيَّةُ وَمَالِقَةُ وَمُرْسِيَّةُ بِالْمَوْشَى الْمَذْهَبِ الَّذِي يَتِمَجَّبُ
مِنْ حُسْنِ صَنْعَتِهِ أَهْلُ الْمَشْرِقِ إِذَا رَأَوْا مِنْهُ شَيْئًا ،

(١) الأمان : جمع من : كل طل ينزل من السماء على شجر أو حجر ويحلو
وينعقد عسلا ويحف جفاف الصمغ كالشبر خشت والترنجين - والمعروف
بالمن : ماقع على شجر البالوط (٢) الشعري : الكوكب الذي يطلع في
الجوزاء في شدة الحر ، ويقال له الشعري الجانية . وكوكب آخر يطلع
في النراع ويقال له الشعري الشامية

وَفِي ثَلَاثَةِ مِنْ عَمَلٍ مُرْسِيَّةٍ تُمَلُّ الْبُسْطَ الَّتِي يُعَالَى ^(١)
 فِي ثَمَنِهَا بِالْمَشْرِقِ ، وَيُصْنَعُ فِي غَرْنَاطَةَ وَبَسْطَةَ مِنْ
 ثِيَابِ اللَّبَاسِ الْمُحَرَّرَةِ الصَّنْفُ الَّذِي يُعْرَفُ بِالْمَلْبَدِ
 الْمُخْتَمِ ، ذُو الْأَلْوَانِ الْعَجِيَّةِ ، وَيُصْنَعُ فِي مُرْسِيَّةٍ مِنْ
 الْأَسِرَّةِ الْمُرْصَعَةِ وَالْحُضْرِ الْفَتَانَةِ الصَّنْعَةِ ، وَآلَاتِ
 الصُّفْرِ وَالْحَدِيدِ مِنَ السَّكَكِينِ وَالْأَمْقَاصِ ^(٢) الْمَذْهَبَةِ
 وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ آلَاتِ الْعُرُوسِ وَالْجُنْدِيِّ مَا يَهْرُ الْعَقْلُ ،
 وَمِنْهَا تُجَهَّزُ هَذِهِ الْأَصْنَافُ إِلَى بِلَادِ إِفْرِيْقِيَّةٍ وَغَيْرِهَا ،
 وَيُصْنَعُ بِهَا وَبِالْمَرْيَةِ وَمَالَقَةَ الزُّجَاجِ الْغَرِيبُ الْعَجِيبُ
 وَفَخَّارُ مُزَجَّجٍ مُذْهَبٍ ، وَيُصْنَعُ بِالْأَنْدَلُسِ نَوْعٌ مِنَ
 الْمُفَضِّضِ الْمَعْرُوفِ فِي الْمَشْرِقِ بِالْفُسَيْفَسَاءِ . وَنَوْعٌ يُسَبَّطُ
 بِهِ قَاعَاتُ دِيَارِهِمْ يُعْرَفُ بِالزُّيْنَجِيِّ يُشَبِّهُ الْمُفَضِّضَ ، وَهُوَ
 ذُو الْأَلْوَانِ عَجِيَّةٍ ، يُقِيمُونَهُ مَقَامَ الرُّخَامِ الْمُلَوَّنِ الَّذِي

(١) يعالَى في ثمنها : أى تشتري بثمان غال (٢) جمع مقص ، والقياس جمعه

يَصْرِفُهُ أَهْلُ الْمَشْرِقِ فِي زَخْرَفَةٍ يُؤْتِيهِمْ كَالشَّاذِرَانِ^(١)
وَمَا يَجْرِي بَحْرَاهُ .

* *

وَأَمَّا آلاتُ الْحَرْبِ مِنَ التُّرَاسِ وَالرُّمَاحِ وَالسُّرُوجِ
وَالْأَلْجَمِ وَالذُّرُوعِ وَالْمَغَافِرِ^(٢) فَأَكْثَرُهُمْ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ
- فِيمَا حَكَى ابْنُ سَعِيدٍ - كَانَتْ مَصْرُوفَةً إِلَى هَذَا
الشَّانِ ، وَيُصْنَعُ مِنْهَا فِي بِلَادِ الْكُفْرِ مَا يَبْهَرُ
الْعُقُولَ . قَالَ : وَالسُّيُوفُ الْبَرْذَلِيَّاتُ مَشْهُورَةٌ
بِالْجُودَةِ ، وَبَرْذِيلُ^(٣) آخِرُ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ
وَالْمَشْرِقِ ، وَالْقَوْلَاذُ الَّذِي بِإِشْبِيلِيَّةَ إِلَيْهِ النِّهَايَةُ ، وَفِي
إِشْبِيلِيَّةَ مِنْ دَفَائِقِ الصَّنَائِعِ مَا يَطُولُ ذِكْرُهُ ، وَقَدْ أَفْرَدَ

صنع آلات
الحرب

(١) لعله : الذي يسمى التخت بوش . وقال الشهاب الخفاجي في شفاء
الغليل : الشاذروان من جدار البيت الحرام ، وهو الذي تركب من عرض
الأساس خارجا ، ويسمى تازيرا لأنه كالآزار للبيت ، وهو لفظ دخيل
(٢) المغفر والمغفرة : زرد ينسج من اللروع على قنر الرأس يلبس تحت
القلنسوة : وقيل فوق البيضة ، وقيل حلق يجعلها الرجل أسفل البيضة
تسبغ على العنق فتقيه (٣) برذيل وبرذال (بالبال والذال فيهما) هي
(بوردو) وقد سماها العرب بحسب التسمية اللاتينية

أَبْنُ غَالِبٍ فِي «فَرَحَةِ الْأَنْفُسِ» لِأَنَّ أَوَّلِيَّةَ النَّبِيِّ بِالْأَنْدَلُسِ
مِنْ كِتَابِهِ مَكَانًا فَقَالَ :

جَلْبُ الْمَاءِ
بِالْأَنْدَلُسِ
مِنْهَا مَا كَانَ مِنْ جَلْبِهِمُ الْمَاءَ مِنَ الْبَحْرِ الْمِلْحِ
إِلَى الْأَرْضِ^(١) الَّتِي بِطَرِّ كُونَةٍ عَلَى وَزْنِ لَطِيفٍ وَتَدِيرٍ
مُحْكَمٍ ، حَتَّى طَحَنَتْ بِهِ ، وَذَلِكَ مِنْ أَعْجَبِ مَا صُنِعَ ،
وَمِنْ ذَلِكَ مَا صَنَعَهُ الْأَوَّلُ أَيْضًا مِنْ جَلْبِ الْمَاءِ مِنَ
الْبَحْرِ الْمُحِيطِ إِلَى جَزِيرَةِ قَادِسَ مِنَ الْعَيْنِ الَّتِي فِي إِفْلِيمِ
الْأَصْنَامِ ، جَلْبُوهُ فِي جَوْفِ الْبَحْرِ فِي الصَّخْرِ الْمُجَوَّفِ ذَكَرًا
فِي أَنْثَى وَشَقُّوا بِهِ الْجِبَالَ ، فَإِذَا وَصَلُوا بِهِ إِلَى الْمَوَاضِعِ
الْمُنْخَفِضَةِ بَنَوْا لَهُ قَنَاطِرَ عَلَى حَنَائِيَا^(٢) ، فَإِذَا جَاوَزَهَا وَأَتَصَلَ
بِالْأَرْضِ الْمُعْتَدِلَةِ رَجَعُوا إِلَى الْبُنْيَانِ الْمَذْكُورِ ، فَإِذَا صَادَفَ
سَبْخَةً^(٣) مَبْنِي لَهُ رُصِيفٌ وَأَجْرِي عَلَيْهِ هُكْدَا إِلَى أَنْ أَنْتَهَى

(١) أَي أَنَّهُمْ أَدَارُوا الْأَرْحَاءَ بِقُوَّةِ دَفْعِ الْمَاءِ ، وَهَذَا وَإِنْ عَلِمْتُمْ أَنَّ فِي عَصَرِهِمْ
فَهُوَ الْآنَ مِنْ أَبْسَطِ الْأُمُورِ (٢) الْحَنَائِيَا : جَمْعُ حَنِيةٍ : مَا كَانَ مِنَ الْبِنَاءِ
مَنْحَنِيًا كَالْقَوْسِ (٣) السَّبْخَةُ : أَرْضٌ ذَاتُ تَرٍّ وَمِلْحٍ

بِهِ إِلَى الْبَحْرِ ثُمَّ دُخِلَ بِهِ فِي الْبَحْرِ وَأُخْرِجَ فِي جَزِيرَةٍ
قَادِسَ ، وَالتَّبْنِيَانُ الَّذِي دَخَلَ عَلَيْهِ الْمَاءُ فِي الْبَحْرِ ظَاهِرٌ
بَيْنَ . قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : إِلَى وَقْتِنَا هَذَا ،

وَمِنْهَا الرَّصِيفُ الْمَشْهُورُ بِالْأَنْدَلُسِ . قَالَ فِي بَعْضِ أَخْبَارِ رُومِيَّةٍ إِنَّهُ لَمَّا وَلَّى بُولِيشُ الْمَعْرُوفُ بِجَاشِرَ ، وَابْتَدَأَ بِتَذْرِيعِ
الْأَرْضِ وَتَكْسِيرِهَا كَانَ ابْتِدَاؤُهُ بِذَلِكَ مِنْ مَدِينَةِ رُومِيَّةٍ إِلَى
الْمَشْرِقِ مِنْهَا وَإِلَى الْمَغْرِبِ وَإِلَى الشَّمَالِ وَإِلَى الْجَنُوبِ ، ثُمَّ
بَدَأَ بِفَرَشِ الْمُبْطَلَةِ وَأَقْبَلَ بِهَا عَلَى وَسَطِ دَائِرَةِ الْأَرْضِ إِلَى
أَنْ بَلَغَ بِهَا أَرْضَ الْأَنْدَلُسِ ، وَرَكَزَهَا ^(١) شَرْقِيَّ قُرْطُبَةَ بَيَّا بِهَا
الْمُتَطَامِينَ ^(٢) الْمَعْرُوفِ بِيَابِ عَبْدِ الْجَبَّارِ ، ثُمَّ ابْتَدَأَهَا مِنْ بَابِ
الْقَنْطَرَةِ قِبَلِيَّ قُرْطُبَةَ إِلَى شَقَنْدَةَ إِلَى إِسْتِجَةَ إِلَى قَرْمُونَةَ إِلَى
الْبَحْرِ ، وَأَقَامَ عَلَى كُلِّ مِيلٍ سَارِيَةً قَدْ نُقِشَ عَلَيْهَا أَسْمُهُ مِنْ
مَدِينَةِ رُومِيَّةٍ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ أَرَادَ تَسْقِيفَهَا فِي بَعْضِ الْأَمَاكِنِ
رَاحَةً لِلْخَاطِرِينَ مِنْ وَهْجِ الصَّيْفِ وَهَوْلِ الشِّتَاءِ ، ثُمَّ تَوَقَّعَ

(١) رَكَزَهَا : ثَبَتَهَا فِي عَمَلِهَا (٢) الْمُتَطَامِينَ : لِلنَّحْيِ .

أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فَسَادًا فِي الْأَرْضِ وَتَغْيِيرًا لِلطَّرْقِ عِنْدَ
 اُنْتِشَارِ اللَّصُوصِ وَأَهْلِ الشَّرِّ فِيهَا فِي الْمَوَاضِعِ الْمُنْقَطِعَةِ
 الثَّانِيَةِ عَنِ الْمُعْرَانِ ، فَتَرَكَهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ . وَذَكَرَ
 فِي هَذِهِ الْأَثَارِ صَمَّ قَادِسَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ إِلَّا الصَّمَمُ
 الَّذِي بِطَرَفِ جِلِّيْقَةِ ، وَذَكَرَ قَنْطَرَةَ طُلَيْطَلَةَ وَقَنْطَرَةَ
 السَّيْفِ وَقَنْطَرَةَ مَارِدَةَ وَمَلْعَبَ مَرِيْطَرَ

« قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : « وَفِي الْأَنْدَلُسِ عَجَائِبُ مِنْهَا عَجَائِبُ الْأَنْدَلُسِ
 الشَّجَرَةُ الَّتِي لَوْلَا كَثْرَةُ ذِكْرِ الْعَامَّةِ لَهَا بِالْأَنْدَلُسِ
 مَا ذَكَرْتُهَا ، فَإِنَّ خَبَرَهَا عَنْدهُمْ شَائِعٌ مُتَوَاتِرٌ ، وَقَدْ رَأَيْتُ
 مَنْ يَشْهَدُ بِخَبَرِهَا وَرُؤْيَيْهَا وَهُمْ جَمٌّ غَفِيرٌ ، وَهِيَ شَجَرَةٌ
 زَيْتُونٍ تَصْنَعُ الْوَرَقَ وَالنُّورَ وَالشَّمْرَ مِنْ يَوْمٍ وَاحِدٍ مَعْلُومٍ
 عَنْدهُمْ مِنْ أَيَّامِ السَّنَةِ الشَّمْسِيَّةِ ، وَمِنْ الْعَجَائِبِ : السَّارِيَةُ
 الَّتِي بَغْرِي الْأَنْدَلُسِ ، يَزْعُمُ الْجُمْهُورُ أَنَّ أَهْلَ ذَلِكَ الْمَكَانِ
 إِذَا أَحْبَبُوا الْمَطَرَ أَقَامُوهَا فَيُمْطِرُ اللَّهُ جِجَهُمْ ، وَمِنْهَا صَمَمٌ

قَادِسَ ، طُولَ مَا كَانَ قَائِمًا كَانَ يَمْنَعُ الرِّيحَ أَنْ تَهْبَ فِي الْبَحْرِ
 الْمُحِيطِ ، فَلَا تَسْتَطِيعُ الْمَرَكَبُ الْكِبَارُ عَلَى الْجُرَى فِيهِ ،
 فَلَمَّا هُدِمَ فِي أَوَّلِ دَوْلَةِ بَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ صَارَتِ السُّفُنُ
 تَجْرِي فِيهِ ، وَبِكُورَةِ قَبْرَةِ ^(١) مَغَارَةِ ذَكَرَهَا الرَّازِيُّ ،
 وَحَكَى أَنَّهُ يُقَالُ : إِنَّهَا بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الرِّيحِ لَا يَدْرُكُ
 لَهَا قَعْرٌ ، وَذَكَرَ الرَّازِيُّ أَنَّ فِي جِهَةِ قَلْعَةٍ وَرَدٍ جَبَلًا فِيهِ
 شَقٌّ فِي صَخْرَةٍ دَاخِلٍ كَهْفٍ فِيهِ فَأْسٌ حَدِيدٌ مُتَعَلِّقٌ مِنْ
 الشَّقِّ الَّذِي فِي الصَّخْرَةِ تَرَاهُ الْعُيُونُ وَتَلْمِسُهُ أَلْيَدُ وَمَنْ
 رَامَ إِخْرَاجَهُ لَمْ يُطِقْ ذَلِكَ ، وَإِذَا رَفَعْتَهُ أَلْيَدُ ، ارْتَفَعَ
 وَغَابَ فِي شَقِّ الصَّخْرَةِ ثُمَّ يَعُودُ إِلَى حَالَتِهِ . وَأَمَّا مَا أوردَهُ
 ابْنُ بَشْكُوَالٍ مِنَ الْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ فِي شَأْنِ فَضْلِ
 الْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ فَقَدْ ذَكَرَهَا ابْنُ سَعِيدٍ فِي كِتَابِهِ
 الْمَغْرِبِ ، وَلَمْ أَذْكَرْهَا أَنَا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ أَمْرِهَا .
 وَكَذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ بَشْكُوَالٍ مِنْ أَنَّ قَتَحَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ

(١) قبرة : كورة من أعمال الاندلس تتصل بأعمال قرطبة من
 جنوبها .

إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ قَبْلِ الْأَنْدَلُسِ ، قَالَ وَذَكَرَهُ سَيْفٌ
عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِصِحَّةِ ذَلِكَ . وَلَعَلَّ الْمُرَادَ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ رُومِيَّةُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَالَ سَيْفٌ : وَذَلِكَ أَنَّ عُثْمَانَ نَدَبَ جَيْشًا مِنَ الْقَيْرَوَانِ
إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَكَتَبَ لَهُمْ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنْ فَتَحَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ
إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ قَبْلِ الْأَنْدَلُسِ ، فَإِنَّكُمْ إِنْ فَتَحْتُمُوهَا
كُنْتُمْ الشُّرَكَاءَ فِي الْأَجْرِ وَالسَّلَامِ . أَنْتَهَى . قُلْتُ عُهْدَةُ
هَذِهِ الْأُمُورِ عَلَى نَاقِلِهَا وَأَنَا بَرِيءٌ مِنْ عُهْدَتِهَا ، وَإِنْ
ذَكَرَهَا ابْنُ بَشْكُوَالٍ وَصَاحِبُ الْمَغْرِبِ وَغَيْرُ وَاحِدٍ
فَإِنَّهَا عِنْدِي لَا أَصِلُ لَهَا . وَأَيُّ وَقْتٍ بَعَثَ عُثْمَانُ إِلَى
الْأَنْدَلُسِ مَعَ أَنَّ فَتْحَهَا بِالْإِتِّفَاقِ إِنَّمَا كَانَ زَمَانَ الْوَلِيدِ ؟
وَإِنَّمَا ذَكَرْتُ هَذَا لِلتَّنْبِيهِ عَلَيْهِ لَا غَيْرُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وصف آخر
للأندلس

« قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : وَمِيزَانُ وَصْفِ الْأَنْدَلُسِ أَنَّهَا
جَزِيرَةٌ قَدْ أَخْدَقَتْ بِهَا الْبَحَارُ فَأَكْثَرَتْ فِيهَا الْخُصْبَ

وَالْعِمَارَةَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ، فَمَتَى سَافَرْتَ مِنْ مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ
لَا تَكَادُ تَقْطَعُ مِنَ الْعِمَارَةِ مَا بَيْنَ قُرَى وَمِيَاهٍ وَمَزَارِعَ ،
وَالصَّحَارَى فِيهَا مَعْدُومَةٌ . وَمِمَّا اخْتَصَّتْ بِهِ أَنَّ قُرَاهَا فِي
نَهَائِهِ مِنَ الْجَمَالِ لِتَصْنَعِ أَهْلُهَا فِي أَوْصَاعِهَا وَتَبْيِضُهَا
لِتَلَّا تَنْبُو الْعُيُونُ عَنْهَا ، فَهِيَ كَمَا قَالَ الْوَزِيرُ ابْنُ الْحَمَارَةِ فِيهَا:
لَا حَتَّ قُرَاهَا بَيْنَ خُضْرَةٍ أَيْكَمَا^(١)

كَالدَّرِّ بَيْنَ زَبَرَجَدٍ مَكْنُونٍ
وَلَقَدْ تَعَجَّبْتُ لَمَّا دَخَلْتُ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ مِنْ أَوْصَاعِ
قُرَاهَا الَّتِي تُكَدِّرُ الْعَيْنَ بِسَوَادِهَا ، وَيَضِيقُ الصَّدْرُ
بِضِيقِ أَوْصَاعِهَا . وَفِي الْأَنْدَالِسِ جِهَاتٌ تَقْرُبُ فِيهَا الْمَدِينَةُ
الْعَظِيمَةُ الْمُصَرَّةُ مِنْ مِثْلِهَا ، وَالْمِثَالُ فِي ذَلِكَ أَنَّكَ إِذَا
تَوَجَّهْتَ مِنْ إشبيليةَ فَعَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ وَبَعْضِ آخَرِ
مَدِينَةٍ شَرِيشٍ ، وَهِيَ فِي نَهَائِهِ مِنَ الْخُضْرَةِ وَالنَّضَارَةِ ،
ثُمَّ يَلِيهَا الْجَزِيرَةُ الْخُضْرَاءُ كَذَلِكَ ، ثُمَّ مَالِقَةُ ، وَهَذَا

(١) الایک : الشجر الملتف الكثير - الواحدة أیکة

كثِيرٌ فِي الْأَنْدَلُسِ ، وَلِهَذَا كَثُرَتْ مُدُنُهَا . وَأَكْثَرُهَا
مُسَوَّرٌ مِنْ أَجْلِ الْأَسْتِعْدَادِ لِلْعَدُوِّ ، فَحَصَلَ لَهَا بِذَلِكَ
التَّشْيِيدُ وَالتَّزْيِينُ ، وَفِي حُصُونِهَا مَا يَبْقَى فِي مُحَارَبَةِ الْعَدُوِّ
مَا يُنِيفُ عَلَى عِشْرِينَ سَنَةً لِامْتِنَاعِ مَعَاكِهَا وَدُرْبَةِ (١)
أَهْلِهَا عَلَى الْحَرْبِ ، وَاعْتِيَادِهِمْ لِمُجَاوَرَةِ الْعَدُوِّ بِالطَّعْنِ
وَالضَّرْبِ ، وَكَثْرَةِ مَا تَنْخَزِنُ الْغَلَّةُ فِي مَطَامِيرِهَا (٢) ،
فَإِنَّهَا مَا يَطُولُ صَبْرُهُ عَلَيْهَا نَحْوًا مِنْ مِائَةِ سَنَةٍ . قَالَ
أَبْنُ سَعِيدٍ : وَلِذَلِكَ أَدَامَهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ وَقْتِ الْفَتْحِ
إِلَى الْآنَ ، وَإِنْ كَانَ الْعَدُوُّ قَدْ نَقَصَهَا مِنْ اطْرَافِهَا
وَشَارَكَ فِي أَوْسَاطِهَا فَبِالْبَقِيَّةِ مَنَّةٌ عَظِيمَةٌ ، فَأَرَضُ
بَقِيَ فِيهَا مِثْلُ إِشْبِيلِيَّةَ وَغَرْنَاطَةَ وَمَالَقَةَ وَالْمَرِيَّةَ وَمَا
يَنْتَضَفُ إِلَى هَذِهِ الْحَوَاضِرِ الْعَظِيمَةِ الْمُمَصَّرَةِ ، الرَّجَاءُ فِيهَا
قَوِيٌّ بِجَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ . أَنْتَهَى . قُلْتُ : قَدْ خَابَ ذَلِكَ

(١) الدربة : للران (٢) هي أوعية عظيمة تختزن فيها الغلال، وحفيرة تحت
الأرض توسع أسافلها نخباً فيها الحبوب . وطمر الشيء : دفنه وأخفاه .
وطمر المطمورة : ملاءها

الرَّجَا ، وَصَارَتْ تِلْكَ الْأَرْجَاءُ لِلْكَفْرِ مَعْرَجًا ^(١) ، وَنَسَأَ
 اللَّهُ تَعَالَى الَّذِي جَعَلَ لَهُمْ فَرَجًا ، وَلِلضَّيْقِ نَجْرَجًا ، أَنْ
 يُعِيدَ إِلَيْهَا كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ حَتَّى يَسْتَنْشِقَ أَهْلُهُ مِنْهُ فِيهَا
 أَرْجَا ، آمِينَ .

* *

غرائب الأندلس « وَمِنْ غَرَائِبِ الْأَنْدَلُسِ : « الْبَيْتَانِ اللَّتَانِ بِطَلَيْطَلَةٍ ،
 صَعَّهُمَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ لَمَّا سَمِعَ بِخَبَرِ الطَّلَسِمِ ^(٢) الَّذِي عَمِدِنَةَ
 أَرِينَ مِنْ أَرْضِ الْهِنْدِ ، وَقَدْ ذَكَرَهُ الْمَسْعُودِيُّ ، وَأَنَّهُ
 يَدُورُ بِأَضْبَعِهِ مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ ، فَصَنَعَ
 هُوَ هَاتَيْنِ الْبَيْتَيْنِ خَارِجَ طَلَيْطَلَةٍ فِي يَنْتِ مُجَوَّفٍ فِي
 جَوَفِ النَّهْرِ الْأَعْظَمِ فِي الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِبَابِ الدَّبَاغِينَ ،

(١) عرج في الدرجة وعلى السلم : ارتقى ، والمعارج : المصاعد والدرج
 (٢) الطلسم ، وطلسم : قال في السرالمكتوم : هو عبارة عن علم بأحوال
 تزيج القوى الفعالة السماوية بالقوى المنفعلة الأرضية لاجل التمكن من
 اظهار ما يخالف المادة والنسج مما يوافقها اهو هو لفظ غير عربي . وقيل هو
 عربي مأخوذ من قولهم . طلسم وطرسم اذا أطرق ، والصوفية تستعمله بمعنى
 السر المكتوم فيقولون سر مطلسم ، وحجاب مطلسم . ولاين الرومي :
 وفي لطفك طلسم لحالي أي طلسم

وَمِنْ عَجَبِهِمَا أَنَّهُمَا يَمْتَلِكَانِ وَيَنْحَسِرَانِ مَعَ زِيَادَةِ الْقَمَرِ
وَقُصَايَاهُ ، وَذَلِكَ أَنَّ أَوَّلَ انْهِلَالٍ^(١) الْهَلَالِ يُخْرَجُ فِيهِمَا
يَسِيرُ مَاءٌ ، فَإِذَا أَصْبَحَ كَانَ فِيهِمَا سُبْعُهُمَا مِنَ الْمَاءِ ، فَإِذَا
كَانَ آخِرُ النَّهَارِ كَمَلَ فِيهِمَا نِصْفُ سُبْعٍ ، وَلَا يَزَالُ
كَذَلِكَ بَيْنَ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ نِصْفُ سُبْعٍ حَتَّى يَكْمَلَ مِنْ
الشَّهْرِ سَبْعَةُ أَيَّامٍ وَسَبْعُ لَيَالٍ فَيَكُونُ فِيهِمَا نِصْفُهُمَا ، وَلَا
تَرَاهُ كَذَلِكَ الزِّيَادَةُ نِصْفَ سُبْعٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ حَتَّى
يَكْمَلَ امْتِلَاؤُهُمَا بِكَمَالِ الْقَمَرِ ، فَإِذَا كَانَ فِي لَيْلَةِ خَمْسَةِ
عَشَرَ وَأَخَذَ الْقَمَرُ فِي النُّقْصَانِ تَقْصَتَا نِصْفَانِ الْقَمَرِ كُلِّ
يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ نِصْفَ سُبْعٍ ، فَإِذَا كَانَ تِسْعَةُ وَعِشْرُونَ مِنْ
الشَّهْرِ لَا يَبْقَى فِيهِمَا شَيْءٌ مِنَ الْمَاءِ ، وَإِذَا تَكَلَّفَ أَحَدُ
حِينَ يَنْقُصَانِ أَنْ يَمْلَأَهُمَا وَجَلَبَ لَهُمَا الْمَاءُ ابْتَلَمَتَا ذَلِكَ مِنْ
حِينَهِمَا ، حَتَّى لَا يَبْقَى فِيهِمَا إِلَّا مَا كَانَ فِيهِمَا فِي تِلْكَ السَّاعَةِ ،
وَكَذَا لَوْ تَكَلَّفَ عِنْدَ امْتِلَائِهِمَا إِفْرَاغَهُمَا وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمَا
شَيْئًا ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ عَنْهُمَا خَرَجَ فِيهِمَا مِنَ الْمَاءِ مَا يَمْلَأُهُمَا فِي

أَلْحِينَ، وَهُمَا أَعْجَبُ مِنْ طَلَسْمِ الْهِنْدِ، لِأَنَّ ذَلِكَ فِي نُقْطَةِ
الْإِعْتِدَالِ حَيْثُ لَا يَزِيدُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ، وَأَمَّا هَاتَانِ
فَلَيْسَتَا فِي مَكَانِ الْإِعْتِدَالِ، وَلَمْ تَرَآلَا فِي يَتِّ وَاحِدٍ
حَتَّى مَلَكَ النَّصَارَى دَمَرَهُمُ اللَّهُ طَلِيطَةَ، فَأَرَادَ الْفُئُشُ^(١)
أَنْ يَعْلَمَ حَرَكَاتِهِمَا فَأَمَرَ أَنْ تُقْلَعَ الْوَاحِدَةُ مِنْهُمَا لِيَنْظُرَ
مِنْ أَيْنَ يَأْتِي إِلَيْهِمَا الْمَاءُ؟ وَكَيْفَ الْحَرَكَةُ فِيهِمَا فَقُلِعَتِ
فَبَطَلَتْ حَرَكَتُهُمَا وَذَلِكَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ،
وَقِيلَ إِنَّ سَبَبَ فَسَادِهِمَا خُبْنُ الْيَهُودِيِّ الَّذِي جَلَبَ
حَمَامَ الْأَنْدَلُسِ كُلَّهَا إِلَى طَلِيطَةَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ وَذَلِكَ
سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَهُوَ الَّذِي أَعْلَمَ
الْفُئُشَ أَنَّ وَلَدَهُ سَيَدْخُلُ قُرْطُبَةَ وَيَمْلِكُهَا، فَأَرَادَ أَنْ
يَكْشِفَ حَرَكَةَ الْبَيْلَتَيْنِ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَا
أَقْلَعُهُمَا وَأَرْدُهُمَا أَحْسَنَ مِمَّا كَانَتَا، وَذَلِكَ أَنِّي أَجْعَلُهُمَا
تَمْتَلِكَانِ بِالنَّهَارِ وَتَحْسِرَانِ^(٢) فِي اللَّيْلِ، فَلَمَّا قُلِعَتِ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى
رَدِّهَا. وَقِيلَ: إِنَّهُ قْلَعَ وَاحِدَةً لِيَسْرِقَ مِنْهَا الصَّنْعَةَ، فَبَطَلَتْ

(١) الفونش : ملك الفرنجة للتغاب (٢) تحسران : ينضب ماؤها ويغور

وَلَمْ تَزَلِ الْأُخْرَى تُعْطَى حَرَكَتَهَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ
الْحَالِ .



« وَقَالَ بَعْضُهُمْ » فِي إِشْبِيلِيَّةَ : إِنَّهَا قَاعِدَةُ بِلَادِ
الْأَنْدَلُسِ وَحَاضِرَتُهَا ، وَمَدِينَةُ الْأَدَبِ ، وَاللَّهُوِ وَالطَّرَبِ ،
وَهِيَ عَلَى صَفَةِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ ، عَظِيمَةِ الشَّانِ ، طَيِّبَةُ الْمَكَانِ
لَهَا الْبَرُّ الْمَدِيدُ ، وَالْبَحْرُ السَّائِكُنُ ، وَالْوَادِي الْعَظِيمُ ، وَهِيَ
قَرِيبَةٌ مِنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ ، إِلَى أَنْ قَالَ : وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهَا
مِنْ الشَّرَفِ إِلَّا مَوْضِعُ الشَّرَفِ ^(١) الْمُقَابِلِ لَهَا الْمُطْلُ عَلَيْهَا
الْمَشْهُورِ بِالزَّيْتُونِ الْكَثِيرِ الْمُمْتَدِّ فَرَاخٍ فِي فَرَاخٍ
لَكُنِّي . وَبِهَا مَنَارَةٌ فِي جَامِعِهَا بَنَاهَا يَعْقُوبُ الْمَنْصُورُ لَيْسَ
فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ أَعْظَمُ بِنَاءٍ مِنْهَا ، وَعَسَلُ الشَّرَفِ يَبْقَى

(١) يريد جبل الشرف ، وهو جبل كثير الشجر والزيتون وسائر
الفواكه ، وما كانت تفوق به اشبيلية غيرها من نواحي الأندلس زراعة
القطن فانها يحمل منها الى جميع بلاد الأندلس والمغرب . والشرف أيضا
بلد من سواد اشبيلية يحتوى على قرى كثيرة .

(٦ - نفح الطيب - ثان)

حِينًا لَا يَتَرَمَّلُ وَلَا يَبْدَلُ^(١) ، وَكَذَلِكَ أَلْزَيْتُ وَالَّتَيْنُ .
 وَقَالَ ابْنُ مُفْلِحٍ : إِنَّ إِشْبِيلِيَّةَ عَرُوسُ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ لِأَنَّ
 تَاجَهَا الشَّرَفُ^(٢) ، وَفِي عُنُقِهَا سِمْطُ النَّهْرِ الْأَعْظَمِ ، وَلَيْسَ
 فِي الْأَرْضِ أَمُّ حُسْنًا مِنْ هَذَا النَّهْرِ ، يُضَاهِي دَجَلَةَ
 وَالْفُرَاتَ وَالنَّيْلَ ، تَسِيرُ الْقَوَارِبُ فِيهِ لِلزُّهَةِ وَالسَّيْرِ
 وَالصَّيْدِ تَحْتَ ظِلَالِ الثَّمَارِ وَلَغَرِيدِ الْأَطْيَارِ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ
 مِيلًا ، وَيَتَعَاطَى النَّاسُ السَّرْحَ مِنْ جَانِبَيْهِ عَشْرَةَ فَرَسِيخَ فِي
 عِمَارَةٍ مُتَّصِلَةٍ وَمَنَارَاتٍ مُرْتَفِعَةٍ ، وَأَبْرَاجٍ مُشِيدَةٍ ، وَفِيهِ
 مِنْ أَنْوَاعِ السَّمَكِ مَا لَا يُحْصَى . وَبِالْجُمْلَةِ فَهِيَ قَدْ حَازَتْ
 الْبَرَّ وَالْبَحْرَ وَالزَّرْعَ وَالضَّرْعَ^(٣) ، وَكَثْرَةَ الثَّمَارِ مِنْ كُلِّ
 جَنْسٍ ، وَقَصَبَ الشُّكْرِ ، وَيُجْمَعُ مِنْهَا الْقِرْمِزُ^(٤) الَّذِي هُوَ

(١) لا يتغير بطول المدة (٢) كان أهل اشبيلية اذا أرادوا الافتخار بمديتهم
 قالوا : الشرف تاجها ، وذلك لكثرة خيراته كما تقدم (٣) أى المواشى
 والانعام . والضرع للماشية كالندى للرأه (٤) صبغ أحمر ، قيل هو كالندس
 محبب يقع على نوع من شجر البلوط فى شهر آذار

أَجَلٌ مِنَ اللَّهِ^(١) الْهِنْدِيُّ ، وَرَبَّتُونَهَا يُحْزَنُ تَحْتَ الْأَرْضِ
أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، ثُمَّ يُعْتَصَرُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ أَكْثَرُ مِمَّا
يَخْرُجُ مِنْهُ وَهُوَ طَرِيٌّ . انْتَهَى مُلَخَّصًا

وَلَمَّا ذَكَرَ ابْنُ الْأَسْعِ الْأَنْدَلُسِيَّ قَالَ : لَا يَتَزَوَّدُ
فِيهَا أَحَدٌ مِمَّا حَيْثُ سَلَكَ ، لِكثَرَةِ أَنْهَارِهَا وَعُيُونِهَا ، وَرُبَّمَا
لَقِيَ الْمُسَافِرُ فِيهَا فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ أَرْبَعَ مَدَائِنَ ، وَمِنْ
الْمَعَالِقِ وَالْقُرَى مَا لَا يُحْصَى ، وَهِيَ بِطَاحٍ خُضِرٍ وَقُصُورٍ
بَيِضٍ . قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : وَأَنَا أَقُولُ كَلَامًا فِيهِ كِفَايَةٌ ،
مُنْذُ خَرَجْتُ مِنْ جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ وَطُفْتُ فِي بَرِّ الْمُدَوَّةِ
وَرَأَيْتُ مُدُنَهَا الْعَظِيمَةَ كَمَرَّاكُشَ وَقَاسٍ وَسَلَا^(٢) وَسَبْتَةَ
ثُمَّ طُفْتُ فِي إفْرِيقِيَّةَ وَمَا جَاوَرَهَا مِنَ الْمَغْرِبِ الْأَوْسَطِ ،
فَرَأَيْتُ بِجَايَةَ وَثُونُسَ . ثُمَّ دَخَلْتُ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ فَرَأَيْتُ
الْإِسْكََنْدَرِيَّةَ وَالْقَاهِرَةَ وَالْفُسْطَاطَ ، ثُمَّ دَخَلْتُ الشَّامَ
فَرَأَيْتُ دِمَشْقَ وَحَلَبًا وَمَا بَيْنَهُمَا ، لَمْ أَرِ مَا يُشْبِهُ رَوْنَقَ

(١) اللك : صيغ أحمر يصنع به جلود المعز وغيره (٢) مدينة بأفصى
للمغرب بالقرب من البحر المحيط ، وهي من مراكش غربية جنوبية

الْأَنْدَلُسُ فِي مِيَاهِهَا وَأَشْجَارِهَا إِلَّا مَدِينَةَ قَاسٍ بِالْمَغْرِبِ
الْأَقْصَى وَمَدِينَةَ دِمَشْقَ بِالشَّامِ ، وَفِي حِمَاةِ مَسْجِدِ أَنْدَلُسِيَّةٍ
وَلَمْ أَرِ مَا يُشَبِّهُهَا فِي حُسْنِ الْمَبَانِي وَالْتَّشْيِيدِ وَالتَّصْنِيعِ ،
إِلَّا مَا شِئِدَ بِمَرَاكُشَ فِي دَوْلَةِ بَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ ^(١) وَبَعْضُ
أَمَاكِنَ فِي ثُونِسَ ، وَإِنْ كَانَ الْغَالِبُ عَلَى ثُونِسَ الْبِنَاءُ
بِالْحِجَارَةِ كَالْإِسْكَندَرِيَّةِ ، وَلَكِنَّ الْإِسْكَندَرِيَّةَ أَفْسَحُ
شَوَارِعَ وَأَبْسَطُ وَأَبْدَعُ ، وَمَبَانِي حَلَبَ دَاخِلَةٌ فِيمَا
يُسْتَحْسَنُ لِأَنَّهَا مِنْ حِجَارَةٍ صُلْبَةٍ ، وَفِي وَضْعِهَا وَتَرْتِيبِهَا
إِتْقَانٌ . أَنْتَهَى .

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا جَاءَ مِنَ النِّظَمِ فِي الْأَنْدَلُسِ قَوْلُ ابْنِ سَفَرٍ
الْمَرْبُوعِيَّ - وَالْإِحْسَانُ لَهُ عَادَةٌ - :

(١) هو عبد المؤمن بن علي القبيسي الكومي ، ملك مراکش وبلاد
المغرب سنة ٥٤٣ هـ وأسس دولة للموحدين واستوفى له الأمر وامتد ملكه
إلى المغرب الأقصى والأندلس وكثير من بلاد الأندلس ، وتسمى بأمر
المسلمين وقصده الشعراء ومدحوه بأطيب المدائح . ولما تمهدت له القواعد
واتهت أيامه خرج من مراکش إلى مدينة سلا فأصابه بهامض شديد ،
وتوفي سنة ٥٥٨ هـ

فِي أَرْضٍ أُنْدَلَسٍ تُتَلَدُ^(١) نَعْمَاءُ
 وَلَا يُفَارِقُ فِيهَا الْقَلْبَ سَرَاءُ
 وَلَيْسَ فِي غَيْرِهَا بِالْعَيْشِ مُتَفَعٌ
 وَلَا تَقُومُ بِحَقِّ الْإِنْسِ صَهْبَاءُ^(٢)
 وَأَيْنَ يُعَدَلُ عَنْ أَرْضٍ تَحْضُ بِهَا
 عَلَى الْمُدَامَةِ أَمْوَاهُ وَأَفْيَاءُ^(٣)
 وَكَيْفَ لَا يُبْهِجُ الْأَبْصَارَ رُؤْيَاهَا
 وَكُلُّ رَوْضٍ بِهَا فِي الْوُثْيِ صَنْعَاءُ^(٤)؟
 أَنَهَارُهَا فِضَّةٌ وَالْمَسْكُ تُرْبَتُهَا
 وَأَخْزُ^(٥) رَوْضَتُهَا وَالذَّرُّ حَصْبَاءُ^(٦)

(١) لذ بالشئ، ولذته واستلذته: عذته لذينا (٢) اسم من أسماء الحمر
 (٣) جمع في: هو الظل اذا رجع (٤) صنعاء: اسم موضعين أحدهما باليمن
 وهي العظمى وكانت قصبة اليمن وأحسن بلادها وكانت تشبه ببناء شق لكثرة
 فواكها وحسن الطبيعة فيها ، وأخرى قريبة بالقوطة من دمشق . وصنعاء في
 الأصل منسوبة الى جودة الصنعة في ذاتها كقولهم امرأة حسناء وعجزاء ،
 وشهلاء و (صنعاء) في البيت يحتمل كل معانيها فيكون فيه تورية
 (٥) أى الحرير ، والخز من الثياب ما ينسج من صوف وبر يسج (٦) الحصباء: الحصى

وَلِلْهَوَاءِ بِهَا لُطْفٌ يَرِقُّ بِهِ
 مَنْ لَا يَرِقُّ وَتَبْدُو مِنْهُ أَهْوَاءُ
 لَيْسَ النَّسِيمُ الَّذِي يَهْفُو ^(١) بِهَا سَحَرًا
 وَلَا انْتِثَارٌ لَّآلِي الطَّلِّ أَنْدَاءُ
 وَإِنَّمَا أَرْجُ النَّدَّ اسْتِنَارَ بِهَا
 فِي مَاءٍ وَرَدٍ فَطَابَتْ مِنْهُ أَرْجَاءُ
 وَأَيْنَ يَبْلُغُ مِنْهَا مَا أُصْنِفُهُ
 وَكَيْفَ يَحْوِي الَّذِي حَازَتْهُ إِحْصَاءُ؟
 قَدْ مُيزَتْ مِنْ جِهَاتِ الْأَرْضِ حِينَ بَدَتْ
 فَرِيدَةً وَتَوَلَّى مِيزَهَا الْمَاءُ
 دَارَتْ عَلَيْهَا نِطَاقًا أَبْحَرُ خَفَقَتْ
 وَجَدًا بِهَا إِذْ تَبَدَّتْ وَهِيَ حَسَنَاءُ
 لِدَاكَ يَنْسِمُ فِيهَا الزَّهْرُ مِنْ طَرَبٍ
 وَالطَّيْرُ يَشْدُو ^(٢) وَلِلْأَغْصَانِ إِصْغَاءُ

(١) هفا : مشى خفيفا مسرعا ، وهفت الريح بالثوب حركته وذهبت به ،
 وقد تكون (استنار) في البيت بعده محرفة عن (استنير) (٢) أى يفرد .
 وفي البيت حسن تعليل بديع ، كما في غيره من أبيات القصيدة ، وهو نوع
 بديعي أكثر منه الاندلسيون وأحسنوا التصرف فيه وأنوا من فنونه
 بما يدل على سلامة ذوق وسمو خيال

فِيهَا خَلَعْتُ عِذَارِي^(١) مَا بِهَا عِوَضٌ
فَهِيَ الرِّيَاضُ وَكُلُّ الْأَرْضِ صَخْرَاءُ
وَلِلَّهِ دَرُّ ابْنِ خَفَاجَةَ حَيْثُ يَقُولُ :

إِنَّ لِلْجَنَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ مُجْتَلَى مَرَأَى وَرِيَاءٍ^(٢) نَفْسٍ
فَسْنَا^(٣) صُبْحَهَا مِنْ شَنْبٍ^(٤) وَدُجَى ظُلُمَتِهَا مِنْ لَعَسٍ^(٥)
فَإِذَا مَا هَبَّتِ الرِّيحُ صَبَاً صَحَتْ وَاشَوْقِي إِلَى الْأَنْدَلُسِ
وَقَدْ تَقَدَّمَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ . قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : قَالَ
ابْنُ خَفَاجَةَ هَذِهِ الْآيَاتُ وَهُوَ بِالْمَغْرِبِ الْأَقْصَى فِي بَرٍّ
الْعُدْوَةِ ، وَمَنْزِلُهُ فِي شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ بِجَزِيرَةِ شَقَرٍ^(٦) . وَقَالَ
ابْنُ سَعِيدٍ فِي الْمَغْرِبِ مَا نَصَّهُ : قَوَاعِدُ مِنْ كِتَابِ الشُّهْبِ
الْثَّاقِبَةِ فِي الْأَنْصَافِ بَيْنَ الْمَشَارِقَةِ وَالْمَغَارِبَةِ ، أَوَّلُ مَا تَقَدَّمَ
الْكَلَامُ عَلَى قَاعِدَةِ السُّلْطَنَةِ بِالْأَنْدَلُسِ فَقَوْلُ : إِنَّهَا مَعَ

(١) يقال : خلع فلان عذاره إذا تشاطر وأقبل على اللهو والحلاعة غير مبالي
يضرب للشباب اللينهمك في غيه ، يقال ألقى عنه جلباب الحياء كما خلع الفرس
العذار فجمع وطمح (٧) أي رائحة هواه ذكية (٣) أي نور (٤) هو بريق
الأسنان وصفافؤها ونقاؤها (٥) اللعس : لون الشفة إذا كانت تضرب إلى السمرة
قليلاً ، وذلك مما يستملحه الذوق العربي (٦) في شرق الأندلس وكانت من
أزهر بلاد الله وأكثرها روضة وماء وشجراً . وقد يقال فيها جزيرة شكر

مَا بِيَدِي عُبَادِ الصَّلِيبِ مِنْهَا أَعْظَمُ سُلْطَنَةٍ كَثُرَتْ
مَمَالِكُهَا ، وَكَشَعَتْ فِي وُجُوهِ الْأَسْتَظْهَارِ لِلسُّلْطَانِ إِعَاتُهَا ،
وَنَدَعُ كَلَامَنَا فِي هَذَا الشَّأْنِ ، وَنَنْقُلُ مَا قَالَهُ ابْنُ حَوْقَلٍ
النَّصِيبِيُّ فِي كِتَابِهِ لَمَّا دَخَلَهَا فِي مُدَّةِ خِلَافَةِ بَنِي مَرْوَانَ بِهَا
فِي أَلْيَمَةِ الرَّابِعَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا وَضَعَهَا قَالَ : وَأَمَّا جَزِيرَةُ
الْأَنْدَلُسِ فَجَزِيرَةٌ كَبِيرَةٌ ، طُولُهَا دُونَ الشَّهْرِ فِي عَرْضِ
نِيفٍ وَعِشْرِينَ مَرَحَلَةً ، تَغْلِبُ عَلَيْهَا أَلْيَمَةُ الْجَارِيَةِ وَالشَّجَرُ
وَالشَّرُّو وَالرُّخْصُ وَالسَّعَةُ فِي الْأَحْوَالِ ، مِنْ الرِّبْقِ الْفَاخِرِ ،
وَالْخُصْبِ الظَّاهِرِ ، إِلَى أَسْبَابِ التَّمْلِكِ الْفَاشِيَةِ فِيهَا ، وَلَمَّا
هِيَ بِهِ مِنْ أَسْبَابِ رَغْدِ الْعَيْشِ وَسَعَتِهِ وَكَثْرَتِهِ يَمْلِكُ ذَلِكَ
مِنْهُمْ مَهِينُهُمْ^(١) وَأَرْبَابُ صَنَائِعِهِمْ لِقَلَّةِ مَوْنَتِهِمْ ، وَصَلَاحِ
مَعَاشِهِمْ وَبِلَادِهِمْ . ثُمَّ أَخَذَ فِي عِظَمِ سُلْطَانِهَا وَوَصَفِ
وُفُورِ جَيَاكِنِهِ^(٢) وَعِظَمِ مَرَاقِقِهِ ، وَقَالَ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ : وَمِمَّا
يُذَكِّرُ بِالْقَلِيلِ مِنْهُ عَلَى كَثِيرِهِ ، أَنَّ سِكَّةً^(٣) دَارَ ضَرْبِهِ عَلَى

(١) حقيرهم وخادمهم (٢) ما يجي من الضرائب للحكومة (٣) السكة بكسر
السين : حديدة منقوشة كتب عليها تضرب عليها الدراهم ومنه الحديث انه
نهى عن كسر سكة للسلمين الجائزة بينهم الا من بأس ، أرادها الدراهم
والدينار المضروبين سعى كلا منهما السكة لانه طبع بالحديدة العالمة له

الْدَّرَاهِمِ وَالْدِّنَانِيرِ دَخَلُهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ مِائَتَا أَلْفٍ دِينَارٍ ،
وَصَرَفُ الدِّينَارِ سَبْعَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا ، هَذَا إِلَى صَدَقَاتِ الْبَلَدِ
وَجَبَايَاتِهِ وَخَرَاجَاتِهِ ، وَأَعْشَارِهِ وَضَمَانَاتِهِ ، وَالْأَمْوَالِ
الْمَرْمُومَةِ عَلَى الْمَرَائِبِ الْوَارِدَةِ وَالصَّادِرَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ .

* *

وَذَكَرَ ابْنُ بَشْكُوَالٍ : أَنَّ جَبَايَةَ الْأَنْدَلُسِ بَلَغَتْ فِي مُدَّةِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ خَمْسَةَ آلَافٍ أَلْفٍ دِينَارٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ أَلْفٍ
وَتَمَّائِينَ أَلْفًا مِنَ السُّوقِ ، وَالْمُسْتَخْلَصُ سَبْعِمِائَةِ أَلْفٍ وَخَمْسَةَ
وَسِتُونَ أَلْفَ دِينَارٍ ، ثُمَّ قَالَ ابْنُ حَوْقَلٍ : وَمِنْ أَعْجَبِ مَا فِي هَذِهِ
الْجُزَيْرَةِ بَقَاؤُهَا عَلَى مَنْ هِيَ فِي يَدِهِ ، مَعَ صِغَرِ أَحْلَامِ أَهْلِهَا ،
وَصَعَةِ نُفُوسِهِمْ ، وَتَقْصِ عُقُولِهِمْ وَبُعْدِهِمْ مِنَ الْبَاسِ وَالشَّجَاعَةِ
وَالْفُرُوسِيَّةِ وَالْبَسَالَةِ ، وَلِقَاءِ الرِّجَالِ ، وَمِرَاسِ^(١) الْأَنْجَادِ
وَالْأَبْطَالِ ، مَعَ عِلْمِ أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَحَالِّهَا فِي نَفْسِهَا ، وَمِقْدَارِ
جَبَايَاتِهَا ، وَمَوَاقِعِ لَعْمِهَا وَلَذَاتِهَا . قَالَ عَلِيُّ ابْنِ سَعِيدٍ مُكَمَّلٌ
هَذَا الْكِتَابِ : لَمْ أَرِ بُدْأً مِنْ إِبْنَاتِ هَذَا الْفَصْلِ ، وَإِنْ

(١) أى بحالدة الشجعان ، والآنجاد جمع نجد : الشجاع للماضى فيها يعجز عنه
غيره والشديد البأس سريع الاجابة الى مايدعى اليه

الأندلس في أيام
عبد الرحمن الناصر

كَانَ عَلَى أَهْلِ بَلَدِي فِيهِ مِنَ الظُّلْمِ وَالْتَعَصُّبِ مَا لَا يَنْفَى ،
وَلِسَانُ الْحَالِ فِي الرَّدِّ أَنْطَقُ مِنْ لِسَانِ الْبَلَاغَةِ ، وَلَيْتَ
شِعْرِي إِذَا سَلَبَ أَهْلُ الْجَزِيرَةِ الْعُقُولَ وَالْآرَاءَ وَالْهِمَمَ
وَالشَّجَاعَةَ ، فَمِنْ الَّذِينَ دَبَّرُوهَا بِآرَائِهِمْ وَعُقُولِهِمْ ؟ مَعَ
مُرَاصِدَةٍ ^(١) أَعْدَاهَا الْمُجَاوِرِينَ لَهَا مِنْ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ وَيَنْفٍ ؟
وَمِنْ الَّذِينَ حَمَوْهَا يَسْأَلَتِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمُتَّصِلَةِ بِهِمْ فِي
دَاخِلِهَا وَخَارِجِهَا نَحْوَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ فِي نُصْرَةِ
الصَّلِيبِ ؟ وَإِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْهُ إِذْ كَانَ فِي زَمَانٍ قَدْ دَلَفَتْ ^(٢)
فِيهِ عُبَادُ الصَّلِيبِ إِلَى الشَّامِ وَالْجَزِيرَةِ ، وَعَاثُوا ^(٣) كُلَّ
الْعَيْثِ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ حَيْثُ الْجُمْهُورُ وَالْقُبَّةُ الْعُظْمَى ،
حَتَّى إِنَّهُمْ دَخَلُوا مَدِينَةَ حَلَبٍ وَمَا أَذْرَاكَ ؟ وَفَعَلُوا فِيهَا
مَا فَعَلُوا ، وَبِلَادُ الْإِسْلَامِ مُتَّصِلَةٌ بِهَا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ، إِلَى
غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مَسْطُورٌ فِي كُتُبِ التَّوَارِيخِ . وَمِنْ أَعْظَمِ

(١) مراقبته وحسن الاستعداد له (٢) الدلف : الشئ الرويد كما تدلف

الكتيبة نحو الكتيبة في الحرب وتقدم نحوها (٣) أى أفسدوا

ذَلِكَ وَأَشَدَّهُ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَقَلَّبُونَ عَلَى الْحِصْنِ مِنْ حُصُونِ
الْإِسْلَامِ الَّتِي يَتِمَكَّنُونَ بِهَا مِنْ بَسَائِطِ بِلَادِهِمْ فَيَسْبُونَ
وَيَاسِرُونَ ، فَلَا تَجْتَمِعُ هُمُ الْمُلُوكُ الْمُجَاوِرَةُ عَلَى حَسْمِ الدَّاءِ
فِي ذَلِكَ ، وَقَدْ يَسْتَعِينُ بِهِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فَيَتِمَكَّنُ مِنْ
ذَلِكَ الدَّاءِ الَّذِي لَا يُطَبُّ . وَقَدْ كَانَتْ جَزِيرَةُ الْأَنْدَلُسِ فِي
ذَلِكَ الزَّمَانِ بِالضَّدِّ مِنَ الْبِلَادِ الَّتِي تَرَكَ وراءَ ظَهْرِهِ ، وَذَلِكَ
مَوْجُودٌ فِي تَارِيخِ ابْنِ حَيَّانَ وَغَيْرِهِ ، وَإِنَّمَا كَانَتْ الْفِتْنَةُ
بَعْدَ ذَلِكَ . الْأَعْلَامُ يَنْتَهِي ، وَالطَّرِيقُ وَاضِحٌ ^(١) ، فَلَنَرْجِعَ
إِلَى مَا نَحْنُ بِسَبِيلِهِ

تاريخ الحكم في
الأندلس

كَانَتْ سُلْطَنَةُ الْأَنْدَلُسِ فِي صَدْرِ الْفَتْحِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ
مِنْ اخْتِلَافِ الْوُلَاةِ عَلَيْهَا مِنْ سَلَاطِينَ إِفْرِيقِيَّةٍ - وَاخْتِلَافِ
الْوُلَاةِ دَائِعٍ إِلَى الْأَضْطِرَابِ وَعَدَمِ تَأَثُّلِ ^(٢) الْأَحْوَالِ وَتَرْيَةِ
الضَّخَامَةِ فِي الدَّوْلَةِ - . وَلَمَّا صَارَتْ الْأَنْدَلُسُ لِبَنِي أُمَيَّةَ
وَتَوَارَثُوا مَمَالِكَهَا ، وَأَتَقَادَ إِلَيْهِمْ كُلُّ أُمَّةٍ فِيهَا ، وَأَطَاعَهُمْ

(١) مثلاً ضربهما لظهور الفرق بين حال الأندلس والشام ووضوحه .

(٢) أى ثباتها واستقرارها . والمجد المؤنل الذى رسخت أصوله وقدم عهده

كُلُّ عَصِيٍّ عَظُمَتِ الدَّوْلَةُ بِالْأَنْدَلُسِ ، وَكَبُرَتْ أَلِيمُهُمْ ،
وَتَرَبَّتْ ^(١) الْأَحْوَالُ وَتَرَبَّتِ ^(٢) الْقَوَاعِدُ . وَكَانُوا صَدْرًا
مِنْ دَوْلَتِهِمْ يَخْطُبُونَ لِأَنْفُسِهِمْ بِأَبْنَاءِ الْخِلَافَةِ ، ثُمَّ خَطَبُوا
لِأَنْفُسِهِمْ بِالْخِلَافَةِ ، وَمَلَكَوا مِنْ بَرِّ الْعُدُوَّةِ مَا ضَخَمَتْ بِهِ
دَوْلَتُهُمْ . وَكَانَتْ قَوَاعِدُهُمْ إِظْهَارَ الْهَيْبَةِ ، وَتَمَكُّنَ
النَّامُوسِ ^(٣) مِنْ قُلُوبِ الْعَالَمِ ، وَمُرَاعَاةِ أَحْوَالِ الشَّرْعِ فِي
كُلِّ الْأُمُورِ ، وَتَعْظِيمِ الْعُلَمَاءِ وَالْعَمَلِ بِأَقْوَالِهِمْ ، وَإِحْضَارُهُمْ
فِي مَجَالِسِهِمْ وَأَسْتِشَارَتِهِمْ ، وَلَهُمْ حِكَايَاتٌ فِي تَارِيخِ ابْنِ
حَيَّانَ مِنْهَا مَا هُوَ مَذْكُورٌ مِنْ تَوَجُّهِ الْحُكْمِ عَلَى خَلِيفَتِهِمْ ،
أَوْ عَلَى ابْنِهِ ، أَوْ أَحَدِ حَاشِيَتِهِ الْمُخْتَصِّينَ ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا فِي
نَهَايَةِ مِنَ الْإِثْقَادِ إِلَى الْحَقِّ لَهُمْ أَوْ عَلَيْهِمْ ، وَبِذَلِكَ انْضَبَطَ
لَهُمْ أَمْرُ الْجَزِيرَةِ . وَلَمَّا خَرَقُوا هَذَا النَّامُوسَ كَانَ أَوَّلَ

(١) أي اتظمت واستقرت (٢) أي ثبتت ورسخت ، وقد يكون أحد الفعلين
(تربت) بالباء الموحدة ، من رب القوم إذا ساسهم ، ورب الشيء أصلحه ،
ودبره ورى بب الصبي : حفظه وراعه وأحسن القيام عليه وقواه (٣) أي هيبة
السلطان . ومن معاني الناموس المكر والخداع ، والحاذق الفطن ، ومن يلفظ
مدخله في الأمور بلطف احتيال ، ويستعمل الآن بمعنى القانون والنظام

مَا تَهْتِكُ أَمْرُهُمْ ثُمَّ أَضْحَلَ . وَكَانَتْ أَلْقَابُ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ ،
 الْأَمْرَاءُ أَبْنَاءُ الْخُلَافَةِ ، ثُمَّ الْخُلَفَاءُ أَمْرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَى أَنْ
 وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ بِحَسَدِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ ، وَابْتِغَاءِ اخْتِلَافٍ مِنْ غَيْرِ
 وَجْهِهَا الَّذِي رُبِّتَ عَلَيْهِ ، فَاسْتَبَدَّتْ مُلُوكُ الْمَمَالِكِ
 الْأَنْدَلُسِيَّةِ بِيَلَادِهَا ، وَسُمُّوا بِمُلُوكِ الطَّوَائِفِ ، وَكَانَ
 فِيهِمْ مَنْ خَطَبَ لِلْخُلَفَاءِ الْمُرَوَّاتِيِّينَ وَإِنْ لَمْ يَتَّقَ لَهُمْ
 خِلَافَةً ، وَمِنْهُمْ مَنْ خَطَبَ لِلْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ الْمُجْتَمِعِ
 عَلَى إِمَامَتِهِمْ ، وَصَارَ مُلُوكُ الطَّوَائِفِ يَتَّبِعُونَ فِي أَحْوَالِ
 الْمَلِكِ حَتَّى فِي الْأَلْقَابِ ، قَالَ أَمْرُهُمْ إِلَى أَنْ تَلَقَّبُوا
 بِنُعُوتِ الْخُلَفَاءِ ، وَرَفَعُوا إِلَى طَبَقَاتِ السُّلْطَانَةِ الْعُظْمَى ،
 وَذَلِكَ بِمَا فِي جَزِيرَتِهِمْ مِنْ أَسْبَابِ التَّرَفِّ وَالضَّخَامَةِ الَّتِي
 تَتَوَزَّعُ عَلَى مُلُوكِ شَتَّى فَتَكْفِيهِمْ وَتَنَهِّضُ بِهِمُ لِلْمُبَاهَاةِ ،
 وَلِاجْلِ تَوْثِيهِمْ عَلَى النُّعُوتِ الْعَبَّاسِيَّةِ قَالَ ابْنُ رَشِيْقٍ
 الْقَيَّرَوَانِيُّ :

بِمَا يَرْهَدُنِي فِي أَرْضِ أُنْدَلُسِ
تَلْقَيْبُ مُعْتَصِدٍ فِيهَا وَمُعْتَدٍ
أَلْقَابُ مَمْلَكَةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا
كَالِهَرِّ يَخْكِي أَنْتِفَاحُ صَوْلَةِ الْأَسَدِ

وَكَانَ عَبَادُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَبَّادٍ ، قَدْ تَلَقَّبَ بِالْمُعْتَصِدِ
وَأَقْتَنَى سِيرَةَ الْمُعْتَصِدِ الْعَبَّاسِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَتَلَقَّبَ
أَبْنُهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ بِالْمُعْتَدِ ، وَكَانَتْ لِبَنِي عَبَّادٍ مَمْلَكَةٌ
إِسْبِيلِيَّةً ، ثُمَّ انْضَافَ إِلَيْهَا غَيْرُهَا . وَكَانَ خُلَفَاءُ بَنِي أُمَيَّةَ
يُظْهِرُونَ لِلنَّاسِ فِي الْأَحْيَانِ عَلَى أَهْبَةِ الْخِلَافَةِ وَقَانُونَ
لَهُمْ فِي ذَلِكَ مَعْرُوفٍ ، إِلَى أَنْ كَانَتْ الْفِتْنَةُ ، فَازْدَرَتْ
الْعِيُونَ ذَلِكَ التَّامُوسَ وَاسْتَخَفَّتْ بِهِ ، وَقَدْ كَانَ بَنُو مُعْتَصِدٍ
مِنْ وَلَدِ إِدْرِيسَ الْعَلَوِيِّ الَّذِينَ تَوَثَّبُوا عَلَى الْخِلَافَةِ فِي أَثْنَاءِ
الدَّوْلَةِ الْمَرْوَانِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ يَتَعَاطَمُونَ وَيَأْخُذُونَ أَنْفُسَهُمْ
بِمَا يَأْخُذُهَا خُلَفَاءُ بَنِي الْعَبَّاسِ ، وَكَانُوا إِذَا حَضَرَهُمْ

مُنْشِدٌ لِمَدْحٍ أَوْ مَنْ يَحْتَاجُ إِلَى الْكَلَامِ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
يَتَكَلَّمُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، وَالْحَاجِبُ وَاقِفٌ عِنْدَ السُّتْرِ
يُحَاطَبُ بِمَا يَقُولُ لَهُ الْخَلِيفَةُ . وَلَمَّا حَضَرَ ابْنُ مَقَانَا (١)
الْأَشْبُوْنِيُّ أَمَامَ حَاجِبِ إِدْرِيسَ بْنِ يَحْيَى الْخُمُودِيِّ الَّذِي
خُطِبَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ فِي مَالَقَةٍ وَأَنْشَدَهُ قَصِيدَتَهُ الْمَشْهُورَةَ
النُّثْوِيَّةَ الَّتِي مِنْهَا قَوْلُهُ :

وَكَانَ الشَّمْسَ لَمَّا أَشْرَقَتْ

فَأَنْتَنَتْ عَنْهَا عُيُونُ النَّاطِرِينَ

وَجَهَ إِدْرِيسُ بْنُ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ مِ بْنِ حَمُودٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَبَلَغَ فِيهَا إِلَى قَوْلِهِ :

أَنْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ إِنَّهُ مِنْ نُورِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
رَفَعَ الْخَلِيفَةُ السُّتْرَ بِنَفْسِهِ وَقَالَ : أَنْظُرْ كَيْفَ شِئْتُ ،
وَأَنْبَسَطَ مَعَ الشَّاعِرِ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ . وَلَمَّا جَاءَ مُلُوكُ
الطَّوَائِفِ صَارُوا يَنْبَسِطُونَ لِلْخَاصَّةِ وَكَثِيرٍ مِنَ الْعَامَّةِ ،
وَيُظْهِرُونَ مَدَارَةَ الْجُنْدِ وَعَوَامَّ الْبِلَادِ ، وَكَانَ أَكْثَرُهُمْ يُحَاضِرُ

(١) هو الأديب أبو يزيد عبد الرحمن بن مقانا الأندلسي الأشبوني

الْعُلَمَاءُ وَالْأَدَبَاءُ ، وَيُحِبُّ أَنْ يُشْهَرَ عَنْهُ ذَلِكَ عِنْدَ مِبَادِيهِ
فِي الرِّيَاسَةِ .



قيام دولة ابن هود ومُذْ وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ بِالْأَنْدَلُسِ اعْتَادَ أَهْلُ الْمَمَالِكِ
الْمُتَفَرِّقَةِ الْإِسْتِبدَادَ عَنْ إِمَامِ الْجَمَاعَةِ ، وَصَارَ فِي
كُلِّ جِهَةٍ مَمْلَكَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ ، يَتَوَارَثُ أَعْيَانُهَا الرِّيَاسَةَ كَمَا
يَتَوَارَثُ مُلُوكُهَا الْمُلْكَ ، وَمَرُّنُوا عَلَى ذَلِكَ فَصَعِبَ ضَبْطُهُمْ
إِلَى نِظَامٍ وَاحِدٍ ، وَتَمَكَّنَ الْعَدُوُّ مِنْهُمْ بِالتَّفَرُّقِ ،
وَعَدَاوَةِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ بِقُبْحِ الْمُنَافَسَةِ وَالطَّمَعِ ، إِلَى أَنْ
انْقَادُوا إِلَى عَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَبَنِيهِ ، وَتِلْكَ الْقَوَاعِدُ فِي رُؤُسِهِمْ
كَامِنَةٌ ، وَالثَّوَارُ فِي الْمَعَالِلِ تَشُورُ وَتَرُومُ الْكِرَّةَ ، إِلَى
أَنْ تَارَ ابْنُ هُودٍ وَتَلَقَّبَ بِالْمَتَوَكِّلِ ، وَوَجَدَ الْقُلُوبَ
مُنْحَرِفَةً عَنْ دَوْلَةِ بَرِّ الْعُدْوَةِ ، مُهَيَّاتَةً لِلْإِسْتِبدَادِ ، فَمَلَكَهَا
بِأَيْسَرِ مُحَاوَلَةٍ ، مَعَ الْجَهْلِ الْمُفْرِطِ وَضَعْفِ الرَّأْيِ ، وَكَانَ
مَعَ الْعَامَّةِ كَأَنَّهُ صَاحِبُ شَعْوَدَةٍ^(١) ، يَمِشِي فِي الْأَسْوَاقِ

(١) الشعوذة والشعوذة: ضرب من السحروان لم يكن هو، وتصوره الباطل
في صورة الحق

وَيَضْحَكُ فِي وُجُوهِهِمْ وَيُبَاذِرُهُمْ بِالسُّؤَالِ ، وَجَاءَ لِلنَّاسِ مِنْهُ مَا لَمْ يَتَّكِدُوهُ مِنْ سُلْطَانٍ ، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ سُفَهَاءَ النَّاسِ وَعَامَّةَهُمُ الْعَمِيَاءَ ، وَكَانَ كَمَا قِيلَ :
أُمُورٌ يَضْحَكُ السُّفَهَاءُ مِنْهَا وَيَبْكِي مِنْ عَوَاقِبِهَا الْحَلِيمُ
فَالَّذِي قَالَ ذَلِكَ إِلَى تَلَفِ الْقَوَاعِدِ الْعَظِيمَةِ ، وَتَمَلُّكِ الْأَمْصَارِ الْجَلِيلَةِ ، وَخُرُوجِهَا مِنْ يَدِ الْإِسْلَامِ .

وَالضَّابِطُ فِيمَا يُقَالُ فِي شَأْنِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ فِي السُّلْطَانِ ، أَنَّهُمْ إِذَا وَجَدُوا فَارِسًا يَبْرَعُ^(١) الْفُرْسَانَ ، أَوْ جَوَادًا يَبْرَعُ الْأَجَوَادَ ، تَهَاوَنُوا فِي نُصْرَتِهِ وَنَصَبُوهُ مَلِكًا مِنْ غَيْرِ تَدْيِيرٍ فِي عَاقِبَةِ الْأَمْرِ إِلَّا مَن يَتَوَلَّى ؟ ، وَبَعْدَ أَنْ يَكُونَ الْمَلِكُ فِي مَمْلَكَةٍ قَدْ تَوُورِثَتْ وَتُدَوِّلَتْ ، وَيَكُونُ فِي تِلْكَ الْمَمْلَكَةِ قَائِدٌ مِنْ قَوَادِمِهَا قَدْ شَهِرَتْ عَنْهُ وَقَائِعُ فِي الْعَدُوِّ ، وَظَهَرَ مِنْهُ كَرَمٌ تَقْسٍ لِلْأَجْنَادِ وَمُرَاعَاةٌ ، قَدَّمُوهُ مَلِكًا فِي حِصْنٍ مِنَ الْخُصُونِ ، وَرَفَضُوا عِيَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ - إِنْ كَانَ لَهُمْ ذَلِكَ - بِكَرْسِيِّ

(١) أى يفوقهم ويغلبهم ، يقال برعه وفرعه اذا علاه وفاقه

الْمَلِكِ ، وَلَمْ يَزَالُوا فِي جِهَادٍ وَإِتْلَافٍ أَنْفُسٍ حَتَّى يَظْفَرَ
صَاحِبُهُمْ بِطَبْعَتِهِ . وَأَهْلُ الْمَشْرِقِ أَصُوبُ رَأْيًا مِنْهُمْ فِي
مُرَاعَاةِ نِظَامِ الْمَلِكِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى نِصَابِهِ ، لِثَلَا يَدْخُلَ
اَلْخُلُلُ الَّذِي يَقْضَى بِاخْتِلَالِ الْقَوَاعِدِ ، وَفَسَادِ التَّرْبِيَةِ ، وَحَلِّ
الْأَوْضَاعِ .

دولة ابن الأحمر وَنَحْنُ مُثَلُّ فِي ذَلِكَ بِمَا شَاهَدْنَاهُ . لَمَّا كَانَتْ
هَذِهِ الْفِتْنَةُ الْأَخِيرَةُ بِالْأَنْدَلُسِ تَخَفَّضَتْ عَنْ رَجُلٍ مِنْ
حِصْنٍ يُقَالُ لَهُ أَرْجُونَةُ^(١) ، وَيُعْرَفُ الرَّجُلُ بِابْنِ الْأَحْمَرِ ، كَانَ
يُكَبِّرُ مُنَاوَرَةَ^(٢) الْعَدُوِّ مِنْ حِصْنِهِ ، وَظَهَرَتْ لَهُ تَحَايِلُ
وَشَوَاهِدُ عَلَى الشَّجَاعَةِ ، إِلَى أَنْ طَارَ أَمْرُهُ فِي الْأَنْدَلُسِ ،
وَأَلَّ ذَلِكَ إِلَى أَنْ قَدَّمَهُ أَهْلُ حِصْنِهِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، ثُمَّ نَهَضَ
فَمَلَكَ قُرْبُطَةَ الْعُظْمَى ، وَمَلَكَ إِشْبِيلِيَةَ ، وَقَتَلَ مَلِكَهَا
الْبَاجِيَّ ، وَمَلَكَ جِيَّانَ أَحْصَنَ بَلَدٍ بِالْأَنْدَلُسِ وَأَجَلَّهُ قَدْرًا
فِي الْأَمْتِنَاعِ ، وَمَلَكَ غَرْنَاطَةَ وَمَالْقَةَ ، وَسَمَّوَهُ بِأَمِيرِ

(١) أَرْجُونَةُ : بَلَدٌ مِنْ نَاحِيَةِ جِيَّانَ (٢) أَى الْإِغَارَةِ ، وَفِي حَدِيثِ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ

« كُنْتُ أَغَاوِرُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَةِ » أَى أَغِيرُ عَلَيْهِمْ وَيَغِيرُونَ عَلَى

الْمُسْلِمِينَ، فَهَوَّالَانَ الْمَشَارُ إِلَيْهِ بِالْأَنْدَلُسِ وَالْمُعْتَمِدُ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا قَاعِدَةُ الْوِزَارَةِ بِالْأَنْدَلُسِ فَإِنَّهَا كَانَتْ فِي مُدَّةِ الْوِزَارَةِ بِالْأَنْدَلُسِ
بَنِي أُمَيَّةٍ مُشْتَرَكَةً فِي جَمَاعَةٍ يُعِينُهُمْ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ لِلْإِعَانَةِ
وَالْمَشَاوَرَةِ، وَيُخْصُّهُمْ بِالْمَجَالَسَةِ، وَيَخْتَارُ مِنْهُمْ شَخْصًا
لِمَكَانِ النَّائِبِ الْمَعْرُوفِ بِالْوَزِيرِ فَيُسَمِّيهِ بِالْحَاجِبِ،
وَكَانَتْ هَذِهِ الْمَرَاتِبُ لِيَضْبِطَهَا عَنْدهُمْ كَالْمُتَوَارَثَةِ فِي
الْبُيُوتِ الْمَعْلُومَةِ لِدَلَالَةِ، إِلَى أَنْ كَانَتْ مُلُوكُ الطَّوَائِفِ،
فَكَانَ الْمَلِكُ مِنْهُمْ لِعَظَمِ اسْمِ الْحَاجِبِ فِي الدَّوْلَةِ الْمَرْوَانِيَّةِ
وَأَنَّهُ كَانَ نَائِبًا عَنْ خَلِيفَتِهِمْ يُسَمَّى بِالْحَاجِبِ، وَيَرَى أَنَّ
هَذِهِ السَّمَةَ أَعْظَمُ مَا تُنْفِسُ فِيهِ وَطْفَرُ بِهِ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ
فِي أَمْدَاحِ شُعْرَائِهِمْ وَتَوَارِيخِهِمْ، وَصَارَ اسْمُ الْوِزَارَةِ عَامًّا
لِكُلِّ مَنْ يُجَالِسُ الْمُلُوكَ وَيَخْتَصُّ بِهِمْ، وَصَارَ الْوَزِيرُ الَّذِي
يَتَوَبُّ عَنِ الْمَلِكِ يُعْرَفُ بِذِي الْوِزَارَتَيْنِ، وَأَكْثَرُ
مَا يَكُونُ فَاصِلًا فِي عِلْمِ الْأَدَبِ، وَقَدْ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ
بَلْ عَالِمًا بِأُمُورِ الْمَلِكِ خَاصَّةً.



الكتابة بالأندلس وَأَمَّا الْكِتَابَةُ فَهِيَ عَلَى صَرَيْنٍ : أَغْلَاهُمَا كَاتِبُ
الرَّسَائِلِ ، وَلَهُ حَظٌّ فِي الْقُلُوبِ وَالْعُيُونِ عِنْدَ أَهْلِ
الْأَنْدَلُسِ ، وَأَشْرَفُ أَسْمَائِهِ الْكَاتِبُ ، وَهَذِهِ السَّيِّمَةُ ^(١)
يُحْصِيهِ مَنْ يُعْظِمُهُ فِي رِسَالَةٍ . وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ
كَثِيرُو الْإِتِّقَادِ عَلَى صَاحِبِ هَذِهِ السَّيِّمَةِ ، لَا يَكَادُونَ
يَفْقُلُونَ عَنْ عَثَرَاتِهِ لَحْظَةً ، فَإِنْ كَانَ نَاقِصًا عَنْ دَرَجَاتِ
الْكَمَالِ لَمْ يَنْفَعَهُ جَاهُهُ وَلَا مَكَانُهُ مِنْ سُلْطَانِهِ مِنْ
تَسَلُّطِ الْأَلْسُنِ فِي الْمَحَافِلِ ، وَالطَّعْنِ عَلَيْهِ وَعَلَى صَاحِبِهِ .
وَالْكَاتِبُ الْآخَرُ كَاتِبُ الزُّمَامِ ، هَكَذَا يُعَرِّفُونَ
كَاتِبَ الْجَهْدَةِ ^(٢) ، وَلَا يَكُونُ بِالْأَنْدَلُسِ وَبَرَّ الْعُدْوَةِ
لَا نَصْرَانِيًّا وَلَا يَهُودِيًّا أَلْبَتَّةَ ، إِذْ هَذَا الشُّغْلُ نَبِيهٌ ، يَحْتَاجُ
إِلَى صَاحِبِهِ عُظْمَاءِ النَّاسِ وَوُجُوهُهُمْ



صاحب الاشغال والخراجية في الأندلس أعظم من الوزير، صاحب الاشغال والخراجية

(١) السمة : العلامة والصفة (٢) الجهد : النقاد الخير بغوامض الأمور ،

البارع العارف بطرق النقد . وهو لفظ معرب

وَأَكْثَرُ أَتْبَاعًا وَأَمْحَابًا، وَأَجْدَى مَنَفَعَةً، فَإِلَيْهِ تَمِيلُ الْأَعْنَاقُ،
وَتَحْوُهُ مُتَمَذِّدًا لَا كُفْ، وَالْأَعْمَالُ مَضْبُوتَةٌ بِالشُّهُودِ وَالنُّظَارِ،
وَمَعَ هَذَا إِنْ تَأَثَّلْتَ ^(١) حَالَتُهُ، وَأَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ الْبِنَاءِ
وَالْاِكْتِسَابِ، نُكِبَ وَصُودِرَ، وَهَذَا رَاجِعٌ إِلَى
تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ وَكَيْفِيَّةِ السُّلْطَانِ .

وَأَمَّا خُطَّةُ الْقَضَاءِ بِالْأَنْدَلُسِ فَهِيَ أَعْظَمُ الْخُطَطِ الْقَضَاءِ بِالْأَنْدَلُسِ
عِنْدَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ، لِتَعَلُّقِهَا بِأُمُورِ الدِّينِ، وَكَوْنِ السُّلْطَانِ
لَوْ تَوَجَّهَ عَلَيْهِ حُكْمُ حَضَرَ بَيْنَ يَدَيِ الْقَاضِي . هَذَا
وَصَفُهَا فِي زَمَانِ بَنِي أُمَيَّةٍ وَمَنْ مَلَكَ مَسَلَكَهُمْ، وَلَا
سَبِيلَ أَنْ يَنْسِمَ بِهَذِهِ السَّعَةِ إِلَّا مَنْ هُوَ وَالٍ لِلْحُكْمِ
الشَّرْعِيِّ فِي مَدِينَةٍ جَلِيلَةٍ، وَإِنْ كَانَتْ صَغِيرَةً فَلَا يُطْلَقُ
عَلَى حَاكِمِهَا إِلَّا مُسَدَّدٌ خَاصَّةً، وَقَاضِي الْقَضَاءِ يُقَالُ لَهُ
قَاضِي الْقَضَاءِ وَقَاضِي الْجَمَاعَةِ .

وَأَمَّا خُطَّةُ الشُّرْطَةِ بِالْأَنْدَلُسِ فَإِنَّهَا مَضْبُوتَةٌ بِالْمِرْطَةِ بِالْأَنْدَلُسِ

(١) أى ترى وكانت له مكانة

إِلَى الْآنَ ، مَعْرُوفَةٌ بِهَذِهِ السَّمَةِ ، وَتُعْرَفُ صَاحِبُهَا
فِي أُلْسِنِ الْعَامَّةِ بِصَاحِبِ الْمَدِينَةِ وَصَاحِبِ اللَّيْلِ ، وَإِذَا
كَانَ عَظِيمَ الْقَدْرِ عِنْدَ السُّلْطَانِ كَانَ لَهُ الْقَتْلُ
لِمَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ دُونَ أَسْتِثْنَانِ السُّلْطَانِ ، وَذَلِكَ قَلِيلٌ ،
وَلَا يَكُونُ إِلَّا فِي حَضْرَةِ السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ ، وَهُوَ الَّذِي
يَحْدُثُ عَلَى الزُّنَا وَشُرْبِ الْخَمْرِ ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ
رَاجِعٌ إِلَيْهِ ، قَدْ صَارَتْ تِلْكَ عَادَةً تَقَرَّرَ عَلَيْهَا رِضَا
الْقَاضِي ، وَكَانَتْ خُطَّةُ الْقَاضِي أَوْفَرَ وَأَتَقَى عِنْدَهُمْ مِنْ
ذَلِكَ .

وَأَمَّا خُطَّةُ الْإِحْتِسَابِ فَإِنَّهَا عِنْدَهُمْ مَوْضُوعَةٌ فِي
أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفُطُنِ ، وَكَانَ صَاحِبُهَا قَاضِيًا ، وَالْعَادَةُ فِيهِ
أَنْ يَمْشِيَ بِنَفْسِهِ رَاكِبًا عَلَى الْأَسْوَاقِ ، وَأَعْوَانُهُ مَعَهُ ،
وَمِيزَانُهُ الَّذِي يَزِنُ بِهِ الْخُبْزَ فِي يَدِ أَحَدِ الْأَعْوَانِ ، لِأَنَّ
الْخُبْزَ عِنْدَهُمْ مَعْلُومُ الْأَوْزَانِ ، لِلرُّبْعِ مِنَ الدَّرْهِمِ رَغِيفٌ
عَلَى وَزْنِ مَعْلُومٍ ، وَكَذَلِكَ لِلثُّمَنِ ، وَفِي ذَلِكَ مِنَ الْمَصْلَحَةِ

الاحتساب
بالأندلس

أَنْ يُرْسَلَ الْمُتَبَاعُ الصَّبِيُّ الصَّغِيرَ أَوْ الْجَارِيَةَ الرَّعْنَاءَ^(١) ،
فَيَسْتَوِيَانِ فِيمَا يَأْتِيَانِ بِهِ مِنَ الشُّوقِ مَعَ الْحَاقِذِ فِي مَعْرِفَةِ
الْأَوْزَانِ ، وَكَذَلِكَ اللَّحْمُ تَكُونُ عَلَيْهِ وَرَقَةٌ بِسَعْرِهِ ،
وَلَا يَحْسُرُ الْجَزَارُ أَنْ يَبِيعَ بِأَكْثَرِ أَوْ دُونَ مَا حَدَّ لَهُ
الْمُحْتَسِبُ فِي الْوَرَقَةِ ، وَلَا يَكَادُ تَخْفَى خِيَاتَتُهُ ، فَإِنْ
الْمُحْتَسِبُ يَدُسُّ عَلَيْهِ صَبِيًّا أَوْ جَارِيَةً يَتَبَاعُ أَحَدُهُمَا مِنْهُ ،
ثُمَّ يَخْتَبِرُ الْوِزْنَ الْمُحْتَسِبُ ، فَإِنْ وَجَدَ تَقْصَافًا عَلَى ذَلِكَ
حَالَهُ مَعَ النَّاسِ ، فَلَا تَسْأَلُ عَمَّا يَلْقَى ، وَإِنْ كَثُرَ ذَلِكَ
مِنْهُ ، وَلَمْ يَتُبْ بَعْدَ الضَّرْبِ وَالتَّجْرِيسِ^(٢) فِي الْأَسْوَاقِ ،
نُفِيَ مِنَ الْبَلَدِ ، وَلَهُمْ فِي أَوْضَاعِ الْإِحْتِسَابِ قَوَائِنُ
يَتَدَاوُلُونَهَا وَيَتَدَارَسُونَهَا كَمَا تُتَدَارَسُ أَحْكَامُ الْفِقْهِ ، لِأَنَّهَا
عِنْدَهُمْ تَدْخُلُ فِي جَمِيعِ الْمُتَبَاعَاتِ ، وَتَفَرَّغُ إِلَى مَا يَطُولُ
ذِكْرُهُ .

(١) الرعونة : الحفة والطيش والجهل والحق ، والأرعن : اللاهوج في منطقة
المسترخى (٢) أى الفضيحة والتشهير والتسميع به والتنديد ، والاسم الجرسة .
وهو مأخوذ من الجرس ، كما علق في عنقه جرس يصوت لسمع الناس
خبروه فيكون ذلك أشق عليه وأجلب لفضيحته وأشهر



الدرايون
بالأندلس

وَأَمَّا خُطَّةُ الطَّوَافِ بِاللَّيْلِ وَمَا يُقَابِلُ مِنَ الْمَغْرِبِ
أَصْحَابِ أَرْبَاعٍ فِي الْمَشْرِقِ، فَإِنَّهُمْ يُعْرِفُونَ فِي الْأَنْدَلُسِ بِالْأَنْدَلِ بْنِ،
لِأَنَّ بِلَادَ الْأَنْدَلُسِ لَهَا دُرُوبٌ بِأَغْلَاقٍ تُغْلَقُ بَعْدَ الْعَتَمَةِ، وَلِكُلِّ
زُقَاقٍ بَائِتٌ فِيهِ، لَهُ سِرَاجٌ مُعَلَّقٌ، وَكَلْبٌ يَسْهَرُ، وَسِلَاحٌ مُعَدٌّ،
وَذَلِكَ لِشَطَارَةِ عَامَّتِهَا، وَكَثْرَةِ شَرِّهِمْ، وَإِغْيَاسِهِمْ فِي أُمُورِ
الْتَّلَصُّصِ، إِلَى أَنْ يَظْهَرُوا^(١) عَلَى الْمَبَانِي الْمُسَيَّدَةِ، وَيَفْتَحُوا
الْأَغْلَاقَ الصَّعْبَةَ، وَيَقْتُلُوا صَاحِبَ الدَّارِ خَوْفَ أَنْ يُقَرَّ
عَلَيْهِمْ أَوْ يُطَالِبَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ، وَلَا تَكَادُ فِي الْأَنْدَلُسِ
تَخْلُو مِنْ سَمَاعِ « دَارُ فُلَانٍ دُخِلَتْ الْبَارِحَةَ، وَفُلَانٌ ذَبَحَهُ
الْخُصُوفُ عَلَى فِرَاسِهِ » وَهَذَا يَرْجِعُ التَّكْثِيرُ مِنْهُ
وَالْتَقْلِيلُ إِلَى شِدَّةِ الْوَالِي وَلَيْلِهِ، وَمَعَ إِفْرَاطِهِ فِي الشَّدَّةِ،
وَكَوْنِ سَيْفِهِ يَقْطُرُ دَمًا فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يُعْدَمُ، وَقَدْ آلَ

(١) يتسوروا، والشاطر من أعياء أهله ومؤدبه خبثا ومكرا . وهو مأخوذ
من شطر عنهم اذا نزع وتركهم مراغما أو مخالفا ، أو سمى شاطرا
لأنه آخذ في نحو غير الاستواء متباعدا عنه ، أولانه يشطر الجيوب ،
وقيل هو بهذا المعنى مولد

أَحَالُ عِنْدَهُمْ إِلَى أَنْ قَتَلُوا عَلَى عُقُودٍ سَرَقَهُ شَخْصٌ مِنْ
كَرَمٍ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ وَلَمْ يَنْتَهِ اللُّصُوصُ .

طريقة الدين
بالأندلس

وَأَمَّا قَوَاعِدُ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ فِي دِيَارَتِهِمْ فَإِنَّهَا تَخْتَلِفُ بِمَحَسَبِ
الْأَوَاقَاتِ وَالنَّظَرِ إِلَى السُّلَاطِينِ ، وَلَكِنَّ الْأَغْلَبَ عِنْدَهُمْ
إِقَامَةُ الْحُدُودِ ، وَإِنْكَارُ التَّهَاوُنِ بِتَعْطِيلِهَا ، وَقِيَامُ الْعَامَّةِ فِي
ذَلِكَ وَإِنْكَارُهُ إِنْ تَهَاوَنَ فِيهِ أَصْحَابُ السُّلْطَانِ ، وَقَدْ يَلِجُ
السُّلْطَانُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَلَا يُنْكِرُهُ ، فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِ
قَصْرُهُ الْمَشِيدَ ، وَلَا يَمْبَأُونَ بِخَيْلِهِ ^(١) وَرَجُلِهِ ، حَتَّى يُخْرِجُوهُ
مِنْ بَلَدِهِمْ ، وَهَذَا كَثِيرٌ فِي أَخْبَارِهِمْ . وَأَمَّا الرَّجْمُ بِالْحَجَرِ
لِلْقُضَاةِ وَالْوُلَاةِ لِلْأَعْمَالِ إِذَا لَمْ يَمْدُلُوا فَكُلَّ يَوْمٍ .
وَأَمَّا طَرِيقَةُ الْفُقَرَاءِ عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الشَّرْقِ فِي الدَّوْرَةِ
الَّتِي تُكْسِلُ عَنِ الْكَدِّ ، وَتُخْرِجُ الْوُجُوهَ لِلطَّلَبِ فِي
الْأَسْوَاقِ ؛ فَمُسْتَقْبَحَةٌ عِنْدَهُمْ إِلَى النِّهَايَةِ ، فَإِذَا رَأَوْا شَخْصًا

(١) أى بقوته وأعوانه . وقوله تعالى : وأجلب عليهم بخيلك ورجلك ،

أى بفرسانك ورجالك

صَحِيحًا قَادِرًا عَلَى الْخِدْمَةِ يَطْلُبُ سَبْوَهُ وَأَهَانُوهُ ، فَضْلًا عَنْ
أَنْ يَتَّصِدُّوا عَلَيْهِ ، فَلَا تَجِدُ بِالْأَنْدَلُسِ سَائِلًا إِلَّا أَنْ
يَكُونَ صَاحِبَ عُذْرٍ .

، اللطافة بالأندلس وأما حال أهل الأنْدَلُسِ في فنون العلوم
فَتَحْقِيقُ الْإِنْصَافِ فِي شَأْنِهِمْ فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّهُمْ
أَخْرَصُ النَّاسِ عَلَى التَّمْيِيزِ ، فَالْجَاهِلُ الَّذِي لَمْ يُوقِّعْهُ اللَّهُ
لِلْعِلْمِ يَجْهَدُ أَنْ يَتَمَيَّزَ بِصَنْعَةٍ ، وَيَرَبُّأُ بِنَفْسِهِ أَنْ يُرَى
فَارِعًا عَالَةً عَلَى النَّاسِ ، لِأَنَّ هَذَا عِنْدَهُمْ فِي نِهَايَةِ
الْقُبْحِ ، وَالْعَالِمُ عِنْدَهُمْ مُعْظَمٌ مِنَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ ،
يُشَارُ إِلَيْهِ وَيُحَالُ عَلَيْهِ ، وَيَنْبَغِي قَدْرُهُ وَذِكْرُهُ عِنْدَ
النَّاسِ ، وَيُكْرَمُ فِي جَوَارِ أَوْ ابْتِيَاعِ حَاجَةٍ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ،
وَمَعَ هَذَا فَلَيْسَ لِأَهْلِ الْأَنْدَلُسِ مَدَارِسُ تُعِينُهُمْ عَلَى طَلَبِ
الْعِلْمِ ، بَلْ يَقْرَأُونَ جَمِيعَ الْعُلُومِ فِي الْمَسَاجِدِ بِأَجْرَةٍ ، فَهُمْ

يَقْرَأُونَ لِأَنَّهُ يُعَلِّمُوا لَا لِأَنَّهُ يَأْخُذُوا جَارِيًا^(١) ، فَالْعَالِمُ مِنْهُمْ
بَارِعٌ لِأَنَّهُ يَطْلُبُ ذَلِكَ الْعِلْمَ يَبَاعِثُ مِنْ نَفْسِهِ يَحْمِلُهُ عَلَى أَنْ
يَتْرَكَ الشُّغْلَ الَّذِي يَسْتَفِيدُ مِنْهُ وَيُنْفِقَ مِنْ عِنْدِهِ حَتَّى يَعْلَمَ ،
وَكُلُّ الْمُلُومِ لَهَا عِنْدَهُمْ حَظٌّ وَأَعْتَابٌ ، إِلَّا الْفَلَسَفَةَ وَالتَّنَجِيمَ
فَإِنَّ لَهُمَا حَظًّا عَظِيمًا عِنْدَ خَوَاصِّهِمْ ، وَلَا يَتَظَاهَرُ بِهَا خَوْفُ
الْعَامَّةِ ، فَإِنَّهُ كَمَا قِيلَ فُلَانٌ يَقْرَأُ الْفَلَسَفَةَ أَوْ يَشْتَغِلُ
بِالتَّنَجِيمِ أَطْلَقَتْ عَلَيْهِ الْعَامَّةُ اسْمَ زَنْدِيقٍ ، وَقِيدَتْ عَلَيْهِ
أَنْفَاسُهُ ، فَإِنْ زَلَّ فِي شُبْهَةِ رَجْمٍ أَوْ بِالحِجَارَةِ أَوْ حَرَقُوهُ قَبْلَ
أَنْ يَصِلَ أَمْرُهُ لِلسُّلْطَانِ ، أَوْ يَقْتُلُهُ السُّلْطَانُ تَقَرُّبًا لِقُلُوبِ
الْعَامَّةِ ، وَكَثِيرًا مَا يَأْمُرُ مُلُوكُهُمْ بِإِحْرَاقِ كُتُبِ هَذَا
الشَّانِ إِذَا وُجِدَتْ ، وَبِذَلِكَ تَقَرَّبَ الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ
لِقُلُوبِهِمْ أَوَّلَ نُهُوضِهِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ خَالٍ مِنَ الْإِشْتِغَالِ
بِذَلِكَ فِي الْبَاطِنِ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْحَجَّارِيُّ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) أى مرتباً ووظيفة ، والجارية النعمة من الله تعالى على عباده ، الجارية
الجارية من الوظائف ، وجرى له الشئ دام ، وصدة جارية : دارة متصلة ،
وأجرى عليه كذا : أدامه له

* *

القرآن والمعلوم
العرعية بالأندلس

وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ بِالسَّبْعِ ، وَرِوَايَةُ الْحَدِيثِ عِنْدَهُمْ رَفِيعَةٌ ،
وَالْفِقْهُ رَوْنَقٌ وَوَجَاهَةٌ ، وَلَا مَذْهَبَ لَهُمْ إِلَّا مَذْهَبَ مَالِكٍ ،
وَخَوَاصُّهُمْ يَحْفَظُونَ مِنْ سَائِرِ الْمَذَاهِبِ مَا يُبَاحِثُونَ بِهِ
بِمَحَاضِرِ مُلُوكِهِمْ ذَوِي الْهِمَمِ فِي الْمُلُومِ ، وَسِمَةُ الْفَقِيهِ
عِنْدَهُمْ جَلِيلَةٌ ، حَتَّى إِنَّ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا يُسَمُّونَ الْأَمِيرَ
الْعَظِيمَ مِنْهُمْ الَّذِي يُرِيدُونَ تَنْوِيهَهُ بِالْفَقِيهِ ، وَهِيَ الْآنَ
بِالْمَغْرِبِ بِمَنْزِلَةِ الْقَاضِي بِالْمَشْرِقِ ، وَقَدْ يَقُولُونَ لِلْكَاتِبِ
وَالنَّحْوِيِّ وَاللُّغَوِيِّ فَقِيهٌ ، لِأَنَّهَا عِنْدَهُمْ أَرْفَعُ السَّمَاتِ .
وَعِلْمُ الْأُصُولِ عِنْدَهُمْ مُتَوَسِّطُ الْحَالِ . وَالنَّحْوُ عِنْدَهُمْ فِي
نَهَايَةِ مِنْ عُلُوِّ الطَّبَقَةِ ، حَتَّى إِنَّهُمْ فِي هَذَا الْعَصْرِ فِيهِ كَاضْحَابِ
عَصْرِ الْأَخْلِيلِ وَسَيَبُونِهِ ، لَا يَزْدَادُ مَعَ هَرَمِ الزَّمَانِ إِلَّا جِدَّةً
وَهُمْ كَثِيرُو الْبَحْثِ فِيهِ ، وَحِفْظُ مَذَاهِبِهِ كَمَذَاهِبِ الْفِقْهِ ،
وَكُلُّ عَالِمٍ فِي أَىِّ عِلْمٍ لَا يَكُونُ مُتَمَكِّنًا مِنْ عِلْمِ النَّحْوِ
بِحَيْثُ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ الدَّقَائِقُ فَلَيْسَ عِنْدَهُمْ بِمُسْتَحَقٍّ

لِلتَّمْيِيزِ، وَلَا سَالِمٍ مِنَ الْإِزْدِرَاءِ، مَعَ أَنَّ كَلَامَ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ
 أَشْتَاعَ فِي الْخَوَاصِّ وَالْعَوَامِّ كَثِيرُ الْإِنْحِرَافِ عَمَّا تَقْتَضِيهِ
 أَوْضَاعُ الْعَرَبِيَّةِ، حَتَّى لَوْ أَنَّ شَخْصًا مِنَ الْعَرَبِ سَمِعَ كَلَامَ
 الْأَنْدَلُسِيِّينَ^(١) أَبَى عَلَى الْمُشَارِ إِلَيْهِ بِعِلْمِ النَّحْوِ فِي عَصْرِنَا
 الَّذِي غَرَبَتْ تَصَانِيفُهُ وَشَرَقَتْ وَهُوَ يُقْرَأُ دَرَسَةً لَضَحِكٍ
 بَلَاءٍ فِيهِ مِنْ شِدَّةِ التَّخْرِيفِ الَّذِي فِي لِسَانِهِ، وَالْخَاصُّ
 مِنْهُمْ إِذَا تَكَلَّمَ بِالْأَعْرَابِ وَأَخَذَ يَجْرِي عَلَى قَوَائِنِ النَّحْوِ
 اسْتَقْلَوْهُ وَاسْتَبْرَدُوهُ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ مُرَاعَى عِنْدَهُمْ فِي
 الْقِرَاءَاتِ وَالْمُخَاطَبَاتِ فِي الرِّسَائِلِ. وَعِلْمُ الْأَدَبِ الْمَشْهُورِ^(٢)
 مِنْ حِفْظِ التَّأْرِيخِ وَالنَّظْمِ وَالتَّنْثِيرِ وَمُسْتَطَرَفَاتِ الْحِكَايَاتِ
 أَنْبَلُ عِلْمٍ عِنْدَهُمْ، وَبِهِ يُتَقَرَّبُ مِنْ مَجَالِسِ مُلُوكِهِمْ
 وَأَعْلَامِهِمْ، وَمَنْ لَا يَكُونُ فِيهِ أَدَبٌ مِنْ عُلَمَائِهِمْ فَهُوَ غُفْلٌ^(٣)

(١) هو الامام عمر بن محمد بن عبد الله الأزدى، كان نابغة في النحو وخيرا ابداعه
 - ولد باشبيلية سنة ٥٦٢ هـ وتوفي بها سنة ٦٤٥ هـ . وهناك آخر يعرف
 بالشلوبين الصغير، وهو محمد بن علي بن محمد بن ابراهيم الانصارى المالقي .
 توفي سنة ٦٦٠ هـ (٢) قد تكون محرفة عن والمأثور (٣) أى مهمل
 لاقيمته، والتفعل من لا يرجى خيره ولا يخشى شره فهو كالمفيد الذى أغفل،
 والتفعل من الرجال من لا حسب له، ومن لم يجرب الامور

مُسْتَقْلٍ. وَالشَّعْرُ عِنْدَهُمْ لَهُ حَظٌّ عَظِيمٌ ، وَلِلشُّعْرَاءِ
مِنْ مُلُوكِهِمْ وَجَاهَةٌ ، وَلَهُمْ عَلَيْهِمْ حَظٌّ وَوَظَائِفٌ^(١) ،
وَالْمُجِيدُونَ مِنْهُمْ يُشِيدُونَ فِي مَجَالِسِ عُظَمَاءِ مُلُوكِهِمْ
الْمُخْتَلَفَةِ ، وَيُوقَعُ لَهُمْ بِالصَّلَاتِ عَلَى أَقْدَارِهِمْ ، إِلَّا
أَنْ يَخْتَلَّ الْوَقْتُ وَيَغْلِبَ الْجَهْلُ فِي حِينٍ مَا ، وَلَكِنَّ
هَذَا الْغَالِبُ وَإِذَا كَانَ الشَّخْصُ بِالْأَنْدَلُسِ نَحْوِيًّا أَوْ
شَاعِرًا فَإِنَّهُ يَعْظُمُ فِي نَفْسِهِ لَا مَحَالَةَ ، وَيَسْخَفُ وَيُظْهِرُ
الْعُجْبَ ، عَادَةً قَدْ جُبِلُوا عَلَيْهَا .

زِيَاهُ الْأَنْدَلُسِ وَأَمَّا زِيَّ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ ، فَالْغَالِبُ عَلَيْهِمْ تَرْكُ الْعَمَائِمِ
وَلَا سِيَّامًا فِي شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ ، فَإِنَّ أَهْلَ غَرْبِهَا لَا تَكَادُ تَرَى فِيهِمْ
قَاضِيًا وَلَا فَقِيهًا مُشَارًا إِلَيْهِ إِلَّا وَهُوَ بِعِمَامَةٍ ، وَقَدْ تَسَاحَوْا
بِشَرْقِهَا فِي ذَلِكَ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَزِيزَ بْنَ خَطَّابٍ^(٢) أَكْبَرَ
عَالِمِ بَرْصِيَّةَ حَضْرَةَ السُّلْطَانِ فِي ذَلِكَ الْأَوَانِ - وَإِلَيْهِ

(١) الوظيفة: ما يقدر للعامل في زمان معين من مال أو طعام أو رزق ونحوه
(٢) هو أبو بكر عزيز بن عبد الملك بن محمد بن خطاب رئيس مرسية كان
متفنانا في العلوم مع بلاغة في النظم والنثر ، ولما أمر مرسية فلم يحمده فصرف
عنها ، ثم صارت إليه رياستها أخبرا فديرها ودعا لنفسه وقتل في سنة ٦٣٦

الْإِشَارَةُ ، وَقَدْ خُطِبَ لَهُ بِالْمَلِكِ فِي تِلْكَ الْجِهَةِ - وَهُوَ
 حَاسِرُ الرَّأْسِ ، وَشَيْبُهُ قَدْ غَلَبَ عَلَى سَوَادِ شَعْرِهِ .
 وَأَمَّا الْأَجْنَادُ وَسَائِرُ النَّاسِ فَقَلِيلٌ مِنْهُمْ مَنْ تَرَاهُ بَعْمَةً
 فِي شَرْقٍ مِنْهَا أَوْ فِي غَرْبٍ ، وَأَبْنُ هُودٍ الَّذِي مَلَكَ
 الْأَنْدَلُسَ فِي عَصْرِنَا رَأَيْتُهُ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ بِلَادِ
 الْأَنْدَلُسِ وَهُوَ دُونَ عِمَامَةٍ ، وَكَذَلِكَ ابْنُ الْأَحْمَرِ
 الَّذِي مُعْظَمُ الْأَنْدَلُسِ الْآنَ فِي يَدِهِ . وَكَثِيرًا مَا يَتَزَيَّأُ
 سَلَاطِينُهُمْ وَأَجْنَادُهُمْ بِزِيِّ الْأَنْصَارِيِّ الْمُجَاوِرِينَ لَهُمْ ،
 فَسِلَاحُهُمْ كَسِلَاحِهِمْ ، وَأَقْبِيئُهُمْ مِنَ الْإِشْكِرِ لَا طِ^(١)
 وَغَيْرِهِ كَأَقْبِيئِهِمْ . وَكَذَلِكَ أَعْلَامُهُمْ وَسُرُوجُهُمْ ،
 وَمُحَارَبَتُهُمْ بِالرُّمَاحِ الطَّوِيلَةِ لِلطَّعْنِ ، وَلَا يَعْرِفُونَ
 الدَّبَائِيسَ وَلَا قِسِيَّ^(٢) الْعَرَبِ ، بَلْ يُعِدُّونَ قِسِيَّ الْإِفْرَنْجِ
 لِلْمُحَاصِرَاتِ فِي الْبِلَادِ ، أَوْ تَكُونُ لِلرِّجَالَةِ عِنْدَ الْمُصَافَقَةِ^(٣)
 لِلْخَرْبِ ، وَكَثِيرًا مَا تَصْبِرُ أَخْلِيلٌ عَلَيْهِمْ أَوْ تُنْهَلِكُهُمْ لِأَنَّ

(١) نوع من لباس الجند (٢) قسي : جمع قوس (٣) صف الجبلش
 وصافه مصافقة : اذا رتب صفوفه في مقابل صفوف العدو والادغام هنا واجب ،
 ولكنه كثيرا ما يفتك مثله

يُؤَثِّرُوهَا . وَلَا تَجِدُ فِي خَوَاصِّ الْأَنْدَلُسِ وَأَكْثَرِ
عَوَامِّهِمْ مَنْ يَمشي دُونَ طَيْلَسَانٍ^(١) إِلَّا أَنَّهُ لَا يَضَعُهُ عَلَى
رَأْسِهِ مِنْهُمْ إِلَّا الْأَشْيَاحُ الْمُعْظَمُونَ ، وَغَفَائِرُ^(٢) الصُّوفِ
كَثِيرًا مَا يَلْبَسُونَهَا حُمْرًا وَخَضْرَاءَ ، وَالصُّفَرُ مَخْصُوصَةٌ
بِالْيَهُودِ ، وَلَا سَبِيلَ لِيَهُودِيٍّ أَنْ يَتَّعِمَ^(٣) الْبَتَّةَ ، وَالذُّوَابَةُ
لَا يُرْخِيهَا إِلَّا الْعَالِمُ ، وَلَا يَصْرِفُونَهَا بَيْنَ الْأَكْتَفِ ،
وَلَا يَتَمَسَّكُونَ بِهَا مِنْ تَحْتِ الْأُذُنِ الْبُسْرَى . وَهَذِهِ الْأَوَاضَاعُ
الَّتِي بِالْمَشْرِقِ فِي الْعَمَامِّ لَا يَعْرِفُهَا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ ،
وَإِنْ رَأَوْا فِي رَأْسِ مَشْرِقِيٍّ دَاخِلٍ إِلَى بِلَادِهِمْ شَكْلًا
مِنْهَا أَظْهَرُوا التَّعَجُّبَ وَالِاسْتِظْرافَ^(٤) ، وَلَا يَأْخُذُونَ
أَنْفُسَهُمْ بِتَعْلِيمِهَا ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْتَادُوا وَلَمْ يَسْتَحْسِنُوا غَيْرَ

(١) الطيلسان مثلث اللام : كساء مدور أخضر ، لا أسفل له تعريب
تالسان أو تالشان بالفارسية ، ومن المجاز قولهم في الشتم : يابن الطيلسان ،
أى أنه أعجمي لأن العجم هم الذين يتطيلسون (٢) الغفيرة والغفارة :
ما يغطي العنق والقفاء والغفارة تنسج على قدر الرأس تلبس تحت القلنسوة
وتنسج على العنق . وربما جعلت من ديباج أو خز تحت البيضة .
(٣) أى عدوه حسنا ، أو الاستظراف (بالطاء المهملة) وهو وعد الشيء طريقا
غريبا ، واستظرف الشيء : استحدثه

أَوْصَاعِهِمْ ، وَكَذَلِكَ فِي تَفْصِيلِ الثِّيَابِ . وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ
أَشَدُّ خَلْقِ اللَّهِ أَعْتَاءَ بِنَظَافَةٍ مَا يَلْبَسُونَ وَمَا يَهْرُسُونَ
وَعَبِيرِ ذَلِكَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِهِمْ ، وَفِيهِمْ مَنْ لَا يَكُونُ
عِنْدَهُ إِلَّا مَا يَقُوتهُ يَوْمَهُ فَيَطْوِيهِ صَائِماً وَيَتَتَّعُ صَابِئاً
يَعْسِلُ بِهِ ثِيَابَهُ ، وَلَا يَظْهَرُ فِيهَا سَاعَةٌ عَلَى حَالَةٍ تَبْنُو^(١)
الْعَيْنُ عَنْهَا .

وَهُمْ أَهْلُ أُخْتِيَاطٍ وَتَذْيِيرٍ فِي الْمَعَاشِ وَحِفْظٍ لِمَا
تَذْيِيرُ أَهْلِ
الْأَنْدَلُسِ
فِي أَيْدِيهِمْ خَوْفَ ذُلِّ السُّؤَالِ ، فَلِذَلِكَ قَدْ يُنْسَبُونَ
لِلْبُخْلِ ، وَلَهُمْ مَرْوَاتٌ عَلَى عَادَةِ بِلَادِهِمْ لَوْ قَطُنَ لَهَا حَاتِمٌ
لَفَضَّلَ دَفَاقَتَهَا عَلَى عِظَائِمِهِ ، وَلَقَدْ أُجْتَرَتْ مَعَ وَالِدِي عَلَى قَرِيَةٍ
مِنْ قُرَاهَا وَقَدْ نَالَ مِنَ الْبَرْدِ وَالْمَطَرِ أَشَدَّ النَّيْلِ ، فَأَوَيْنَا
إِلَيْهَا - وَكُنَّا عَلَى حَالِ تَرْقُبٍ مِنَ السُّلْطَانِ وَخُلُوفٍ مِنَ الرَّفَاقِيَةِ^(٢) -
فَقَرَلْنَا فِي بَيْتِ شَيْخٍ مِنْ أَهْلِهَا مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ مُتَقَدِّمَةٍ ،
فَقَالَ لَنَا : إِنْ كَانَ عِنْدَكُمْ مَا اشْتَرَى لَكُمْ فَحْماً تَسْخَنُونَ

(١) أى ترد العين عنها ازدراء . ونبت صورته : قبحت فلم تقبلها العين

(٢) الرفاقية : التمددين والرغد والزينة

بِهِ قَائِي أَمْضِي فِي حَوَائِجِكُمْ ، وَأَجْعَلُ عِيَالِي يَقُومُونَ
بِشَأْنِكُمْ ، فَأَعْطَيْنَاهُ مَا اشْتَرَى بِهِ فَحْمًا ، فَأَضْرَمَ نَارًا ، فَجَاءَ
ابْنُ لَهُ صَغِيرٌ لِيَصْطَلِيَ فَضْرَبَهُ ، فَقَالَ لَهُ وَالِدِي : لِمَ ضَرَبْتَهُ ؟
فَقَالَ : يَتَعَلَّمُ اسْتِغْنَامَ أَمْوَالِ النَّاسِ وَالضَّجَرَ لِلْبَرْدِ مِنَ
الصَّغَرِ ، ثُمَّ لَمَّا جَاءَ النَّوْمُ قَالَ لِابْنِهِ : أَعْطِ هَذَا الشَّابَّ
كِسَاءَكَ الْغَلِيظَةَ زِيْدْهَا عَلَى ثِيَابِهِ ، فَدَفَعَ كِسَاءَهُ إِلَى ، ثُمَّ
لَمَّا امْتَنَاعَ الصَّبَاحُ ، وَجَدَتْ الصَّبِيَّ مُنْتَبِهًا وَيَدُهُ فِي الْكِسَاءِ ،
فَقُلْتُ ذَلِكَ لَوَالِدِي ، فَقَالَ : هَذِهِ مَرْوَاتُ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ ،
وَهَذَا اخْتِيَاطُهُمْ ، أَعْطَاكَ الْكِسَاءَ وَفَضَّلَكَ عَلَى نَفْسِهِ ، ثُمَّ
أَفْكَرَ فِي أَنَّكَ غَرِيبٌ لَا يَعْرِفُ هَلْ أَنْتَ ثِقَةٌ أَوْ لَصِ ؟
فَلَمْ يَطِيبْ لَهُ مَنَامٌ حَتَّى يَأْخُذَ كِسَاءَهُ خَوْفًا مِنْ انْفِصَالِكَ^(١)
بِهَا وَهُوَ نَائِمٌ ، وَعَلَى هَذَا الشَّيْءِ الْحَقِيرِ فَقَسَّ الشَّيْءُ الْجَلِيلَ .
انْتَهَى كَلَامُ ابْنِ سَعِيدٍ فِي الْمَغْرِبِ بِاخْتِصَارٍ يَسِيرٍ .

وَلِلَّهِ دَرُهُ فَإِنَّهُ أَبْدَعَ فِي هَذَا الْكِتَابِ مَا شَاءَ ، وَقَسَّمَهُ إِلَى

كتاب المغرب
لابن سعيد

أقسام: منها كتاب وشي الطرس، في حلي جزيرة الأندلس،
وهو ينقسم إلى أربعة كتب: الكتاب الأول كتاب حلي
العرس في حلي غرب الأندلس، الكتاب الثاني كتاب
الشفاه اللعس في حلي موسطة^(١) الأندلس. الكتاب
الثالث كتاب الألس في حلي^(٢) شرق الأندلس. الكتاب
الرابع كتاب لحظات المريب في ذكر ما سماه من
الأندلس عباد الصليب. وألقسم الثاني كتاب الألحان
المسلية في حلي جزيرة صقلية، وهو أيضاً ذو أنواع.
وألقسم الثالث كتاب الغاية الأخيرة في حلي الأرض
الكبيرة، وهو أيضاً ذو أقسام. وصور - رحمه الله تعالى -
أجزاء الأندلس في كتاب وشي الطرس، وقال أيضاً: إن
كلاً من شرق الأندلس وغربها ووسطها يقرب في قدر
المساحة بعضه من بعض، وليس فيها جزء يحاوز طوله
عشرة أيام، ليصدق التثليث في القسمة، وهذا دون ما بقي

(١) يريد الأندلس الوسطى (٢) الحلي (بالفتح) ما بين به ، وكذلك
الحلية وجمعها حلي (بالكسر والضم) والحلية (بالكسر) الحلقة والصورة
والصفة ، وجمعه حلي (بالكسر ويضم)

بِأَيْدِي النَّصَارَى . وَقَدَّمَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - كِتَابَ حِلَى الْعُرْسِ
فِي حِلَى غَرْبِ الْأَنْدَلُسِ ، لِيَكُونَ قُرْطُبَةُ قُطْبَ الْخِلَافَةِ
الْمُرَوَّاتِيَّةِ ، وَإِسْبِيلِيَّةُ الَّتِي مَا فِي الْأَنْدَلُسِ أَجْمَلُ مِنْهَا
فِيهِ ، وَقَسَّمَهُ إِلَى سَبْعَةِ كُتُبٍ ، كُلُّ كِتَابٍ مِنْهَا يَحْتَوِي
عَلَى مَمْلَكَةٍ مُنْحَازَةٍ عَنِ الْأُخْرَى ، الْكِتَابُ الْأَوَّلُ
كِتَابُ الْخُلَّةِ الْمَذْهَبَةِ فِي حِلَى مَمْلَكَةِ قُرْطُبَةَ ، الْكِتَابُ
الثَّانِي كِتَابُ الذَّهَبِيَّةِ الْأَصِيلِيَّةِ فِي حِلَى الْمَمْلَكَةِ
الْإِسْبِيلِيَّةِ ، الْكِتَابُ الثَّلَاثُ كِتَابُ خُدَعِ الْمُمَالِقَةِ فِي
حِلَى مَمْلَكَةِ مَالِقَةَ ، الْكِتَابُ الرَّابِعُ كِتَابُ الْفَرْدَوْسِ
فِي حِلَى مَمْلَكَةِ بَطْلَيْوَسَ ، الْكِتَابُ الْخَامِسُ كِتَابُ
الْخَلْبِ^(١) فِي حِلَى مَمْلَكَةِ شَلْبِ . الْكِتَابُ السَّادِسُ
كِتَابُ الدِّيْبَاجَةِ فِي حِلَى مَمْلَكَةِ بَاجَةَ . الْكِتَابُ السَّابِعُ
كِتَابُ الرِّيَاضِ الْمَصُونَةِ فِي حِلَى مَمْلَكَةِ أَشْبُونَةَ . وَقَدْ
ذَكَرَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي كُلِّ قِسْمٍ مَا يَلِيْقُ بِهِ ، وَصَوَّرَ

(١) الخلب : حجاب القلب ، أو حجاب ما بين القلب والكبد ، ومنه
قيل للرجل الذي يخلب النساء : خلب نساءً يحبهن للهو والحديث ويحببهن
لذلك - ، وكسر شين (شلب) أكثر من فتحها

أَجْزَاءُهُ عَلَى مَا يَنْبَغِي ، فَاللَّهُ يُجَازِيهِ خَيْرًا . وَالْكَلَامُ فِي
الْأَنْدَلُسِ طَوِيلٌ عَرِيضٌ .

الأندلس في نظر
بعض المؤرخين

وَقَالَ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ : طُولُ الْأَنْدَلُسِ ثَلَاثُونَ
يَوْمًا وَعَرْضُهَا تِسْعَةُ أَيَّامٍ ، وَيَشُقُّهَا أَرْبَعُونَ نَهْرًا
كِبَارًا ، وَبِهَا مِنَ الْعُيُونِ وَالْحُمَامَاتِ وَالْمَعَادِنِ مَا لَا
يُحْصَى ، وَبِهَا ثَمَانُونَ مَدِينَةً مِنَ الْقَوَاعِدِ الْكِبَارِ ،
وَأَزِيدُ مِنْ ثَلَاثِينَ مِنَ الْمَوَسَطَةِ ، وَفِيهَا مِنَ الْخُصُونِ
وَالْقُرَى وَالْبُرُوجِ مَا لَا يُحْصَى كَثَرَةً ، حَتَّى قِيلَ : إِنَّ
عَدَدَ الْقُرَى الَّتِي عَلَى نَهْرِ إشبيلية اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ قَرْيَةٍ ،
وَلَيْسَ فِي مَعْمُورِ الْأَرْضِ صُقْعٌ يَجِدُ الْمُسَافِرُ فِيهِ ثَلَاثَ مَدُنٍ
وَأَرْبَعًا مِنْ يَوْمِهِ إِلَّا بِالْأَنْدَلُسِ . وَمِنْ بَرَكَاتِهَا : أَنَّ الْمُسَافِرَ
لَا يُسَافِرُ فِيهَا فَرَسَيْنِ دُونَ مَاءٍ أَصْلًا ، وَحَيْثُمَا سَارَ مِنْ
الْأَقْطَارِ يَجِدُ الْخَوَانِيتَ فِي الْفَلَوَاتِ وَالصَّحَارَى وَالْأَوْدِيَةِ
وَرُؤُوسِ الْجِبَالِ لَبَنَ الْخُبْزِ وَالْفَوَاكِهِ وَالْجُبْنِ وَاللَّحْمِ
وَالْحَوْتِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ ضُرُوبِ الْأَطْعِمَةِ . وَذَكَرَ صَاحِبُ

الْجُزْأَيَا : أَنْ جَزِيرَةَ الْأَنْدَلُسِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا طَوْلًا
فِي ثَمَانِيَةِ عَشَرَ يَوْمًا عَرْضًا ، وَهُوَ مُخَالَفٌ لِمَا سَبَقَ .
وَقَالَ ابْنُ سِيدَه : أَخَذَتِ الْأَنْدَلُسُ فِي عَرْضِ الْإِقْلِيمَيْنِ
الْخَامِسِ وَالسَّادِسِ مِنَ الْبَحْرِ الشَّامِيِّ فِي الْجَنُوبِ إِلَى الْبَحْرِ
الْمُحِيطِ فِي الشَّمَالِ ، وَبِهَا مِنْ الْجِبَالِ سَبْعَةٌ وَتَمَانُونَ جَبَلًا
أَنْتَهَى . وَلِبَعْضِهِمْ :

لِلَّهِ أَنْدَلُسٌ ^(١) وَمَا جَمَعَتْ بِهَا
مِنْ كُلِّ مَا ضَمَّتْ ^(٢) لَهَا الْأَهْوَاءُ
فَكَأَنَّمَا تِلْكَ الدِّيَارُ كَوَاكِبُ
وَكَأَنَّمَا تِلْكَ الْبِقَاعُ سَمَاءُ
وَبِكُلِّ قَطْرِ جَدُولٍ فِي جَنَّةٍ
وَلَيْتَ بِهِ إِلَّا فَيَاءً ^(٣) وَإِلَّا نَدَاءً ^(٤)
وَقَالَ غَيْرُهُ :

فِي أَرْضِ أَنْدَلُسٍ ثَلَاثُ نَعْمَاءَ
وَلَا يُفَارِقُ فِيهَا الْقَلْبَ سَرَاءُ

(١) يعجب من حسن الاندلس وما جمعت من كل ما تصبو اليه الاهواء

(٢) قد يكون محرفا عن (ضمنت) (٣) أى الظلال (٤) جمع ندى

وَلَيْسَ فِي غَيْرِهَا بِالْعِشِّ مُشَفَّعٌ
وَلَا تَقُومُ بِحَقِّ الْإِنْسِ صَهْبَاءُ
وَأَيْنَ يُعْدَلُ عَنْ أَرْضٍ يَحْضُ بِهَا
عَلَى الشَّهَادَةِ أَزْوَاجٌ وَأَبْنَاءُ؟
وَأَيْنَ يُعْدَلُ عَنْ أَرْضٍ تَحْتُ بِهَا
عَلَى الْمُدَامَةِ أَمْوَالٌ وَأَفْيَاءُ؟
وَكَيْفَ لَا تُبْهِجُ الْأَبْصَارُ رُؤْيَاهَا
وَكُلُّ أَرْضٍ بِهَا فِي الْوُثَى صَنْعَاءُ؟
أَنهَارُهَا فِضَّةٌ وَالْمِسْكُ ثُرْبَتُهَا
وَالْخَزْزُ رَوْضَتُهَا وَالذُّرُّ حَصْبَاءُ
وَاللَّهُوَاءُ بِهَا لُطْفٌ يَرِيقُ بِهِ
مَنْ لَا يَرِيقُ وَتَبْدُو مِنْهُ أَهْوَاءُ
لَيْسَ النَّسِيمُ الَّذِي يَهْفُو بِهَا سَحَرًا
وَلَا أَنْتِشَارٌ لَا إِلَى الْبَطَلِ أَنْدَاءُ^(١)

(١) يريد أن ما يتحرك في ليلها ليس نسيما ، وما ينتثر من طلها ليس ندى ،
وأنما ذلك ما أتى به في البيت بعده ، وفيه حسن تعليل بدعي

وَأِنَّمَا أَرْجُ النَّدَّ اسْتِنَارَ^(١) بِهَا
 فِي مَاءٍ وَرَدٍ فَطَابَتْ مِنْهُ أَرْجَاءُ
 وَأَيْنَ يَبْلُغُ مِنْهَا مَا أَصْنَفُهُ؟
 وَكَيْفَ يَحْوِي الَّذِي حَارَتْهُ إِحْصَاءُ؟
 قَدْ مُيزَتْ مِنْ جِهَاتِ الْأَرْضِ ثُمَّ بَدَتْ
 فَرِيدَةً وَتَوَلَّى مِيزَهَا الْمَاءُ
 دَارَتْ عَلَيْهَا نِطَاقًا أُنْجُرُ حَقَقَتْ
 وَجَدًا بِهَا إِذْ تَبَدَّتْ وَهِيَ حَسَنَاءُ
 لَذَاكَ يَسْمُ فِيهَا الزَّهْرُ مِنْ طَرَبٍ
 وَالطَّيْرُ يَشْدُو وَلِلْأَغْصَانِ إِصْفَاءُ
 فِيهَا خَلَعَتْ عِذَارِي مَا بِهَا عِوَضُ
 فَهِيَ الرِّيَاضُ وَكُلُّ الْأَرْضِ صَحْرَاءُ
 وَقَدْ تَقَدَّمَتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ

(١) لعله استنير لأن الفعل متعد ، الا أن يكون الاسناد مجازيا .

وَقَالَ آخَرُ:

حَبْدًا أُنْدَلُسُ مِنْ بَلَدٍ لَمْ تَرَلْ تُنْجِي كُلَّ سُرُورٍ
طَارَتْ شَادٍ وَظِلٌّ وَارِفٌ وَمِيَاهُ سَابِحَاتٍ وَقُصُورُ
وَقَالَ آخَرُ:

يَا حُسْنَ أُنْدَلُسِ وَمَا جَمَعْتَ لَنَا

فِيهَا مِنَ الْأَوْطَارِ وَالْأَوْطَانِ
تِلْكَ الْجَزِيرَةُ لَسْتُ أَنْتَى حُسْنَهَا
بِتَعَاقِبِ الْأَحْيَانِ وَالْأَزْمَانِ
نَسَجَ الرَّيِّعُ نَبَاتَهَا مِنْ سُندُسٍ^(١)

مَوْشِيَّةٌ يَدَائِعِ الْأَلْوَانِ
وَعَدَا النَّسِيمُ بِهَا عَلِيلاً هَائِماً
بِرُبُوعِهَا وَتَلَاطَمَ الْبُحْرَانِ
يَا حُسْنَهَا وَالْطَّلُّ يَنْثُرُ فَوْقَهَا

دُرّاً خِلَالَ الْوَرْدِ وَالرَّيْحَانِ

وَسَوَاعِدُ الْأَنْهَارِ قَدْ مُدَّتْ إِلَى
 نُدْمَائِهَا بِشَقَائِقِ النُّعْمَانِ
 وَتَجَاوَبَتْ فِيهَا شَوَادِي طَيْرِهَا
 وَالتَفَّتِ الْأَغْصَانُ بِالْأَغْصَانِ
 مَا زُرْتُمَا إِلَّا وَحَيَّانِي بِهَا
 حَدَقُ الْبَهَارِ وَأَنْمُلُ السُّوسَانَ^(١)

(١) حدق البهار وما بعده من اضافة المشبه به الى المشبه . والبهار نبت طيب الريح ، وهو العرار ويسمى عين البقر أو هو الترجمس البري - ولهذا حسن تشبيه العيون به . وهونبت جعل له فقاحة صفراء نبت أيام الربيع . والسوسن هو الزهر المعروف ، ووقع في كلام بعض المولدين بالالف كما في هذه الأبيات وكما في قول ابن النبيه :

رضابك راحي ، آس صدغيك ريماني شقيقى جنى خديك جيدك سوسانى
 ومن أحسن ما قيل في السوسن قول أبى نواس :

سقى لأرض اذا مامت نبهى على الهدوء بها قرع النواقيس
 كأن سوسنها فى كل شارقة على الميادين أذئاب الطواويس
 وقال ابن حجة المحوى مضمنا :

بداسوسن الروض المدج أزرقا وأصفر يعلو طوله فوق مبيض
 كأن الربا أرخت ذبول غلاتل مصبغة والبعض أقصر من بعض

ومن هذه الأبيات يعرف وصف هذا النبات

مِنْ بَعْدِهَا مَا أَعْجَبْتَنِي بِلَدَّةٍ
 مَعَ مَا حَلَّتْ بِهِ مِنَ الْبُلْدَانِ
 وَحَكَى بَعْضُهُمْ أَنَّ بِالْجَامِعِ مِنْ مَدِينَةِ أَفْلَيْش^(١)
 بَلَاطًا فِيهِ جَوَازُ مَنْشُورَةٍ مُرَبَّعَةٍ مُسْتَوِيَةِ الْأَطْرَافِ، طُولُ
 الْجَائِزَةِ مِنْهَا مِائَةٌ شِبْرٍ وَأَحَدَ عَشَرَ شِبْرًا . وَفِي الْأَنْدَلُسِ
 جَبَلٌ مَنْ شَرِبَ مِنْ مَائِهِ كَثُرَ عَلَيْهِ الْإِحْتِلَامُ، مِنْ غَيْرِ إِرَادَةٍ
 وَلَا تَفَكُّرٍ، وَفِيهَا غَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يَطُولُ ذِكْرُهُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ
 وَلَنُتَمَسِكَ الْعِنَانَ فِي هَذَا الْبَابِ، فَإِنَّ بَحْرَ الْأَنْدَلُسِ طَوِيلٌ
 مَدِيدٌ، وَرُبَّمَا كَرَّرْنَا الْكَلَامَ لِإِرْتِبَاطِ بَعْضِهِ بِبَعْضٍ، أَوْ
 لِنَقْلِ صَاحِبِهِ الْمَرْوِيِّ عَنْهُ، أَوْ لِاخْتِلَافِ مَا، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ
 مِنْ غَرَضٍ سَدِيدٍ



(الْبَابُ الثَّانِي)

فتح الأندلس في إلقاء الأندلس للمسلمين بالقياد^(١) ، وفتحها على يد
موسى بن نصير * ومولاه طارق بن زياد ، وصيرورتها

(١) ألقى إليه قياده: كناية عن التسليم والخضوع

* ترجم له في وفيات الأعيان لابن خلكان جزء ثان صفحة ١٣٤
بترجمة لا تختلف في جملتها عما هنا إلا في بعض جمل لم تذكر وقد رأينا
اثباتها حرصا على أمانة النقل وهي :

أبو عبد الرحمن موسى بن نصير اللخمي بالولاء صاحب « فتح الأندلس » .
كان من التابعين رضي الله عنهم ، وروى عن تميم الداري رضي الله عنه
وكان عاقلا كريما شجاعا ورعا تقيا لله تعالى رضي الله عنه لم يهزم له جيش قط ،
وكان والده نصير على حرس معاوية بن أبي سفيان ومنزلته عنده
مكينة ، ولما خرج معاوية لقتال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يخرج
معه فقال له معاوية : ما منعك من الخروج معي ولي عندك يد لم تكافئني
عليها ؟ فقال لم يمكن أن أشرك بكفري من هو أولى بشكري ، فقال :
ومن هو ؟ قال : الله عز وجل . فقال : وكيف لأأم لك ؟ قال : وكيف
لأعلمك هذا فأغض وأمض . قال : فأطرق معاوية مليا ثم قال :
أستغفر الله ، ورضي عنه .

مَيْدَانًا^(١) لِسَبْقِ الْجِيَادِ ، وَحَطَّ رَحْلُ الْإِزْنِيَاءِ وَالْإِزْنِيَادِ ،
وَمَا يَتَّبِعُ ذَلِكَ مِنْ خَبَرٍ حَصَلَ بِإِزْدِيَانِهِ أَزْدِيَادُ ، وَتَبَا
وَصَلَ إِلَيْهِ أَعْتِيَامُ^(٢) وَتَقَرَّرَ بِمِثْلِهِ أَعْتِيَادُ .

اعْلَمْ أَنَّهُ لَمَّا قَضَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِتَحْقِيقِ قَوْلِ رَسُولِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « زُوِيَ^(٣) لِي مَشَارِقُ الْأَرْضِ
وَمَغَارِبُهَا ، وَسَيَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِي مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا » وَقَعَ الْخِلَافُ
بَيْنَ لَذَرِيقِ مَلِكِ الْقُوطِ وَبَيْنَ مَلِكِ سَبْتَةِ الَّذِي عَلَى حَجَازِ
الْزُّفَاقِ ، فَكَانَ مَا يُذَكَّرُ مِنْ فَتْحِ الْأَنْدَلُسِ عَلَى يَدِ طَارِقِ
وَطَرِيفٍ وَمَوْلَاهُمَا الْأَمِيرِ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ - رَحِمَ اللَّهُ
الْجَمِيعَ - وَذَكَرَ الْحَجَارِيُّ وَابْنُ حَيَّانٍ وَغَيْرُهُمَا أَنَّ أَوَّلَ
مَنْ دَخَلَ جَزِيرَةَ الْأَنْدَلُسِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِرِسْمِ الْجِهَادِ
طَرِيفُ الْبَرْبَرِيِّ مَوْلَى مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ الَّذِي يُنْسَبُ إِلَيْهِ

(١) أى ميداناً للجهاد بين الفاتحين من المسلمين (٢) أى اختيار (٣) أى طويت
وجمعت ، ويرى الحديث : ان الله تعالى زوى لى الأرض فأريت مشارقها
ومغاربها

جَزِيرَةُ طَرِيفِ الَّتِي عَلَى الْمَجَازِ، غَزَاهَا بِمَعُونَةِ صَاحِبِ
سَبْتَةِ يُلْيَانَ النَّصْرَانِيَّ، لِحَقْدِهِ عَلَى لُذْرِيْقِ صَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ،
وَكَانَ فِي مِائَةِ فَارِسٍ ^(١) وَأَرْبَعِمِائَةٍ رَاجِلٍ ^(٢)، جَازَ الْبَحْرَ فِي
أَرْبَعَةِ مَرَّكَبٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ،
وَأَنْصَرَفَ بِغَنِيمَةٍ جَلِيلَةٍ، فَقَعَدَ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ صَاحِبُ
الْمَغْرِبِ لِمَوْلَاهُ طَارِقِ بْنِ زِيَادٍ عَلَى الْأَنْدَلُسِ، وَوَجَّهَهُ مَعَ
يُلْيَانَ صَاحِبِ سَبْتَةِ. أَتَتْهُ. وَسَيَّأَتِي فِي أَمْرِ طَرِيفٍ
وغيرِهِ مَا يُخَالِفُ هَذَا السِّيَاقَ، وَهِيَ أَقْوَالُ

وَقَالَ ابْنُ حَيَّانَ: إِنَّ أَوَّلَ أَسْبَابِ فَتْحِ الْأَنْدَلُسِ كَانَ
أَنَّ وَلِيَّ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ مَوْلَى عَمِّهِ
عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ وَمَا خَلْفَهَا سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ،
فَخَرَجَ فِي نَفَرٍ قَلِيلٍ مِنَ الْمُطَوَّعَةِ ^(٣)، فَلَمَّا وَرَدَ مِصْرَ أَخْرَجَ

أسباب فتح
الأندلس

(١) الفارس راكب الجواد (٢) والراجل: السائر على رجليه (٣) المطوعة:

الذين يتطوعون بالجهاد - أدغمت التاء في الطاء

مَعَهُ مِنْ جُنْدِهَا بَعَثًا ، وَفَعَلَ ذَلِكَ فِي إِفْرِيقِيَّةَ ^(١) ، وَجَعَلَ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ مَوْلَاهُ طَارِقًا ، فَلَمْ يَزَلْ يُقَاتِلُ الْبَرَبَرَ وَيَفْتَحُ مَدَائِنَهُمْ ، حَتَّى بَلَغَ مَدِينَةَ طَنْجَةَ ، وَهِيَ قَصَبَةُ بِلَادِهِمْ وَأُمُّ مَدَائِنِهِمْ ، فَحَصَرَهَا حَتَّى فَتَحَهَا ، وَأَسْلَمَ أَهْلَهَا ، وَلَمْ تَكُنْ فُتِحَتْ قَبْلَهُ . وَقِيلَ : بَلْ فُتِحَتْ ثُمَّ أُسْتُغْلِقَتْ .

وَذَكَرَ ابْنُ حَيَّانٍ أَيْضًا اسْتِغْلَابَ سَبْتَةَ عَلَى مُوسَى بِتَدْيِيرِ صَاحِبِهَا الدَّاهِيَةِ الشُّجَاعِ يُلْيَانَ النُّصْرَانِيَّ ، وَأَنَّهُ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ لُذْرِيْقٍ صَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ . ثُمَّ سَرَدَ مَا يَأْتِي ذِكْرُهُ :

وَقَالَ لِسَانَ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : وَحَدِيثُ الْفَتْحِ ، وَمَا مِنْ اللَّهِ بِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ مِنَ الْمَنْحِ ، وَأَخْبَارُ مَا آفَأَ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ عَلَى مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ ، وَكُتِبَ مِنْ جِهَادٍ ، لِبَطَارِقِ بْنِ زِيَادٍ ، مَمْلُوءٌ ^(٢) قُصَاصٍ وَأَوْزَاقٍ ، وَحَدِيثُ أَفُولٍ وَإِشْرَاقٍ ، وَإِرْعَادٍ وَإِرْزَاقٍ ، وَعَظْمُ أَمْنِشَاشٍ ، وَآلَةُ

(١) أى تونس . (٢) مملول الخ : مسنوم قد كثر القول فيه ودخله شيء من الوضع

مُعَلَّقَةٌ فِي دُكَّانِ قَشَاشٍ^(١) . اُنْتَهَى .

وَقَالَ فِي الْمَغْرِبِ : طَارِقُ^(٢) بَنُ زِيَادٍ مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَقَالَ
أَبْنُ بَشْكُوَال : إِنَّهُ طَارِقُ بْنُ عَمْرٍو ، فَتَحَ جَزِيرَةَ
الْأَنْدَلُسِ وَدَوَّجَهَا ، وَإِلَيْهِ يُنْسَبُ جَبَلُ طَارِقِ الَّذِي يَعْرِفُهُ
الْعَامَّةُ بِجَبَلِ الْفَتْحِ فِي قِبْلَةِ الْجَزِيرَةِ الْخَضِرَاءِ ، وَرَحَلَ مَعَ
سَيِّدِهِ بَعْدَ فَتْحِ الْأَنْدَلُسِ إِلَى الشَّامِ ، وَأَنْقَطَعَ خَبْرُهُ . اُنْتَهَى .
وَقَالَ أَيْضًا إِنَّ طَارِقًا كَانَ حَسَنَ الْكَلَامِ ، يَنْظُمُ

(١) الذى يجمع القشاش وهى الاشياء الحقبرة : يريد أنه حديث ملته
الاسماع ودخل فيه ماغير بعض حقايقه . ومشش العظم تمشيشا : استخرج
منه المخ . فقوله وعظم امتشاش . أى موضوع لم يبق فيه فائدة ولا موضع
زيادة

(٢) ترجم له فى بقية للتمس الضبى ج ثالث من المكتبة الاندلسية
صفحة ٣١٥ بما يأتى

طارق ابن عمرو ويقال : طارق بن زياد :

هو أول من غزا الاندلس سنة اثنتين وتسعين من الهجرة ، ثم لحق به
موسى بن نصير ، ونقم عليه إذ غزاها بنبر إذنه ، وسجنه وهم بقتله ،
ثم ورد عليه كتاب الوليد بن عبد الملك باطلاقه وترك التعرض له ،
فأطلقه وخرج معه الى الشام

مَا يَحُوزُ كَتَبُهُ، وَأَمَّا الْمَعَارِفُ السُّلْطَانِيَّةُ، فَيَكْفِيهِ وَلَايَةُ
 سُلْطَنَةِ الْأَنْدَلُسِ وَمَا فَتَحَ فِيهَا مِنَ الْبِلَادِ إِلَى أَنْ وَصَلَ
 سَيِّدُهُ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ . وَمِنْ تَارِيخِ ابْنِ بَشْكُوَال :
 أَحْتَلَّ^(١) طَارِقُ بِالْجَبَلِ الْمَنْسُوبِ إِلَيْهِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِخَمْسِ
 خَلَوْنَ مِنْ رَجَبٍ سَنَةِ اَثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ فِي اِثْنَى عَشَرَ اَلْفًا
 غَيْرَ اِثْنَى عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْبَرْبَرِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مِنْ
 الْعَرَبِ إِلَّا شَيْءٌ لَا يَسِيرُ ، وَإِنَّهُ لَمَّا رَكِبَ الْبَحْرَ رَأَى وَهُوَ
 نَائِمٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَوْلَهُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ
 قَدْ تَقَلَّدُوا السُّيُوفَ وَتَنَكَّبُوا الْقِصَى ، فَيَقُولُ^(٢) لَهُ رَسُولُ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا طَارِقُ تَقَدَّمَ لِشَأْنِكَ ، وَنَظَرَ
 إِلَيْهِ وَإِلَى أَصْحَابِهِ قَدْ دَخَلُوا الْأَنْدَلُسَ قُدَّامَهُ ، فَهَبْ مِنْ
 نَوْمِهِ مُسْتَبَشِّرًا وَبَشَرَ أَصْحَابَهُ ، وَثَابَتْ نَفْسُهُ بِبُشْرَاهُ ،
 وَلَمْ يَشْكْ فِي الظَّفَرِ ، فَخَرَجَ مِنَ الْجَبَلِ وَأَقْتَحَمَ بَسِيطًا

(١) أى نزل (٢) عبر بالمضارع لتصور حكاية الحال

الْبَلَدِ شَانًا^(١) لِلْعَارَةِ ، وَأَصَابَ عَجُوزًا مِنْ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ ،
فَقَالَتْ لَهُ فِي بَعْضِ قَوْلِهَا : إِنَّهُ كَانَ لَهَا زَوْجٌ عَالِمٌ
بِالْحَدَثَانِ ، فَكَانَ يُحَدِّثُهُمْ عَنْ أَمِيرٍ يَدْخُلُ إِلَى بَلَدِهِمْ هَذَا
فَيَغْلِبُ عَلَيْهِ ، وَيَصِفُ مِنْ نَعْتِهِ أَنَّهُ ضَخْمُ الْهَامَةِ^(٢) ،
فَأَنْتَ كَذَلِكَ ؟ وَمِنْهَا أَنَّ فِي كَيْفِهِ الْإَيْسَرِ شَامَةً عَلَيْهَا
شَعْرٌ ، فَإِنْ كَانَتْ فِيكَ فَأَنْتَ هُوَ . فَكَشَفَ ثَوْبَهُ
فَإِذَا بِالشَّامَةِ فِي كَيْفِهِ عَلَى مَا ذَكَرْتَ ، فَاسْتَبَشَرَ
بِذَلِكَ وَمِنْ مَعَهُ .

وَمِنْ تَارِيخِ ابْنِ حَيَّانَ : لَمَّا حَرَّضَ يُبْلِيكُ النُّصْرَانِي
صَاحِبُ سَبْتَةَ - لِلْأَمْرِ الَّذِي وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَاحِبِ
الْأَنْدَلُسِ - مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ عَلَى غَزْوِ الْأَنْدَلُسِ ، جَهَّزَهَا
مَوْلَاهُ طَارِقًا الْمَذْكُورَ فِي سَبْتَةِ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
جُلُوهُ الْبَرْبُرِ فِي أَرْبَعِ سَفُنٍ ، وَحَطَّ بِجَبَلِ طَارِقِ الْمُنْسُوبِ
إِلَيْهِ يَوْمَ السَّبْتِ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ ، وَلَمْ

(١) شن العارة : فرقاها وروع بها في كل جهة (٢) الهامة : الرأس

تَزَلِ الْمَرَائِبُ تَعُودُ حَتَّى تَوَافِيَ ^(١) جَمِيعُ أَصْحَابِهِ عِنْدَهُ
بِالْجَبَلِ ، قَالَ : وَوَقَعَ عَلَى لُذْرَيْقَ صَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ الْخَبْرُ ،
وَأَنَّ يَلِيَانَ السَّبَبُ فِيهِ ، وَكَانَ يَوْمَئِذٍ غَازِيًا فِي جِهَةِ
الْبَشَكْنَسِ ^(٢) ، فَبَادَرَ فِي مُجُوعِهِ وَهُمْ نَحْوُ مِائَةِ أَلْفٍ ذَوِي
عُدَّةٍ وَعَدَدٍ ، وَكَتَبَ طَارِقٌ إِلَى مُوسَى ، بِأَنَّهُ قَدْ زَحَفَ
عَلَيْهِ لُذْرَيْقٌ بِمَالَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ ، وَكَانَ عَمَلٌ مِنَ السُّفْنِ عُدَّةً ،
فَجَهَّزَ لَهُ فِيهَا خَمْسَةَ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَكَمَلُوا بِمَنْ
تَقَدَّمَ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا ، وَمَعَهُمْ يَلِيَانُ صَاحِبُ سَبْتَةِ فِي حَشْدِهِ ^(٣) ،
يَدُلُّهُمْ عَلَى الْعُورَاتِ ، وَيَتَجَسَّسُ لَهُمُ الْأَخْبَارَ ، وَأَقْبَلَ نَحْوَهُمْ
لُذْرَيْقٌ وَمَعَهُ خِيَارُ الْعَجَمِ وَأَمْلَاكُهَا وَفُرْسَانُهَا وَقُلُوبُهُمْ
عَلَيْهِ ، فَتَلَاقُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَقَالُوا : إِنَّ هَذَا اتَّخِذَتْ غَلَبَ
عَلَى سُلْطَانِنَا وَلَيْسَ مِنْ يَنْتِ الْمَلِكِ ، وَإِنَّمَا كَانَ مِنْ أَتْبَاعِنَا ،
وَلَسْنَا نَعُدُّ مِنْ سِيرَتِهِ خَبَالًا ^(٤) وَأَضْطَرَّابًا ، وَهُوَ لَاءُ الْقَوْمِ
الَّذِينَ طَرَفُوا لَا حَاجَةَ لَهُمْ فِي إِطْطَانِ بَلَدِنَا ، وَإِنَّمَا مُرَادُهُمْ
أَنْ يَمْلَأُوا أَيْدِيَهُمْ مِنَ الْغَنَائِمِ ، وَيَخْرُجُوا عَنَّا ، فَهَلُمَّ فَلْنَهْزِمِ

(١) توافي : الخ : أتوا (٢) قوم كانوا يسكنون جبال البرينات (الباسك)
الباشكنس Les Basques وقد تزوج الحكم بن الناصر بالسيدة صبح
البشكنسية (٣) الحشد : الجماعة (٤) خبالا : نقصا وفسادا .

بِابْنِ الْخَبِيثَةِ إِذَا نَحْنُ لَقِينَا الْقَوْمَ ، فَلَعَلَّهُمْ يَكْفُونَنَا أَمْرَهُ ،
فَإِذَا هُمْ أَنْصَرَفُوا عَنَّا أَقْعَدْنَا فِي مُلْكِنَا مَنْ يَسْتَحِقُّهُ .
فَأَجْمَعُوا عَلَى ذَلِكَ .

وَقَالَ ابْنُ خَلْدُونُ بَعْدَ ذِكْرِهِ أَنَّ الْقُوطِيَّيْنَ كَانَ لَهُمْ
مُلْكُ الْأَنْدَلُسِ ، وَأَنَّ مِلِكَهُمْ لِعَهْدِ الْفَتْحِ يُسَمَّى لُذْرِيْقَ
مَا نَصَّهُ : وَكَانَتْ لَهُمْ خَطْوَةٌ وَرَاءَ الْبَحْرِ فِي هَذِهِ الْمَدْوَةِ
الْجَنُوبِيَّةِ ، خَطْوَهَا مِنْ فُرْصَةِ الْمَجَازِ بِطَنْجَةِ ، وَمِنْ رُقَاقِ
الْبَحْرِ إِلَى بِلَادِ الْبَرْبَرِ وَأَسْتَعْبَدُوهُمْ ، وَكَانَ مَلِكُ الْبَرْبَرِ
بِذَلِكَ الْقَطْرِ الَّذِي هُوَ الْيَوْمَ جِبَالُ غِمَارَةَ يُسَمَّى يُلْيَانَ ،
فَكَانَ يَدِينُ بِطَاعَتِهِمْ وَيَمْلِكُهُمْ ، وَمُوسَى ابْنُ نُصَيْرٍ أَمِيرُ
الْمَغْرِبِ إِذْ ذَاكَ عَامِلٌ عَلَى إِفْرِيقِيَّةٍ مِنْ قَبْلِ الْوَلِيدِ
ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَمَنْزِلُهُ بِالْقَيْرَوَانِ ، وَكَانَ قَدْ
أَغْزَى ^(١) لِدَلِكِ الْمَهْدِ عَسَاكِرَ الْمُسْلِمِينَ بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ
الْأَقْصَى ، وَدَوَّخَ ^(٢) أَقْطَارَهُ ، وَأَثْنَنَ فِي جِبَالِ طَنْجَةِ
هَذِهِ حَتَّى وَصَلَ خَلِيجَ الرُّفَاقِ ، وَأَسْتَنْزَلَ يُلْيَانَ

(١) أغزى العساكر : جهزهم للغزو وحملهم عليه (٢) دوخ أقطاره :

قهرها واستولى على أهلها

لِطَاعَةِ الْإِسْلَامِ ، وَخَلَفَ مَوْلَاهُ طَارِقَ بْنَ زِيَادٍ
 اللَّيْثِيُّ وَالْيَا بِطَنْجَةَ ، وَكَانَ يُبَيِّنُ يَنْقُمُ عَلَى لُدْرِيقَ مَلِكِ
 الْقُوطِ لِمَهْدِهِ بِالْأَنْدَلُسِ فَعَلَةً فَعَلَهَا - زَعَمُوا - بِابْنَتِهِ النَّاشِئَةِ
 فِي دَارِهِ عَلَى عَادَتِهِمْ فِي بَنَاتِ بَطَارِقَتِهِمْ ، فَمَضِبَ لِذَلِكَ
 وَأَجَازَ إِلَى لُدْرِيقَ وَأَخَذَ ابْنَتَهُ مِنْهُ ، ثُمَّ لَحِقَ بِطَارِقِ
 فَكَشَفَ لِلْعَرَبِ عَوْرَةَ الْقُوطِ ، وَدَلَّهُمْ عَلَى عَوْرَةٍ فِيهِمْ
 أَمْكَنَتْ طَارِقًا فِيهَا الْفُرْصَةُ فَاتَهَزَّهَا لَوْفَتِهِ ، وَأَجَازَ
 الْبَحْرَ سَنَةً ثِنْتَيْنِ وَتِسْعِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ ، يَأْذُنُ أَمِيرِهِ
 مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ فِي نَحْوِ ثَلَاثَةِ مِائَةٍ مِنَ الْعَرَبِ ، وَأَحْشَدَ
 مَعَهُمْ مِنَ الْبَرْبَرِ زُهَاءُ عَشْرَةِ آلَافٍ ، فَصَيَّرَهُمَا عَسْكَرَيْنِ :
 أَحَدُهُمَا عَلَى نَفْسِهِ وَزَلَّ بِهِ جَبَلُ الْفَتْحِ فَسُمِّيَ جَبَلُ
 طَارِقِ بِهِ ، وَالْآخَرُ عَلَى طَرِيفِ بْنِ مَالِكٍ النَّخِصِيِّ
 وَزَلَّ بِمَكَانِ مَدِينَةِ طَرِيفِ فَسُمِّيَ بِهِ ، وَأَدَارُوا
 الْأَسْوَارَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ لِلتَّحْصَنِ ، وَبَلَغَ الْخَبْرُ إِلَى لُدْرِيقَ
 فَهَضَّ إِلَيْهِمْ يَجْرُ أُمُّ الْأَعْلَاجِ وَأَهْلَ مِلَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ

فِي زُهَاهُ أَرْبَعِينَ أَلْفًا ، وَزَحَفُوا إِلَيْهِ ، فَالْتَقَوْا بِفَخْصِ
شَرِيشَ ، فَهَزَمَهُ اللَّهُ وَقَتْلَهُمْ ^(١) أَمْوَالَ أَهْلِ الْكُفْرِ
وَرِقَابَهُمْ ، وَكَتَبَ طَارِقُ إِلَى مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ بِالْفَتْحِ
وَبِالْفَنَاءِ فَحَرَّ كَتَهُ النُّبْرَةَ ، وَكَتَبَ إِلَى طَارِقٍ يَتَوَعَّدُهُ
إِنْ تَوَغَّلَ بِغَيْرِ إِذْنِهِ ، وَيَأْمُرُهُ إِلَّا يَتَجَاوَزَ مَكَانَهُ حَتَّى
يَلْحَقَ بِهِ ، وَأَسْتَخْلَفَ عَلَى الْقُرَيَّانِ وَلَدَهُ عَبْدَ اللَّهِ ،
وَخَرَجَ وَمَعَهُ حَبِيبُ بْنُ مَنَدَةَ ^(٢) الْفَهْرِيُّ ، وَهَضَمَ مِنَ
الْقُرَيَّانِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ فِي عَسْكَرِ
حَنْخَمٍ مِنْ وَجُوهِ الْعَرَبِ الْمَوَالِي وَعُرْفَاءُ الْبَرْبَرِ ، وَوَأْفَى
خَلِيجَ الزُّفَاقِ مَا بَيْنَ طَنْجَةَ وَالْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ ،
فَأَجَازَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، وَتَلَقَّاهُ طَارِقُ فَأَتَقَادَ وَاتَّبَعَ ،
وَأَتَمَّ مُوسَى الْفَتْحَ وَتَوَغَّلَ فِي الْأَنْدَلُسِ إِلَى بَرْشُلُونَةَ فِي جِهَةِ

(١) من النفل وهو الفئيمة والهبة ، ونفله الله وأنفله : أعطاه نفلا وغنيمة
وسوغ لما غنم (٢) كذا بالأصل وأرى أنه محرف عن مرة ، فهو حبيب بن مرة
(الكنى بأبي عبيدة) ابن عقبة بن نافع من وجوه أصحاب موسى بن نصير
(وسياتى له ذكر) ونوفى حبيب سنة ١٢٤ نجاشي

الْمَشْرِقِ، وَأَرْبُونَةَ فِي الْجُوفِ، وَصَمَّ قَادِسَ فِي الْغَرْبِ، وَدَوَّخَ
أَقْطَارَهَا، وَجَمَعَ غَنَائِمَهَا. وَأَجْمَعَ أَنَّ يَأْتِيَ الْمَشْرِقَ مِنْ نَاحِيَةِ
الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَيَتَجَاوَزَ إِلَى الشَّامِ دُرُوبَهُ وَدُرُوبَ
الْأَنْدَلُسِ، وَيَخُوضَ إِلَيْهِ مَا يَنْتَهَمَا مِنْ أَمْرِ الْأَعْلَامِ.
الْغُرَّانِيَّةِ مُجَاهِدًا فِيهِمْ مُسْتَلْحِمًا لَهُمْ إِلَى أَنْ يَلْحَقَ بِدَارِ
الْخِلَافَةِ، وَنُبَيَّ الْخَبَرُ إِلَى الْوَلِيدِ فَاشْتَدَّ قَلْقُهُ بِمَكَانِ
الْمُسْلِمِينَ مِنْ دَارِ الْحَرْبِ، وَرَأَى أَنَّ مَا هُمْ بِهِ مُوسَى
غُرَّرَ^(١) بِالْمُسْلِمِينَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِالتَّوْبِيخِ وَالْإِنْصِرَافِ،
وَأَسْرَ إِلَى سَفِيرِهِ أَنْ يَرْجِعَ بِالْمُسْلِمِينَ إِنْ لَمْ يَرْجِعْ،
وَكَتَبَ لَهُ بِذَلِكَ عَهْدَهُ. فَفَتَّ ذَلِكَ فِي عَزْمِ مُوسَى
وَقَفَلَ عَنِ الْأَنْدَلُسِ بَعْدَ أَنْ أُنْزِلَ الرُّابِطَةُ وَالْحَامِيَّةُ
يَشْغُورِهَا، وَأُنْزِلَ ابْنُهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ لِسَدِّهَا وَجِهَادِ عَدُوِّهَا،
وَأُنْزِلَ بِقَرْطَبَةَ فَاتَّخَذَهَا دَارَ إِمَارَةٍ، وَأَحْتَلَّ مُوسَى
بِالْقَيْرَوَانِ سَنَةَ خَمْسٍ وَبَسْعِينَ، وَارْتَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ

(١) غرر: خطر ومرض للهلكة.

سَنَةً سِتٍّ بَعْدَهَا بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ الْغَنَائِمِ وَالذَّخَائِرِ
وَالْأَمْوَالِ عَلَى الْمَجَلِ ^(١) وَالظَّهْرِ ، يُقَالُ : إِنَّ مِنْ جُمْلَتِهَا
ثَلَاثِينَ أَلْفَ رَأْسٍ مِنَ السَّبْيِ ^(٢) ، وَوَلَّى عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ
أَبْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ ، وَقَدِمَ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ
فَسَخِطَهُ ^(٣) وَنَكَبَهُ ، وَتَارَتْ عَسَاكِرُ الْأَنْدَلُسِ بِأَبْنِهِ
عَبْدِ الْعَزِيزِ بِإِغْرَاءِ سُلَيْمَانَ فَقَتَلُوهُ لِسِتْنَيْنِ مِنْ وَلَايَتِهِ ،
وَكَانَ خَيْرًا فَاضِلًا ، وَأَفْتَحَ فِي وَلَايَتِهِ مَدَائِنَ كَثِيرَةً ،
وَوَلَّى مِنْ بَعْدِهِ أَيُّوبُ بْنُ حَبِيبٍ اللَّخْمِيُّ ، وَهُوَ ابْنُ أُخْتِ
مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ ، فَوَلَّى عَلَيْهَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ تَتَابَعَتْ
وَلَاةُ الْعَرَبِ عَلَى الْأَنْدَلُسِ ، تَارَةً مِنْ قَبْلِ الْخُلَيْفَةِ ،
وَتَارَةً مِنْ قَبْلِ عَامِلِهِ بِالْقَيْرَوَانِ ، وَأُتْخِنُوا ^(٤) فِي أُمَمِ
الْكُفْرِ ، وَأَفْتَحُوا بَرَشْلُونَةَ مِنْ جِهَةِ الْمَشْرِقِ ، وَحُصُونَهُ
قَشَاتَلَةَ ^(٥) وَبَسَائِطَهَا مِنْ جِهَةِ الْجُوفِ ، وَأَنْقَرَضَتْ أُمُّ

(١) يريد بالمجل ما تجره الدواب ، وبالظهر الدواب (٢) السبي : الأسرى

(٣) كرهه وغيظ عليه كثيرا (٤) اتخنوا : قتلوا وأسروا كثيرا (٥) اقليم

عظيم بالأندلس كانت قصبته طليطلة

الْقُوطِ ، وَأَوَى الْجَلَالَةَ وَمَنْ بَقِيَ مِنْ أُمَّةٍ الْعَجَمِ إِلَى جِبَالِ
قَشْتَالَةَ وَأَرْبُونَةَ وَأَفْوَهِ الدُّرُوبِ فَتَحَصَّنُوا بِهَا ، وَأَجَازَتْ
عَسَاكِرُ الْمُسْلِمِينَ مَا وَرَاءَ بَرْشَلُونَةَ مِنْ دُرُوبِ الْجَزِيرَةِ
حَتَّى احْتَلُّوا الْبَسَائِطَ ^(١) وَرَاءَهَا ، وَتَوَغَّلُوا فِي بِلَادِ الْفَرَنْجَةِ ،
وَعَصَفَتْ رِيحُ الْإِسْلَامِ بِأَمْرِ الْكُفْرِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ،
وَرُبَّمَا كَانَ بَيْنَ جُنُودِ الْأَنْدَلُسِ مِنَ الْعَرَبِ اخْتِلَافٌ
وَتَنَازُعٌ أَوْجَدَ لِلْعُدُوِّ بَعْضَ الْكَرَّةِ ، فَجَعَلَ الْإِفْرَنْجُ
مَا كَانُوا غَلَبُوهُمْ عَلَيْهِ مِنْ بِلَادِ بَرْشَلُونَةَ لِمَهْدٍ ثَمَانِينَ
سَنَةً مِنْ لَدُنْ فَتْحِهَا ، وَاسْتَمَرَ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ ، وَكَانَ
مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ عَامِلُ إِفْرِيقِيَّةَ لِسُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ
لَمَّا بَلَغَهُ مَهْلِكُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ ، بَعَثَ
إِلَى الْأَنْدَلُسِ الْخُرَّ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُثْمَانَ الْقُفَيْيَّ ،
فَقَدِمَ الْأَنْدَلُسَ وَعَزَلَ أَيُّوبَ بْنَ حَبِيبٍ ، وَوَلَّى سَنَتَيْنِ
وَتَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ بَعَثَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى الْأَنْدَلُسِ
الْأَسْمَحَ بْنَ مَالِكِ الْخَوْلَافِيَّ ، عَلَى رَأْسِ أَلْفَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ

(١) جمع بسيطة ، وهي في الأصل الأرض للنبسطة المستوية العريضة الواسعة

وَأَمْرُهُ أَنْ يَخْمُسَ^(١) أَرْضَ الْأَنْدَلُسِ فَخَمَسَهَا ، وَبَنَى قَنْطَرَةً
فَرْطَبَةً ، وَأَسْتَشْهَدَ غَارِيًّا بِأَرْضِ الْفَرَنْجَةِ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ ،
فَقَدَّمَ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ عَلَيْهِمْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْغَافِقِيَّ ،
إِلَى أَنْ قَدِمَ عَبْسَةُ بْنُ سُحَيْمٍ الْكَلْبِيُّ مِنْ قَبْلِ يَزِيدَ بْنِ
أَبِي مُسْلِمٍ عَامِلِ إِفْرِيقِيَّةَ ، فَقَدِمَهَا فِي صَفَرٍ سَنَةَ ثَلَاثِ
وَمِائَةٍ ، فَاسْتَقَامَ أَمْرُ الْأَنْدَلُسِ ، وَغَزَا الْفَرَنْجَةَ وَتَوَغَّلَ فِي
فِي بِلَادِهِمْ ، وَأَسْتَشْهَدَ سَنَةَ سَبْعٍ وَمِائَةٍ لِأَرْبَعِ سِنِينَ
وَأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ تَبَايَعَتْ وَلَاةُ الْأَنْدَلُسِ مِنْ قَبْلِ أَمْرَاءِ
إِفْرِيقِيَّةَ ، فَكَانَ أَوَّلُهُمْ يَحْيَى بْنُ سَلَمَةَ الْكَلْبِيُّ ، أَنْفَذَهُ بِشْرُ
أَبْنِ صَفْوَانَ الْكَلْبِيُّ وَالِي إِفْرِيقِيَّةَ لَمَّا اسْتَدْعَى مِنْهُ أَهْلُ
الْأَنْدَلُسِ وَالِيًّا بَعْدَ مَقْتَلِ عَبْسَةَ ، فَقَدِمَهَا آخِرَ سَنَةِ سَبْعٍ ،
وَأَقَامَ فِي وِلَايَتِهَا سَنَتَيْنِ وَنِصْفًا وَلَمْ يَغْزُ ؛ وَقَدِمَ إِلَيْهَا عُثْمَانُ
أَبْنُ أَبِي نَسْعَةَ اللَّخْمِيُّ وَالِيًّا مِنْ قَبْلِ عُبَيْدَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

(١) خمس الأرض (كنصر): أخذ خمس ريعها ، وخمست مال فلان ،
وخمسهم: أخذ خمس أموالهم

السَّامِيُّ صَاحِبِ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَعَزَلَهُ لِخَمْسَةِ أَشْهُرٍ بِجُدَيْفَةَ
 ابْنِ الْأَخْوَصِ الْقَيْسِيِّ ، فَوَافَاهَا سَنَةً عَشْرًا ، وَعَزَلَ قَرِيبًا
 يُقَالُ لِسَنَةٍ مِنْ وَلَايَتِهِ ، وَاخْتَلَفَ هَلْ تَقْدَمُهُ عُثْمَانُ أَوْ هُوَ
 تَقْدَمَ عُثْمَانُ؟ ثُمَّ وَلِيَ بَعْدَهُ الْهَيْمُ بْنُ عُيَيْدٍ الْكِلَابِيُّ ، مِنْ
 قَبْلِ عُيَيْدَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَيْضًا ، قَدِمَ فِي الْمَحْرَمِ سَنَةً
 إِحْدَى عَشْرَةَ وَمِائَةً ، وَغَزَا أَرْضَ مَقُوشَةَ فَافْتَتَحَهَا ، وَتَوَقَّى
 سَنَةً ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَمِائَةً لِسَنَتَيْنِ مِنْ وَلَايَتِهِ . وَقَدِمَ بَعْدَهُ
 مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَشْجَعِيُّ فَوَلَّى شَهْرَيْنِ ، ثُمَّ قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
 ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْغَافِقِيُّ مِنْ قَبْلِ عُيَيْدٍ اللَّهِ بْنِ الْجُبَابِ صَاحِبِ
 إِفْرِيقِيَّةَ ، فَدَخَلَهَا سَنَةً ثَلَاثَ عَشْرَةَ ، وَغَزَا الْإِفْرِجَةَ ،
 وَكَانَتْ لَهُ فِيهِمْ وَقَائِعٌ ، وَأُصِيبَ عَسْكَرُهُ فِي رَمَضَانَ
 سَنَةِ أَرْبَعِ عَشْرَةَ فِي مَوْضِعٍ يُعْرَفُ بِبِلَاطِ الشُّهْدَاءِ ، وَبِهِ
 عُرِفَتِ الْغَزْوَةُ ، وَكَانَتْ وَلَايَتُهُ سَنَةً وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ . ثُمَّ
 وَلِيَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ قُطَيْبٍ الْفِهْرِيُّ ، وَقَدِمَ فِي رَمَضَانَ سَنَةً

أَرْبَعَ عَشْرَةَ ، فَوَلَّى سَنَتَيْنِ ، وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ أَرْبَعَ سِنِينَ ،
وَكَانَ ظُلُومًا جَائِرًا فِي حُكُومَتِهِ ، وَغَزَا أَرْضَ الْبَشْكَنْسِ
سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَمِائَةً فَأَوْقَعَ بِهِمْ وَغَنِمَ . ثُمَّ عُزِلَ فِي
رَمَضَانَ سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةَ ، وَوَلَّى عُقْبَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ السُّلُوِيَّ (١)
مِنْ قَبْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُبَابِ ، فَأَقَامَ خَمْسَ سِنِينَ مُحَمَّدُ
السَّيْرَةِ مُجَاهِدًا مُظْفَرًا حَتَّى بَلَغَ سُكْنَى الْمُسْلِمِينَ أَرْبُونَ ،
وَصَارَ رِبَاطُهُمْ عَلَى نَهْرِ رُدُونَةَ . ثُمَّ وَتَبَ عَلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ
أَبْنُ قُطَيْبٍ الْفَهْرِيُّ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ فَخَلَعَهُ وَقَتَلَهُ ، وَيُقَالُ
أَخْرَجَهُ مِنَ الْأَنْدَلُسِ ، وَوَلَّى مَكَانَهُ ، إِلَى أَنْ دَخَلَ بَلْجُ
أَبْنُ بَشِيرٍ بِأَهْلِ الشَّامِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ فَغَلَبَ عَلَيْهِ ،
وَوَلَّى الْأَنْدَلُسَ سَنَةَ أَوْ نَحْوَهَا . وَقَالَ الرَّازِيُّ : ثَارَ أَهْلُ
الْأَنْدَلُسِ بِأَمِيرِهِمْ عُقْبَةُ فِي صَفَرٍ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ فِي
خِلَافَةِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَوَلَّوْا عَلَيْهِمْ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ
قُطَيْبٍ وَلِائَتَهُ الثَّانِيَةَ ، فَكَانَتْ وَلَايَةُ عُقْبَةَ سِتَّةَ أَغْوَامٍ

(١) ينظر السالوي أو السكوني

وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، وَتُوُفِّيَ بِقَرْمُونَةَ^(١) فِي صَفْرِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ ، وَاسْتَقَامَ الْأَمْرُ لِعَبْدِ الْمَلِكِ ، ثُمَّ دَخَلَ بَلْجُ بْنُ بَشْرِ الْقَشِيرِيُّ يُجْنِدُ الشَّامَ تَاجِيًا مِنْ وَقْعَةِ كُلْثُومِ ابْنِ عِيَّاضٍ^(٢) مَعَ الْأَبْرِ بِمَلُوءَةٍ^(٣) ، فَتَارَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ وَقَتْلَهُ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِينَ سَنَةً ، وَاسْتَوْتَقَ لَهُ الْأَمْرُ بَعْدَ مَقْتَلِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَانْحَازَ الْفَهْرِيُّونَ إِلَى جَانِبِ ، فَامْتَمُوا عَلَيْهِ وَكَاشَفُوهُ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِمْ مَنْ أَنْكَرَ فَعَلَّتَهُ بِابْنِ قَطَنِ ، وَقَامَ بِأَمْرِهِمْ قَطْنٌ وَأُمَيَّةُ ابْنَا عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ قَطَنِ ، وَالتَّقُوا فَكَانَتْ الدَّائِرَةُ عَلَى الْفَهْرِيِّينَ ، وَهَلَكَ بَلْجُ مِنْ

(١) قرمونية : كورة بالاندلس تنصل أعمالها بأعمال اشبيلية غربي قرطبة وشرقي اشبيلية ، عصت على عبد الرحمن بن محمد الأموي فنزل عليها بجنوده حتى افتتحها وخربها ثم عادت الى بعض ما كانت عليه، ويقال أيضا قرمونة . قال ابن صارة الأندلسي في بعض ملوك العرب وكان قد فتح قرمونة :

أُطْلِعَ عَلَى قَرْمُونَةَ مُتَجَلِّيًا مَعَ الصَّبْحِ حَتَّى قُلْتُ كَأَنِّي أَعْلَى وَعَدَ
فَأَرَمَلَهَا بِالسَّيْفِ ثُمَّ أَغَارَهَا مِنَ النَّارِ أَمْوَابَ الْحَدَادِ عَلَى النِّقَدِ
فِي أَحْسَنِ ذَلِكَ السَّيْفِ فِي رَاحَةِ الْعَمَلِ وَيَا بَرْدَ تِلْكَ النَّارِ فِي كَبَدِ الْمَجْدِ

(٢) كلثوم بن عياض القشيري ولاء هشام افرقية سنة ١٢٣ وقتله البربر

(٣) قد تكون (مليانة) مدينة في آخر افرقية قديمة جلدها زيري

ابن مناد وأسكنها بلكين

الْجَرَّاحِ الَّتِي نَالَتْهُ فِي حَزْبِهِمْ ، وَذَلِكَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ
لِسَنَةِ أَوْ نَحْوَهَا مِنْ إِمَارَتِهِ . ثُمَّ وَلِيَ ثَعْلَبَةُ بْنُ سَلَامَةَ الْجَذَامِيَّ
وَعَلَبَ عَلَى إِمَارَةِ الْأَنْدَلُسِ بَعْدَ مَهْلِكِ بَلَجٍ ، وَانْحَازَ عَنْهُ
الْفَهْرِيُّونَ فَلَمْ يُطِيعُوهُ ، وَوَلِيَ سَنَتَيْنِ أَظْهَرَ فِيهِمَا الْعَدْلَ ،
وَدَانَتْ لَهُ الْأَنْدَلُسُ عَشْرَةَ أَشْهُرٍ ، إِلَى أَنْ مَالَتْ بِهِ
الْعَصْبِيَّةُ فِي يَمَانِيَّتِهِ ، فَفَسَدَ أَمْرُهُ وَهَاجَتِ الْفِتْنَةُ . وَقَدِمَ
أَبُو الْخَطَّارِ حُسَامُ بْنُ ضَرَّارٍ الْكَلْبِيُّ مِنْ قَبْلِ حَنْظَلَةَ بْنِ
صَفْوَانَ عَامِلٍ إِفْرِيقِيَّةَ ، رَكِبَ إِلَيْهَا الْبَحْرَ مِنْ ثُوْنَسَ
سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ ، فَدَانَ لَهُ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ ، وَأَقْبَلَ
إِلَيْهِ ثَعْلَبَةُ وَابْنُ أَبِي نِسْعَةَ وَابْنَا عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَلَقِيَهُمْ
وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ ، وَأَسْتَقَامَ أَمْرُهُ ، وَكَانَ شَجَاعًا كَرِيمًا
ذَا حَزْمٍ وَرَأْيٍ ، وَكَثُرَ أَهْلُ الشَّامِ عِنْدَهُ ، وَلَمْ تَحْمِلْهُمْ
قُرْبَتُهُ فَقَرَقَهُمْ فِي الْبِلَادِ ، وَأَنْزَلَ أَهْلَ دِمَشْقَ الْبِيرَةَ
لِشَبَّهَاءِ بِهَا وَسَمَّاهَا دِمَشْقَ ، وَأَنْزَلَ أَهْلَ حِمصَ إِشْبِيلِيَّةَ
وَسَمَّاهَا حِمصَ ، وَأَهْلَ قَنْسَرِينَ جَيَّانَ وَسَمَّاهَا قَنْسَرِينَ ،
وَأَهْلَ الْأُرْدُنَّ رِيَّةَ وَمَالِقَةَ وَسَمَّاهَا الْأُرْدُنَّ ، وَأَهْلَ

فِلَسْطِينَ شَذُونَةَ وَهِيَ شَرِيشٌ^(١) وَسَمَّاهَا فِلَسْطِينَ ،
وَأَهْلَ مِصْرَ تَذْمِيرَ وَسَمَّاهَا مِصْرَ ، وَقَلَّ ثَعْلَبَةٌ إِلَى الْمَشْرِقِ
وَلَحِقَ بَمَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ وَخَصَرَ حُرُوبَهُ ، وَكَانَ أَبُو
الْخَطَّارِ أَغْرَايًّا عَصَبِيًّا ، أَفْرَطَ عِنْدَ وَلَايَتِهِ فِي التَّعَصُّبِ
لِقَوْمِهِ مِنَ الْيَمَانِيَّةِ ، وَتَحَامَلَ عَلَى الْمُضَرِّيَّةِ ، وَأَسْخَطَ
قَيْسًا ، وَأَمَرَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ بِالصُّمَيْلِ بْنِ حَاتِمٍ كَبِيرِ
الْقَيْسِيَّةِ ، وَكَانَ مِنْ طَوَالِعِ بَلَجٍ وَهُوَ الصُّمَيْلُ بْنُ حَاتِمٍ
ابْنِ شَمِرٍ^(٢) بْنِ ذِي الْجَوْشَنِ وَرَأْسَ عَلَى الْمُضَرِّيَّةِ - فَأَقِيمَ
مِنْ مَجْلِسِهِ وَتَفَنَعَ^(٣) ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْحُجَّابِ وَهُوَ خَارِجٌ
مِنَ الْقَصْرِ : أَقِمْ عِمَامَتَكَ يَا أَبَا الْجَوْشَنِ ، فَقَالَ إِنْ كَانَ
لِي قَوْمٌ فَسَيَقِيمُونَهَا ، فَسَارَ الصُّمَيْلُ بْنُ حَاتِمٍ أَمِيرُهُمْ يَوْمَئِذٍ
وَزَعِيمُهُمْ ، وَالْب^(٤) عَلَيْهِ قَوْمُهُ ، وَأَسْتَعَانَ بِالْمُنَجَّرِ فَبِينَ عَنْهُ

(١) مدينة كبيرة من كورة شذونة ، وكانت قاعدة هذه الكورة
(٢) شمر كوفي ، وكان قائد جيش الأمويين الذي قاتل الحسين بن علي
رضي الله عنه وهو الذي أصر على قتله وتولى كبره وحمل رأس الحسين
إلى يزيد ، ثم قتله المختار فهرب ابنه حاتم إلى قنسرين (٣) غطى رأسه
وتفنع إذا تغطى بشوب ، وتفنع فلان خزيا وخجلا (٤) ألب الخ : حرضهم
على الفساد وأفسد بينهم

مِنَ الْيَمَانِيَّةِ ، فَخُلِعَ أَبُو الْخَطَّارِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ
لِأَرْبَعِ سِنِينَ وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ مِنْ وَلَايَتِهِ ، وَقَدِمَ مَكَانَهُ
ثَوَابَةُ بْنُ سَلَامَةَ الْجَذَائِيُّ ، وَهَاجَتِ الْحَرْبُ الْمَشْهُورَةُ ،
وَخَاطَبُوا بِذَلِكَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ حَبِيبٍ صَاحِبَ إِفْرِيقِيَّةَ ،
فَكَتَبَ إِلَى ثَوَابَةَ بِعَهْدِهِ عَلَى الْأَنْدَلُسِ مُنْسَلَخَ رَجَبِ
سَنَةِ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ ، فَضَبَطَ الْأَنْدَلُسَ ، وَقَامَ بِأَمْرِهِ
الصُّمَيْلُ وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْفَرِيقَانِ ، وَهَلَكَ لِسَنَةِ مِنْ
وَلَايَتِهِ ، وَوَقَعَ الْخِلَافُ بِإِفْرِيقِيَّةَ ، وَالثَّلَاثُ (١) أَمْرُ
بَنِي أُمَيَّةَ بِالْمَشْرِقِ ، وَشَغِلُوا عَنْ قَاصِيَةِ الثُّغُورِ بِكَثْرَةِ
الْخَوَارِجِ ، وَعَظُمَ أَمْرُ الْمُسَوَّدَةِ (٢) فَبَقِيَ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ
فَوْضَى ، وَلَصَبُوا لِلْأَحْكَامِ خَاصَّةً عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ
كَثِيرٍ ، ثُمَّ اتَّفَقَ جُنْدُ الْأَنْدَلُسِ عَلَى اقْتِسَامِ الْإِمَارَةِ بَيْنَ
الْمُضَرِّيَّةِ وَالْيَمَانِيَّةِ ، وَإِدَاتِهَا بَيْنَ الْجُنْدَيْنِ سَنَةً لِكُلِّ
دَوْلَةٍ ، وَقَدِمَ الْمُضَرِّيَّةُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ يُوسُفَ بْنَ عَبْدِ
الرَّحْمَنِ الْفَهْرِيِّ سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ ، وَأَسْتَمَّ سَنَةَ وَلَايَتِهِ
بِقُرْطُبَةَ دَارِ الْإِمَارَةِ ، ثُمَّ وَافَتْهُ الْيَمَانِيَّةُ لِمُعَادِ دَالْتِهِمْ (٣)

(١) أي فسدوا واختلطوا اضطرب (٢) يعني الداعين إلى بني العباس (١) أي دولتهم

وَإِثْنَيْنِ بِمَكَانٍ عِنْدَهُمْ ، وَتَرَاضِيَهُمْ وَأَتَقَاتِهِمْ ، فَيَسْتَهْمُ
يُوسُفُ بِمَكَانٍ تَزُولُهُمْ مِنْ شَقْنَدَةَ فِي قُرَى قُرْبَةَ
بِمَالَةٍ^(١) مِنَ الصَّمِيلِ بْنِ حَاتِمٍ وَالْقَيْسِيَّةِ وَسَائِرِ الْمُضَرِّيَّةِ
فَاسْتَلْحَمُوهُمْ^(٢) ، وَتَارَ أَبُو الْخَطَّارِ فَقَاتَلَهُ الصَّمِيلُ وَهَزَمَهُ
وَقَتَلَهُ سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ ، وَأُسْتَبَدَّ يُونُسُ بِمَا وَرَاءَ
الْبَحْرِ مِنْ عُدُوَّةِ الْأَنْدَلُسِ ، وَعَلَبَ الْيَمِينَةَ عَلَى أَمْرِهِمْ ،
فَاسْتَكَاثُوا لِعَلْبِهِ ، وَتَرَبَّصُوا الدَّوَاتِرَ إِلَى أَنْ جَاءَ عَبْدُ
الرَّحْمَنِ الدَّاحِلُ ، وَكَانَ يُونُسُ وَلَى الصَّمِيلَ سَرَقُسْطَةَ ،
فَلَمَّا ظَهَرَ أَمْرُ الْمُسَوَّدَةِ بِالْمَشْرِقِ تَارَ الْحُبَابُ الزُّهْرِيُّ
بِالْأَنْدَلُسِ دَاعِيًا لَهُمْ وَحَاصَرَ الصَّمِيلَ بِسَرَقُسْطَةَ ، وَأُسْتَمَدَّ
يُونُسُ فَلَمْ يُجِدْهُ رَجَاءَ هَلَاكِهِ لِمَا كَانَ يَفْصُ بِهِ ،
وَأَمَدَّتْهُ الْقَيْسِيَّةُ فَأَفْرَجَ عَنْهُ الْحُبَابُ ، وَفَارَقَ الصَّمِيلُ
سَرَقُسْطَةَ فَمَلَكَهَا الْحُبَابُ ، وَوَلَّى يُونُسُ الصَّمِيلَ عَلَى
طُلَيْطَلَةَ إِلَى أَنْ كَانَ مِنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّاحِلِ مَا كَانَ .
أَنْتَهَى كَلَامُ وَلِيِّ الدِّينِ بْنِ خَلْدُونٍ بِبَعْضِ اخْتِصَارٍ .

(١) المبالغة : المساعدة (٢) استلحموهم : أرحقوهم في القتال .

دخول موسى
ابن نصير
الأندلس

« وَقَالَ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ » إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَرْوَانَ أَخَا
عَبْدِ الْمَلِكِ كَانَ وَالِيًا عَلَى مِصْرَ وَإِفْرِيقِيَّةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ ابْنَ
أَخِيهِ الْوَلِيدُ الْخَلِيفَةُ يَأْمُرُهُ بِإِرْسَالِ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ إِلَى
إِفْرِيقِيَّةَ، وَذَلِكَ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ لِلْهِجْرَةِ، فَأَمْتَلَّ أَمْرُهُ
فِي ذَلِكَ. وَقَالَ الْحَمِيدِيُّ فِي جَذْوَةِ الْمُقْتَبَسِ : إِنَّ مُوسَى
ابْنَ نُصَيْرٍ وَلِيَ إِفْرِيقِيَّةَ وَالْمَغْرِبَ سَنَةَ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ،
فَقَدَّمَهَا وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْجُنْدِ، فَبَلَغَهُ أَنَّ بِأَطْرَافِ الْبِلَادِ
مَنْ هُوَ خَارِجٌ عَنِ الطَّاعَةِ، فَوَجَّهَ وَلَدَهُ عَبْدَ اللَّهِ فَأَتَاهُ
بِعِائَةِ أَلْفِ رَأْسٍ مِنَ السَّبَايَا، ثُمَّ وَلَدَهُ مَرْوَانَ إِلَى جِهَةِ
أُخْرَى، فَأَتَاهُ بِعِائَةِ أَلْفِ رَأْسٍ. وَقَالَ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ :
بَلَغَ الْخُمْسُ سِتِّينَ أَلْفَ رَأْسٍ. وَقَالَ الصَّفْدِيُّ : لَمْ يُسْمَعْ فِي
الْإِسْلَامِ بِعِثْلِ سَبَايَا مِنْ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ، وَوَجَدَ أَكْثَرَ
مُدُنِ إِفْرِيقِيَّةَ خَالِيَةً لِاخْتِلَافِ أَيْدِي الْأَبْرَارِ عَلَيْهَا، وَكَانَتْ
الْبِلَادُ فِي قَحْطٍ شَدِيدٍ، فَأَمَرَ النَّاسَ بِالصُّومِ وَالصَّلَاةِ
وَإِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَخَرَجَ بِهِمْ إِلَى الصَّحَرَاءِ وَمَعَهُ
سَائِرُ الْحَيَوَانَاتِ، وَفَرَّقَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَوْلَادِهَا، فَوَقَعَ الْبُكَاءُ

وَالصَّرَاخُ وَالضَّجِيجُ ، وَأَقَامَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى مُتَصَفِّ النَّهَارِ ،
ثُمَّ صَلَّى وَخَطَبَ النَّاسَ ، وَلَمْ يَذْكُرِ الْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ
فَقِيلَ لَهُ : أَلَا تَدْعُو لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقَالَ هَذَا مَقَامٌ
لَا يُدْعَى فِيهِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى . فَسَقُّوا حَتَّى رَوُّوا . ثُمَّ خَرَجَ
مُوسَى غَازِيًا وَتَبَعَ الْبَرْبَرُ ، وَقَتَلَ فِيهِمْ قَتْلًا ذَرِيعًا ، وَسَبَى
سَبِيًّا عَظِيمًا ، وَسَارَ حَتَّى أَتَاهُ إِلَى الشُّوسِ الْأَذَنَى
لَا يُدْفِعُهُ أَحَدٌ . فَلَمَّا رَأَى بَقِيَّةَ الْبَرْبَرِ مَا تَرَلَّ بِهِمْ أَسْتَأْمَنُوا
وَبَدَّلُوا لَهُ الطَّاعَةَ ، فَقَبِلَ مِنْهُمْ وَوَلَّى عَلَيْهِمْ وَإِلَيْهَا ، وَاسْتَعْمَلَ
عَلَى طَنْجَةَ وَأَعْمَالِهَا مَوْلَاهُ طَارِقَ بْنَ زِيَادِ الْبَرْبَرِيِّ ، وَيُقَالُ
إِنَّهُ مِنَ الصَّدَفِ ^(١) ، وَتَرَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةَ عَشَرَ أَلْفًا مِنْ

(١) الصدف . بطن من كندة : واختلفوا في اسم الصدف ، فقيل هو مالك
ابن سهيل بن عمرو بن قيس ، وقيل عمرو بن مالك . وسمى الصدف
لأنه صدف بوجهه عن قومه حين أنأهم سيل العرم فأجمعوا على ردمه
فصدف عنهم الى حضرموت ، وقيل غير ذلك . وأكثرهم كان بمصر
وبلاد المغرب ومنهم يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة الصدفى
المصرى الفقيه الشافعى المحدث العالم الاخبارى توفى سنة ٢٦٤ بمصر .
وتوفى أبوه عبد الأعلى سنة ٢٠١ وابنه أحمد بن يونس صاحب تاريخ
مصر توفى سنة ٣٠٢ وحفيده عبد الرحمن بن أحمد كان محدثا مؤرخا
جميع لمصر تاريخين مفيدين توفى بمصر سنة ٣٤٧

الْبَرْبَرِ بِالسِّلَاحِ وَالْعُدَّةِ الْكَامِلَةِ ، وَكَانُوا قَدْ أَسْلَمُوا
وَحَسَنَ إِسْلَامُهُمْ ، وَتَرَكَ مُوسَى عِنْدَهُمْ خَلْقًا يَسِيرًا مِنْ
الْعَرَبِ لِيَعْلَمُوا الْبَرْبَرِ الْقُرْآنَ وَفَرَائِضَ الْإِسْلَامِ ، وَرَجَعَ
إِلَى إفريقيةَ وَلَمْ يَبْقَ بِالْبِلَادِ مَنْ يُنَازِعُهُ مِنَ الْبَرْبَرِ وَلَا
مِنْ الرُّومِ ، وَلَمَّا اسْتَقَرَّتْ لَهُ الْقَوَاعِدُ كَتَبَ إِلَى طَارِقٍ
وَهُوَ بِطَنْجَةَ يَأْمُرُهُ بِغَزْوِ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ ، فَنَزَاهَا فِي اثْنِي
عَشَرَ أَلْفًا مِنَ الْبَرْبَرِ خَلَا اثْنِي عَشَرَ رَجُلًا ، وَصَعِدَ عَلَى الْجَبَلِ
الْمَنْسُوبِ إِلَيْهِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ خَامِسَ رَجَبٍ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ
وَسِتِّينَ . وَذُكِرَ عَنْ طَارِقٍ أَنَّهُ كَانَ نَائِمًا فِي الْمَرْكَبِ
وَقَتَ التَّعْدِيَةِ فَرَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَهُ
بِالرَّفْقِ بِالْمُسْلِمِينَ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ . هَكَذَا ذَكَرَ ابْنُ
بَشْكُوَال . وَقِيلَ : إِنَّ مُوسَى نَدِمَ عَلَى تَأْخُرِهِ ، وَعَلِمَ أَنَّ
طَارِقًا إِنْ فَتَحَ شَيْئًا نُسِبَ الْفَتْحُ إِلَيْهِ دُونَهُ ، فَأَخَذَ فِي جَمْعِ
الْمَسَاكِرِ ، وَوَلَّى عَلَى الْقَيْرَوَانِ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ ، وَتَبِعَ
طَارِقًا فَلَمْ يُدْرِكْهُ إِلَّا بَعْدَ الْفَتْحِ . وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : إِنَّ

مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ كَانَ عَاقِلًا شَجَاعًا كَرِيمًا تَقِيًّا لِلَّهِ تَعَالَى ،
وَلَمْ يَهْزَمْ لَهُ قَطُّ جَيْشٌ ، وَكَانَ وَالِدُهُ نُصَيْرٌ عَلَى جُيُوشِ
مُعَاوِيَةَ وَمَنْزِلَتُهُ لَدَيْهِ مَكِينَةٌ ، وَلَمَّا خَرَجَ مُعَاوِيَةُ
لِصِفِّينَ لَمْ يَخْرُجْ مَعَهُ ، فَقَالَ لَهُ : مَا مَنَعَكَ مِنَ الْخُرُوجِ مَعِيَ
وَلِيَّ عِنْدَكَ يَدٌ لَمْ تُكَافِئْنِي عَلَيْهَا ؟ فَقَالَ : لَمْ يُمَكِّنِي أَنْ
أَشْكُرَكَ بِكُفْرِي مَنْ هُوَ أَوْلَى بِشُكْرِي مِنْكَ ، فَقَالَ
مَنْ هُوَ ؟ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَأَطْرَقَ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ : أَسْتَغْفِرُ
اللَّهَ ، وَرَضِيَ عَنْهُ



« رَجِعْ إِلَى حَدِيثِ طَارِقٍ » قَالَ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ :

استخلاف تميم
على الأندلس

كَانَ لَذَرِيقُ مَلِكِ الْأَنْدَلُسِ اسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا شَخْصًا يُقَالُ
لَهُ تَذْمِيرٌ - وَإِلَيْهِ تُنْسَبُ تَذْمِيرُ بِالْأَنْدَلُسِ ، فَلَمَّا تَزَلَّ طَارِقُ
مِنَ الْجَبَلِ كَتَبَ تَذْمِيرٌ إِلَى لَذَرِيقَ : إِنَّهُ قَدْ تَزَلَّ بِأَرْضِنَا
قَوْمٌ لَا نَدْرِي أَمِنَ السَّمَاءِ هُمْ أَمْ مِنَ الْأَرْضِ ؟ فَلَمَّا بَلَغَ
لَذَرِيقُ ذَلِكَ - وَكَانَ قَصْدَ بَعْضِ الْجِهَاتِ الْبَعِيدَةِ لِعَزْوِ
لَهُ فِي بَعْضِ أَعْدَائِهِ - رَجَعَ عَنْ مَقْصِدِهِ فِي سَبْعِينَ أَلْفَ فَارِسٍ

وَمَعَهُ الْمَجَلُّ تَحْمِلُ الْأَمْوَالَ وَالْمَتَاعَ ، وَهُوَ عَلَى
سَرِيرِهِ بَيْنَ دَابَّتَيْنِ ، وَعَلَيْهِ مِطْلَةٌ مُكَلَّلَةٌ بِالذُّرِّ
وَالْيَاقُوتِ وَالزَّبَرْجَدِ ،

قَالَمَا بَلَغَ طَارِقًا دُئُودُهُ قَامَ فِي أَصْحَابِهِ ، فَحَمِدَ
اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، ثُمَّ حَثَّ الْمُسْلِمِينَ
عَلَى الْجِهَادِ وَرَغَّبَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ أَيْنَ
الْمَفْرَءُ ؟ الْبَحْرُ مِنْ وَرَائِكُمْ ، وَالْعَدُوُّ أَمَامَكُمْ ^(١) ،
وَلَيْسَ لَكُمْ وَاللَّهِ إِلَّا الصَّدَقُ ^(٢) وَالصَّبْرُ ، وَأَعْلَمُوا
أَنَّكُمْ فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ أَضْيَعُ مِنَ الْإِيْتَامِ فِي
مَأْدُبَةِ ^(٣) اللَّثَامِ ، وَقَدْ اسْتَقْبَلَكُمْ عَدُوُّكُمْ بِجَيْشِهِ ،
وَأَسْلَحَتُهُ وَأَقْوَاتُهُ مَوْفُورَةٌ ، وَأَنْتُمْ لَا وَزَرَ ^(٤) لَكُمْ

خطبة طارق

(١) روى المؤرخون أن السفن التي نقلت العرب من سبتة الى الجزيرة
أربع ، ظلت ذاهبة آتية يعبر عليها الجند حتى تم توصيلهم جميعا بالانديلس
وكانت تلك السفن ليليان لا للعرب . فاتخذ الأمير طارق من انصرافها
وانحصرارهم في جزيرة الانديلس بين عدوين البحر ولواء - وسيلة لاستئارة
عزائمهم وحشهم على الاستبسال والاستئانة (٢) الصدق في الحرب أن يبلى
المقاتل فيه بلاء عظيما (٣) في ابن خلكان : مأدب (٤) أى معقل وملجأ

إِلَّا سِيُوفُكُمْ ، وَلَا أَقْوَاتَ لَكُمْ إِلَّا مَا تَسْتَخْلِصُونَهُ
 مِنْ أَيْدِي عَدُوِّكُمْ ، وَإِنْ أَمْتَدَّتْ بِكُمْ الْآيَاتُ عَلَى
 افْتِقَارِكُمْ ، وَلَمْ تُنْجِزُوا لَكُمْ أَمْرًا ذَهَبَتْ رِيحُكُمْ ^(١) ،
 وَتَعَوَّضَتِ الْقُلُوبُ مِنْ رُغْبِهَا مِنْكُمْ الْجُرَاءَةُ عَلَيْكُمْ ،
 فَادْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ خِذْلَانَ هَذِهِ الْعَاقِبَةِ مِنْ أَمْرِكُمْ
 بِمُنَاجَزَةٍ ^(٢) هَذَا الطَّاعِيَةِ ، فَقَدْ أَلْقَتْ بِهِ إِلَيْكُمْ مَدِينَتُهُ
 الْحَصِينَةُ ، وَإِنْ أَنْتَهَزَ الْفُرْصَةَ فِيهِ لِمُمْكِنٍ إِنْ سَمَحْتُمْ
 لِأَنْفُسِكُمْ بِالْمَوْتِ ، وَإِنِّي لَمْ أُحْذِرْكُمْ أَمْرًا أَنَا عَنْهُ
 بِنَجْوَةٍ ^(٣) ، وَلَا حَمَلْتُكُمْ عَلَى خُطَّةٍ أَرْخَصُ مَتَاعٍ فِيهَا
 النَّفْسُ أَبَدًا ^(٤) . بِنَفْسِي . وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنْ صَبَرْتُمْ عَلَى

(١) من القرآن الكريم : «ولاتنازعوا فتفشاوا وتذهب ريحكم » وتطلق
 الريح على القوة والعلبة والدولة (٢) أى مقاتلة ومدافعة . (٣) النجوة :
 المكان المرتفع : أى لست بعبدا عما أحركم بل أنا معكم فيه
 (٤) هكذا فى كل مراجع الخطبة ، ويظهر أن فى العبارة تحريفا أو تقصيرا
 بأن يكون الأصل مثلا ... الا وأنا أبدا بنفسي ، أولم أبدا ، أولا أبدا ، أو
 الا أبدا . أو يكون الفعل أربأ بنفسي أو أبرأ بنفسي وتكون هذه الجملة حالا
 من فاعل حملتكم العائد على التكلم

الْأَشَقَّ قَلِيلًا ، اسْتَمْتَعْتُمْ بِالْأَرْزَقِ^(١) الْأَلَدَّ طَوِيلًا ، فَلَا
تَرْغَبُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ نَفْسِي فَمَا حَظُّكُمْ فِيهِ^(٢) بِأَوْفَرٍ مِنْ
حَظِّي ، وَقَدْ بَلَغْتُكُمْ مَا أَنْشَأَتْ هَذِهِ الْجَزِيرَةُ مِنَ الْخُورِ
الْحُسَانِ مِنْ بَنَاتِ الْيُونَانِ^(٣) الرَّاغِلَاتِ فِي الدَّرِّ وَالْمَرْجَانِ ،
وَالْحُلَلِ الْمَنَسُوجَةِ بِالْعَقْيَانِ^(٤) الْمُقْصُورَاتِ فِي قُصُورِ
الْمُلُوكِ ذَوِي التَّيجَانِ ، وَقَدْ ائْتَجَبْتُكُمْ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ
الْمَلِكِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْأَبْطَالِ عُرْبَانًا^(٥) ، وَرَضِيَكُمْ
لِمُلُوكِ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ أَصْهَارًا وَأَخْتَانًا ، ثِقَّةً مِنْهُ بِارْتِيَا حِكْمِ
لِلطَّعَانِ ، وَأَسْتَمَاحِكُمْ^(٦) لِمُجَالَدَةِ^(٧) الْأَبْطَالِ وَالْفُرْسَانِ ،

(١) رفعه يشه: لان ونعم (٢) ان عاد الضمير الى الجهادو بذل الروح ، فظاهر ،
وان عاد الى الغنائم التي سيكون للجيش بعد الفتح والاتصار منها حظ
أوفر فالظاهر أن العبارة محرفة ، والأصل : فيما حظكم أوفى (أو أوفر)
(وكذلك الرواية في ابن خلسكان) (٣) ويروى : الرومان (٤) الذهب
(٥) ويروى : عربانا جمع عارب أو عريب ، وهو من لا زوج له

(٦) قد تكون محرفة عن (استماحكم) والسماح والسباحة : الجود يقال سمح
(كمنع) وأسمع ، أي جاد وأعطى عن كرم وسخاء ، ولم نجد فيا بأيدينا
من كتب اللغة : افعل من مادة سمخ (ولعلها مسموعة لموازنة استماح
لارتياح) وسمع (مثل كرم) صار من أهل السماحة والجود . والمساخة : المساهلة
وتساعوا : تساهلوا ، وسمع له بمحاجته وأسمع ، أي سهل له . والمساخة :

المساهلة في الطعان والضراب (٧) المجالدة : المضاربة

لِيَكُونَ حَظُّهُ مِنْكُمْ^(١) ثَوَابَ اللَّهِ عَلَى إِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ
وَإِظْهَارِ دِينِهِ بِهَذِهِ الْجَزِيرَةِ ، وَلِيَكُونَ مَغْنَمًا خَالِصَةً^(٢)
لَكُمْ مِنْ دُونِهِ وَمِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ سِوَاكُمْ ، وَاللَّهُ
تَعَالَى وَلِيُّ إِنْجَادِكُمْ عَلَى مَا يَكُونُ لَكُمْ ذِكْرًا فِي الدَّارَيْنِ .
وَأَعْلَمُوا أَنِّي أَوَّلُ مُجِيبٍ إِلَى مَا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ ، وَأَنِّي عِنْدَ
مُلْتَقَى الْجَمْعَيْنِ حَامِلٌ بِنَفْسِي عَلَى طَاعِيَةِ الْقَوْمِ لِلذَّرِيقِ
فَقَاتِلُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، فَاحْمِلُوا مَعِيَ ، فَإِنْ هَلَكْتُ
بَعْدَهُ فَقَدْ كَفَيْتُكُمْ^(٣) أَمْرَهُ ، وَلَمْ^(٤) يُعْزِزْكُمْ بَطْلًا
عَاقِلٌ تُسْنِدُونَ أُمُورَكُمْ إِلَيْهِ ، وَإِنْ هَلَكْتُ قَبْلَ وُصُولِي
إِلَيْهِ فَأَخْلَفُونِي^(٥) فِي عَزِيَّتِي هَذِهِ ، وَأَحْمِلُوا بِأَنْفُسِكُمْ
عَلَيْهِ ، وَاکْتَفُوا اللَّهَ^(٦) مِنْ فَتْحِ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ بِقَتْلِهِ ،
فَإِنَّهُمْ بَعْدَهُ يُخَذِّلُونَ . فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ تَحْرِيطِ أَصْحَابِهِ
عَلَى الصَّبْرِ فِي قِتَالِ الذَّرِيقِ وَأَصْحَابِهِ وَمَا وَعَدَهُمْ مِنَ الْخَيْرِ

(١) ويروى : معكم (٢) ويروى خالصا (٣) ويروى : كفيتم (٤) رواية
ابن خلكان : ولن . ولعلها أولى (٥) أى اخلفونى واعملوا مثلى وفتنوا عزييتى
(٦) وفى رواية ابن خلكان : واكتفوا اللهم . ويروى : اليهم ، ولهم

الْجَزِيلِ أَنْبَسَطَتْ نُفُوسُهُمْ ، وَتَحَقَّقَتْ آمَالُهُمْ ، وَهَبَّتْ
 رِيَّاحُ النَّصْرِ عَلَيْهِمْ ، وَقَالُوا لَهُ : قَدْ قَطَعْنَا الْأَمَالَ مِمَّا
 يُخَالِفُ مَا عَزَمْتَ عَلَيْهِ ، فَاحْضُرْ إِلَيْهِ ، فَإِنَّا مَعَكَ وَبَيْنَ
 يَدَيْكَ . فَرَكِبَ وَأَصْحَابُهُ فَبَاتُوا لَيْلَتَهُمْ فِي حَرَسِ إِلَى
 الصُّبْحِ . فَلَمَّا أَصْبَحَ الْفَرِيقَانِ تَكْتَبُوا^(١) وَعَبَّأُوا^(٢)
 جُيُوشَهُمْ ، وَحَمَلَ لُذْرِيْقُ وَهُوَ عَلَى سَرِيرِهِ ، وَقَدْ حُمِلَ
 عَلَى رَأْسِهِ رُوقٌ دِيْبَاجٍ^(٣) يُظَلُّهُ وَهُوَ مُقْبِلٌ فِي غَايَةِ^(٤) مِنْ
 الْبُنُودِ^(٥) وَالْأَغْلَامِ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْمُقَاتِلَةُ وَالسَّلَاحُ ،
 وَأَقْبَلَ طَارِقٌ فِي أَصْحَابِهِ عَلَيْهِمُ الزَّرْدُ^(٦) ، وَمِنْ فَوْقِ
 رُءُوسِهِمُ الْعِمَائِمُ الْبَيْضُ ، وَبِأَيْدِيهِمُ الْقِيسِيُّ^(٧) الْعَرِيَّةُ ،
 وَقَدْ تَقَلَّدُوا السُّيُوفَ وَأَعْتَقَلُوا الرِّمَاحَ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِمْ
 لُذْرِيْقُ حَلَفَ وَقَالَ : إِنَّ هَذِهِ الصُّوَرَ هِيَ الَّتِي رَأَيْنَاهَا
 يَبِيْتُ الْحِكْمَةَ بِيَلَدِنَا ، فَدَاخَلَهُ مِنْهُمْ الرُّغْبُ . فَلَمَّا

(١) أى تجمعوا ، ومنه الكتابة وهى الجيش العظيم (٢) عبأ الجيوش : رتبهم
 فى مواضعهم وهياهم للحرب (٣) الديباج ضرب من الثياب المتخذة من
 الابر يسم ملونة ألوانا (٤) لعلها محرفة عن غابة (بالاء للوحدة) يقال أتوا
 فى غابة أى فى رماح كثيرة كالشجرة الملتفة حتى تغيب من فيها (٥) البند :
 العلم الكبير (٦) الزرد : البروع الزرودة (أى السرودة للنسوجة)
 (٧) القسي : جمع قوس وهو مايرمى به السهام

رَأَى طَارِقُ لُدْرِيْقَ قَالَ : هَذَا طَاغِيَةُ الْقَوْمِ ، فَحَمَلَ
وَحَمَلَ أَصْحَابُهُ مَعَهُ ، فَتَفَرَّقَتِ الْمُقَاتِلَةُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ
لُدْرِيْقَ ، فَخَلَصَ إِلَيْهِ طَارِقُ فَضْرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى رَأْسِهِ
فَقَتَلَهُ عَلَى سَرِيرِهِ . فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابُهُ مَصْرَعَ^(١) صَاحِبِهِمْ
اُقْتَحَمَ الْجَيْشَانِ وَكَانَ النَّصْرُ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَلَمْ تَقِفْ هَزِيمَةُ الْعَدُوِّ
عَلَى مَوْضِعٍ ، بَلْ كَانُوا يُسْلِمُونَ بَلَدًا بَلَدًا وَمَعْقِلًا^(٢) مَعْقِلًا .

وَلَمَّا سَمِعَ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ بِمَا حَصَلَ مِنَ النُّصْرَةِ
لِطَارِقٍ عَبَرَ الْجَزِيرَةَ بَيْنَ مَعَهُ ، وَلَحِقَ بِمَوْلَاهُ طَارِقٍ
فَقَالَ لَهُ : يَا طَارِقُ إِنَّهُ لَنْ يُجَازِيَكَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ
عَلَى بَلَائِكَ بِأَكْثَرٍ مِنْ أَنْ يَمْنَحَكَ الْأَنْدَلُسُ ، فَاسْتَبَحَّهُ
هَيْنًا مَرِيئًا . فَقَالَ لَهُ طَارِقُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَاللَّهِ لَا أَرْجِعُ
عَنْ قَصْدِي هَذَا مَا لَمْ أَتِهِ إِلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ أَخُوْضُ
فِيهِ بِرَسِيٍّ - يَعْنِي الْبَحْرَ الشَّمَالِي الَّذِي تَحْتَ بَنَاتٍ^(٣) نَعْشٍ -

لموسى بن
نصير بطارق

(١) مصرع : مقتل (٢) العقل : الحصن (٣) بنات نعش الكبرى سبعة
كواكب أربعة منها نعش لاثنتي عشرة وثلاث بنات نعش ، وكذلك بنات
نعش الصغرى ، وقيل شبيهت بحملة نعش في تربيعةها

وَلَمْ يَزَلْ طَارِقٌ يُشْتَعُ وَمُوسَى مَعَهُ إِلَى أَنْ بَلَغَ إِلَى جِلْيَقِيَّةَ (١)
وَهِيَ سَاحِلُ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ . اُنْتَهَى .

« وَقَالَ الْخَافِضُ الْحَمِيدِيُّ فِي كِتَابِهِ جَذْوَةُ الْمُقْتَبَسِ »
إِنَّ مُوسَى بْنَ نُصَيْرٍ نَقِمَ عَلَى مَوْلَاهُ طَارِقٍ ، إِذْ غَزَا بِغَيْرِ
إِذْنِهِ وَهَمَّ بِقَتْلِهِ ، ثُمَّ وَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابُ الْوَلِيدِ بِإِطْلَاقِهِ
فَأُطْلِقَهُ وَخَرَجَ مَعَهُ إِلَى الشَّامِ . اُنْتَهَى .

وَقَوْلُ لُدْرِيقَ : إِنَّ هَذِهِ الصُّورَ هِيَ الَّتِي رَأَيْنَاهَا
فِي يَنْتِ الْحِكْمَةِ الْخ - أَشَارَ بِهِ إِلَى يَنْتِ حِكْمَةِ
الْيُونَانِ ، وَكَانَ مِنْ حَبْرِهِ فِيمَا حَكَى بَعْضُ عُلَمَاءِ التَّارِيخِ :
أَنَّ الْيُونَانَ - وَهُمْ الطَّائِفَةُ الْمَشْهُورَةُ بِالْحُكْمِ - كَانُوا
يَسْكُنُونَ بِلَادَ الشَّرْقِ قَبْلَ عَهْدِ الإسْكَندَرِ ، فَلَمَّا
ظَهَرَتِ الْفُرْسُ وَاسْتَوْلَتْ عَلَى الْبِلَادِ ، وَزَاخَمَتِ الْيُونَانَ
عَلَى مَا كَانَ بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَمَالِكِ ، انْتَقَلَ الْيُونَانُ إِلَى
جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ ، لِكُونِهَا طَرَفًا فِي آخِرِ الْعِمَارَةِ ، وَلَمْ

يَنْتِ حِكْمَةُ
الْيُونَانِ

يَكُنْ لَهَا ذِكْرُ إِذْ ذَاكَ ، وَلَا مَلَكَهَا أَحَدٌ مِنَ الْمُلُوكِ
الْمُعْتَبَرَةِ ، وَلَمْ تَكُ عَامِرَةً ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ عَمَرَ فِيهَا
وَأَخْطَطَهَا أَنْدَلُسُ بْنُ يَافِثَ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ
فَسُمِّيَتْ بِاسْمِهِ ، وَلَمَّا عُمِرَتِ الْأَرْضُ بَعْدَ الطُوفَانِ
كَانَتْ الصُّورَةُ الْمَعْمُورَةُ مِنْهَا عِنْدَهُمْ عَلَى شَكْلِ طَائِرٍ
رَأْسُهُ الْمَشْرِقُ ، وَالْجَنُوبُ وَالشَّمَالُ رِجْلَاهُ ، وَمَا يَنْتَهَمَا
بَطْنُهُ ، وَالْمَغْرِبُ ذَنْبُهُ ، وَكَانُوا يَزْدَرُونَ الْمَغْرِبَ
لِنِسْبَتِهِ إِلَى أَحْسَنِ أَجْزَاءِ الطَّيْرِ . وَكَانَتْ الْيُونَانُ لَا تَرَى
فَنَاءَ الْأَمَمِ إِلَّا بِالْحُرُوبِ ، لِمَا فِيهَا مِنَ الْأَضْرَارِ وَالِاشْتِغَالِ
عَنِ الْمُلُومِ الَّتِي كَانَ الْإِشْتِغَالُ بِهَا عِنْدَهُمْ مِنْ أَهَمِّ
الْأُمُورِ ، فَلِذَلِكَ انْحَاذُوا مِنْ بَيْنِ يَدَيِ الْفُرْسِ إِلَى
الْأَنْدَلُسِ ، فَلَمَّا صَارُوا إِلَيْهَا أَقْبَلُوا عَلَى عِمَارَتِهَا ،
فَشَقُّوا الْأَنْهَارَ ، وَبَنَوْا الْمَعَاقِلَ ، وَغَرَسُوا الْجَنَّاتِ وَالْكُرُومَ ،
وَشَيَّدُوا الْأَمْصَارَ ، وَمَلَأُوهَا حَرْنًا وَنَسْلًا وَبُنْيَانًا ،

فَعَظُمَتْ وَطَابَتْ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ لَمَّا رَأَى بَهْجَهَا : إِنَّ
الطَّائِرَ الَّذِي صُوِّرَتْ هَذِهِ الْعِمَارَةُ عَلَى شَكْلِهِ ، وَكَانَ
الْمَغْرِبَ ذَنْبُهُ ، كَانَ طَاوُوسًا مُعْظَمَ جَمَالِهِ فِي ذَنْبِهِ
« وَحِكِي » أَنَّ الرَّشِيدَ هُرُونَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - لَمَّا حَضَرَ
بَيْنَ يَدَيْهِ بَعْضُ أَهْلِ الْمَغْرِبِ قَالَ الرَّشِيدُ : يُقَالُ إِنَّ الدُّنْيَا
بِمَثَابَةِ طَائِرٍ ذَنْبُهُ الْمَغْرِبُ ! فَقَالَ الرَّجُلُ : صَدَقُوا يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّهُ طَاوُوسٌ ، فَضَحِكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدُ ،
وَتَعَجَّبَ مِنْ سُرْعَةِ جَوَابِ الرَّجُلِ وَانْتِصَارِهِ لِقَطْرِهِ

« رَجِعْ » قَالَ فَاعْتَبَطَ الْيُونَانُ بِالْأَنْدَلُسِ أَتَمَّ اغْتِيَاظٍ ،
وَاتَّخَذُوا دَارَ الْحِكْمَةِ وَالْمَلِكِ بِهَا طَلِيطَةً ، لِأَنَّهَا أَوْسَطُ
الْبِلَادِ ، وَكَانَ أَمْرُ الْأُمُورِ عِنْدَهُمْ تَحْصِينُهَا عَمَّنْ يَتَّصِلُ بِهِ
خَبَرُهَا مِنَ الْأَمَمِ ، فَنَظَرُوا فَإِذَا هُوَ أَنَّهُ لَا يَحْسُدُهُمْ عَلَى
رَغْدِ الْعَيْشِ إِلَّا أَرْبَابُ الشَّظْفِ^(١) وَالشَّقَاءُ وَالْتَعَبُ ؛ وَهُمْ
يَوْمَئِذٍ طَائِفَتَانِ : الْعَرَبُ ، وَالْتَبَرُ ، فَخَافُوهُمْ عَلَى جَزِيرَتِهِمْ

طليطلة دار
الحكمة والملك

الْعَامِرَةِ ، فَعَزَمُوا عَلَى أَنْ يَتَّخِذُوا لِلْهَذِينَ الْجُنُسَيْنِ مِنَ النَّاسِ
طِلْسَمًا ، فَرَصَدُوا لِلذَّكَ أَرْصَادًا ، وَلَمَّا كَانَ الْبَرْبُ بِالْقُرْبِ
مِنْهُمْ ، وَلَيْسَ سِوَى تَعْدِيَةِ الْبَحْرِ ، وَيَرْدُ عَلَيْهِمْ مِنْهُمْ
طَوَائِفُ مُنْحَرِفَةِ الطَّبَاعِ خَارِجَةً عَنِ الْأَوْضَاعِ ، أَزْدَادُوا
مِنْهُمْ نُفُورًا ، وَأَكْثَرُ تَحْذِيرِهِمْ مِنْ نَسَبٍ أَوْ مُجَاوَرَةٍ ، حَتَّى
ثَبَتَ ذَلِكَ فِي طَبَائِعِهِمْ ، وَصَارَ بَعْضُهُ مُرَكَّبًا فِي غَرَائِزِهِمْ .
فَلَمَّا عَلِمَ الْبَرْبُ عَدَاوَةَ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ وَبُغْضَهُمْ لَهُمْ أَبْغَضُوهُمْ
وَحَسَدُوهُمْ ، فَلَمْ تَجِدْ أَنْدَلُسِيًّا إِلَّا مُبْغِضًا بَرَبْرِيًّا ،
وَبِالْفَكْسِ ، إِلَّا أَنْ الْبَرْبَ أَخْرَجَ إِلَى أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ
لَوْجُودِ بَعْضِ الْأَشْيَاءِ عِنْدَهُمْ وَقَفْدِهَا بِلَادِ الْبَرْبِ ،



وَكَانَ يَنْوَاحِي غَرْبِ الْأَنْدَلُسِ مَلِكٌ يُونَانِيٌّ يُجَزِيرَةٌ يُقَالُ
لَهَا قَادِسُ ، وَكَانَتْ لَهُ ابْنَةٌ فِي غَايَةِ الْجَمَالِ ، فَتَسَامَعَ بِهَا مُلُوكُ
الْأَنْدَلُسِ . وَكَانَتْ الْأَنْدَلُسُ كَثِيرَةَ الْمُلُوكِ ، لِكُلِّ بَلَدَةٍ
أَوْ بَلَدَتَيْنِ مَلِكٌ ، فَخَطَبُوهَا ، وَخَشِيَ أَبُوهَا أَنْ زَوَّجَهَا مِنْ

حيرة ملك
اليونان وحكمة
ابنته

وَاحِدٍ أَسْخَطَ الْبَاقِينَ ، فَتَحَيَّرَ وَأَخْضَرَ أَبْنَتَهُ - وَكَانَتْ
 الْحِكْمَةُ مُرَكَّبَةً فِي طِبَاعِ الْقَوْمِ ذُكُورِهِمْ وَإِنَاثِهِمْ ،
 وَلِذَا قِيلَ : إِنَّ الْحِكْمَةَ نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَعْضَاءٍ
 مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ : أَدِمْنَةَ الْيُونَانِ ، وَأَيْدَى أَهْلِ الصِّينِ ،
 وَالسِّنَةَ الْعَرَبِ - فَقَالَ لَهَا : يَا بَيْتِي إِنَّي أَصْبَحْتُ عَلَى حَبْرَةٍ
 فِي أَمْرِكَ مِمَّنْ يَخْطُبُكَ مِنَ الْمُلُوكِ ، وَمَا أَرْضَيْتُ وَاحِدًا إِلَّا
 أَسْخَطْتُ الْبَاقِينَ ، فَقَالَتْ لَهُ : اجْعَلِ الْأَمْرَ إِلَيَّ تَخْلُصَ ،
 فَقَالَ : وَمَا تَقْرَحِينَ ؟ فَقَالَتْ : أَنْ يَكُونَ مَلِكًا حَكِيمًا ،
 فَقَالَ : نَعَمْ مَا اخْتَرْتَهُ لِنَفْسِكَ . فَكُتِبَ فِي أَجُوبَةِ الْمُلُوكِ
 الْخُطَابُ : إِنَّهَا اخْتَارَتْ مِنَ الْأَزْوَاجِ الْمَلِكَ الْحَكِيمَ . فَلَمَّا
 وَقَفُوا عَلَى الْجَوَابِ سَكَتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ حَكِيمًا ، وَكَانَ
 فِي الْمُلُوكِ الْخَاطِطِينَ حَكِيمَانِ ، فَكُتِبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا
 أَنَا الْمَلِكُ الْحَكِيمُ . فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى كِتَابَيْهِمَا قَالَ لَهَا :
 يَا بَيْتِي بَقِيَ الْأَمْرُ عَلَى إِشْكَالٍ ، وَهَذَانِ مَلِكَانِ حَكِيمَانِ
 أَيُّهُمَا أَرْضَيْتُ أَسْخَطْتُ الْآخَرَ ، فَقَالَتْ سَأَقْرَحُ عَلَى كُلِّ

وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَمْرًا يَأْتِي بِهِ ، أَيُّهُمَا سَبَقَ إِلَى الْفَرَاغِ مِمَّا
 التَّمَسْتُ كُنْتُ زَوْجَتَهُ . قَالَ : وَمَا الَّذِي تَقْتَرِحِينَ عَلَيْهِمَا ؟
 قَالَتْ : إِنَّا سَاكِنُونَ بِهَذِهِ الْجَزِيرَةِ وَنُحْتَاجُونَ إِلَى أَرْضٍ^(١)
 تَدُورُ بِهَا ، وَإِنِّي مُقْتَرِحَةٌ عَلَى أَحَدِهِمَا إِذَا رَسَّهَا بِالْمَاءِ الْعَذْبِ
 الْجَارِي إِلَيْهَا مِنْ ذَلِكَ الْبَرِّ ، وَمُقْتَرِحَةٌ عَلَى الْآخَرِ أَنْ
 يَتَّخِذَ لِي طِلْسَمًا يُحَصِّنُ بِهِ جَزِيرَةَ الْأَنْدَلُسِ مِنَ الْبَرِّ ،
 فَاسْتَظَرَفْتُ^(٢) أَبُو هَازِلَ ، وَكَتَبَ إِلَى الْمَلِكَيْنِ بِمَا قَالَتْ
 أَبْنَتُهُ ، فَأَجَابَاهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَتَقَابَلَا عَلَى مَا اخْتَارَا ، وَشَرَعَ
 كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي عَمَلٍ مَا أُسْنِدَ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ

فَإِذَا صَاحِبُ الرُّحَى فَإِنَّهُ عَمَدٌ إِلَى أَشْكَالٍ اتَّخَذَهَا مِنْ
 الْحِجَارَةِ ، نَصَدَّ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ فِي الْبَحْرِ الْمَالِحِ الَّذِي بَيْنَ جَزِيرَةِ
 الْأَنْدَلُسِ وَالْبَرِّ الْكَبِيرِ ، فِي الْمَوَاضِعِ الْمَعْرُوفِ بِرُقَاقِ سَبْتَةَ ،
 وَسَدَدَ الْفُرَجَ الَّتِي بَيْنَ الْحِجَارَةِ بِمَا اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ ،

(١) أَرْضِي جَمْعُ رَحَى وَهِيَ الطَّاحُونُ وَتَجْمَعُ عَلَى أَرْحٍ وَأَرْحَاءٍ وَرَحَى

وَلَعَلَّهَا هُنَا : رَحَى (٢) وَفَدِيكَوْنُ اسْتَظَرَفَ (بِالطَّاءِ الْمُهْمَلَةِ)

وَأَوْصَلَ تِلْكَ الْحِجَارَةَ مِنَ الْبَرِّ إِلَى الْجَزِيرَةِ - وَآثَارُهُ بَاقِيَةٌ
إِلَى الْيَوْمِ فِي الزُّفَاقِ الَّذِي بَيْنَ سَبْتَةِ وَالْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ ،
وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ يَزْعُمُونَ أَنَّ هَذَا أَثَرُ قَنْطَرَةٍ كَانَتْ
الْإِسْكَندَرُ قَدْ عَمِلَهَا لِيَمْبُرَ عَلَيْهَا النَّاسُ مِنْ سَبْتَةِ إِلَى
الْجَزِيرَةِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَيُّ الْقَوْلَيْنِ أَصَحُّ ؟ غَيْرَ أَنَّ الشَّاعِعَ
إِلَى الْآنَ عِنْدَ النَّاسِ هُوَ الثَّانِي - . فَلَمَّا تَمَّ تَنْضِيدُ الْحِجَارَةِ
لِلْمَلِكِ الْحَكِيمِ ، جَلَبَ الْمَاءَ الْمَذْبُوبَ مِنْ جَبَلٍ عَالٍ فِي الْبَرِّ
الْكَبِيرِ ، وَسَلَطَهُ مِنْ سَاقِيَةٍ مُحْكَمَةٍ ، وَبَنَى بِجَزِيرَةِ
الْأَنْدَلُسِ رَحَى عَلَى هَذِهِ السَّاقِيَةِ .

وَأَمَّا صَاحِبُ الطَّلَسَمِ فَإِنَّهُ أَبْطَأَ عَمَلَهُ بِسَبَبِ انْتِظَارِ الرِّصْدِ
الْمُوَافِقِ لِعَمَلِهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ عَمِلَ أَمْرَهُ وَأَحْكَمَهُ ، وَابْتَنَى بُيَانًا
مُرَبَّعًا مِنْ حَجَرٍ أَيْضًا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ ، فِي دَمَلٍ عَالِجٍ ^(١) حَفَرَ
أَسَاسَهُ إِلَى أَنْ جَعَلَهُ تَحْتَ الْأَرْضِ بِمِقْدَارِ ارْتِفَاعِهِ فَوْقَ الْأَرْضِ
لِيَثْبُتَ ، فَلَمَّا أَتَاهُ الْبِنَاءُ الْمُرَبَّعُ إِلَى حَيْثُ اخْتَارَ صَوْرَ

عمل الطلسم

(١) عالج الرمل : ماتراكم منه ودخل بعضه في بعض ، وتعلج الرمل : اجتمع

مِنْ النُّحَاسِ الْأَحْمَرِ وَالْحَدِيدِ الْمُصَنَّيِّ الْمَخْلُوطَيْنِ بِأَحْكَمِ
الْخَلْطِ صُورَةَ رَجُلٍ بَرَبْرِيٍّ وَلَهُ لِحْيَةٌ ، وَفِي رَأْسِهِ ذُوَابَةٌ
مِنْ شَعْرِ جَعْدٍ ^(١) قَاعَةٌ فِي رَأْسِهِ لِحْمُودَتَهَا ، وَهُوَ مُتَابِطٌ بِصُورَةِ
كِسَاءٍ ، قَدْ جَمَعَ طَرَفَيْهِ عَلَى يَدِهِ الْيُسْرَى بِالطَّفِ تَصْوِيرِ
وَأَحْكَمِهِ ، فِي رِجْلِهِ نَعْلٌ ، وَهُوَ قَائِمٌ مِنْ رَأْسِ الْبِنَاءِ عَلَى
مُسْتَهْدَفٍ ^(٢) بِعَقْدَارِ رِجْلَيْهِ فَقَطْ ، وَهُوَ شَاهِقٌ ^(٣) فِي الْهَوَاءِ
طُولُهُ نِيفَ عَنْ سِتِّينَ أَوْ سَبْعِينَ ذِرَاعًا ، وَهُوَ مُحْدَوِدٌ
الْأَعْلَى إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ مَا سَعَتْهُ قَدْرُ ذِرَاعٍ ، وَقَدْ مَدَّ يَدَهُ
الْيَمْنَى بِمِفْتَاحٍ قُلِّ قَابِضٍ عَلَيْهِ ، مُشِيرًا إِلَى الْبَحْرِ كَأَنَّهُ
يَقُولُ : لَا عُبُورَ . وَكَانَ مِنْ تَأْثِيرِ هَذَا الطَّلَسَمِ فِي الْبَحْرِ
الَّذِي تُجَاهَهُ أَنَّهُ لَمْ يَرْ قَطْ سَاكِنًا ، وَلَا كَانَتْ تَجْرِي
فِيهِ قَطْ سَفِينَةٌ بَرَبْرِيٍّ إِلَّا سَقَطَ الْمِفْتَاحُ مِنْ يَدِهِ . وَكَانَ
الْمِلْكَانِ اللَّذَانِ عَمِلَا الرُّحَى وَالطَّلَسَمِ يَتَسَابَقَانِ إِلَى فَرَاعِ

(١) الجعد : خلاف السبط أو القصير ، وسبوطه الشعر هي الغالبة على شعور غير

العرب من الروم والفرس ، وجعودة الشعر هي الغالبة على شعور العرب ونحوهم

(٢) أى مكان عال مشرف (٣) شاهق : عال ومرتفع

الْعَمَلِ - إِذِ السَّبَقِ يَسْتَحِقُّ زَوَاجَ الْمَرْأَةِ -

* *

وَكَانَ صَاحِبُ الرُّحِيِّ فَرَعَ أَوَّلًا ، لَكِنَّهُ ^(١) أَخْفَى أَمْرَهُ
عَلَى صَاحِبِ الطَّلَسَمِ ، لِثَلَاثِ يَتْرُكُ عَمَلَهُ فَيَبْطُلُ الطَّلَسَمُ ، لِتَحْظَى
الْمَرْأَةُ بِالرُّحِيِّ وَالطَّلَسَمِ ، فَلَمَّا عَلِمَ بِالْيَوْمِ الَّذِي يَفْرُغُ
صَاحِبُ الطَّلَسَمِ فِي آخِرِهِ ، أَجْرَى الْمَاءَ فِي الْجَزِيرَةِ مِنْ
أَوَّلِهِ ، وَأَدَارَ الرُّحِيَّ ، وَأَشْتَهَرَ ذَلِكَ ، فَاتَّصَلَ الْخَبَرُ بِصَاحِبِ
الطَّلَسَمِ وَهُوَ فِي أَعْلَى الْقُبَّةِ يَصْقُلُ وَجْهَهُ ^(٢) - وَكَانَ الطَّلَسَمُ
مُذْهَبًا - فَلَمَّا تَحَقَّقَ أَنَّهُ مَسْبُوقٌ ضَعِفَتْ نَفْسُهُ ، فَسَقَطَ
مِنْ أَعْلَى الْبِنَاءِ مَيِّتًا ^(٣) ، وَحَصَلَ صَاحِبُ الرُّحِيِّ عَلَى الْمَرْأَةِ
وَالرُّحِيِّ وَالطَّلَسَمِ . وَكَانَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ مُلُوكِ
الْيُونَانِ يَخْشَى عَلَى الْأَنْدَلُسِ مِنَ الْبَرَبْرِ لِلْسَّبَبِ الَّذِي
قَدْ مَنَّا ذِكْرَهُ ، فَاتَّفَقُوا وَجَعَلُوا الطَّلَسَمَاتِ فِي أَوْقَاتِ اخْتَارُوا
أَرْصَادَهَا ، وَأَوْدَعُوا تِلْكَ الطَّلَسَمَاتِ تَابُوتًا مِنَ الرِّخَامِ

لوز صاحب
الرحي وموت
صاحب الطلسم

(٢) الظاهر أن الذي أخفى الأمر على صاحب الطلسم هو الملك أبو الفتاة

(١) أي يصقل وجه الطلسم (٣) وقيل إنه ألقى بنفسه من أعلى الموضع الذي

عليه الطلسم

وَرَكَّوهُ فِي يَنْتِ بِطَلِيْطَلَّةَ ، وَرَكَّبُوا عَلَى ذَلِكَ أَلْبَابَ
قُفْلًا ، تَأْكِيْدًا لِحِفْظِ ذَلِكَ الْيَنْتِ ، فَاسْتَمَرَّ أَمْرُهُمْ
عَلَى ذَلِكَ ^(١) .

وَلَمَّا حَانَ وَقْتُ انْقِرَاضِ دَوْلَةِ مَنْ كَانَ
دخول العرب
والبربر الأندلس
بِالْأَنْدَلُسِ وَدُخُولِ الْعَرَبِ وَالْبَرْبَرِ إِلَيْهَا ، وَذَلِكَ بَعْدَ
مُضِيِّ سِتَّةٍ وَعَشْرِينَ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِهِمْ مِنْ تَارِيخِ عَمَلِ
الطَّلَسَمَاتِ بِطَلِيْطَلَّةَ ، وَكَانَ لِدُرَيْقُ الْمَذْكُورُ آفَقًا هُوَ
تَمَامُ السَّابِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ مُلُوكِهِمْ ، فَلَمَّا اقْتَمَدَ أَرِيكَهَ
الْمَلِكِ قَالَ لَوْزَرَاتِهِ وَخَوَاصُّ دَوْلَتِهِ وَأَهْلُ الرَّأْيِ مِنْهُمْ :
قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ أَمْرِ هَذَا الْيَنْتِ الَّذِي عَلَيْهِ سِتَّةٌ
وَعِشْرُونَ قُفْلًا شَيْءٌ ، وَأُرِيدُ أَنْ أَفْتَحَهُ لِأَنْظُرَ مَا فِيهِ
لِأَنَّهُ لَمْ يُمْعَلْ عَبَثًا ، فَقَالُوا : أَيُّهَا الْمَلِكُ صَدَقْتَ ، إِنَّهُ لَمْ
يُصْنَعْ عَبَثًا ، وَلَمْ يَقْفَلْ سُدًى ، وَالرَّأْيُ وَالْمَصْلَحَةُ
أَنْ تُتْلِقَ أَنْتَ أَيْضًا عَلَيْهِ قُفْلًا أُسْوَةً ^(٢) بِعَنْ تَقَدَّمَكَ
مِنْ أَمْلُوكِ ، وَكَانَ آبَاؤُكَ وَأَجْدَادُكَ لَمْ يُمْهِلُوا هَذَا

(١) هذه الأخبار موضع بحث ونظر لدى التاريخ (٢) أسوة : قدوة

فَلَا تُهْمِلُهُ وَسِرِّ سَيْرَهُمْ ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّ نَفْسِي تُتَارَعُنِي
إِلَى فَتْحِهِ وَلَا بُدَّ لِي مِنْهُ ، فَقَالُوا لَهُ : إِنْ كُنْتَ
تَظُنُّ أَنَّ فِيهِ مَالًا فَقَدَّرَهُ وَنَحْنُ نَجْمَعُ لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا
نَظِيرَهُ ، وَلَا تُحَدِّثْ عَلَيْنَا بِفَتْحِهِ حَدِيثًا لَا نَعْرِفُ عَاقِبَتَهُ ،
فَأَصْرَّ عَلَى ذَلِكَ - وَكَانَ رَجُلًا مَهِيًا - فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى
مُرَاجَعَتِهِ ، وَأَمَرَ بِفَتْحِ الْأَفْقَالِ ، وَكَانَ عَلَى كُلِّ قُمْلٍ
مِفْتَاحُهُ مُعْلَقًا ، فَلَمَّا فَتَحَ الْبَابَ لَمْ يَرِ فِي الْبَيْتِ شَيْئًا
إِلَّا مَائِدَةً عَظِيمَةً مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ مُكَلَّلَةً بِالْجَوَاهِرِ
وَعَلَيْهَا مَكْتُوبٌ : « هَذِهِ مَائِدَةُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا
السَّلَامُ » وَرَأَى فِي الْبَيْتِ ذَلِكَ الثَّابُوتَ ، وَعَلَيْهِ قُمْلٌ
وَمِفْتَاحُهُ مُعْلَقٌ ، فَفَتَحَهُ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ سِوَى رَقٍّ ^(١) ، وَفِي
جَوَانِبِ الثَّابُوتِ صُورُ فُرْسَانٍ مُصَوَّرَةٍ بِأَصْبَاغٍ مُحْكَمَةٍ
التَّصْوِيرِ عَلَى أَشْكَالِ الْعَرَبِ ، وَعَلَيْهِمُ الْفِرَاءُ وَهُمْ
مُحْمَمُونَ عَلَى ذَوَائِبٍ ^(٢) جَعْدٍ ، وَمِنْ تَحْتِهِمُ الْخَيْلُ الْعَرَبِيَّةُ ،

(١) الرق: جلد رقيق يكتب فيه، ومنه قوله تعالى « في رق منشور » (٢) ذوائب
الاشياء: أعاليها والذوائب أيضا الناصية أو منبتها من الرأس. وذؤابة الرأس
هي التي تحيط بالدائرة من الشعر، والشعر للصفور من شعر الرأس
والشعر المنسدل من وسط الرأس الى الظهر. وقال مضمون: الذؤابة صغيرة
الشعر المرسله فان لويت فهي عقيقة، وقد تطلق على كل ما يرعى

وَهُمْ مُتَقَلِّدُونَ السُّيُوفَ الْمُحَلَّلَةَ ، مُتَعَقِلُونَ الرُّمَاحَ ،
فَأَمَرَ بِنَشْرِ ذَلِكَ الرَّقِّ ، فَإِذَا فِيهِ : مَتَى قُتِحَ هَذَا الْبَيْتُ
وَهَذَا التَّابُوتُ الْمُتَقَفَّلَانِ بِالْحِكْمَةِ ، دَخَلَ الْقَوْمُ الَّذِينَ
صَوَّرَهُمْ فِي التَّابُوتِ إِلَى جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ ، وَذَهَبَ مُلْكُ
مَنْ فِيهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ ، وَبَطَلَتْ حِكْمَتُهُمْ . فَلَمَّا سَمِعَ
لُذْرِيْقُ مَا فِي الرَّقِّ ، نَدِمَ عَلَى مَا فَعَلَ ، وَتَحَقَّقَ انْقِرَاضَ
دَوْلَتِهِمْ . فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى سَمِعَ أَنَّ جَيْشًا وَصَلَ
مِنَ الْمَشْرِقِ ، جَهَّزَهُ مَلِكُ الْعَرَبِ لِيَقْتَسِحَ بِلَادَ الْأَنْدَلُسِ .
أَنْتَهَى .

* * *

فَهَذَا هُوَ يَنْتُ الْحِكْمَةُ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهِ لُذْرِيْقُ ،
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْأَمْرِ فِي ذَلِكَ ^(١) كُلِّهِ . عَلَى أَنَّ فِي هَذَا
السِّيَاقِ مُخَالَفَةً لِمَا سَنَذَكُرُهُ عَنْ بَعْضِ ثِقَاتِ مُؤَرِّخِي
الْأَنْدَلُسِ وَغَيْرِهِمْ فِي شَأْنِ الْمَائِدَةِ وَغَيْرِهَا ، وَمَا ذُكِرَ

(٢) قَالَ ياقوت : وقرأت في بعض كتبهم أن هذا الطلسم هدم في

سنة ٥٤٠ رجا أن يوجد فيه مال فلم يوجد فيه شيء .

حول بيت
الحكمة

فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ مِنْ جَلْبِ الْمَاءِ مِنْ بَرِّ الْمُدَوَّةِ النِّخْ ، فِيهِ
بُعْدٌ عِنْدِي لِأَنَّ بِلَادَ الْأَنْدَلُسِ أَكْثَرُ بِلَادِ اللَّهِ مِيَاهًا
وَأَنْهَارًا ، فَأَنِّي تَحْتَاجُ إِلَى جَلْبِ الْمِيَاهِ إِلَيْهَا مِنَ الْمُدَوَّةِ
الْأُخْرَى ؟ إِلَّا أَنْ يُقَالَ : إِنَّ الْمَرْأَةَ أَرَادَتْ تَعْجِيزَ الرَّجُلِ
بِذَلِكَ ، أَوْ اخْتِبَارَ حِكْمَتِهِ ، حَتَّى يَفْعَلَ هَذَا الْأَمْرَ الْغَرِيبَ ،
وَعِلْمُ اللَّهِ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ ، « وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ » ،
وَمُسْتَعَى الْعِلْمِ إِلَى اللَّهِ الْحَكِيمِ .

* *

كَيْفَ مَلَكَ طَرِيقَ « وَقَالَ ابْنُ حَيَّانَ فِي الْمُقْتَبَسِ : ذَكَرُوا أَنَّ لُذْرِيْقَ
لَمْ يَكُنْ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ ، وَلَا بِصَحِيحِ النَّسَبِ فِي الْقُوطِ ،
وَأَنَّهُ إِنَّمَا نَالَ الْمُلْكَ مِنْ طَرِيقِ الْعَصَبِ وَالتَّسْوِيرِ عِنْدَمَا
مَاتَ غَيْطَشَةُ^(١) الْمَلِكُ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ ، وَكَانَ أَمِيرًا^(٢)
لَدَيْهِ مَكِينًا ، فَاسْتَصْفَرَ أَوْلَادَهُ لِمَكَانِهِ ، وَاسْتَمَالَ طَائِفَةً

(١) غَيْطَشَةُ (وَيْزَا) هُوَ آخِرُ مَلُوكِ الْقُوطِ الَّذِينَ بَلَّغَتْ مَسَاوِيَهُمْ فِي عَهْدِهِ .
غَايَبَتْهَا وَالَّذِي عَلَّمَ الشَّعْبَ ارْتِكَابَ الذُّنُوبِ وَاقْتِرَافَ الْآثَامِ ، فَمَعِدَ بِذَلِكَ
الطَّرِيقَ لِلْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ (٢) أَيْ ذَا مَنْزِلَةٍ يُوَثِّرُهُ عَلَى كُلِّ مَنْ سِوَاهِ .

مِنَ الرِّجَالِ مَالُوا مَعَهُ ، فَانْتَرَعَ الْمَلِكُ مِنْ أَوْلَادِ غِيْطَشَةَ
وَأَسْتَبْقَاهُمْ ، فَكَانُوا هُمُ الَّذِينَ دَبَّرُوا عَلَيْهِ فِيمَا ذُكِرَ عِنْدَ
مَا لَقِيَ رِجَالَ الْعَرَبِ الْمُقْتَحِمِينَ عَلَيْهِ بِالْأَنْدَلُسِ مِنْ تِلْقَاءِ بَحْرِ
الزَّرْقَاقِ ، وَعَلَيْهِمْ طَارِقُ بْنُ زِيَادٍ مَوْلَى مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ ،
طَمَاعَةً مِنْهُمْ فِي أَنْ يُودِيَ وَيَخْلَصَ إِلَيْهِمْ مُلْكُ أَبِيهِمْ ،
فَالْتَمَوْا بِمَوْضِعٍ يُدْعَى وَادِي لَسْكَةَ ، مِنْ أَرْضِ الْجَزِيرَةِ
الْخَضْرَاءِ مِنْ سَاحِلِ الْأَنْدَلُسِ الْقَبْلِيِّ مَكَانَ عُبُورِهِمْ .
وَذَلِكَ لِسَبْعِ خَلَوْنٍ مِنْ شَهْرِ رَيْسَعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ
وَتِسْعِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ ، فَانْهَزَمَ الْقُوْطُ أَكْثَرُ هَزِيمَةٍ ، وَقُتِلَ
مَلِكُهُمْ لُذْرَيْقُ ، وَغَلَبَتِ الْعَرَبُ عَلَى الْأَنْدَلُسِ ، فَصَارَتْ
أَقْصَى فُتُوْحِهِمْ مِنْ أَرْضِ الْمَغْرِبِ ، وَمِصْدَاقَ مَوْعِدِ نَبِيِّهِمْ ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكَفِيلِ بِفَتْحِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ
عَلَيْهِمْ ، بِوَحْيِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَيْهِ ؛ أَنْجَزَهُ لَهُمْ بِفَتْحِ الْأَنْدَلُسِ ،
وَلِلَّهِ الْقُوَّةُ . قَالَ : وَقَامَ بِأَمْرِ الْعَرَبِ بِالْأَنْدَلُسِ مُنْذُ فَتَحَتْ
الْأُمَرَاءُ الْمُرْسَلُونَ مِنْهُمْ عَلَيْهَا ، مِنْ قَبْلِ أَلَمَّةِ الْمُسْلِمِينَ بِالْمَشْرِقِ

طَوَالَ^(١) دَوْلَةُ بَنِي أُمَيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ - إِلَى أَنْ طَرَأَ إِلَيْهَا
 قُلُوبُهُمْ^(٢) عِنْدَ غَلْبَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ عَلَيْهِمْ ، وَدَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
 ابْنُ مُعَاوِيَةَ بْنُ هِشَامٍ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَمَلَكَهَا ،
 وَأَعَادَ إِلَيْهَا الدَّوْلَةَ الْأُمَوِيَّةَ الَّتِي أَوْرَثَهَا عَقِبُهُ حِقْبَةً ؛
 فَكَانَتْ عِدَّةُ هَؤُلَاءِ الْأَمْرَاءِ مِنْ لَدُنْ أَوَّلِهِمْ طَارِقِ بْنِ زِيَادٍ
 إِلَى آخِرِهِمْ يُوسُفُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفَهْرِيُّ عِشْرِينَ عَامِلًا ؛
 وَعِدَّةُ سِنِيهِمْ بِالشَّمْسِيِّ خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً ، وَبِالْقَمَرِيِّ
 سَبْعٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً غَيْرَ أَشْهُرٍ . اُنْتَهَى

« وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ » تَقْلًا عَنِ الرَّازِيِّ : وَأَفْتِشَتْ
 الْأَنْدَلُسُ فِي أَيَّامِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَكَانَ فَتْحُهَا مِنْ
 أَعْظَمِ الْفَتْوحِ الذَّاهِبَةِ بِالصَّبِيتِ فِي ظُهُورِ الْمِلَّةِ الْخَنِيفَةِ ،
 وَكَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ - مُتَهَمًا^(٣) بِهَا
 مُعْتَنِيًا بِشَأْنِهَا ، وَقَدْ حَوَّلَهَا عَنْ نَظَرٍ وَآلِي إِفْرِيقِيَّةَ ، وَجَرَّدَ

كيف فتحت
 الأندلس

(١) طوال : أى مدى (٢) الفل : الجماعة للتهزمون ، من الفل وهو الكسر
 (٣) تههم الشيء : طلبه وتحسسه . فعنى كونه متهمًا بها أنه كان معنيًا بأمرها يطلبها

إِلَيْهَا عَامِلًا مِنْ قِبَلِهِ اخْتَارَهُ لَهَا، دَلَالَةً عَلَى مَعْنِيَتِهِ بِهَا، وَوَقَعَتْ
الْمَقَاسِمُ فِيهَا عَنْ أَمْرِهِ وَبِفَضْلِ رَأْيِهِ . انْتَهَى

فذلك عن
فتح الأندلس

« وَفِي الْكِتَابِ الْخَزَائِنِيِّ وَغَيْرِهِ » سِيَاقَةُ فَتْحِ الْأَنْدَلُسِ
عَلَى أُمِّ الْوُجُوهِ، فَلَمَّا كُرِّمَتْ لَخْصَةً. قَالُوا: اسْتَعْمَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - مُوسَى بْنَ نُصَيْرٍ
مَوْلَى عَمِّهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ. وَيُقَالُ بَلْ هُوَ بَكْرِيُّ.
وَذَلِكَ أَنَّ أَبَاهُ نُصَيْرًا أَصْلُهُ مِنْ عُلُوجٍ ^(١) أَصَابَهُمْ خَالِدُ بْنُ
الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فِي عَيْنِ الثَّمَرِ ^(٢). فَادَّعَوْا أَنَّهُمْ
رَهْنٌ، وَأَنَّهُمْ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ، فَصَارَ نُصَيْرٌ وَصِيفًا
لِمَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ فَأَعْتَقَهُ، فَمِنْ هَذَا يُخْتَلَفُ فِيهِ.
وَقِيلَ: إِنَّهُ لَخَمِيٌّ - وَعَقَدَ لَهُ عَلَى إِفْرِيقِيَّةٍ وَمَا خَلْفَهَا فِي سَنَةِ
ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ، فَخَرَجَ إِلَى ذَلِكَ الْوَجْهِ فِي تَقَرٍّ قَلِيلٍ مِنْ
الْمُطَوَّعَةِ، فَلَمَّا وَرَدَ مِصْرَ أَخْرَجَ مَعَهُ مِنْ جُنْدِهَا بَعْمًا،

(١) تطلق العرب كلمة عُلُوج على الرجل من كفار المعجم والقوى الضخم
منهم . وأصل الطلج العبر الوحشي إذا سمن وقوى (٢) بلدة قريبة من الأنبار
غربي الكوفة ، افتتحها المسلمون في أيام أبي بكر على يد خالد بن الوليد سنة ١٢

وَأَتَى إِفْرِيقِيَّةَ عَمَلَهُ ، فَأَخْرَجَ مِنْ أَهْلِهَا مَعَهُ ذَوِي الْقُوَّةِ
وَالْجَلْدِ ، وَصَيَّرَ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ طَارِقَ بْنِ زِيَادٍ ، فَلَمْ يَزَلْ يُقَاتِلُ
الْبَرْبَرِ ، وَيَقْضِي جُوعَهُمْ وَيَفْتَسِحُ بِلَادَهُمْ وَمَدَائِنَهُمْ حَتَّى بَلَغَ
طَنْجَةَ - وَهِيَ قَصَبَةٌ ^(١) مُلْكِ الْبَرْبَرِ وَأُمِّ مَدَائِنِهِمْ - فَحَصَرَهَا
حَتَّى أَفْسَحَهَا . وَقِيلَ إِنَّهَا لَمْ تَكُنْ أَفْسَحَتْ قَبْلَهُ ، وَقِيلَ
أَفْسَحَتْ ثُمَّ أَرْبَحَتْ ، فَأَسْلَمَ أَهْلُهَا - وَخَطَهَا قَيْرَوَانًا ^(٢)
لِلْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ سَارُوا إِلَى مَدَائِنَ عَلَى شَطِّ الْبَحْرِ ، فِيهَا عُمَالٌ
لِصَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ قَدْ غَلَبُوا عَلَيْهَا وَعَلَى مَا حَوْلَهَا ، وَرَأْسُ
تِلْكَ الْمَدَائِنِ سَبْتَةُ ، وَعَلَيْهَا عِلْجٌ يُسَمَّى يُلْيَانَ ، قَاتَلَهُ
مُوسَى فَأَلْفَاهُ فِي نَجْدَةٍ وَقُوَّةٍ وَعُدَّةٍ فَلَمْ يُطِيقْهُ ، فَرَجَعَ إِلَى
مَدِينَةِ طَنْجَةَ فَأَقَامَ بِمَنْ مَعَهُ ، وَأَخَذَ فِي الْفَارَاتِ عَلَى مَا
حَوْلَهُمْ وَالتَّضْيِيقِ عَلَيْهِمْ ، وَالسُّفْنُ تَحْتَلِفُ إِلَيْهِمْ بِالْمِيرَةِ ^(٣)

(١) قصبة : عاصمة (٢) القيروان الجماعة من الحيل والقوافل ، ومعظم
الكتيبة . وهو لفظ عرب قديما ، قال امرؤ القيس :

وغارة ذات قيروان كأن أسرابها رجال

وفي الأثر : « يغدو الشيطان بقيروانه الى السوق » (٣) الطعام والؤنة

وَالْأَمْدَادِ مِنَ الْأَنْدُلُسِ مِنْ قَبْلِ مَلِكِهَا غَيْطَشَةَ ، فَهُمْ
يَذُبُّونَ^(١) عَنْ حَرِيمِهِمْ ذُبًّا شَدِيدًا ، وَيَحْمُونَ بِلَادَهُمْ حَيَاةً
تَامَةً ، إِلَى أَنْ هَلَكَ غَيْطَشَةُ مَلِكُ الْأَنْدُلُسِ ، وَتَرَكَ أَوْلَادًا
لَمْ يَرْضَهُمْ أَهْلُهَا لِلْمُلْكِ ، فَاضْطَرَبَ حَبْلُ أَهْلِ الْأَنْدُلُسِ ،
ثُمَّ تَرَاضَوْا بِبَلِجٍ مِنْ كِبَارِهِمْ يُقَالُ لَهُ لُذْرِيْقُ مُجَرَّبُ شُجَاعٍ
بَطْلٌ ، لَيْسَ مِنْ بَيْتِ أَهْلِ الْمُلْكِ إِلَّا أَنَّهُ مِنْ قَوَادِمِهِمْ وَقُرَسَانِهِمْ
فَوَلَّوْهُ أَمْرَهُمْ ، وَكَانَتْ طُلَيْطُلَةُ دَارَ الْمُلْكِ بِالْأَنْدُلُسِ
حَيْنِئِذٍ ، وَكَانَ بِهَا بَيْتٌ مَغْلَقٌ مُتَحَايٍ^(٢) الْفَتْحِ عَلَى الْأَيَّامِ ،
عَلَيْهِ عِدَّةٌ مِنَ الْأَقْفَالِ ، يَلْزِمُهُ قَوْمٌ مِنْ ثِقَاتِ الْقَوَاطِرِ قَدْ
وُكِّلُوا بِهِ لِنَلَا يُفْتَحَ ، وَقَدْ عَهْدَ الْأَوَّلُ فِي ذَلِكَ إِلَى الْآخِرِ ،
فَكُلَّمَا قَعَدَ مِنْهُمْ مَلِكٌ أَتَاهُ أَوْلِيكَ الْأُمُوكَلُّونَ بِالْبَيْتِ ،
فَأَخَذُوا مِنْهُ قُفْلًا وَصَيَّرُوهُ عَلَى ذَلِكَ الْبَابِ مِنْ غَيْرِ أَنْ
يُرِيُوا قُفْلَ مَنْ تَقَدَّمَهُ ،

فَلَمَّا قَعَدَ لُذْرِيْقُ هَذَا - وَكَانَ مِنْهُمْ مَلِكًا يَقِظًا ذَا فَتْحِ الْتَابُونَ

(١) يذبون : يدفعون (٢) تحايى الشئ : ابتعد عنه ولم يدن منه

فِكْرٍ - أَتَاهُ الْخُرَاسُ يَسْأَلُونَهُ أَنْ يُقْفَلَ عَلَى الْبَابِ ،
 فَقَالَ لَهُمْ : لَا أَفْعَلُ أَوْ أَعْلَمَ مَا فِيهِ ، وَلَا بُدَّ لِي مِنْ فَتْحِهِ ،
 فَقَالُوا لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ هَذَا أَحَدٌ مِنْ قَبْلِكَ ،
 وَتَنَاهَوْا^(١) عَنْ فَتْحِهِ ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ وَمَشَى إِلَى الْبَيْتِ ،
 فَأَعْظَمَتْ^(٢) ذَلِكَ الْعَجْمُ ، وَضَرَعَ^(٣) إِلَيْهِ أَكْبَرُهُمْ فِي الْكَفِّ
 فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَظَنَّ أَنَّهُ يَنْتُ مَالٍ فَفَضَّ الْأَقْفَالَ عَنْهُ ، وَدَخَلَ
 فَأَصَابَهُ فَارِغًا لَاشَيْءٍ فِيهِ إِلَّا تَابُوتًا عَلَيْهِ قُفْلٌ ، فَأَمَرَ
 بِفَتْحِهِ يَحْسَبُ أَنْ مَضْمُونَهُ يُقْنِعُهُ نَفَاسَةً ، فَأَلْفَاهُ أَيْضًا فَارِغًا
 لَيْسَ فِيهِ إِلَّا شُقَّةٌ^(٤) مُدْرَجَةٌ قَدْ صُوِّرَتْ فِيهَا صُورُ الْعَرَبِ ،
 عَلَيْهِمُ الْعِمَائِمُ وَتَحْتَهُمُ الْخِيُولُ الْعِرَابُ مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ
 مُتَّكِبِي الْقِيسَى رَافِعِي الرِّايَاتِ عَلَى الرُّمَاحِ ، وَفِي أَعْلَاهَا
 أَسْطُرٌ مَكْتُوبَةٌ بِالْعَجَمِيَّةِ ، قُفِّرَتْ فَإِذَا فِيهَا : إِذَا كَسِرَتْ
 الْأَقْفَالُ عَنْ هَذَا الْبَيْتِ وَفُتِحَ هَذَا التَّابُوتُ فَظَهَرَ مَا فِيهِ
 مِنْ هَذِهِ الصُّورِ ، فَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ الْمُصَوَّرَةَ فِي هَذِهِ الشُّقَّةِ

(١) أى نهى بعضهم بعضا (٢) أى عدوه شينا عظيما (٣) أى فزع إليه ولجأ

واسْتَغَاثَ (٤) أى قطعة مستطيلة ، ومدرجة : مطوية

تَدْخُلُ الْأَنْدَلُسَ فَتَغْلِبُ عَلَيْهَا وَتَمْلِكُهَا . فَوَجَمَ ^(١) لُذْرِيْقُ
وَنَدِمَ عَلَى مَا فَعَلَ ، وَعَظُمَ غَمُّهُ وَغَمُّ الْعَجَمِ بِذَلِكَ ، وَأَمَرَ
بِرَدِّ الْأَقْقَالِ وَإِقْرَارِ الْحُرَّاسِ عَلَى حَالِهِمْ ، وَأَخَذَ فِي تَذْيِيرِ
الْمَلِكِ ، وَذَهَلَ عَمَّا أَنْذَرَهُ بِهِ .

وَقَدْ كَانَ مِنْ سَيَرَاءِ كَابِرِ الْعَجَمِ بِالْأَنْدَلُسِ وَقُوَادِهِمْ أَنْ
يَبْعَثُوا أَوْلَادَهُمُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ مَنَفَعَتَهُمْ وَالتَّنْوِيَةَ بِهِمْ إِلَى بِلَادِ
الْمَلِكِ الْأَكْبَرِ بِطُلَيْطَلَةَ لِيَصِيرُوا فِي خِدْمَتِهِ ، وَيَتَأَدَّبُوا بِأَدَبِهِ ،
وَيَتَأَلَّمُوا مِنْ كَرَامَتِهِ ، حَتَّى إِذَا بَلَغُوا أَنْكَحَ ^(٢) بَعْضُهُمْ بَعْضًا
أَسْتِثْلَافًا لِآبَائِهِمْ ، وَحَمَلَ صَدَقَاتِهِمْ ، وَتَوَلَّى تَجْهِيْزَ
إِنَائِهِمْ إِلَى أَزْوَاجِهِمْ ، فَاتَّفَقَ أَنْ فَعَلَ ذَلِكَ يُبْلِيَانِ ^(٣) عَامِلُ
لُذْرِيْقَ عَلَى سَبْتَةٍ ، وَكَانَتْ يَوْمَئِذٍ فِي يَدِ صَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ ،
وَأَهْلُهَا عَلَى النَّصْرَانِيَّةِ ، رَكِبَ الطَّرِيقَةَ بِابْنَةٍ لَهُ بَارِعَةٍ
أَجْمَالِ ^(٤) تَكْرُمُ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا صَارَتْ عِنْدَ لُذْرِيْقَ وَقَعَتْ

(١) وجم : وقف متحبراً ، والوجوم : السكوت على غيظ وهم ، والواجم :

العبوس المطرق من شدة الحزن (٢) أنكح بعضهم بعضاً : تصاهروا

وتزوج بعضهم من بعض (٣) Julien (٤) كانت تدعى (فلورندا)

عَيْنُهُ عَلَيْهَا فَأَعْجَبَتْهُ ، وَأَحَبَّهَا حُبًّا شَدِيدًا ، وَلَمْ يَمْلِكْ
نَفْسَهُ حَتَّى اسْتَكْرَهَهَا ^(١) وَأَفْتَضَّهَا ^(٢) ، فَأَحْتَالَتْ حَتَّى أَعْلَمَتْ
أَبَاهَا بِذَلِكَ سِرًّا بِمُكَاتَبَةِ خَفِيَّةٍ ، فَأَحْفَظَهُ ^(٣) مَثَانَهَا جِدًّا ،
وَأَشَدَّتْ حِمِيَّتَهُ ^(٤) وَقَالَ : وَدَيْنَ الْمَسِيحِ لِأَزِيلَنَّ مُلْكَهُ
وَسُلْطَانَهُ ، وَلَأَحْفُرَنَّ تَحْتَ قَدَمَيْهِ ، فَكَانَ امْتِنَاعُهُ مِنْ
فَاحِشَةِ ابْنَتِهِ هُوَ السَّبَبُ فِي فَتْحِ الْأَنْدَلُسِ بِالَّذِي سَبَقَ
مِنْ قَدَرِ اللَّهِ تَعَالَى . ثُمَّ إِنَّ يُلْيَانَ رَكِبَ بَحْرَ الزُّفَاقِ
مِنْ سَبْتَةِ فِي أَصْعَابِ الْأَوْقَاتِ فِي صَنْبَرٍ ^(٥) قَلْبِ الشَّتَاءِ ،
فَصَارَ بِالْأَنْدَلُسِ ، وَأَقْبَلَ إِلَى طَلِيْطَلَةَ نَحْوَ الْمَلِكِ لُدْرِيْقَ ،
فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ حِمِيَّتَهُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْوَقْتِ ، وَسَأَلَهُ عَمَّا
لَدَيْهِ وَمَا جَاءَ فِيهِ ، وَلَمْ جَاءَ فِي مِثْلِ وَقْتِهِ ؟ فَذَكَرَ خَيْرًا
وَأَعْتَلَّ بِذِكْرِ زَوْجَتِهِ وَشِدَّةِ شَوْقِهَا إِلَى رُؤْيَايَةِ ابْنَتِهَا الَّتِي

(١) استكرهها : اغتصبها وأجبرها (٢) افتضها : فض بكارتها (٣) أحفظه :
أغاظه وملا قلبه حقداً وغيظاً (٤) الحمية : الأنفة والغضب وشدة الغيرة
(٥) الصنبر : الريح الباردة في غيم ؛ وبه سمي اليوم الثاني من أيام المعجوز

عِنْدَهُ ، وَتَمَنِّيَهَا لِقَاءَهَا قَبْلَ الْمَوْتِ ، وَالْحَاحَ (١) عَلَيْهِ فِي
إِخْضَارِهَا ، وَأَنَّهُ أَحَبُّ إِسْعَافَهَا ، وَرَجَا بُلُوغَهَا أَثْمِنَتَهَا (٢)
مِنْهُ ، وَسَأَلَ الْمَلِكَ إِخْرَاجَهَا إِلَيْهِ وَتَعَجِيلَ إِطْلَاقِهِ لِلْمُبَادَرَةِ
بِهَا ، فَفَعَلَ وَأَجَازَ الْجَارِيَةَ ، وَتَوَقَّعَ مِنْهَا بِالْكِتْمَانِ عَلَيْهِ ،
وَأَفْضَلَ عَلَى أَيِّهَا ، فَانْقَلَبَ عَنْهُ .

وَذَكَرُوا أَنَّهُ لَمَّا وَدَّعَهُ قَالَ لَهُ الْذَرِيقُ : إِذَا قَدِمْتَ عَلَيْنَا التَّعْدِيرُ ضِدَّ الْمَلِكِ
فَاسْتَقْرِهْ لَنَا مِنْ الشَّدَائِقَاتِ (٣) الَّتِي لَمْ تَزَلْ تُطْرِفُنَا (٤) بِهَا فَإِنَّهَا آثَرُ
جَوَارِحِنَا لَدَيْنَا ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، وَحَقُّ الْمَسِيحِ لَنَنْ يَقِيتُ
لَا دُخْلَانَ عَلَيْكَ شَدَائِقَاتٍ مَا دَخَلَ عَلَيْكَ مِثْلُهَا قَطُّ
- عَرَضَ لَهُ بِالَّذِي أَضْمَرَهُ مِنَ السَّعْيِ فِي إِدْخَالِ رِجَالِ
الْعَرَبِ عَلَيْهِ وَهُوَ لَا يَفْطَنُ - فَلَمْ يَتَّهِنَهُ (٥) مُبْلِيَانُ عِنْدَ
مَا اسْتَقَرَّ بِسَبْتَةِ عَمَلِهِ أَنْ تَهَيَّأَ لِلْمَسِيرِ نَحْوَ مُوسَى بْنِ نَصِيرٍ

(١) الإلحاح : كثرة الطلب (٢) الأمنية : الغاية (٣) الشيدق والشيدقان
والشيداق والشودانق الصقر (مغرب) والقاهرة : النشطة الحادة القوية .

كالشيدقان خاضب أظفاره قد ضربته شمال في يوم طل

(٤) أطرفه : أعطاه مالم يبط أحدا قبله ولم يملك مثله فأعجبه ، والاسم منه
الطرفة (٥) يريد لم يلبث ، أى انه لم يكف نفسه ولم يمنعها عن التهيؤ والاستعداد

(١٢ - نفع الطيب - ثان)

الأمير فَمَضَى نَحْوَهُ بِإِفْرِيقَةٍ ، وَكَلَّمَهُ فِي غَزْوِ الْأَنْدَلُسِ
وَوَصَفَ لَهُ حُسْنَهَا وَفَضْلَهَا ، وَمَا جَمَعَتْ مِنْ أَشْتَاتِ^(١)
الْمَنَافِعِ وَأَنْوَاعِ الْمَرَافِقِ^(٢) ، وَطَيَّبِ الْمَزَارِعَ ، وَكَثَرَةَ
الشُّمَارِ ، وَتَرَارَةَ الْمِيَاهِ وَعُذُوبَتِهَا ، وَهَوَّنَ عَلَيْهِ مَعَ ذَلِكَ حَالِ
رِجَالِهَا ، وَوَصَفَهُمْ بِضَعْفِ الْبَاسِ وَقِلَّةِ الْغَنَاءِ^(٣) ، فَشَوَّقَ
مُوسَى إِلَى مَا هُنَاكَ ، وَأَخَذَ بِالْحَزْمِ فِيمَا دَعَاهُ إِلَيْهِ يُبْلِيَانُ ،
فَعَاقَدَهُ عَلَى الْإِنْجِرَافِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَأَسْتَظْهَرَ عَلَيْهِ
بِأَنَّ سَامَهُ^(٤) مُكَاشَفَةَ أَهْلِ مِلَّتِهِ مِنَ الْأَنْدَلُسِ الْمُشْرِكِينَ ،
وَالِاسْتِخْرَاجِ إِلَيْهِمْ بِالْذُّخُولِ إِلَيْهَا ، وَشَنَّ^(٥) الْغَارَةَ فِيهَا ،
فَفَعَلَ يُبْلِيَانُ ذَلِكَ ، وَجَمَعَ جَمْعًا مِنْ أَهْلِ عَمَلِهِ فَدَخَلَ بِهِمْ
فِي مَرَكَبَيْنِ ، وَحَلَّ بِسَاحِلِ الْجَزِيرَةِ الْخَضِرَاءِ ، فَأَغَارَ وَقَتَلَ
وَسَبَى وَغَنِمَ ، وَأَقَامَ بِهَا أَيَّامًا ، ثُمَّ رَجَعَ بِعَنْ مَعَهُ سَالِمِينَ ،
وَشَاعَ الْخَبْرُ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَنَسُوا يُبْلِيَانِ وَأَطْمَأَنَّنُوا إِلَيْهِ ،
وَكَانَ ذَلِكَ عَقِبَ سَنَةِ تِسْعِينَ . فَكَتَبَ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ

(١) أَشْتَات : متفرقات (٢) أى ما يستعان به ويتفجع من الطالب (٣) الغناء :

الكفاية والنفع (٤) سامه الأمر : كلفه إياه وأراده عليه (٥) شن الغارة :

صيدها وفرقها مروعا بها في كل جهة

إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، يُخْبِرُهُ بِالَّذِي دَعَاهُ
إِلَيْهِ يُلَيِّكُنْ مِنْ أَمْرِ الْأَنْدَلُسِ ، وَيَسْتَأْذِنُهُ فِي اقْتِحَامِهَا .
فَكُتِبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ أَنْ خُضَّهَا بِالسَّرَايَا ^(١) حَتَّى تَرَى
وَتُخْتَبِرَ شَأْنَهَا ، وَلَا تُغَرَّرَ ^(٢) بِالْمُسْلِمِينَ فِي بَحْرِ شَدِيدِ الْأَهْوَالِ .
فَرَأَجَعَهُ أَنَّهُ لَيْسَ يَبْحَرُ زَخَارٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ خَلِيجٌ مِنْهُ يَبِينُ
لِلنَّاضِرِ مَا خَلْفَهُ . فَكُتِبَ إِلَيْهِ : وَإِنْ كَانَ فَلَا بُدَّ مِنْ
اخْتِبَارِهِ بِالسَّرَايَا قَبْلَ اقْتِحَامِهَا . فَبَعَثَ مُوسَى عِنْدَ ذَلِكَ رَجُلًا
مِنْ مَوَالِيهِ مِنَ الْبَرَابِرَةِ اسْمُهُ طَرِيفٌ يُكْنَى أَبَا زُرْعَةَ فِي
أَرْبَعِمِائَةِ رَجُلٍ ، مَعَهُمْ مِائَةُ فَرَسٍ ، سَارَ بِهِمْ فِي أَرْبَعٍ مَرَاكِبَ ،
فَنَزَلَ بِجَزِيرَةِ ثُقَابِلُ جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْخَضْرَاءِ ،
الَّتِي هِيَ الْيَوْمَ مَعْبَرٌ سَفَاتِهِمْ وَدَارُ صِنَاعَتِهِمْ - وَيُقَالُ لَهَا
الْيَوْمَ جَزِيرَةُ طَرِيفٍ لِتُزُولِ بِهَا - وَأَقَامَ بِهَا أَيَّامًا حَتَّى
الْتَمَ ^(٣) إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ ، ثُمَّ مَضَى حَتَّى أَفَارَ عَلَى الْجَزِيرَةِ ،

(١) جمع سرية وهي القطعة من الجيش ، سميت بذلك لأنها كانت تسرى
ليلا في خفية لئلا ينذر بهم العدو فيحذروا أو يمتنعوا ، أولائها كانت
تنتخب من خلاصة العسكر وخيارهم وسرواتهم . وسرى القائد سرية الى
العدو اذا جردها وبشها اليهم (٢) لا تغرر بالمسلمين : لا تعرضهم للهلكة

(٣) اجتمع وانضم

فَأَصَابَ سَبِيًّا لَمْ يَرَ مُوسَى وَلَا أَصْحَابُهُ مِثْلَهُ حُسْنًا، وَمَا لَا
جَسِيًّا وَأَمْتَعَةً، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ إِحْدَى
وَتِسْعِينَ، فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ تَسَرَّعُوا إِلَى الدُّخُولِ .
وَقِيلَ : دَخَلَ طَرِيفٌ فِي أَلْفِ رَجُلٍ فَأَصَابَ غَنَائِمَ وَسَبِيًّا،
وَدَخَلَ بَعْدَهُ أَبُو زُرْعَةَ - شَيْخٌ مِنَ الْبَرَابِرَةِ وَلَيْسَ
بِطَرِيفٍ - فِي أَلْفِ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَيْضًا، فَأَصَابُوا أَهْلَ
الْجَزِيرَةِ قَدْ تَفَرَّقُوا عَنْهَا، فَضَرَبُوا عَامَّهَا بِالنَّارِ،
وَحَرَّقُوا كَنِيسَةً بِهَا كَانَتْ عِنْدَهُمْ مُعْظَمَةٌ، وَأَصَابُوا
سَبِيًّا يَسِيرًا، وَقَتَلُوا وَأَنْصَرَفُوا سَالِمِينَ . وَقَالَ الرَّازِيُّ :
هُوَ أَبُو زُرْعَةَ طَرِيفُ بْنُ مَالِكٍ الْمَعَارِفِيُّ^(١)، الْأَسْمُ طَبَقُ
الْكُنْيَةِ . قَالُوا ثُمَّ عَاوَدَ يُلَيِّكُ الْقُدُومَ عَلَى مُوسَى بْنِ نَصِيرٍ
مُحَرَّرًا فِي الْأَقْتِحَامِ عَلَى أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ، وَخَبَرَهُ بِمَا كَانَ
مِنْهُ وَمِنْ طَرِيفٍ وَأَبِي زُرْعَةَ، وَمَا نَالُوهُ مِنْ أَهْلِهَا وَبَاشَرُوهُ
مِنْ طَيْبِهَا، فَحَمِدَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ، وَأُسْتَجِدَّ عَزَمًا فِي أَقْتِحَامِ
الْمُسْلِمِينَ فِيهَا، فَدَعَى مَوْلَى لَهُ كَانَ عَلَى مُقَدَّمَتِهِ يُسَمَّى

طَارِقُ بْنُ زِيَادٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَارِسِيًّا هَذَا نِيًّا . وَقِيلَ : إِنَّهُ لَيْسَ
بِمَوْلَى لِمُوسَى ، وَإِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ مِنْ صَدَفٍ ^(١) ، وَقِيلَ مَوْلَى لَهُمْ ،
وَقَدْ كَانَ بَعْضُ عَقِبِهِ بِالْأَنْدَلُسِ يُنْكِرُونَ وَلَاءَ مُوسَى
إِنْكَارًا شَدِيدًا ، وَقِيلَ إِنَّهُ بَرَبْرِيٌّ مِنْ نَفْزَةٍ ^(٢) . فَعَقَدَ لَهُ
مُوسَى وَبَعَثَهُ فِي سَبْعَةِ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، جُلُثُهُمُ الْبَرَبْرُ
وَالْمَوَالِي ، وَلَيْسَ فِيهِمْ عَرَبٌ إِلَّا قَلِيلٌ ، وَوَجَّهَ مَعَهُ
مِيلْيَانًا ، فَهَيَّأَ لَهُ مِيلْيَانُ الْمَرَائِبِ ، فَرَكَبَ فِي أَرْبَعِ سَفُنٍ
لَا صِنَاعَةَ لَهُ غَيْرُهَا ، وَحَطَّ بِجَبَلٍ طَارِقٍ الْمَنْسُوبِ إِلَيْهِ
يَوْمَ مَبْتًى ، فِي شَعْبَانَ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ فِي شَهْرِ أَعْسُطُسَ ،
ثُمَّ صَرَفَ الْمَرَائِبَ إِلَى مَنْ خَلْفَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ فَرَكَبَ
مَنْ بَقِيَ مِنَ النَّاسِ ، وَلَمْ تَرَلِ السَّفَائِنُ تَحْتَلِفُ إِلَيْهِمْ حَتَّى
تَوَافَى ^(٣) جَمِيعُهُمْ عِنْدَهُ بِالْجَبَلِ . وَقِيلَ : حَلَّ طَارِقٌ بِجَبَلِهِ يَوْمَ
الْإِثْنَيْنِ لِخَمْسٍ خَلَوْنَ مِنْ رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ ، فِي اثْنَيْ عَشَرَ
أَلْفًا غَيْرَ سِتَّةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْبَرَابِرَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مَنْ

(١) صدف : محركة ، قرية على خمسة فراسخ من القبروان . والصدف
بطن من كندة (٢) نفزة : قبيلة مشهورة من قبائل البربر الذين بالمغرب
(من برابرة طرابلس) ومنهم النذر بن سعيد البلوطي (٣) توافى جميعهم : أتوا .

الْعَرَبِ إِلَّا يَسِيرٌ، أَجَازَهُمْ يُبْلِيَانُ إِلَى سَاحِلِ الْأَنْدَلُسِ فِي
مَرَائِبِ الثُّجَارِ مِنْ نَيْتٍ لَمْ يَعْلَمْ بِهِمْ أَوَّلًا أَوَّلًا، وَرَكِبَ
أَمِيرُهُمْ طَارِقٌ آخِرُهُمْ

طارق والمجوز قيل وَأَصَابَ طَارِقٌ عَجُوزًا مِنْ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ ،
فَقَالَتْ لَهُ فِي بَعْضِ قَوْلِهَا : إِنَّهُ كَانَ لَهَا زَوْجٌ عَالِمٌ
بِالْحَدَثَانِ ، فَكَانَ يُحَدِّثُهُمْ عَنْ أَمِيرٍ يَدْخُلُ إِلَى بَلَدِهِمْ
هَذَا وَيَغْلِبُ عَلَيْهِ ، وَيَصِفُ مِنْ نَعْتِهِ أَنَّهُ ضَخْمُ الْهَامَةِ ،
فَأَنْتَ كَذَلِكَ ؟ وَمِنْهَا : أَنْ فِي كَتِفِهِ الْأَيْسَرِ شَامَةٌ عَلَيْهَا شَعْرٌ ،
فَإِنْ كَانَتْ بِكَ هَذِهِ الْوَسْمَةُ فَأَنْتَ هُوَ ، فَكَشَفَ
طَارِقٌ ثَوْبَهُ ، فَإِذَا بِالشَّامَةِ فِي كَتِفِهِ عَلَى مَا ذَكَرَتْهُ الْعَجُوزُ ،
فَاسْتَبَشَرَ بِذَلِكَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ .

رؤيا طارق وَذَكَرَ عَنْ طَارِقٍ أَنَّهُ كَانَ نَائِمًا فِي الْمَرْكَبِ ،
فَرَأَى فِي مَنَامِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْخُلَفَاءَ
الْأَرْبَعَةَ أَصْحَابَهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -

يَمْشُونَ عَلَى الْمَاءِ حَتَّىٰ مَرُّوا بِهِ ، فَبَشَّرَهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِالْفَتْحِ وَأَمَرَهُ بِالرَّفْقِ بِالْمُسْلِمِينَ وَالْوَفَاءِ بِالْمَهْدِ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ لَمَّا رَكِبَ الْبَحْرَ غَلَبَتْهُ عَيْنُهُ ، فَكَانَ يَرَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَحَوْلَهُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ قَدْ تَقَلَّدُوا السُّيُوفَ وَتَنَكَّبُوا الْقِسِيَّ ، فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا طَارِقُ تَقَدَّمَ لِشَانِكَ ، وَنَظَرَ إِلَيْهِ وَإِلَى أَصْحَابِهِ قَدْ دَخَلُوا الْأَنْدَلُسَ قُدَّامَهُ ، فَهَبَّ مِنْ نَوْمِهِ مُسْتَبْشِرًا وَبَشَّرَ أَصْحَابَهُ ، وَتَابَتْ ^(١) إِلَيْهِ نَفْسُهُ نِقَّةً يَبْشُرَاهُ ، فَقَوَّيَتْ نَفْسُهُ وَلَمْ يَشْكْ فِي الظَّفَرِ . فَخَرَجَ مِنَ الْبَلَدِ وَأَفْتَحَ بَسِيطَ الْبِلَادِ شَانًا لِلْعَارَةِ .



اقتحام العرب
الأندلس

قَالُوا وَوَقَعَ عَلَى لُذْرِيْقِ الْمَلِكِ خَبْرُ اقْتِحَامِ الْعَرَبِ سَاحِلِ الْأَنْدَلُسِ ، وَتَوَالِي غَارَاتِهِمْ عَلَى بَلَدِ الْجَزِيرَةِ ، وَأَنَّ يُمْلِكَانَ السَّبَبُ فِيهَا - وَكَانَ يَوْمَئِذٍ غَائِبًا بِأَرْضِ بَنْبُلُونَةَ ^(٢) فِي غَزَاةٍ لَهُ إِلَى الْبَشْكَنْسِ لِأَمْرِ كَانِ اسْتَنْصَبَ عَلَيْهِ بِنَاحِيَتِهِمْ - فَعَظُمَ عَلَيْهِ ، وَفَهِمَ

(١) ثابت : رجعت واطمأنت (٢) مدينة شمالي اسبانيا Pamplona

الْأَمْرَ الَّذِي مِنْهُ أَتَى ، وَأَقْبَلَ مُبَادِرًا الْفَتْقَ فِي مُجُوعِهِ حَتَّى
أَحْتَلَّ بِمَدِينَةِ قُرْطَبَةَ مِنَ التَّوَسُّطَةِ ، وَنَزَلَ الْقَصْرَ الْمَدْعُورَ
بِهَا يَبْلَاطُ لِدَرْيَقِ الْمَنْسُوبِ إِلَيْهِ - وَلَيْسَ لِأَنَّهُ بَنَاهُ أَوْ
أَخْتَرَعَهُ - وَهُوَ بَنَاءٌ مِنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْمُلُوكِ اتَّخَذُوهُ
لِمَنْزِلِهِمْ فِي قُرْطَبَةَ إِذَا أَتَوْهَا ، إِلَّا أَنَّ الْعَرَبَ لَمَّا غَلَبُوا
لِدَرْيَقَ وَهَذَا الْقَصْرُ مِنْ مَوَاطِنِهِ نَسَبُوهُ إِلَيْهِ ، إِذْ لَمْ
يَعْرِفُوا مَنْ بَنَاهُ . وَيَزْعُمُ الْعَجَمُ أَنَّ الَّذِي بَنَاهُ مَلِكٌ مِنْهُمْ كَانَ
سَاكِناً بِحِصْنِ الْمَدُورِ أَسْفَلَ قُرْطَبَةَ^(١)

لدریق والبابزی وَخَرَجَ يَوْمًا يَتَصِيدُ حَتَّى أَتَاهُ إِلَى مَكَانٍ قُرْطَبَةَ
وَهِيَ يَوْمَئِذٍ خَرَابٌ ، وَكَانَ فِي مَوْضِعٍ قَصْرٍ هَا غِيضَةٌ^(٢)
عُلِيقٌ^(٣) مُلْتَفَّةٌ أَشْبَةُ^(٤) ، فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ بَازِيًّا لَهُ
يَكْرُمُ عَلَيْهِ عَلَى حَبَلَةٍ^(٥) عَثَّتْ لَهُ مِنْ نَاحِيَةِ

(١) الى الجنوب الغربي منها على الوادى الكبير (٢) الغيضة : مغيض ماء
يجتمع فينبث فيه الشجر (٣) نبت يتعلق بالشجر ، وهو من شجر الشوك
لا يعظم واذا نسب فيه الشيء لم يكده يتخلص من كثرة شوكه ، وشوكه
حجز شداد ، ومنايته الغياض والأشبه (٤) أشب الشجر فهو أشب ،
الأشبه شدة التفاف الشجر وكثرته حتى لا يحاز فيه ، وغیضة أشبه : ملتفة
(٥) الحبله : طائر على قدر الحمامة كالقطاة أحمر المنقار والرجلين يسمى دجاج البر

الْكُدْيَةِ^(١) الْمَسُوبَةِ بَعْدُ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ ، فَتَنَحَّيْتُ^(٢) فِي
ذَلِكَ الْعُلَيْقِ ، وَلَجَّ الْبَارِزُ فِي الْإِنْقِضَاضِ عَلَيْهَا ، فَرَكَضَ
الْمَلِكُ خَلْفَهُ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مَكَانِهِ لِيُخْرِجَهُ ، فَأَمَرَ بِقَطْعِهَا
لِاسْتِنْقَازِ بَارِزِهِ ضَيًّا مِنْهُ بِهِ فَقَطَّعَتْ ، وَبَدَأَ لَهُ تَحْتَهَا أَسَاسُ
قَصْرِ عَظِيمٍ رَاقَهُ رِصْنُهُ - وَقَدْ كَانَ ذَاهِمَةً - فَأَمَرَ بِالْكَشْفِ
عَنْهُ وَتَقْصِي حُدُودِهِ طُولًا وَعَرْضًا ، وَتَتَبَعَ أُمْسُهُ وَأَصْلُهُ ،
فَوَجَدَهُ مَبْنِيًّا مِنْ وَجْهِ الْمَاءِ بِصُمِّ الْحِجَارَةِ فَوْقَ زَرْجُونٍ
وُضِعَ بَيْنَهُمَا وَيَنْ أَلْمَاءٍ بِأَحْكَمِ صِنَاعَةٍ ، فَقَالَ هَذَا أَثَرُ
مَلِكٍ كَرِيمٍ وَأَنَا أَوْلَى مَنْ جَدَّدَهُ ، فَأَمَرَ بِإِعَادَتِهِ إِلَى
هَيْئَتِهِ وَاتَّخَذَهُ مَنْزِلًا مِنْ مَنَازِلِ رِاحَاتِهِ ، فَكَانَ إِذَا طَافَ
بِعَمَلِهِ أَوْ مَضَى فِي مُتَصِيدِهِ^(٣) تَزَلَّ فِيهِ ، وَصَارَ السَّبَبُ فِي
بِنَاءِ قُرْطُبَةٍ إِلَى جَنْبِهِ ، وَتَزَلَّ النَّاسُ فِيهَا ، وَتَوَارَثَ أَنَّهُ لَوْ كُ
قَصَرَهَا مِنْ بَعْدِهِ ، وَتَزَلَّهُ لُدْرِيْقُ فِي زَحْفِهِ إِلَى الْعَرَبِ أَيَّامًا ،

(١) الكدية : الأرض المرتفعة ، والغليظة الصلبة (٢) لعلها فتعجبت أو

فنسبت ، أى علقب (٣) أى للقنص والصيد

وَالْحُشُودُ مِنْ أَعْمَالِهِ تَتَوَافَى إِلَيْهِ ، ثُمَّ مَضَى نَحْوَ كُورَةِ
شَذُونَةَ ^(١) يَبْنِي لِقَاءَهُمْ فِي حُشُودِهِ الْكَثِيرَةِ .

* *

وَقِيلَ إِنَّ آخِرَ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ الَّذِينَ تَلَتْهُمْ الْعَرَبُ
غَيْطَشَةُ ، وَإِنَّهُ هَلَكَ عَنْ أَوْلَادٍ ثَلَاثَةِ صِغَارٍ لَمْ يَصْلُحُوا
لِلْمُلْكِ ، فَضَبَطَتْ ^(٢) أُمُّهُمْ عَلَيْهِمْ مُلْكَ وَالِدِهِمْ بِطُلَيْطَلَةَ ،
وَأَنْحَرَفَ لُذْرِيْقُ قَائِدُ الْخَيْلِ لَوَالِدِهِمْ فِيمَنْ تَبِعَهُ عَنْهُمْ فَصَارَ
بِقُرْطَبَةٍ ، فَلَمَّا اقْتَحَمَ طَارِقُ الْأَنْدَلُسَ نَفَرَ إِلَيْهِ لُذْرِيْقُ وَأَسْتَنْفَرَ ^(٣)
إِلَيْهِ أَجْنَادَ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ ، وَكَتَبَ إِلَى أَوْلَادِ غَيْطَشَةَ - وَقَدْ
تَرَعَّرَعُوا ^(٤) وَرَكِبُوا الْخَيْلَ وَاتَّخَذُوا الرِّجَالَ - يَدْعُوهُمْ إِلَى
الْاجْتِمَاعِ مَعَهُ عَلَى حَرْبِ الْعَرَبِ ، وَيُحَذِّرُهُمْ مِنَ الْقُعُودِ
عَنْهُ ، وَيَحْضُرُهُمْ عَلَى أَنْ يَكُونُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ يَدًّا وَاحِدَةً ،
فَلَمْ يَجِدُوا بَدًّا ، وَحَشَدُوا وَقَدِمُوا عَلَيْهِ بِقُرْطَبَةٍ ، فَزَلُّوا
أَكْنَافَ قَرْيَةٍ شَقْنَدَةَ بَعْدُودَةِ نَهْرِهَا قُبَالَةَ الْقَصْرِ ، وَلَمْ

آخر ملوك
الأندلس

(١) شذونة : بفتح أوله - مدينة بالأندلس تتصل بنواحيها بنواحي موزور
من أعمال الأندلس منحرفة عنها إلى الغرب (٢) أي قامت أمهم بأمر الملك
(٣) الاستنفار الاستنجاد والاستنصار ، واستنفر الامام الناس لجهاد العدو
إذا حشهم على النفير ودعاهم إلى القتال (٤) أي بلغوا مبلغ الرجال

يَطْمِئِنُّوا إِلَى الدُّخُولِ عَلَى لُذْرِيْقَ أَخْذًا بِالْحَزْمِ ، إِلَى أَنْ
 اسْتَبَّ جِهَازُ لُذْرِيْقَ وَخَرَجَ ، فَانْضَمُّوا إِلَيْهِ وَمَضُوا مَعَهُ
 وَهُمْ مُرْصِدُونَ^(١) لِمَكْرُوْهِهِ ، وَالْأَصَحُّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
 مَا سَبَقَ أَنْ مَلَكَ الْقَوَاطِجَ اجْتَمَعَ لِلْذَرِيْقِ - وَاخْتَلَفَ فِي أَسْمِهِ
 قَلِيلٌ رُّذْرِيْقُ بِالرَّاءِ أَوَّلُهُ ، وَقِيلَ بِاللَّامِ لُذْرِيْقُ^(٢) . وَهُوَ
 الْأَشْهُرُ ، وَقِيلَ إِنَّ أَصْلَهُ مِنْ أَصْبَهَانَ وَيُسَمَّى الْأَشْبَانَ ،
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، قَالُوا : وَعَسَكَرَ لُذْرِيْقُ فِي نَحْوِ مِائَةِ أَلْفٍ
 ذَوِي عُدَدٍ وَعِدَّةٍ ، فَكَتَبَ طَارِقٌ إِلَى مُوسَى يَسْتَعِيْذُهُ
 وَيَعْرِفُهُ أَنَّهُ فَتَحَ الْجَزِيْرَةَ الْخَضْرَاءَ فُرْصَةَ الْأَنْدَلُسِ ، وَمَلَكَ
 الْمَجَازَ إِلَيْهَا ، وَأَسْتَوَلَى عَلَى أَعْمَالِهَا إِلَى الْبُحَيْرَةِ ، وَأَنَّ لُذْرِيْقَ
 زَحَفَ إِلَيْهِ بِمَالٍ قَبْلَ^(٣) لَهُ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ . وَكَانَ
 مُوسَى مِنْذُ وَجَهَ طَارِقًا لِرُجُوْهِهِ قَدْ أَخَذَ فِي عَمَلِ السُّفُنِ
 حَتَّى صَارَ عِنْدَهُ مِنْهَا عِدَّةٌ كَثِيْرَةٌ ، فَحَمَلَ إِلَى طَارِقٍ فِيهَا
 خَمْسَةَ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَدَدًا ، كَمَلَتْ بِهِمْ عِدَّةٌ مِنْ

(١) أى ناوون غدره وخذلانه متر بصون به (٢) أى لاطافة (٣) Roderic

مَعَهُ اثْنَتَيْ عَشَرَ أَلْفًا أَقْوِيَاءَ عَلَى الْمَغَانِمِ حِرَاصًا عَلَى اللَّقَاءِ ،
وَمَعَهُمْ مِيلِيَانُ الْمُسْتَأْمِنِ ^(١) إِلَيْهِمْ فِي رِجَالِهِ وَأَهْلٍ عَمَلِهِ ،
يَدُلُّهُمْ عَلَى الْعَوْرَاتِ ^(٢) وَيَتَجَسَّسُ الْأَخْبَارَ ، وَأَقْبَلَ
نَحْوَهُمْ لِدُرَيْقٍ فِي جُمُوعِ الْعَجَمِ وَمُلُوكِهَا وَفُرْسَانِهَا
فَتَلَقَوْا فِيهَا يَتَنَّهُمْ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِنَّ هَذَا
ابْنُ الْحَلِيشَةِ قَدْ غَلَبَ عَلَى سُلْطَانِنَا ^(٣) وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ
وَلِنَّمَا كَانَ مِنْ أَتْبَاعِنَا ، فَلَسْنَا نَعْدُمُ مِنْ سِيرَتِهِ خَبْرًا ^(٤)
فِي أَمْرِنَا ، وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الطَّارِقُونَ لَا حَاجَةَ لَهُمْ فِي
اِسْتِيطَانِ ^(٥) بَلَدِنَا ، وَلِنَّمَا مُرَادُهُمْ أَنْ يَمْلَأُوا أَيْدِيَهُمْ
مِنَ الْغَنَائِمِ ثُمَّ يَخْرُجُوا عَنَّا ، فَهَلُمَّ فَلَنَنْهَزِمَ بِابْنِ الْحَلِيشَةِ
إِذَا نَحْنُ لَقِينَا الْقَوْمَ لَعَلَّهُمْ يَكْفُونَنَا إِيَّاهُ ، فَإِذَا أَنْصَرَفُوا
عَنَّا أَقْعَدْنَا فِي مُلْكِنَا مَنْ يَسْتَحِقُّهُ . فَاجْمَعُوا عَلَى ذَلِكَ ،
وَالْقَضَاءُ يُبْرِئُ مَا أَرْتَأَوْهُ . وَكَانَ لِدُرَيْقٍ وَلَّى مِيسَمَتَهُ
أَحَدَ ابْنَيْ غَيْطَشَةَ وَمِيسَرَتَهُ الْآخَرَ ، فَكَانَا رَأْسِي

(١) أى الذى أعطى الأمان من المسلمين على دمه وماله ورجاله على أن

يناصروهم (٢) العورة : الخلل فى الثغر وغيره من كل ما يتخوف منه

(٣) أى ملكنا (٤) أى فسادا (٥) أى اتخاذاها وطننا

الَّذِينَ أَدَارُوا عَلَيْهِ الْهَزِيمَةَ ، وَأَدَاهُمَا إِلَى ذَلِكَ طَمَعُ
رُجُوعِ مُلْكِ وَالِدِهِمَا إِلَيْهِمَا .

وَقِيلَ لَمَّا تَقَابَلَ الْجَيْشَانِ أَجْمَعَ أَوْلَادُ غَيْطَشَةَ
عَلَى الْغَدْرِ بِلَذْرِيقَ ، وَأَرْسَلُوا إِلَى طَارِقٍ يُعْلِمُونَهُ أَنَّ
لِذْرِيقَ كَانَ تَابِعًا وَخَادِمًا لِأَبِيهِمْ ، فَغَلَبَهُمْ عَلَى سُلْطَانِهِمْ
بَعْدَ مَهْلِكِهِ ، وَأَنَّهُمْ غَيْرُ تَارِكِي حَقِّهِمْ لَدَيْهِ ،
وَيَسْأَلُونَهُ الْأَمَانَ عَلَى أَنْ يَمِيلُوا إِلَيْهِ عِنْدَ الْإِقَاءِ فِيمَنْ
يَتَّبِعُهُمْ ، وَأَنْ يُسَلَّمَ إِلَيْهِمْ إِذَا ظَفَرَ ضِيَاعَ وَالِدِهِمْ
بِالْأَنْدَلُسِ كُلِّهَا - وَكَانَتْ ثَلَاثَةَ آلَافِ ضَيْعَةٍ
نَقَاسٍ مُخْتَارَةً ، وَهِيَ الَّتِي سُمِّيَتْ بَعْدَ ذَلِكَ صَفَايَا^(١) الْمُلُوكِ -
فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ وَعَاقَدَهُمْ عَلَيْهِ . فَالتَقَى الْفَرِيقَانِ مِنَ
الْغَدِ ، فَأَنْحَازَ الْأَوْلَادُ إِلَى طَارِقٍ ، فَكَانَ ذَلِكَ أَقْوَى أَسْبَابِ
الْفَتْحِ ، وَكَانَ الْإِلْتِقَاءُ عَلَى وَادِي لَكَّةَ مِنْ كُورَةِ

(١) الصفي والصفية من الغنيمة : ما اختاره الرئيس من الغنم واصطفاه لنفسه

قبل القسمة من فرس أو سيف أو غيره - قال عبد الله بن عمنه الضبي

يُخَاطَبُ بِسَطَامِ بْنِ قَيْسِ الشَّيْبَانِيِّ :

لَكَ الْمِرْيَاحُ مِنْهَا وَالصَّفَايَا وَحَكْمُكَ وَالنَّشِيطَةُ وَالْفُضُولُ

شَدُونَةَ ، فَهَزَمَ اللَّهُ الطَّاعِيَةَ لِدَرِيْقٍ وَجُمُوعَهُ ، وَنَصَرَ
الْمُسْلِمِينَ نَصْرًا لَا كِفَاءَ لَهُ ، وَرَمَى لِدَرِيْقُ نَفْسَهُ فِي وَادِي
لَكَّةَ وَقَدْ أَثْقَلَتْهُ الْجِرَاحُ ، فَلَمْ يُعْلَمْ لَهُ خَبْرٌ وَلَمْ يُوجَدْ .

وَقِيلَ نَزَلَ طَارِقٌ بِالْمُسْلِمِينَ قَرِيبًا مِنْ عَسْكَرِ لِدَرِيْقٍ
مُنْسَلَخٍ شَهْرَ رَمَضَانَ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ ، فَوَجَّهَ لِدَرِيْقُ
عِلْجًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، قَدْ عَرَفَ نَجْدَتَهُ وَوَتَّقَ بِيَأْسِهِ ، لِيُشْرِفَ
عَلَى عَسْكَرِ طَارِقٍ فَيَحْزُرَ^(١) عَدَدَهُمْ وَيُعَايَنَ هَيْئَتَهُمْ
وَمَرَائِكِهِمْ ، فَأَقْبَلَ ذَلِكَ الْعِلْجُ حَتَّى طَلَعَ عَلَى الْعَسْكَرِ
ثُمَّ شَدَّ^(٢) فِي وَجْهِهِ مِنْ أَسْتَشْرَفَةٍ^(٣) مِنَ الْمُسْلِمِينَ ،
فَوَثَبُوا إِلَيْهِ ، فَوَلَّى مُنْصَرِفًا رَاكِضًا وَقَاتَهُمْ بِسَبْقِ فَرَسِهِ ،
فَقَالَ الْعِلْجُ لِلدَّرِيْقِ : أَتَتَكَ الصُّورُ الَّتِي كَشَفْتَ لَكَ عَنْهَا
الْتِّابُوتُ ، فَخُذْ عَلَى نَفْسِكَ ، فَقَدْ جَاءَكَ مِنْهُمْ مَنْ لَا يُرِيدُ إِلَّا
الْمَوْتَ أَوْ إَصَابَةَ مَا نَحْتُ قَدَمَيْكَ ، قَدْ حَرَقُوا مَرَائِكَهُمْ إِيَّاسًا

نزول طارق
بالمسلمين

(١) حزر النسيء حزرا : قدره بالحدس والتخمين (٢) أى حمل (٣)
استشرفه . رفع بصره ينظر اليه ، وبسط كفه فوق حاجبه كالمستظل من
الشمس

لَا تُقْسِمُهُمْ مِنَ التَّلَاقِ بِهَا ، وَصُفُّوا فِي السَّهْلِ مُوْطِنِينَ
 أَنْفُسَهُمْ عَلَى الثَّبَاتِ ، إِذْ لَيْسَ لَهُمْ فِي أَرْضِنَا مَكَانٌ مَهْرَبٍ .
 فَرَعَبَ وَتَضَاعَفَ جَزَعُهُ ، وَالتَّقَى الْمَسْكَرَانَ بِالْبُحَيْرَةِ
 وَأَقْتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا إِلَى أَنْ أَنْهَزِمَتْ مِيمَنَةُ لُذْرِيْقَ
 وَمَيْسَرَتُهُ ، أَنْهَزَمَ بِهِمَا ابْنَا غَيْطَشَةَ ، وَبَتَّ الْقَلْبُ بَعْدَهُمَا
 قَلِيلًا وَفِيهِ لُذْرِيْقُ ، فَعَذَرَ ^(١) أَهْلُهُ بِشَيْءٍ مِنْ قِتَالٍ ثُمَّ
 أَنْهَزِمُوا وَلُذْرِيْقُ أَمَامَهُمْ ، فَاسْتَمَرَّتْ هَزِيمَتُهُمْ ، وَأَذَرَ ^(٢)
 الْمُسْلِمُونَ الْقَتْلَ فِيهِمْ ، وَخَفِيَ أَمْرُ لُذْرِيْقَ فَلَا يُدْرَى
 أَمْرُهُ ، إِلَّا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ وَجَدُوا فَرَسَهُ الْأَشْهَبَ ، الَّذِي قُبِدَ
 وَهُوَ رَاكِبُهُ وَعَلَيْهِ سَرَجٌ لَهُ مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلٍ
 بِالْيَاقُوتِ وَالزَّبَرْجَدِ ، وَوَجَدُوا أَحَدَ خُفَيْهِ وَكَانَ مِنْ
 ذَهَبٍ مُكَلَّلٍ بِالذَّرِّ وَالْيَاقُوتِ وَالزَّبَرْجَدِ ، وَقَدْ سَاخَ
 الْفَرَسُ فِي طِينٍ وَخَمَاءٍ ^(٣) وَغَرِقَ الْعُلْجُ فَثَبَّتَ أَحَدُ خُفَيْهِ

(١) عذر الرجل في الأمر: قصر فيه بعد جهد، أو قصر وهو يظهر أنه قد جدو بالغ، والعذر للقصر يظهر العذر اعتلالا من غير حقيقة له في العذر وهو لا عذر له (٢) أذرع: في الكلام: أفرط وأكثر، وأصله من مد الذراع، والقرع: الكثير والسريع (٣) الخماة: الطين الأسود اللين

فِي الطَّيْنِ فَاخِذْ وَخَفِي الْآخِرُ ، وَعَابَ شَخْصُ الْعِلْجِ
وَلَمْ يُوجَدْ حَيًّا وَلَا مَيِّتًا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِشَأْنِهِ .

انتصار طارق

« وَقَالَ الرَّازِيُّ » كَانَتْ الْمَلَاقَةُ يَوْمَ الْأَحَدِ لِلْيَسْتَيْنِ
بَقِيَّتًا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ، فَأَصَلَتْ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ إِلَى يَوْمِ
الْأَحَدِ لِخَمْسٍ خَلَوْنَ مِنْ شَوَّالٍ بَعْدَ تَمَتَّةِ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ ،
ثُمَّ هَزَمَ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ عَظِيمٌ أَقَامَتْ
عِظَامُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ بِدَهْرٍ طَوِيلٍ مُلَبَّسَةً ^(١) بِتِلْكَ الْأَرْضِ .
قَالُوا : وَحَازَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ عَسْكَرِهِمْ مَا يَجِلُّ قَدْرُهُ ،
فَكَانُوا يَعْرِفُونَ كِبَارَ الْعَجَمِ وَمُلُوكَهُمْ بِخَوَاتِمِ الذَّهَبِ
يَجِدُونَهَا فِي أَصَابِعِهِمْ ، وَيَعْرِفُونَ مَنْ دُونَهُمْ بِخَوَاتِمِ الْفِضَّةِ ،
وَيُمَيِّزُونَ عِبِيدَهُمْ بِخَوَاتِمِ الثُّحَاسِ . فَجَمَعَ طَارِقُ النَّبِيَّ
وَحَمْسَهُ ، ثُمَّ اقْتَسَمَهُ أَهْلُهُ عَلَى تِسْعَةِ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سِوَى
الْعَبِيدِ وَالْأَتْبَاعِ ، وَتَسَامَعَ النَّاسُ مِنْ أَهْلِ بَرٍّ الْعُدُوَّةِ
بِالْفَتْحِ عَلَى طَارِقٍ بِالْأَنْدَلُسِ وَسَعَةِ الْغَنَائِمِ فِيهَا ، فَأَقْبَلُوا

نَحْوَهُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ ، وَخَرَقُوا الْبَحْرَ عَلَى كُلِّ مَا قَدَرُوا
عَلَيْهِ مِنْ مَرْكَبٍ وَكُشْرٍ ^(١) فَلَحِقُوا بِطَارِقٍ ، وَأَرْفَعَ أَهْلُ
الْأَنْدَلُسِ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الْحُصُونِ وَالْقِلَاعِ ، وَهَارَبُوا مِنْ
السَّهْلِ وَلَحِقُوا بِالْجِبَالِ . ثُمَّ أَقْبَلَ طَارِقٌ حَتَّى نَزَلَ بِأَهْلِ
مَدِينَةِ شَدُونةَ فَاْمْتَنَعُوا عَلَيْهِ ، فَشَدَّ الْحُصْرَ عَلَيْهِمْ حَتَّى
نَهَكَهُمْ وَأَضْرَمَهُمْ ، فَهَيَّأَ لَهُ فَتْحَهَا عَنُوةً ، فَحَازَ مِنْهَا
غَنَائِمَ . ثُمَّ مَضَى مِنْهَا إِلَى مُدَوَّرٍ ، ثُمَّ عَطَفَ عَلَى قَرْمُونَةَ ،
فَمَرَّ بَيْنَهُ الْمُنْسُوبَةِ إِلَيْهِ ، ثُمَّ مَالَ عَلَى إِسْبِيلِيَّةَ فَصَالَحَهُ
أَهْلُهَا عَلَى الْجُزْيَةِ . ثُمَّ نَازَلَ أَهْلَ إِسْتِجَةَ ^(٢) وَهُمْ فِي قُوَّةٍ
وَمَعَهُمْ قَلٌّ عَسْكَرٍ لُذْرِيْقٍ ، فَقَاتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا حَتَّى
كَثُرَ الْقَتْلُ وَالْجِرَاحُ بِالْمُسْلِمِينَ ،



ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَظْهَرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ فَأَنْكَسَرُوا ، وَلَمْ يَلْقَ ظُهُرُ طَارِقٍ بِالْعِلَاجِ
الْمُسْلِمُونَ فِيهَا بَعْدَ ذَلِكَ حَرًّا بِأَمَثَلِهَا ، وَأَقَامُوا عَلَى الْإِمْتِنَاعِ إِلَى

(١) الَّذِي فِي هَامِشِ اللِّسَانِ : الْقَشْرُ - بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ - : سِمَكَةٌ قَلْبَرُ شَبْرٍ :

خَلْعُهُ أَرَادَ الزَّوَارِقَ الصَّغِيرَةَ ، وَكَانُوا يَسْمُونَهَا قَشْرًا عَلَى التَّشْبِيهِ

(٢) كَوْرَةٌ مُتَصِلَةٌ بِأَعْمَالِ رِيَّةِ

أَنْ ظَفَرَ طَارِقٌ بِالْعِلْجِ صَاحِبِهَا، وَكَانَ مُقْتَرًا سَيِّئَ التَّدْبِيرِ ،
فَخَرَجَ إِلَى النَّهْرِ لِبَعْضِ حَاجَاتِهِ وَخَذَهُ ، فَصَادَفَ طَارِقًا
هُنَاكَ قَدْ أَتَى لِمِثْلِ ذَلِكَ - وَطَارِقٌ لَا يَعْرِفُهُ - فَوَثَبَ
عَلَيْهِ طَارِقٌ فِي الْمَاءِ ، فَأَخَذَهُ وَجَاءَ بِهِ إِلَى الْمُعْسَكِرِ ،
فَلَمَّا كَاشَفَهُ اعْتَرَفَ لَهُ بِأَنَّهُ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ ، فَصَالَحَهُ
طَارِقٌ عَلَى مَا أَحَبَّ ، وَضَرَبَ عَلَيْهِ الْجُزْيَةَ وَخَلَّى سَبِيلَهُ ، فَوَقَّى
بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ . وَقَذَفَ اللَّهُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ الْكُفَرَةِ لَمَّا
رَأَوْا طَارِقًا يُوْغِلُ فِي الْبِلَادِ ، وَكَانُوا يَحْسِبُونَهُ رَاغِبًا فِي الْمَنَعَمِ
عَامِلًا عَلَى الْقُقُولِ ، فَسَقَطَ^(١) فِي أَيْدِيهِمْ ، وَتَطَايَرُوا عَنِ السُّهُولِ
إِلَى الْمَعَاوِلِ ، وَصَعِدَ ذَوُو الْقُوَّةِ مِنْهُمْ إِلَى دَارِ مَمْلَكَتِهِمْ
طُلَيْطَلَةَ . قِيلَ : وَكَانَ مِنْ إِزْهَابِ طَارِقٍ لِنَصَارَى الْأَنْدَلُسِ
وَحِيلِهِ أَنْ تَقْدَمَ إِلَى أَصْحَابِهِ فِي تَقْصِيلِ لُحُومِ الْقَتْلَى بِحَضْرَةِ
أَسْرَاهُمْ وَطَبْخِهَا فِي الْقُدُورِ ، يُرَوِّهَمُ أَنَّهُمْ يَأْكُلُونَهَا ، فَجَلَلَ
مَنْ أَنْطَلَقَ مِنَ الْأَسْرَى يُحَدِّثُونَ مَنْ وَرَاءَهُمْ بِذَلِكَ فَتَمَتَّلَى

(١) سقط في أيديهم : ندموا على ما فعلوا ، وتحسروا على ما فرط منهم

مِنْهُ قُلُوبُهُمْ رُغِبُوا وَيَحْفِلُونَ^(١) . فِرَارًا . قَالُوا : وَقَالَ يُلَيَانُ لَطَارِقٍ :
قَدْ فَضَضْتَ جُيُوشَ الْقَوْمِ وَرَعَبُوا فَاصْصُدْ^(٢) لِيَبْضِئَهُمْ ،
وَهُؤُلَاءِ أَدِلَّاءُ مِنْ أَصْحَابِي مَهْرَةً ، فَفَرَّقَ جُيُوشَكَ مَعَهُمْ فِي
جِهَاتِ الْبِلَادِ ، وَاعْتَمَدَ أَنْتَ إِلَى طَلِيطُومَةَ حَيْثُ مُعْظَمُهُمْ ،
فَاشْغَلَ الْقَوْمَ عَنِ النَّظَرِ فِي أَمْرِهِمْ وَالْإِجْتِمَاعِ إِلَى أُولَى
رَأْيِهِمْ . فَفَرَّقَ طَارِقُ جُيُوشَهُ مَعَهُمْ مِنْ إِسْتِجَابَةٍ ؛

فَبَعَثَ مُعِينًا الرُّومِيَّ مَوْلى أَلْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى قُرْطُوبَةَ ،
وَكَانَتْ مِنْ أَكْثَرِ مَدَائِنِهِمْ - فِي سَبْعِمِائَةِ فَارِسٍ ، لِأَنَّ
الْمُسْلِمِينَ رَكِبُوا جَمِيعًا خَيُْولَ الْعَجَمِ ، وَلَمْ يَبْقَ فِيهِمْ
رَجُلٌ وَفَضَلَتْ عَنْهُمْ الْخَيْلُ . وَبَعَثَ جَيْشًا آخَرَ إِلَى مَالْقَةِ

بعث طارق
إلى البلاد

(١) جفل الظليم جفولا : ذهب في الأرض مسرعا ، ونفر منزعجا
وند فيها هاربا . ورجل اجفيل : نفور جبان يهرب من كل
شيء فرقا (٢) صمد اليه : قصده ، واعتمده ، وفي حديث معاذ
ابن الجوح في قتل أبي جهل : « فصمدت له حتى أمكنتني منه غرة » أى
وثبت له وقصده وانتظرت غفلته . وبيضة القوم وسطهم وساحتهم ، وأصل
القوم ومجتمعهم ، يقال أناهم العدو في بيضتهم ، وفي الحديث : « ولا تسلط
عليهم عدوا من غيرهم فيستبيح بيضتهم » يريد جماعتهم وأصلهم ، أى مجتمعهم
وموضع سلطانهم ومستقر دعوتهم ، أرادعدوا يستأصلهم ويهلكهم جميعهم

وَأَخْرَجَ إِلَى غَرْنَاطَةِ مَدِينَةِ إلبيرة ، وَسَارَ هُوَ فِي مُعْظَمِ
النَّاسِ إِلَى كُورَةِ جِيَّانَ يُرِيدُ طُلَيْطَلَةَ . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ الَّذِي
سَارَ لِقُرْطَبَةَ طَارِقٌ بِنَفْسِهِ لَا مُغِيثُ ، قَالُوا : فَكَيْفَ بَعْدُ ؟
نَهَرَ شَقْنَدَةَ فِي غَيْضَةِ أَرْزِ شَاخِجَةٍ ، وَأُرْسِلَتْ الْأَدْلَاءُ
فَأَمْسَكُوا رَاغِي غَنَمٍ ، فَسُئِلَ عَنْ قُرْطَبَةَ فَقَالَ : رَحَلَ عَنْهَا
عُظَمَاءُ أَهْلِهَا إِلَى طُلَيْطَلَةَ وَبَقِيَ فِيهَا أَمِيرُهَا فِي أَرْبَعِمِائَةٍ
فَارِسٍ مِنْ مُجَاتِهِمْ مَعَ ضُعَفَاءِ أَهْلِهَا ، وَسُئِلَ عَنْ سُورِهَا فَأَخْبَرَ
أَنَّهُ حَصِينٌ عَالٍ فَوْقَ أَرْضِهَا ، إِلَّا أَنَّهُ فِيهِ ثُغْرَةٌ ^(١) وَوَصَفَهَا
لَهُمْ ، فَلَمَّا أَجَبَهُمُ اللَّيْلُ أَقْبَلُوا نَحْوَ الْمَدِينَةِ ، وَوَطَأَ اللَّهُ لَهُمْ
أَسْبَابَ الْفَتْحِ بِأَن أُرْسِلَ السَّمَاءُ بِرِذَاذٍ ^(٢) أَخْفَى وَدَقَّهُ حَوَافِرَ
الْخَيْلِ ، وَأَقْبَلَ الْمُسْلِمُونَ رُؤُودًا حَتَّى عَبَرُوا نَهَرَ قُرْطَبَةَ
لَيْلًا ، وَقَدْ أَغْفَلَ حَرَسُ الْمَدِينَةِ اخْتِرَاسَ الشُّورِ ، فَلَمْ
يَظْهَرُوا عَلَيْهِ ضَيْقًا ^(٣) بِالَّذِي نَالَهُمْ مِنَ الْمَطَرِ وَالْبَرْدِ ،

(١) الثغرة : أى موضع يمكن الدخول منه (٢) الرذاذ : المطر الخفيف .

الودق : قطر المطر (٣) ضيقا : أى ضعفا وعدم سعة صدر



دخول ثرطبة
فَقَرَجَلُ الْقَوْمِ حَتَّى عَبَرُوا النَّهْرَ - وَلَيْسَ بَيْنَ النَّهْرِ وَالشُّورِ
إِلَّا مِقْدَارُ ثَلَاثِينَ ذِرَاعًا أَوْ أَقَلُّ - وَرَأَمُوا التَّلَقُّ بِالشُّورِ فَلَمْ
يَحِدُوا مُتَعَلِّقًا ، وَرَجَعُوا إِلَى الرَّاعِي فِي دَلَالَتِهِمْ عَلَى الثُّغْرَةِ
الَّتِي ذَكَرَهَا فَأَرَاهُمُ إِيَّاهَا ، فَإِذَا بِهَا غَيْرُ مُنْسَهَلَةٍ النَّسَمِ ^(١) ،
إِلَّا أَنَّهُ كَانَتْ فِي أَسْفَلِهَا شَجَرَةٌ تَيْنٍ مَكَّنَتْ أَفْنَانُهَا مِنْ
التَّلَقُّ بِهَا ، فَصَعِدَ رَجُلٌ مِنْ أَشِدَّاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي أَغْلَاهَا ،
وَتَرَعَ مُغِيثٌ عِمَامَتَهُ فَنَآوَلَهُ طَرَفُهَا ، وَأَعَانَ بَعْضُ النَّاسِ
بَعْضًا حَتَّى كَثُرُوا عَلَى الشُّورِ ، وَرَكِبَ مُغِيثٌ وَوَقَفَ مِنْ
خَارِجٍ ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ الْمُؤْتَقِينَ لِلشُّورِ بِالْهَجُومِ عَلَى الْحَرَسِ ،
فَفَعَلُوا وَقَتَلُوا نَفَرًا مِنْهُمْ ، وَكَسَرُوا أَقْفَالَ الْبَابِ وَفَتَحُوهُ ،
فَدَخَلَ مُغِيثٌ وَمَنْ مَعَهُ وَمَلَكَوا الْمَدِينَةَ عَنُوةً ،



دخول البلاط و فرار الملك
فَصَمَدٌ إِلَى الْبَلَاطِ مَنْزِلِ الْمَلِكِ وَمَعَهُ أُدْلَاؤُهُ ، وَقَدْ بَلَغَ
الْمَلِكُ دُخُولَهُمُ الْمَدِينَةَ فَبَادَرَ بِالْفِرَارِ عَنِ الْبِلَادِ فِي أَصْحَابِهِ
وَهُمْ زُهَاءٌ ^(٢) أَرْبَعِمِائَةٍ ، وَخَرَجَ إِلَى كَنِيسَةٍ بِغَرْبِ الْمَدِينَةِ

(١) النسم : الصعود (٢) الزهاء : القدر ، من زهوت القوم اذا حذرهم ،
وزهوت الشيء : اذا خرسه وعلت مازهاؤه

وَتَحَصَّنَ بِهَا - وَكَانَ الْمَاءُ يَأْتِيهَا تَحْتَ الْأَرْضِ مِنْ عَيْنٍ فِي
سَفْحِ جَبَلٍ - وَدَافَعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَمَلَكَ مُعِيثُ الْمَدِينَةَ
وَمَا حَوْلَهَا . وَقَالَ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنْ طَارِقًا لَمْ يَحْضُرْ
فَتَحَ قُرْطُبَةَ وَأَنَّ فَاتِحَهَا مُعِيثُ : إِنَّهُ كَتَبَ إِلَى
طَارِقٍ بِالْفَتْحِ ، وَأَقَامَ عَلَى مُحَاصَرَةِ الْعِلِجِ بِالْكَنِيسَةِ
ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ حَتَّى صَاقَ مِنْ ذَلِكَ وَطَالَ عَلَيْهِ ،

كعبن الاستطلاع فَتَقَدَّمَ إِلَى أَسْوَدَ مِنْ عَيْدِهِ أَثْمُهُ رِبَاحٌ - وَكَانَ ذَا بَأْسٍ
وَجَدَّةٍ - بِالْكُمُونِ^(١) فِي جِنَانٍ إِلَى جَانِبِ الْكَنِيسَةِ
مُتَلَفَّةِ الْأَشْجَارِ ، لَعَلَّهُ أَنْ يَظْفَرَ لَهُ بِعِلْجٍ يَقِفُ بِهِ عَلَى
خَبَرِ الْقَوْمِ ، فَفَعَلَ ، وَدَعَاهُ ضَعْفُ عَقْلِهِ إِلَى أَنْ صَعِدَ فِي
بَعْضِ تِلْكَ الْأَشْجَارِ - وَذَلِكَ أَيَّامُ الثَّمَرِ - لِيَجْنِيَ
مَا يَأْكُلُهُ ، فَبَصُرَ بِهِ أَهْلُ الْكَنِيسَةِ ، وَشَدُّوا عَلَيْهِ
فَأَخَذُوهُ فَمَلَكُوهُ ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ هَائِبُونَ لَهُ مُنْكَرُونَ
لِخَلْقِهِ ، إِذْ لَمْ يَكُونُوا عَايِنُوا أَسْوَدَ قَبْلَهُ ، فَاجْتَمَعُوا

عَلَيْهِ وَكَثُرَ لَظْمُهُمْ وَلَمَجُّهُمْ مِنْ خَلْقِهِ ، وَحَسِبُوا أَنَّهُ
 مَصْبُوعٌ أَوْ مَطْلُيٌّ يَمْنَعُ الْأَشْيَاءَ الَّتِي تُسَوِّدُ ، فَجَرَدُوهُ
 وَسَطَ جَمَاعَتِهِمْ وَأَذَنُوهُ إِلَى الْقَنَاقَةِ الَّتِي مِنْهَا كَانَ يَأْتِيهِمُ
 الْمَاءُ ، وَأَخَذُوا فِي غَسْلِهِ وَتَدْلِيكِهِ بِالْجِبَالِ الْحَرُشِ^(١)
 حَتَّى أَدْمَوْهُ وَأَغْنَتْهُ^(٢) ، فَاسْتَفَأَتْهُمْ وَأَشَارَ إِلَى أَنَّ الَّذِي
 بِهِ خَلَقَهُ مِنْ بَارِئِهِمْ عَزَّ وَجَلَّ ، فَفَهِمُوا إِشَارَتَهُ وَكَفُّوا
 عَنْهُ وَعَنْ غَسْلِهِ ، وَأَشْتَدَّ فَزَعُهُمْ مِنْهُ ، وَمَكَثَ فِي
 إِسَارِهِمْ سَبْعَةَ أَيَّامٍ لَا يَتْرُكُونَ التَّجَمُّعَ عَلَيْهِ وَالنَّظَرَ
 إِلَيْهِ ، إِلَى أَنْ يَسَّرَ اللَّهُ لَهُ اخْتِلَاصَ لَيْلٍ فَقَرَّ وَأَتَى الْأَمِيرَ
 مُخْبِئًا فَخَبَّرَهُ بِشَأْنِهِ ، وَعَرَفَهُ بِالَّذِي أُطْلِعَ عَلَيْهِ مِنْ
 شَأْنِهِمْ ، وَمَوْضِعِ الْمَاءِ الَّذِي يَنْتَابُونَهُ ، وَمِنْ أَىِّ نَاحِيَةٍ
 يَأْتِيهِمْ ، فَأَمَرَ أَهْلَ الْعَرَفَةِ بِطَلَبِ تِلْكَ الْقَنَاقَةِ فِي
 الْجِهَةِ الَّتِي أَشَارَ عَلَيْهَا الْأَسْوَدُ ، حَتَّى أَصَابُوهَا فَقَطَعُوهَا

(١) من الحرشة وهي الخشونة (٢) أغنتوه : أدخلوا عليه عنتا أى شدة

عَنْ جَرِيَّتَيْهَا إِلَى الْكَنِيسَةِ ، وَسَدُّوا مَنَافِدَهَا ، فَأَيُّقُنُوا
بِالْهَلَاكِ حِينَئِذٍ ، فَدَعَاهُمْ مُعِيثٌ إِلَى الْإِسْلَامِ أَوْ الْجَزِيَةِ
فَأَبَوْا عَلَيْهِ ، فَأَوْقَدَ النَّارَ عَلَيْهِمْ حَتَّى أَحْرَقَهُمْ ، فَسُمِّيَتْ
كَنِيسَةُ الْحَرَقِ ، وَالنَّصَارَى تُعْظِمُهَا لِيَصْبِرَ مَنْ كَانَ
فِيهَا عَلَى دِينِهِمْ مَعَ شِدَّةِ الْبَلَاءِ ، غَيْرَ أَنَّ الْعِلَجَ أَمِيرَهُمْ
رَغِبَ بِنَفْسِهِ عَنْ بَلِيَّتِهِمْ عِنْدَ إِيقَانِ الْهَلَاكِ فَقَرَّ عَنْهُمْ
وَحَدَّهُ ، وَقَدْ اسْتَفْقَلَهُمْ وَرَامَ الْحَقَّ بِطُلَيْطَلَةَ ، فَبَلَغَ
خَبْرُهُ إِلَى مُعِيثٍ ، فَبَادَرَ الرَّكُضَ خَلْفَهُ وَحَدَّهُ ، فَلَحِقَهُ
بِقُرْبِ قَرْيَةِ تَطْلِيْرَةِ هَارِبًا وَحَدَّهُ ، وَتَحْتَهُ فَرَسٌ أَصْفَرُ
ذَرِيْعٌ^(١) أَخْطَوِ ، وَحَرَّكَ مُعِيثٌ خَلْفَهُ ، فَالْتَفَتَ الْعِلَجُ وَدْهَشَ
لَمَّا رَأَى مُعِيثًا قَدْ رَهَقَهُ^(٢) ، وَزَادَ فِي حَثِّ فَرَسِهِ ، فَقَصَرَ
بِهِ فَسَقَطَ عَنِ الْفَرَسِ وَأَنْدَقَ عُنُقُهُ ، فَقَعَدَ عَلَى تَرْسِهِ
مُسْتَأْسِرًا^(٣) قَدْ هَاضَتْهُ^(٤) السَّقَطَةُ ، فَقَبِضَ عَلَيْهِ مُعِيثٌ

(١) أى سريع (٢) رهن فلانا : تبعه فقارب أن يلحقه وينشاه (٣) خاضعا
للاسر متقادا ، ومن سجعات الاساس : من تزوج فهو طليق استأسر ،
ومن طلق فهو بغاث استنسر (٤) هاض الشيء : كسره ، وهاض العظم :
كسره بعد الجبور ، وذلك أشد اللوجع ، وهاضه الامر اذا رده في مرضه

وَسَلَبَهُ سِلَاحَهُ وَجَبَسَهُ عِنْدَهُ لِيَقْدَمَ بِهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
الْوَلِيدِ، وَلَمْ يُؤَسِّرْ مِنْ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ غَيْرُهُ، لِأَنَّ بَعْضَهُمْ
اسْتَأْمَنَ وَبَعْضُهُمْ هَرَبَ إِلَى جَلِيقِيَّةَ. وَفِي رِوَايَةٍ : أَنَّ
مُغِيثًا اسْتَنْزَلَ أَهْلَ الْكَنِيسَةِ بَعْدَ أُسْرِ مَلِكِهِمْ فَضَرَبَ
أَعْنَاقَهُمْ جَمِيعًا، فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ عُرِفَتْ بِكَنِيسَةِ الْأُسْرَى،
وَأَنَّ مُغِيثًا جَمَعَ يَهُودَ قُرْطُبَةَ فَضَمَّهُمْ إِلَى مَدِينَتِهَا اسْتِنَامَةً^(١)
إِلَيْهِمْ دُونَ النَّصَارَى لِلْعَدَاوَةِ بَيْنَهُمْ، وَإِنَّهُ اخْتَارَ الْقَصْرَ
لِنَفْسِهِ وَالْمَدِينَةَ لِأَصْحَابِهِ .

وَأَمَّا مَنْ وُجَّهَ إِلَى مَالِقَةَ فَفَتَحُوهَا ، وَلَجَأَ عُلُوْجُهَا
إِلَى جِبَالٍ هُنَالِكَ مُتَمَنِّعَةٍ ، ثُمَّ لَحِقَ ذَلِكَ الْجَيْشُ بِالْجَيْشِ
الْمُسَوِّجَةِ إِلَى الْبَيْرَةِ^(٢) ، فَحَاصَرُوا مَدِينَتَهَا غَرْ نَاطَةَ فَافْتَحُوهَا
عَنُورَةً ، وَضَمُّوا الْيَهُودَ إِلَى قَصَبَةِ غَرْ نَاطَةَ ، وَصَارَ لَهُمْ ذَلِكَ
سُنَّةً فِي كُلِّ بَلَدٍ يَفْتَحُونَهُ أَنْ يَضُمُّوا يَهُودَهُ إِلَى

(١) استنام الى الشيء : استأنس به ، واستنام فلان الى فلان اذا أنس به

واطمأن اليه وسكن له (٢) كورة كبيرة ومدينة الى الجنوب الشرقي من قرطبة

الْقَصَبَةِ مَعَ قِطْعَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِحِفْظِهَا، وَيُنْضَى مُعْظَمُ
النَّاسِ لِفَيْزِهَا ، وَإِذَا لَمْ يَجِدُوا يَهُودًا وَفَرُّوا عَدَدَ
الْمُسْلِمِينَ الْمُخْلَفِينَ لِحِفْظِ مَا قُتِحَ ، ثُمَّ صَنَعُوا عِنْدَ قَتْحِ
كُورَةِ رِيَّةَ الَّتِي مِنْهَا مَالِقَةُ مِثْلَ ذَلِكَ - وَمَضَى الْجَيْشُ إِلَى
تُدْمِيرِ - وَتُدْمِيرُ اسْمُ الْعِلْجِ صَاحِبِهَا سُمِّيَتْ بِهِ ، وَاسْمُ
قَصَبَتِهَا أُورِيُولَةُ^(١) ، وَلَهَا شَأْنٌ فِي الْمَنَعَةِ - وَكَانَ مَلِكُهَا عِلْجًا
دَاهِيَةً قَاتَلَهُمْ مُضْجِيًا ، ثُمَّ اسْتَمَرَّتْ عَلَيْهِ الْهَزِيمَةُ فِي
فَخْصِهَا^(٢) قَبْلَ السَّيْفِ فِي أَهْلِهَا مَبْلَغًا عَظِيمًا أَفْنَى أَكْثَرَهُمْ ،
وَلَجَأَ الْعِلْجُ إِلَى أُورِيُولَةَ فِي سَيْرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ لَا يُعْنُونَ شَيْئًا ،
فَأَمَرَ النِّسَاءَ بِنَشْرِ الشُّعُورِ وَحَمْلِ الْقَصَبِ وَالظُّهُورِ عَلَى
السُّورِ فِي زِيِّ الْقِتَالِ مُتَشَبِّهَاتٍ بِالرِّجَالِ ، وَتَصَدَّرَ قُدَّامَهُنَّ
فِي بَقِيَّةِ أَصْحَابِهِ ، يُعَالِطُ الْمُسْلِمِينَ فِي قُوَّتِهِ عَلَى الدَّفَاعِ عَنْ

(١) أوريوالة مدينة قديمة من ناحية تدمر بساتينها متصلة بساتين
مرسية Uruhuela (٢) بالمغرب من أرض الأندلس مواضع كثيرة
تسمى الفحص ، ويعنون به كل موضع يسكن سهلاً كان أو جبلاً بشرط أن
يزرع ، ثم صار علماً لعدة مواضع ، منها : الفحص : ناحية كبيرة من أعمال
حليطلة ، ثم عمل طليبة ، واطليم من اقاليم أكشونية ، واطليم باشيلية

نَفْسِهِ ، فَكَرِهَ الْمُسْلِمُونَ مِرَاسَهُ لِكَثْرَةِ مَنْ عَايَنُوهُ ،
وَعَرَضُوا عَلَيْهِ الصُّلْحَ فَأَظْهَرَ الْمَيْلَ إِلَيْهِ ، وَنَكَرَ زِيَّةَ
فَقَرَّلَ إِلَيْهِمْ بِأَمَانٍ عَلَى أَنَّهُ الرُّسُولُ ، فَصَالَحَهُمْ عَلَى أَهْلِ
بَلَدِهِ ثُمَّ عَلَى نَفْسِهِ وَتَوَقَّعَ مِنْهُمْ ، فَلَمَّا تَمَّ لَهُ مِنْ ذَلِكَ
مَا أَرَادَ عَرَفَهُمْ بِنَفْسِهِ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِمْ بِالْإِبْقَاءِ عَلَى قَوْمِهِ ،
وَأَخَذَهُمْ بِالْوَفَاءِ بِعَهْدِهِ ، وَأَدْخَلَهُمُ الْمَدِينَةَ فَلَمْ يَجِدُوا فِيهَا
إِلَّا الْأَعْيَالَ وَالذَّرِيَّةَ ، فَتَدِمُّوا عَلَى الَّذِي أَعْطَوْهُ مِنَ الْأَمَانِ ،
وَأَسْتَرْجَحُوهُ فِيمَا أَحْتَالَ بِهِ ، وَمَضُوا عَلَى الْوَفَاءِ لَهُ - وَكَانَ
الْوَفَاءُ عَادَتَهُمْ - فَسَلِمَتْ كُورَةُ تُدْمِيرَ مِنْ مَعَرَةٍ (١)
الْمُسْلِمِينَ بِتَدْيِيرِ تُدْمِيرَ ، وَصَارَتْ كُلُّهَا صُلْحًا لَيْسَ فِيهَا
عَنُوةٌ ، وَكُتِبُوا إِلَى أَمِيرِهِمْ طَارِقٍ بِالْفَتْحِ ، وَخَلَفُوا بِقَصَبَةِ
الْبَلَدِ رِجَالًا مِنْهُمْ ، وَمَضَى مُعْظَمُهُمْ إِلَى أَمِيرِهِمْ لِفَتْحِ طُلَيْطَلَةَ .
قَالَ ابْنُ حَيَّانَ : وَانْتَهَى طَارِقُ إِلَى طُلَيْطَلَةَ دَارِ مَمْلُوكَةٍ
الْقُوطِ فَأَلْفَاهَا خَالِيَةً وَقَدَّرَ عَنْهَا أَهْلَهَا ، وَلَجَّأُوا إِلَى مَدِينَةِ

بِهَا خَلْفَ الْجَبَلِ ، فَصَمَّ الْيَهُودَ إِلَى طُلَيْطَلَةَ وَخَلَّفَ بِهَا
 رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَمَضَى خَلْفَ مَنْ فَرَّ مِنْ أَهْلِ طُلَيْطَلَةَ ،
 فَسَلَكَ وَادِيَ الْحِجَارَةِ ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْجَبَلَ فَقَطَعَهُ مِنْ فَجٍّ ^(١)
 سُمِّيَ بِهِ بَعْدُ ، فَبَلَغَ مَدِينَةَ الْمَائِدَةِ خَلْفَ الْجَبَلِ - وَهِيَ
 الْمَنْسُوبَةُ لِسُلَيْمَانَ ^(٢) بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَهِيَ
 خَضْرَاءُ مِنْ زَبَرَجِدٍ ، حَافَاتُهَا مِنْهَا وَأَرْجُلُهَا ، وَكَانَ لَهَا ثَلَاثُمِائَةٍ
 وَخَمْسَةٌ وَسِتُّونَ رَجُلًا - فَأَخْرَجَهَا عَنْهُ ، ثُمَّ مَضَى إِلَى
 الْمَدِينَةِ الَّتِي تَحَصَّنُوا بِهَا خَلْفَ الْجَبَلِ فَأَصَابَ بِهَا حُلِيًّا
 وَمَالًا ، وَرَجَعَ وَلَمْ يَتَجَاوَزْهَا إِلَى طُلَيْطَلَةَ سَنَةً ثَلَاثٍ
 وَسَعِينَ . وَقِيلَ إِنَّهُ لَمْ يَرْجِعْ ، بَلِ اقْتَحَمَ أَرْضَ جَلِيقَةَ
 وَأَخْتَرَقَهَا حَتَّى أَتَاهِيَ إِلَى مَدِينَةِ اسْتُرْقَةَ ، فَدَوَّخَ الْجَهْمَ
 وَأَنْصَرَفَ إِلَى طُلَيْطَلَةَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَقِيلَ إِنَّ طَارِقًا دَخَلَ
 الْأَنْدَلُسَ بِغَيْرِ أَمْرِ مَوْلَاهُ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ ، فَالَّهُ أَعْلَمُ .

(١) الفج : الطريق الواسع بين جبلين . وفج حيوة : موضع بالأندلس من
 أعمال طليطلة (٢) نسبتها لسليمان موضع شك ونظر

قَالَ بَعْضُهُمْ : وَكَانَتْ إِقَامَتُهُ فِي الْفُتُوحِ وَتَدْوِيخِ الْبِلَادِ إِلَى
أَنْ وَصَلَ سَيْدُهُ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ سَنَةً . وَكَانَ مَا سَيِّدُكُمْ .
وَأَنشَدَ فِي الْمُسْهَبِ وَأَبْنُ الْيَسَعِ فِي الْمَغْرِبِ لِطَارِقٍ مِنْ
قَصِيدَةٍ قَالَهَا فِي الْفَتْحِ :

رَكِبْنَا سَفِينًا بِالْمَجَازِ مُقِيرًا^(١)

عَسَى أَنْ يَكُونَ اللَّهُ مِنَّا قَدْ اشْتَرَى

نُفُوسًا وَأَمْوَالًا وَأَهْلًا بِجَنَّةٍ

إِذَا مَا أَشْتَهَيْنَا الشَّيْءَ فِيهَا تَيَسَّرَا

وَلَسْنَا نُبَالِي كَيْفَ سَأَلَتْ نُفُوسُنَا^(٢)

إِذَا نَحْنُ أَدْرَكْنَا الَّذِي كَانَ أَجْدَرًا ؟

قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : وَهَذِهِ الْأَيَّاتُ بِمَا يَكْتُبُ لِمُرَاعَاةِ

قَائِلِهَا وَمَكَاتِهِ لَا لِعُلُوفِ طَبَقَتِهَا . أَتَنَى

* * *

وَأَمَّا أَوْلَادُ غَيْطَشَةَ فَأَنَّهُمْ لَمَّا صَارُوا إِلَى طَارِقٍ بِالْأَمَانِ - أولاد غيطشة

وَكَانُوا سَبَبَ الْفَتْحِ حَسْبَمَا تَقَدَّمَ - قَالُوا لِطَارِقٍ : أَنْتَ أَمِيرُ

نَفْسِكَ أَمْ فَوْفَكَ أَمِيرُ ؟ فَقَالَ : بَلْ عَلَى رَأْسِي أَمِيرٌ ، وَفَوْقَ

ذَلِكَ الْأَمِيرِ أَمِيرٍ عَظِيمٍ ، فَاسْتَاذَنُوهُ فِي الْحَقِّ بِمُوسَى
 ابْنِ نُصَيْرٍ بِإِفْرِيقِيَّةَ لِيُؤْكَدُوا سَبَبَهُمْ بِهِ ، وَسَأَلُوهُ الْكِتَابَ
 إِلَيْهِ بِشَأْنِهِمْ مَعَهُ وَمَا أَعْطَاهُمْ مِنْ عَهْدِهِ فَفَعَلَ . وَسَارُوا
 نَحْوَ مُوسَى فَتَلَقَّوْهُ فِي أَنْحِدَارِهِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ بِالْقُرْبِ مِنْ
 بِلَادِ الْبَرْبَرِ وَعَرَفُوهُ بِشَأْنِهِمْ ، وَوَقَفَ عَلَى مَا خَاطَبَهُ بِهِ
 طَارِقُ فِي ذِمَّتِهِمْ وَسَائِقَتِهِمْ ، فَأَنْقَذَهُمْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 الْوَلِيدِ بِالشَّامِ بِدِمَشْقَ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ بِمَا عَرَفَهُ بِهِ طَارِقُ
 مِنْ حِيلِ أَثَرِهِمْ . فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى الْوَلِيدِ أَكْرَمَهُمْ ، وَأَنْقَذَ
 لَهُمْ عَهْدَ طَارِقِ فِي ضِيَاعِ وَالِدِهِمْ ، وَعَقَدَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ
 سِجِلًّا ، وَجَعَلَ لَهُمْ أَلَا يَقُومُوا لِدَاخِلِ عَلَيْهِمْ . فَقَدِمُوا
 الْأَنْدَلُسَ وَحَازُوا ضِيَاعَ وَالِدِهِمْ أَجْمَعَ ، وَأَقْسَمُوا عَلَى
 مُوَافَقَةِ مِنْهُمْ ، فَصَارَ مِنْهَا لِكَبِيرِهِمُ الْمُنْدُ أَلْفُ ضِيعَةٍ فِي
 غَرْبِ الْأَنْدَلُسِ ، فَسَكَنَ مِنْ أَجْلِهَا إِشْبِيلِيَّةَ مُقْتَرِبًا مِنْهَا ،
 وَصَارَ لِأَرْطَبَاشَ أَلْفُ ضِيعَةٍ وَهُوَ تَلَوُّهُ فِي السَّنِّ - وَضِيَاعُهُ
 فِي مُوسَطَةِ الْأَنْدَلُسِ فَسَكَنَ مِنْ أَجْلِهَا قُرْطَبَةَ ، وَصَارَ

لِثَلَاثِهِمْ وَقَلَّةَ أَلْفٍ ضَيْعَةٍ فِي شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ وَجِهَةَ الثَّغَرِ
فَسَكَنَ مِنْ أَجْلِهَا مَدِينَةَ طُلَيْطَلَةَ ، فَكَانُوا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ
صَدَرَ الدُّوْلَةُ الْعَرَبِيَّةُ إِلَى أَنْ هَلَكَ الْمُنْدُ كَبِيرُهُمْ ، وَخَلَفَ
أَبْنَتُهُ سَارَةَ الْمَعْرُوفَةَ بِالْقُوطِيَّةِ وَأَبْنَيْنِ صَغِيرَيْنِ ، فَبَسَطَ
أَرْطَبَاشُ يَدَهُ عَلَى ضَيَاعِهِمْ وَضَمَّهَا إِلَى ضَيَاعِهِ - وَذَلِكَ فِي
خِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ - فَأَنْشَأَتْ
سَارَةُ بِنْتُ الْمُنْدُ مَرْكَبًا بِإِسْبِيلِيَّةٍ حَصِينًا كَامِلَ الْمُدَّةِ ،
وَرَكِبَتْ فِيهِ مَعَ أَخَوَيْهَا الصَّغِيرَيْنِ تَرْيِدُ الشَّامَ حَتَّى تَزَلَتْ
بِعَسْقَلَانَ مِنْ سَاحِلِهَا ، ثُمَّ قَصَدَتْ بَابَ الْخَلِيفَةِ هِشَامٍ
بِدَارِهِ دِمَشْقَ فَأَنْهَتْ خَبَرَهَا ، وَشَكَتْ ظُلَامَتَهَا مِنْ عَمِّهَا
وَلَعْدِيَّةِ عَلَيْهَا ، وَاحْتَجَّتْ بِالْعَهْدِ الْمُنْعَقِدِ لَآيِهَا وَإِخْوَتِهِ
عَلَى الْخَلِيفَةِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَأَوْصَلَهَا هِشَامٌ إِلَى نَفْسِهِ ،
وَأَعْجَبَهُ صُورُهَا وَحَزْمُهَا ، وَكَتَبَ إِلَى حَنْظَلَةَ ابْنِ صَفْوَانَ^(١)

(١) حنظلة بن صفوان الكلابي : ولده هشام بن عبد الملك افریقیة سنة ١٢٤ .
ثم قام عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري ،
وأخرج حنظلة عن افریقیة عنوة ووليها وأثر بها آثار احسنه ، وغز اصفلیة
واستمر عبد الرحمن والیا علی افریقیة الى زمن الخلیفة للنصور العباسی

عَامِلِهِ بِإِفْرِيقِيَّةَ بِإِنصَافِهَا مِنْ عَمَّهَا أَرْطَبَاشَ ، وَإِمضَاهَا
وَأَخَوَيْهَا عَلَى سُنَّةِ الْمِيرَاثِ فِيمَا كَانَ فِي يَدِ وَالِدَيْهَا مِمَّا قَاسَمَ
فِيهِ إِخْوَتُهُ ، فَأَنْقَذَ لَهَا الْكِتَابَ بِذَلِكَ إِلَى عَامِلِهِ بِالْأَنْدَلُسِ
أَبِي الْخَطَّارِ ابْنِ عَمِّهِ ^(١) ، قَتَمَ لَهَا ذَلِكَ ، وَأَنْكَحَهَا الْخَلِيفَةُ
هَشَامٌ مِنْ عَيْسَى بْنِ مُزَاحِمٍ ، فَأَبْتَنَى بِهَا بِالشَّامِ ثُمَّ قَدِمَ
بِهَا إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، وَقَامَ لَهَا فِي دِفَاعِ عَمَّهَا أَرْطَبَاشَ عَنْ
ضِيَاعِهَا فَنَالَ بِهَا نِعْمَةً عَظِيمَةً ، وَوُلِدَ لَهُ مِنْهَا وَلَدَاهُ : إِبْرَاهِيمُ
وَإِسْحَاقُ فَأَذَرَ كَا الشَّرَفَ الْمُؤَنَّلَ وَالرِّيَاسَةَ بِإِسْبِيلِيَّةَ ،
وَشُهِرَا وَتَسْلُهُمَا بِالنَّسَبَةِ إِلَى أُمِّهِمَا سَارَةَ الْقُوطِيَّةِ ^(٢) ،
وَكَانَتْ أَيْامَ وَفَادَتِهَا عَلَى الْخَلِيفَةِ هَشَامٍ رَأَتْ عِنْدَهُ حَفِيدَهُ
عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الدَّخِيلَ بَعْدَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَعَرَفَهَا ،

(١) أَبُو الْخَطَّارِ الْكَلْبِيُّ : هُوَ حَسَامُ بْنُ ضَرَّارِ بْنِ سَلَامَانَ بْنِ خَيْثَمِ بْنِ رِبْعَةَ
ابْنِ حَصْنِ بْنِ مَضْمُنِ بْنِ عَدَى بْنِ جَنْبَابٍ ، وَلَى الْأَنْدَلُسَ زَمَنَ هَشَامِ بْنِ عَبْدِ
الْمَلِكِ وَأَظْهَرَ الْعَصْبِيَّةَ لِلْيَمَانِيَةِ عَلَى الْغَضْرِيَّةِ ، وَقَتْلَهُ الصَّمِيلُ بْنُ حَاتِمِ بْنِ ذِي
الْجَوْشَنِ الضَّبَابِيِّ (٢) وَمِنْهُمْ الْمَالِمُ الْجَلِيلُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ
ابْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْقُوطِيَّةِ ، كَانَ مِنْ أَئِمَّةِ الْإِسْلَامِ وَصَنَفَ فِيهَا « كِتَابَ الْأَفْعَالِ »

فَتَوَسَّلَتْ إِلَيْهِ لَمَّا مَلَكَ الْأَنْدَلُسَ ، وَوَفَدَتْ إِلَيْهِ فَأَعْتَرَفَ
بِذِمَامِهَا وَأَكْرَمَهَا ، وَأَذِنَ لَهَا فِي الدُّخُولِ إِلَى قَصْرِهِ مَتَى
جَاءَتْ إِلَى قُرْطُبَةَ ، فَيَجِدُ تَكَرُّمَهَا وَلَا يَحْجُبُ عِيَالَهُ مِنْهَا ،
وَتُوفِّيَ زَوْجُهَا عَيْسَى فِي أَلْسَنَةِ الْمَلِكِ فِيهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ
الْأَنْدَلُسِي ، فَزَوَّجَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ مِنْ مُعْمِرِ بْنِ سَعِيدٍ .

الغلوطة مع
أبيها وعمها

وَكَانَ لَهَا وَلَّايُهَا الْمُنْدَوِعَمُهَا أَرْطَبَاشَ فِي صَدْرِ الدَّوْلَةِ
الْعَرَبِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ أَخْبَارٌ مُلْكِيَّةٌ : فَنَهَا مَا حَاكَهُ الْفَقِيهُ
مُحَمَّدُ بْنُ مُهْرَبِنْ لُبَابَةَ^(١) الْمَالِكِيُّ أَنَّهُ قَصَدَ أَرْطَبَاشَ
يَوْمًا إِلَى مَنْزِلِهِ عَشْرَةَ مِنْ رُؤَسَاءِ رِجَالِ الشَّامِيِّينَ فِيهِمْ
الصَّمِيلُ^(٢) وَابْنُ الطُّفَيْلِ وَأَبُو عَبْدِ وَغَيْرُهُمْ ، فَأَجْلَسَهُمْ عَلَى
الْكُرَاسِيِّ وَبَالَغَ فِي تَكْرِيمِهِمْ ، وَدَخَلَ عَلَى أَثَرِهِمْ
مَيِّمُونُ الْعَلَايِدُ جَدُّ بَنِي حَزْمٍ - وَكَانَ فِي عِدَادِ الشَّامِيِّينَ
إِلَّا أَنَّهُ كَانَ شَدِيدَ الْإِنْقِيَاضِ عَنْهُمْ لَزُهُدِهِ وَوَرَعِهِ - فَلَمَّا

(١) هو أبو عبد الله (عم محمد بن يحيى بن لبابة) كان عالما ثقة جليلا وفقهيا
متبحرا توفى بالأندلس سنة ٣١٤ (٢) الصميل بن حاتم بن شمر بن ذى
الجوشن الضبابي ، كان أميرا بالأندلس ، وابنه هذيل بن الصميل قتله
عبد الرحمن الداخل

بَصْرَ بِهِ أَرْطَبَاشُ قَامَ إِلَيْهِ دُونَهُمْ إعْظَامًا ، وَرَفَاهُ إِلَى كُرْسِيِّهِ
الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ عَلَيْهِ - وَكَانَ مُلَبَّسًا صَفَائِحَ الذَّهَبِ -
وَجَذَبَهُ لِيُجْلِسَهُ مَكَانَهُ ، فَاُمْتَنَعَ عَلَيْهِ مَيْمُونٌ وَقَعَدَ عَلَى
الْأَرْضِ ، فَقَعَدَ أَرْطَبَاشُ مَعَهُ عَلَيْهَا وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ قَبْلَهُمْ ،
فَقَالَ لَهُ يَا سَيِّدِي : مَا الَّذِي جَاءَ بِكَ إِلَى مِثْلِي ؟ فَقَالَ لَهُ :
مَا تَسْمَعُهُ : إِنَّا قَدِمْنَا إِلَى هَذَا الْبَلَدِ غُرَاةً نَحْسَبُ أَنَّ
مُقَامَنَا فِيهِ لَا يَطُولُ ، فَلَمْ نَسْتَعِدَّ لِلْمُقَامِ وَلَا كَثَرْنَا مِنْ
الْعُدَّةِ ، ثُمَّ حَدَّثَتْ بَعْدَنَا عَلَى مَوَالِينَا وَفِي أَجْنَادِنَا مَا قَدْ
أَيْسَنَا مَعَهُ مِنَ الرُّجُوعِ إِلَى أَوْطَانِنَا ، وَقَدْ وَسَّعَ
اللَّهُ عَلَيْكَ ، فَأَجِبْ أَنْ تَدْفَعَ إِلَيَّ ضِيَاعًا مِنْ ضِيَاعِكَ
أَعْتَمِرُهَا ^(١) يَدِي وَأُوَدِّي إِلَيْكَ الْحَقَّ مِنْهَا ، وَآخِذُ الْفَضْلَ
لِي طَيِّبًا أُنْعِشُ مِنْهُ ، فَقَالَ لَا أَرْضَى لَكَ بِالمُسَاهَمَةِ بَلْ
أَهْبُ لَكَ هِبَةً مُسَوَّغَةً ^(٢) ، ثُمَّ دَعَا بِوَكِيلٍ لَهُ فَقَالَ
لَهُ : سَلِّمْ إِلَيْهِ الْمَجْشَرِ الَّذِي لَنَا عَلَى وَادِي شُوشِ بِمَا لَنَا
فِيهِ مِنَ الْعَبِيدِ وَالذَّوَابِّ وَالْبَقَرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَأُدْفَعْ إِلَيْهِ

(١) أَعْتَمَرُهَا : أَقِمُّ فِيهَا مَتْلُو يَأْشُورُهَا (٢) سَوَّغَهَا مَا أَصَابَ : هُنَا وَتَرَكَهَا خَالِصًا

الضَّيْعَةَ الَّتِي بِجَيَّانَ ، فَتَسَلَّمَ مَيْمُونُ الضَّيْعَتَيْنِ وَوَرَّهُمَا
وَلَدَهُ - وَإِلَيْهِ نُسِبَتْ قَلْعَةُ حَزَمٍ ^(١) - فَشَكَرَهُ مَيْمُونُ
وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَامَ عَنْهُ ، وَقَدْ أَنْفَ الصَّيْلُ مِنْ قِيَامِهِ
إِلَيْهِ فَأَقْبَلَ عَلَى أَرْطَبَاشَ وَقَالَ لَهُ : كُنْتُ أَظُنُّكَ أَرْجَحَ
وَزَنًا ، أَدْخُلْ عَلَيْكَ وَأَنَا سَيِّدُ الْعَرَبِ بِالْأَنْدَلُسِ فِي أَصْحَابِي
هَؤُلَاءِ وَهُمْ سَادَةُ الْمَوَالِي فَلَا تَرِيدُنَا مِنْ الْكَرَامَةِ عَلَى
الْإِقْمَادِ عَلَى أَعْوَادِكَ هَذِهِ ، وَيَدْخُلُ هَذَا الصُّغْلُوكُ
فَتَصِيرُ مِنْ إِكْرَامِهِ إِلَى حَيْثُ صِرْتُ ؟ فَقَالَ لَهُ يَا أَبَا جَوْشَنِ :
إِنَّ أَهْلَ دِينِكَ يُخْبِرُونَنَا أَنَّ أَدْبَهُمْ لَمْ يُرْهِفْكَ ^(٢) وَلَوْ كَانَ
لَمْ تُنْكِرْ عَلَى مَا فَعَلْتُهُ ، إِنَّكُمْ - أَكْرَمَكُمْ اللَّهُ -
إِنَّمَا تُكْرَمُونَ لِدُنْيَاكُمْ وَسُلْطَانِكُمْ ، وَهَذَا إِنَّمَا
أَكْرَمْتُهُ لِلَّهِ تَعَالَى ، فَقَدْ رَوَيْنَا عَنْ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
أَنَّهُ قَالَ : مَنْ أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ عِبَادِهِ بِالطَّاعَةِ لَهُ

(١) سبَاطِي السَّكَّامِ عَلَى بَنِي حَزَمٍ (٢) مِنَ الرَّهْفِ وَهُوَ الرِّقَّةُ وَاللَّطْفُ ،

وَأَرْهَفَ السَّيْفَ فَهُوَ مَرَّهْفٌ أَيْ رَفَّتْ حَوَاشِيهِ

وَجَبَتْ كَرَامَتُهُ عَلَى خَلْقِهِ ، فَكَانَ الْقَمَهُ حَجَرًا^(١) .
وَكَانَ الصَّعِيلُ أُمِّيًّا فَلِذَلِكَ عَرَّضَ بِهِ . فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ :
دَعْنَا مِنْ هَذَا وَانْظُرْ فِيمَا قَصَدْنَا لَهُ ، فَحَاجَّتُنَا حَاجَةُ الرَّجُلِ
الَّذِي قَصَدَكَ فَأَكْرَمْتَهُ ، فَانْظُرْ فِي شَأْنِنَا . فَقَالَ لَهُ : أَنْتُمْ
مُلُوكُ النَّاسِ وَلَيْسَ يُرْضِيكُمْ إِلَّا الْكَثِيرُ ، وَمَا أَنَا أَهْبُ
لَكُمْ مِائَةَ صَبْعَةٍ تَقْسِمُونَهَا عَشْرًا عَشْرًا ، وَكَتَبَ لَهُمْ
بِهَا وَأَمَرَ وَكَلَاءَهُ بِتَسْلِيمِهَا إِلَيْهِمْ ، فَكَانَ الْقَوْمُ يَرَوْنَهَا
مِنْ أَطْيَبِ أَمْلَاكِهِمْ . أَتَهَى .

قَالَ ابْنُ حَيَّانَ وَغَيْرُهُ : وَلَمَّا بَلَغَ مُوسَى بْنُ نَصِيرٍ
مَا صَنَعَهُ طَارِقُ بْنُ زِيَادٍ وَمَا أُتِيحَ لَهُ مِنَ الْفُتُوحِ حَسَدُهُ
وَسَهِيًّا لِلْمَسِيرِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، فَعَسَكَرَ وَأَقْبَلَ نَحْوَهَا وَمَعَهُ
جَمَاعَةُ النَّاسِ وَأَعْلَامُهُمْ ، وَقِيلَ : إِنَّهُمْ كَانُوا ثَمَانِيَةَ عَشَرَ
أَلْفًا ، وَقِيلَ أَكْثَرَ ، فَكَانَ دُخُولُهُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ فِي شَهْرِ
رَمَضَانَ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ ، وَتَنَكَّبَ^(٢) الْجَبَلَ الَّذِي

دخول موسى
ابن نصير الى
الاندلس

(١) مثل يضرب : لمن تكلم فأجيب بما يسكنه (٢) تنكب الجبل :
عدل عنه واعتزله وأقبل نحو غيره

حَلَّ طَارِقٌ، وَدَخَلَ عَلَى الْمَوْضِعِ الْمَنْسُوبِ إِلَيْهِ الْمَعْرُوفِ
 الْآنَ بِجَبَلِ مُوسَى ، فَلَمَّا احْتَلَّ الْجَزِيرَةَ أَخْضَرَاءُ قَالَ :
 مَا كُنْتُ لِأَسْلِكَ طَرِيقَ طَارِقٍ وَلَا أَقْفُو أثرَهُ ، فَقَالَ لَهُ
 الْعُلُوجُ الْأَدْلَاءُ أَصْحَابُ يُلْيَانَ : نَحْنُ نُسَلِّكُكَ طَرِيقًا
 هُوَ أَشْرَفُ مِنْ طَرِيقِهِ ، وَتَذُكَّ عَلَى مَدَائِنٍ هِيَ أَعْظَمُ
 خَطَرًا وَأَعْظَمُ خَطْبًا وَأَوْسَعُ غُنْمًا مِنْ مَدَائِنِهِ لَمْ تُفْتَحْ
 بَعْدُ ، يَفْتَحُهَا اللَّهُ عَلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، فَمَلَّى سُرُورًا ،
 - وَكَانَ شُفُوفٌ ^(١) طَارِقٍ قَدْ غَمَّه - فَسَارُوا بِهِ فِي جَانِبِ
 سَاحِلِ شَذُونَةَ فَافْتَتَحَهَا عَنْوَةً ، وَالْقَوَا بِأَيْدِيهِمْ إِلَيْهِ ، ثُمَّ
 سَارَ إِلَى مَدِينَةِ قَرْمُونَةَ ^(٢) - وَلَيْسَ بِالْأَنْدَلُسِ أَحْصَنُ مِنْهَا ،
 وَلَا أَبْعَدُ عَلَى مَنْ يَرُومُهَا بِحِصَارٍ أَوْ قِتَالٍ - فَدَخَلَهَا بِحِيلَةٍ
 تَوَجَّهَتْ بِأَصْحَابِ يُلْيَانَ ، دَخَلُوا إِلَيْهِمْ كَأَنَّهُمْ فُلَّالٌ ^(٣) ،
 وَطَرَفَهُمْ مُوسَى بِخَيْلِهِ لَيْسًا ، فَفَتَحُوا لَهُمُ الْبَابَ وَأَوْفَعُوا

(١) لعله جمع شف وهو الفضل والريح والزيادة (٢) قرمونية كما في معجم
 البلدان ج ٧ ص ٦٢ كورة بالأندلس متصل أعمالها بأعمال إشبيلية
 قديعة البنيان الخ ومن نزل قرمونة محمد بن يوسف بن بكر بن يوسف
 ابن حرث بن حميد بن مفضل بن فرج بن محمد الداخل مع موسى
 ابن نصير نزل بقرمونة وسكن قرطبة ولد سنة ٣٢٧ (٣) أى منهزمون

بِالْأَخْرَاسِ فَمَلِكْتَ الْمَدِينَةَ، وَمَضَى مُوسَى إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ
جَارَتَهَا فَحَاصَرَهَا ، وَهِيَ أَكْظَمُ مَدَائِنِ الْأَنْدَلُسِ شَأْنًا ،
وَأَعْجَبُهَا بُنْيَانًا ، وَأَكْثَرُهَا آثَارًا ، وَكَانَتْ دَارَ الْمَلِكِ
قَبْلَ الْقُوطِيِّينَ ، فَلَمَّا غَلَبَ الْقُوطِيُّونَ عَلَى مُلْكِ الْأَنْدَلُسِ
حَوَّلُوا السُّلْطَانَ إِلَى طَلَيْطَلَةَ ، وَبَقِيَ رُؤَسَاءُ الدِّينِ فِيهَا أَغْنَى
إِشْبِيلِيَّةَ ، فَامْتَنَعَتْ أَشْهُرًا عَلَى مُوسَى ثُمَّ فَتَحَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ ،
فَهَرَبَ الْمُتَلَوِّجُ عَنْهَا إِلَى مَدِينَةِ بَاجَةَ ، فَضَمَّ مُوسَى
يَهُودَهَا إِلَى الْقَصَبَةِ ، وَخَلَفَ بِهَا رِجَالًا ، وَمَضَى مِنْ
إِشْبِيلِيَّةَ إِلَى لَقَنْتِ^(١) إِلَى مَدِينَةِ مَارِدَةَ ، وَكَانَتْ أَيْضًا دَارَ
مَمْلَكَةِ لِبَعْضِ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ ، وَهِيَ
ذَاتُ عِزٍّ وَمَنْعَةٍ وَفِيهَا آثَارُ وَقُصُورٍ وَمَصَانِعٍ وَكُنَائِسُ
جَلِيلَةٌ الْقَدَرِ فَاتَّقَةُ الْوَصْفِ ، فَحَاصَرَهَا أَيْضًا ، وَكَانَ فِي
أَهْلِهَا مَنَعَةٌ شَدِيدَةٌ وَبَأْسٌ عَظِيمٌ ، فَنَالُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ
دَفْعَاتٍ وَآذَوْهُمْ ، وَعَمِلَ مُوسَى دَبَابَةً^(٢) دَبَّ الْمُسْلِمُونَ

(١) لقنت Alicante : حصان من أعمال لاردة : لقنت الكبرى ولقنت
الصغرى وكناتهما تنظر الى صاحبتهما (٢) الدبابة آلة كانت تتخذ من جلود
وخشب للحروب يدخل فيها الرجال فتدفع في أصل الحصن المحاصر فينقبونه
وهم في جوفها وهي تقيهم ما يرمون به من فوقهم ، سميت بذلك لانها تدفع فتدب

تَحْتَهَا إِلَى بُرْجٍ مِنْ أَبْرَاجِ سُورِهَا جَعَلُوا يَتَقَبَّلُونَهُ ،
فَلَمَّا قَلَعُوا الصَّخْرَ أَفْضَوْا بَعْدَهُ إِلَى الْعَمَلِ الْمَدْعُورِ
يَلِسَانِ الْعَجَمِ الْأَشْهَ مَاسَهُ ، فَنَبَتْ ^(١) عَنْهُ مَعَاوِلُهُمْ
وَعُدَّتُهُمْ ، وَثَارَ بِهِمُ الْعَدُوُّ عَلَى غَفَلَةٍ ، فَاسْتَشْهَدَ بِأَيْدِيهِمْ
قَوْمٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ تَحْتَ تِلْكَ الدَّيَابَةِ فَسُمِّيَ ذَلِكَ الْمَوْضِعُ
بُرْجَ الشُّهَدَاءِ ، ثُمَّ دَخَلَ الْقَوْمَ إِلَى السَّلَمِ فَتَرَسَّلَ ^(٢) إِلَيْهِ فِي
تَقْرِيرِهِ قَوْمٌ مِنْ أَمَائِلِهِمْ أَعْطَاهُمُ الْأَمَانَ ، وَاحْتَالَ فِي
تَوْهِيهِمْ فِي نَفْسِهِ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ أَوَّلَ يَوْمٍ فَإِذَا هُوَ
أَبْيَضُ الرُّأْسِ وَاللَّحْيَةِ كَمَا نَصَلَ خِضَابُهُ ^(٣) فَلَمْ يَتَّفِقْ
لَهُمْ مَعَهُ أَمْرٌ ، وَعَاوَدُوهُ قَبْلَ الْفِطْرِ يَوْمٍ فَإِذَا هُوَ قَدْ قَنَأَ ^(٤)

(١) لم تؤثر فيها ولم تنل منها (٢) لعلها : فتوسل أو الترسل من الرسل وهو
السبر والترسل في الأمور التمهّل والتوقر (٣) نصل الشعر : زال عنه الخضاب ،
ونصلت لحيته فهي ناصل ، وتنصلت خرجت من الخضاب ، ونصل البر من
السلك ، قال بشر :

فأصبح ناصلاً منها ضحياً نصول البر أسلعه النظام

(٤) قنأ الشيء يقنأ قنوا : اشتدت حمرة ، قال الأسود بن يعفر :

يسعى بها ذوتومتين مشمر قنأت أنامله من الفرصاد

وقنأه : حمرة ، وقنأ لحيته : سودها بالخضاب . وترك الهزمة فيه لغة

لِحَيْثُهُ بِالْحِنَاءِ فَجَاءَتْ كَضْرَامٍ عَرَفَجٍ^(١) فَعَجِبُوا
 مِنْ ذَلِكَ ، وَعَاوَدُوهُ يَوْمَ الْفِطْرِ فَإِذَا هُوَ قَدْ سَوَّدَ
 لِحْيَتَهُ فَازْدَادَ تَعَجُّبُهُمْ مِنْهُ ، وَكَانُوا لَا يَعْرِفُونَ الْخَضَابَ
 وَلَا اسْتِعْمَالَهُ - فَقَالُوا الْقَوْمِ مِنْهُمْ : إِنَّا نُقَاتِلُ أَنْبِيَاءَ يَتَخَلَّقُونَ
 كَيْفَ شَاءُوا وَيَتَصَوَّرُونَ فِي كُلِّ صُورَةٍ أَحْبَبُوا ، كَانَ
 مَلِكُهُمْ شَيْخًا فَقَدْ صَارَ شَابًّا ! وَالرَّأْيُ أَنْ تُقَارِبَهُ
 وَتُعْطِيَهُ مَا يَسْأَلُهُ فَمَا لَنَا بِهِ طَاقَةٌ ، فَأَذَعْنَاهُ عِنْدَ ذَلِكَ
 وَأَكْمَلُوا صَلَاحَهُمْ مَعَ مُوسَى عَلَى أَنَّ أَمْوَالَ الْقَتْلَى يَوْمَ
 الْكَمِينِ وَأَمْوَالَ الْهَارِيِّينَ إِلَى جَلِيقِيَّةَ ، وَأَمْوَالَ الْكَنْثَاسِ
 وَحُلَيْهَا لِلْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ فَتَحُوا لَهُ الْمَدِينَةَ يَوْمَ الْفِطْرِ
 سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ فَمَلَكَهَا .

(١) العرفج ضرب من النبات وشجر سهلي سريع الاتقاد ، وهولين أغبر
 إلى الخضرة ، له ثمرة خشناء كالخسك طيب الريح ، وله زهرة صفراء وليس
 له حب ولا شوك . ولهبه شديد الحمرة ، ويبالغ في حمرة فيقال : كأن لحيته
 ضرام عرفجة ، وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه : « خرج كأن لحيته
 ضرام عرفج »



ثُمَّ إِنَّ عَجَمَ إِشْبِيلِيَّةَ انْتَقَضُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَاجْتَمَعُوا غَدَرُ الْعِجَمِ
 مِنْ مَدِينَتِي بَاجَةً وَلَبَلَةً إِلَيْهِمْ ، فَأَوْقَعُوا بِالْمُسْلِمِينَ وَقَتَلُوا مِنْهُمْ
 نَحْوَ ثَمَانِينَ رَجُلًا ، وَأَتَى فَلَهُمُ الْأَمِيرَ مُوسَى وَهُوَ عَارِدَةٌ ،
 فَلَمَّا أَنْ فَتَحَهَا وَجَّهَ ابْنَهُ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ مُوسَى فِي جَيْشٍ
 إِلَيْهِمْ ، فَفَتَحَ إِشْبِيلِيَّةَ وَقَتَلَ أَهْلَهَا ، وَهَضَّ إِلَى لَبَلَةٍ
 فَفَتَحَهَا ، وَأُسْتَقَامَتِ الْأُمُورُ فِيمَا هُنَاكَ وَعَلَا الْإِسْلَامُ ،
 وَأَقَامَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بِإِشْبِيلِيَّةَ ، وَتَوَجَّهَ الْأَمِيرُ مُوسَى مِنْ
 مَارِدَةٍ فِي عَقِبِ شَوَالٍ مِنَ الْعَامِ الْمَوْرُخِ يُرِيدُ طَلِيطَةَ ،
 وَبَلَغَ طَارِقًا خَبْرَهُ فَاسْتَقْبَلَهُ فِي وُجُوهِ النَّاسِ فَلَقِيَهُ فِي
 مَوْضِعٍ مِنْ كُورَةِ طَلِيطَةِ^(١) . وَقِيلَ : إِنَّ مُوسَى تَقَدَّمَ
 مِنْ مَارِدَةٍ فَدَخَلَ جَلِيقِيَّةَ مِنْ فَجٍّ نُسِبَ إِلَيْهِ فَخَرَقَهَا
 حَتَّى وَافَى طَارِقَ بْنَ زِيَادٍ صَاحِبَ مُقَدَّمَتِهِ بِعَدِينَةِ

(١) طليبة Talavera : مدينة من أعمال طليطلة الى الشمال الغربى
 منها كبيرة قديمة البناء على نهر تاجه بالصفة التي منه ، وكانت حاجزا
 بين المسلمين والافرنج الى أن استولت الافرنجة عليها ، وكانت قد استولى
 عليها الخراب فاستجدها عبد الرحمن الناصر الأُموي وكان لها حصون
 ونواح كثيرة وتسمى طليبة الملكة وكان بها آثار رومانية وأبراج عربية
 (٢) فخرقها : فقطعها حتى بلغ أقصاها

اسْتُرْقَةً^(١) فَغَضَّ مِنْهُ عِلَائِيَّةً ، وَأَظْهَرَ مَا فِي نَفْسِهِ عَلَيْهِ مِنْ حِقْدٍ . وَاللَّهُ أَغْلَمُ . وَقِيلَ : لَمَّا وَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَيْهِ نَزَلَ إِلَيْهِ إِعْظَامًا لَهُ ، فَقَنَعَهُ^(٢) مُوسَى بِالسَّوْطِ وَوَجَّهَهُ عَلَى اسْتِئْذَانِهِ عَلَيْهِ وَمُخَالَفَتِهِ لِرَأْيِهِ ، وَسَارُوا إِلَى طَلِيْطَةَ فَطَالَبَهُ مُوسَى بِأَذَا مَا عِنْدَهُ مِنْ مَالِ الْتِيَّ وَذَخَائِرِ الْمُلُوكِ ، وَأَسْتَعْجَلَهُ بِالْمَائِدَةِ فَأَتَاهُ بِهَا وَقَدْ خَلَعَ مِنْ أَرْجُلِهَا رِجْلًا وَخَبَأَهُ عِنْدَهُ ، فَسَأَلَهُ مُوسَى عَنْهُ ، فَقَالَ لَا عِلْمَ لِي بِهِ وَهَكَذَا أَصَبْتُهَا ، فَأَمَرَ مُوسَى فُجِعِلَ لَهَا رِجْلٌ مِنْ ذَهَبٍ بَعِيدَ الشَّبهِ مِنْ أَرْجُلِهَا يَظْهَرُ عَلَيْهِ التَّعَمُّلُ^(٣) وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى أَحْسَنَ مِنْهُ ، فَأَخْلَى بِهَا .



وَقَالَ ابْنُ الْفَرَضِيِّ : مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ صَاحِبُ فَتْحِ الْأَنْدَلُسِ لَخْمِيٌّ^(٤) يُكْنَى أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، يَرَوَى عَنْ

فتوحات موسى
ابن نصير

(١) كان العرب يغزونها كثيرا وبها قتل شهيدا غازيا أبو عبد الله محمد بن طاهر بن محمد بن طاهر التميمي الفقيه المحدث العالم في غزو سنة ٣٧٨ (٢) قنعه بالسوط : غشاه به (٣) التعمل : التعتي في العمل والتكاف فيه وعدم الاتقان والاجادة (٤) لحم حي باليمن ، وهو لحم بن عدى ابن الحرث بن مرة بن أدد ، ومنهم كانت ملوك العرب في الجاهلية وملوك لحم كانوا نزولوا الحيرة وهم آل النذر

تَمِيمٌ^(١) الدَّارِيُّ، وَرَوَى عَنْهُ يُزَيْدُ بْنُ مَسْرُوقٍ الْيَحْصِيُّ^(٢).
وَقِيلَ: غَزَا مُوسَى بْنُ نَصِيرٍ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ
فَأَتَى طَنْجَةَ ثُمَّ عَبَّرَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ فَأَدَاخَهَا^(٣)، لَا يَأْتِي عَلَى مَدِينَةٍ
إِلَّا فَتَحَهَا وَتَزَلَّ أَهْلُهَا عَلَى حُكْمِهِ، وَسَارَ إِلَى قُرْطُبَةَ، ثُمَّ قَتَلَ
عَلَى الْأَنْدَلُسِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ، فَأَتَى إِفْرِيقِيَّةَ وَسَارَ عَنْهَا
سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ إِلَى الشَّامِ يَوْمَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ،
يَجْرُ الدُّنْيَا بِمَا أَحْتَمَلَهُ مِنْ غَنَائِمِ الْأَنْدَلُسِ مِنَ الْأَمْوَالِ

(١) هو أبو رقية تميم بن أوس بن خازجة الدارِي ، أسلم سنة تسع ، وسكن
بيت المقدس وأقطعه النبي صلى الله عليه وسلم بفلسطين قرية عينون من قرى
بيت المقدس وكتب له كتابا ، وكان يسكن أولا المدينة ثم انتقل إلى الشام
بعد قتل سيدنا عثمان ، ويكنى بابنته رقية لم يولد له غيرها . وهو أول من
أسرج السراج في المسجد ، وكان كثير التهجد ، قام ليلة يصلي حتى أصبح
يقرا آية يرددها وهي : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات ... الآية » وتوفي
رضي الله عنه سنة ٤٠ هـ (٢) نسبة إلى بحصب بن مالك حى باليمن من حمير .
ومسروق بن الأجاجع بن مالك الحمداني تابعي وكان من عباد أهل الكوفة
توفي سنة ٦٣ (٣) داخ يدوخ دوخا: ذل وخضع ، وفي حديث ثقيف :
« أداخ العرب ودان له الناس » ودوخ المكان: جال فيه ، وداخ البلاد:
قهرها واستولى على أهلها ، ودوخها: سار فيها حتى عرفها ولم تخف عليه
طرقها

وَالْأَمْتَةَ يَحْمِلُهَا عَلَى الْعَجَلِ وَالظَّهْرِ ، وَمَعَهُ ثَلَاثُونَ أَلْفَ
رَأْسٍ مِنَ السَّبْيِ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ هَلَكَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ
وَوَلَّى سُلَيْمَانُ ، فَكَبَّ مُوسَى نَكْبًا أَذَاهُ إِلَى الْمَثَرَةِ ،
فَهَلَكَ فِي نَكْبَتِهِ تِلْكَ بَوَادِي الْقُرَى ^(١) سَنَةَ سَبْعٍ وَسَعِينَ

« قَالَ ابْنُ حَيَّانَ » وَهَذِهِ الْمَائِدَةُ الْمُنَوَّهَةُ بِاسْمِهَا
الْمَنْسُوبَةُ إِلَى سُلَيْمَانَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمْ
تَكُنْ لَهُ فِيهَا يَزْعُمُ رُؤَاةَ الْعَجَمِ ، وَإِنَّمَا أَصْلُهَا أَنَّ الْعَجَمَ
فِي أَيَّامِ مُلْكِهِمْ كَانَ أَهْلُ الْحَسْبَةِ ^(٢) مِنْهُمْ إِذَا مَاتَ أَحَدُهُمْ
أَوْصَى بِمَالٍ لِكُنَائِسَ ، فَإِذَا اجْتَمَعَ عَنْدهُمْ ذَلِكَ الْمَالُ
صَاغُوا مِنْهُ الْآلَاتِ الضَّخْمَةَ مِنَ الْمَوَائِدِ وَالْكَرَاسِيِّ
وَأَشْبَاهِهَا مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، تَحْمِلُ الشَّمَامِسَةُ وَالْقُسُوسُ

حول مائدة
سليمان عليه
السلام

(١) واديين المدينة والشام بين تيماء وخيبر ، وهو من أعمال المدينة كثير
القرى وبها سمي وادي القرى ، وفيه يقول جميل بن معمر :

ألا ليت شعري هل أبيت ليلة بوادي القرى اني اذا لسعيد
وهل أرين جلابه وهي أيم ومارث من حبل الوصال جديد

(٢) الحسبة : الأجر ، واسم من احتساب الأجر على الله ، تقول : فعلته حسبة

فَوْقَهَا مَصَاحِفَ الْأَنْجِيلِ إِذَا أُبْرِزَتْ فِي أَيَّامِ الْمَنَاسِكِ ،
وَيَضُمُونَهَا عَلَى الْمَذَابِحِ فِي الْأَعْيَادِ لِلْمُبَاهَاةِ بِزِينَتِهَا ،
فَكَانَتْ تِلْكَ الْمَائِدَةُ بِطُلَيْطَلَةَ بِمَا صِيغَ فِي هَذَا السَّبِيلِ ،
وَتَأْتَتْ الْأَمْلَاقُ فِي تَفْخِيمِهَا ، يَزِيدُ الْآخِرُ مِنْهُمْ عَلَى
الْأَوَّلِ حَتَّى بَرَزَتْ^(١) عَلَى جَمِيعِ مَا أُتْخِذَ مِنْ تِلْكَ الْآلَاتِ
وَطَارَ الذِّكْرُ مَطَارُهُ عَنْهَا ، وَكَانَتْ مَصُوغَةً مِنْ خَالِصِ
الذَّهَبِ مُرَصَّعَةً بِفَاخِرِ الذَّرِّ وَالْيَاقُوتِ وَالزُّمُرُودِ ، لَمْ تَرَ
الْأَعْيُنُ مِثْلَهَا ، وَبُورِغَ فِي تَفْخِيمِهَا مِنْ أَجْلِ دَارِ الْمَمْلَكَةِ ،
وَأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ بِمَوْضِعِ آلِهِ جَمَالٍ أَوْ مَتَاعٍ مُبَاهَاةٍ
إِلَّا دُونَ مَا يَكُونُ فِيهَا ، وَكَانَتْ تُوضَعُ عَلَى مَذْبَحِ
كَنِيسَةِ طُلَيْطَلَةَ ، فَأَصَابَهَا الْمُسْلِمُونَ هُنَاكَ وَطَارَ النَّبَأُ
الْفَحْمُ عَنْهَا . وَقَدْ كَانَ طَارِقُ ظَنْ بَعُوسَى أَمِيرِهِ مِثْلَ الَّذِي
فَعَلَهُ مِنْ غَيْرَتِهِ عَلَى مَا تَهَيَّأَ لَهُ وَمُطَالَبَتِهِ لَهُ بِتَسْلِيمِ مَا فِي
يَدِهِ إِلَيْهِ ، فَاسْتَظْهَرَ بِانْتِزَاعِ رَجُلٍ مِنْ أَرْجُلِ هَذِهِ الْمَائِدَةِ

حَبَاهُ عِنْدَهُ ، فَكَانَ مِنْ فَلَجِهِ ^(١) بِهِ عَلَى مُوسَى عَدُوَّهُ عِنْدَ
الْخَلِيفَةِ إِذْ تَنَازَعَا عِنْدَهُ بَعْدَ الْأَثَرِ فِي جِهَادِهِمَا مَا هُوَ مَشْهُورٌ .
انْتَهَى .

* *

وصف المائدة

وَقَالَ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ إِنَّ الْمَائِدَةَ كَانَتْ مَصْنُوعَةً
مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَكَانَ عَلَيْهَا طَوْقٌ لَوْلُؤٍ وَطَوْقٌ
يَاقُوتٍ وَطَوْقٌ زُمْرُودٍ ، كُلُّهَا مُكَلَّلَةٌ بِالْجَوَاهِرِ . انْتَهَى
وَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ حَيَّانٍ مِنْ أَنَّ الَّذِي نَكَبَ مُوسَى
ابْنُ نُصَيْرٍ هُوَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ صَوَابٌ ، وَأَمَّا مَا حَكَاهُ
ابْنُ خَلِّكَانٍ مِنْ أَنَّ الْمُنْكَبَ ^(٢) لَهُ الْوَلِيدُ فَلَيْسَ بِصَحِيحٍ .
وَاللَّهُ أَعْلَمُ

* *

« رَجِعْ إِلَى كَلَامِ ابْنِ حَيَّانٍ » قَالُوا ثُمَّ إِنَّ مُوسَى
أَصْطَلَحَ مَعَ طَارِقٍ وَأَظْهَرَ الرِّضَا عَنْهُ وَأَقْرَبَهُ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ

صلح موسى
مع طارق
والفتوحات

(١) الفلاج : الظفر والفوز كلاهما فلاج ، وفلج الرجل على خصمه ، وفلج
أصحابه إذا علاهم وفاتهم ، وفلج بحبته وفي حبته ، وفلج سهمه وأفلج : فاز ،
والاسم من كل ذلك الفلاج والفلاج بضم الفاء وسكون اللام وفتحهما (٢) يقال
نكبه إذا بلغ منه وأصابه بنكبة ومصيبة ، وليس في المعاجم أنكبه

عَلَى رَسْمِهِ ، وَأَمَرَهُ بِالتَّقَدُّمِ أَمَامَهُ فِي أَصْحَابِهِ ، وَسَارَ مُوسَى
خَلْفَهُ فِي جُيُوشِهِ ، فَارْتَقَى إِلَى الشَّجَرِ الْأَعْلَى وَافْتَتَحَ سَرْقُسْطَةَ
وَأَعْمَالَهَا ، وَأَوَّغَلَ فِي الْبِلَادِ ، وَطَارِقُ أَمَامَهُ لَا يَمُرُّ إِلَّا بِمَوْضِعٍ
إِلَّا فُتِحَ عَلَيْهِمَا ، وَغَنِمَهُمَا اللَّهُ نَعَالَى مَا فِيهِ ، وَقَدْ أَلْقَى اللَّهُ
الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ الْكُفَرَةِ فَلَمْ يُعَارِضْهُمَا أَحَدٌ إِلَّا بِطَلَبِ
صُلْحٍ ، وَمُوسَى يَجِيءُ عَلَى أَثَرِ طَارِقٍ فِي ذَلِكَ كَلِّهِ ، وَيُكْمَلُ
أَبْدَانُهُ ، وَيُؤْتَقُ لِلنَّاسِ مَا عَاهَدُوهُ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا صَفَا الْقَطْرُ
كَلَّهُ ، وَطَافَ مِنْ شُؤسَ مَنْ أَقَامَ عَلَى سَلْمِهِ ، وَوَطَأَ لِأَقْدَامِ
الْمُسْلِمِينَ فِي الْحُلُولِ بِهِ ، أَقَامَ لِتَمْيِيزِ ذَلِكَ وَقْتًا ، وَأَمْضَى ^(١)
الْمُسْلِمِينَ إِلَى إِفْرَنْجَةَ ، فَفَتَحُوا وَغَنِمُوا وَسَلِمُوا وَعَلَوْا
وَأَوَّغَلُوا ، حَتَّى أَتَوْا إِلَى وَادِي رُدُونَةَ ^(٢) ، فَكَانَ أَقْصَى أَثَرِ
الْعَرَبِ وَمُنْتَهَى مَوْطِئِهِمْ مِنْ أَرْضِ الْمَجْمِ . وَقَدْ دَوَّخَتْ
بُعُوثُ طَارِقٍ وَسَرَايَاهُ ^(٣) بَلَدَ إِفْرَنْجَةَ ، فَمَلَكَتْ مَدِينَتِي

(١) أَمْضَى الْمُسْلِمِينَ : أَنْفَذَهُمْ وَأَرْسَلَهُمْ (٢) أَظْنَهُ يَرِيدُ بِهَنْر (دوردوني)
بفرنسا Dordogne التي عليه عند معبده مدينة (بورود)
(برديل ، بردال - بالبال والذال فيهما) فقد كان الحد الشمالي للفتوحات
العربية (٣) جمع سرية : كتيبة من الجيش قليلة العدد

بَرَشْلُونَةَ^(١) وَأَرْبُونَةَ^(٢)، وَصَخْرَةَ إِيْنِيُونْ ، وَحِصْنَ لُودُونْ عَلَى
وَادِي رُدُونَةَ ، فَبَعْدُوا عَنِ السَّاحِلِ الَّذِي مِنْهُ دَخَلُوا جِدًّا^(٣) .
وَذَكَرَ أَنَّ مَسَافَةَ مَا بَيْنَ قُرْطُبَةَ وَأَرْبُونَةَ مِنْ بِلَادِ إِفْرَنْجَةَ ثَلَاثِيَاةٍ
فَرَسَخٍ وَخَمْسَةِ وَثَلَاثُونَ فَرَسَخًا . وَقِيلَ : ثَلَاثِيَاةٍ فَرَسَخٍ
وَحَمْسُونَ فَرَسَخًا^(٤) . وَلَمَّا أَوْغَلَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى أَرْبُونَةَ ارْتَاعَ
لَهُمْ قَارِلَةٌ^(٥) مَلِكُ الْإِفْرَنْجَةِ بِالْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ وَأُتْرَعَجَ

(١) ثغر على ساحل البحر الأبيض بالشمال الشرقي من أسبانيا Barcelona
وهي العاصمة الثانية بعد مدريد (٢) أربونة بلد في طرف النهر وأقصاه
من أرض الأندلس ، وطليلة هي النصف فيما بين قرطبة وأربونة ،
وكانت كتب عمر بن عبد العزيز تنتهي إلى أربونة ، ثم غلب عليها الأفرنج
(وفي الأصل أربونة بالياء في غير موضع وهو تحريف) (٣) اجتازت
العرب جبال البرنية على وعورة طرقها وصعوبة السير فيها ودخلوا أرض
فرنسا واكتسحوها إلى بواتييه وهي على بعد ٢٣٠ كم من الجنوب
الغربي لباريس ، وأجلوا جميع أهل الجزيرة وأقصوهم إلى آخر حدودها
شمالاً حتى لم يبق منهم إلا بضعة مئات كانوا مع ملك تسميه العرب بلاءي
ويسميه الأسبانيون بلايو Pelayo فالتجأ هذا العدد القليل إلى مكان
يعرف عند العرب بالصخرة ويعرف عند الأفرنج باسم جبل كوفادونجا
Covadonga وكانت بقية السيف من هؤلاء القاصين (وهم نحو
ثلاثين رجلاً) جرتومة البلاد وأصل الشقاء الذي أصاب العرب بعد ذلك . نجاتي
(٤) وقال ابن الفقيه ان بينهما ألف ميل . أي أكثر من ١٦٠٠ كيلومتر
(٥) لعله شارل مارتل

لَا نِيْسَاطِهِمْ ، فَحَشَدَ لَهُمْ وَخَرَجَ عَلَيْهِمْ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ ، فَلَمَّا
 أَتَتْهُ إِلَى حِصْنٍ لُودُونٍ وَعِلِمَتْ الْعَرَبُ بِكَثْرَةِ مُجْمُوعِهِ
 زَالَتْ عَنْ وَجْهِهِ ، وَأَقْبَلَ حَتَّى أَتَتْهُ إِلَى صَخْرَةٍ إِيْنِيُونٍ
 فَلَمْ يَجِدْ بِهَا أَحَدًا ، وَقَدْ عَسَكَرَ الْمُسْلِمُونَ قُدَّامَهُ فِيمَا
 بَيْنَ الْأَجْبَلِ الْمُجَاوِرَةِ لِمَدِينَةِ أَرْبُونَةَ وَهُمْ بِحَالٍ غِرَّةٍ^(١)
 لَا عِيُونَ^(٢) لَهُمْ وَلَا طَلَالِيعَ^(٣) ، فَمَا شَعَرُوا حَتَّى أَغْطَا بِهِمْ
 عُدُوُّ اللَّهِ قَارِلَةً ، فَاقْتَطَعَهُمْ عَنِ اللَّحَا إِلَى مَدِينَةِ أَرْبُونَةَ
 وَوَأَضَاعَهُمُ الْحَرْبُ : فَقَاتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا اسْتُشْهِدَ فِيهِ جَمَاعَةٌ
 مِنْهُمْ ، وَحَمَلَ جُمُهورُهُمْ عَلَى صُفُوفِهِ حَتَّى اخْتَرَكُوهَا ، وَدَخَلُوا
 الْمَدِينَةَ وَلَاذُوا بِحَصَانَتِهَا ، فَنَازَلَهُمْ بِهَا أَيَّامًا أُصِيبَ لَهُ فِيهَا
 رِجَالٌ ، وَلَعَنَ عَلَيْهِ الْمَقَامُ ، وَخَامَرَهُ^(٤) ذُعْرٌ وَخَوْفٌ مَدِيدٌ
 لِلْمُسْلِمِينَ فَزَالَ عَنْهُمْ رَاحِلًا إِلَى بَلَدِهِ ، وَقَدْ نَصَبَ فِي وُجُوهِ
 الْمُسْلِمِينَ حُصُونًا عَلَى وَادِي رُدُونَةَ شَكَّهَا^(٥) بِالرِّجَالِ

(١) أَى غَفْلَةٍ وَعَدَمِ اسْتِعْدَادٍ (٢) المين : الجاسوس والرقيب (٣) جمع
 طليعة : القوم يبعثون لمطالعة خبر العدو (٤) خامره : داخله وخالطه (٥) شكها
 بالرجال : حصنها بهم

فَصَبَّرَهَا ثَمَرًا بَيْنَ بَلَدَيْهِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَذَلِكَ بِالأَرْضِ الْكَبِيرَةِ
خَلْفَ الأَنْدَلُسِ

« وَقَالَ الْحَجَّارِيُّ فِي الْمُنْهَبِ » : إِنَّ مُوسَى بْنَ نُصَيْرٍ
نَصَرَهُ اللهُ نَصْرًا مَا عَلَيْهِ مَزِيدٌ، وَأَجْفَلَتْ^(١) مُلُوكُ النَّصَارَى
بَيْنَ يَدَيْهِ، حَتَّى خَرَجَ عَلَى بَابِ الأَنْدَلُسِ الَّذِي فِي
الْجَبَلِ الْحَاجِزِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الأَرْضِ الْكَبِيرَةِ، فَاجْتَمَعَتْ
الْإِفْرَنْجُ إِلَى مَلِكِهَا الأَعْظَمِ قَارِلَةَ - وَهَذِهِ سِمَةُ^(٢) لِمَلِكِهِمْ -
فَقَالَتْ لَهُ : مَا هَذَا الْخِزْيُ الْبَاقِي فِي الأَعْقَابِ^(٣) ؟ كُنَّا
نَسْمَعُ بِالْعَرَبِ وَنَخَافُهُمْ مِنْ جِهَةِ مَطْلَعِ الشَّمْسِ حَتَّى
أَتَوْا مِنْ مَغْرِبِهَا، وَاسْتَوَلَوْا عَلَى بِلَادِ الأَنْدَلُسِ وَعَظِيمِ
مَا فِيهَا مِنْ العُدَّةِ وَالْعَدَدِ يَجْمَعُهُمُ الْقَلِيلُ وَقَلَّةُ عُدَّتِهِمْ
وَكَوْنُهُمْ لَا دُرُوعَ لَهُمْ . فَقَالَ لَهُمْ مَا مَعْنَاهُ : الرُّأْيُ عِنْدِي

نصر موسى
ابن نصير

(١) أَجْفَلَتْ لِلْمُلُوكِ : أَسْرَعُوا فِي الْهَزِيمَةِ وَالْهَرَبِ (٢) السِّمَةُ : الْهَيْئَةُ وَالْعَلَامَةُ

(٣) الأَعْقَابُ : الْخَلْفَةُ

أَلَّا تَعْتَرِضُوهُمْ فِي خَرَجَتِهِمْ هَذِهِ ، فَإِنَّهُمْ كَالسَّيْلِ يَجْهِلُ
 مَنْ يُصَادِرُهُ ، وَهُمْ فِي إِقْبَالِ أَمْرِهِمْ ، وَهُمْ نِيَّاتٌ تُغْنِي عَنْ
 كَثْرَةِ الْعَدَدِ ، وَقُلُوبٌ تُغْنِي عَنْ حَصَانَةِ الدَّرُوعِ ،
 وَلَكِنْ أَمَهُلُوهُمْ حَتَّى تَمْتَلِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْفَنَاءِ ، وَيَتَّخِذُوا
 الْمَسَاكِينَ ، وَيَنْفَاقُوا فِي الرِّيَّاسَةِ ، وَيَسْتَعِينَ بَعْضُهُمْ
 بِبَعْضٍ ، فَحِينَئِذٍ تَتِمَكَّنُونَ مِنْهُمْ بِإِسْرَارٍ أَمْرٍ . قَالَ :
 فَكَانَ وَاللَّهِ كَذَلِكَ بِالْفِتْنَةِ الَّتِي طَرَأَتْ بَيْنَ الشَّامِيِّينَ
 وَالْبَلَدِيِّينَ وَالزُّبَيْرِ وَالْعَرَبِ وَالْمُضَرِّيَّةِ وَالْيَمَانِيَّةِ ، وَصَارَ
 بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ يَسْتَعِينُ عَلَى بَعْضٍ بِمَنْ يُجَاوِرُهُمْ مِنَ الْأَعْدَاءِ .
 أَنْتَهَى .

وَقِيلَ إِنَّ مُوسَى بْنَ نُصَيْرٍ أَخْرَجَ ابْنَهُ عَبْدَ الْأَعْلَى
 إِلَى تَدْمِيرٍ فَفَتَحَهَا ، وَإِلَى غَرْنَاطَةَ وَمَالِقَةَ وَكُورَةَ رِيَّةَ فَفَتَحَ
 الْكُلَّ . وَقِيلَ إِنَّهُ لَمَّا حَاصَرَ مَالِقَةَ ، وَكَانَ مِلْكُهَا ضَعِيفَ

فـسـوـجـان
عبد الأعلى
ابن موسى

الرَّأْيِ قَلِيلَ التَّحْفُظِ، كَانَ يَخْرُجُ إِلَى جَنَّاتِهِ لِيَجَانِبَ
الْمَدِينَةَ طَلَبًا لِلرَّاحَةِ مِنْ عُمَةِ^(١) الْحِصَارِ مِنْ غَيْرِ نَصَبٍ
عَيْنٍ وَتَقْدِيمِ طَلِيعَةٍ، وَعَرَفَ عَبْدُ الْأَعْلَى بِأَمْرِهِ فَأَكْمَنَ
لَهُ فِي جَنَابَاتِ الْجَنَّةِ الَّتِي كَانَ يَنْتَابُهَا^(٢) قَوْمًا مِنْ وَجُوهِ
قُرْسَانِهِ ذَوِي رَأْيٍ وَحَزْمٍ، أَرَصَدُوا لَهُ لَيْلًا فَظَفَرُوا بِهِ
وَمَلَكَوْهُ، فَأَخَذَ الْمُسْلِمُونَ الْبَلَدَ عَنْوَةً وَمَلَأُوا أَيْدِيَهُمْ
غَنِيمَةً.



وَقِيلَ كَانَتْ نَفْسُ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ فِي ذَلِكَ كَلِّهِ
تَنْزَعِجُ^(٣) إِلَى دُخُولِ دَارِ الْكُفْرِ جَلِيقَةً، فَيَنْنَمَا هُوَ
يَعْمَلُ فِي ذَلِكَ وَيُعَدُّ لَهُ، إِذْ أَتَاهُ مُغِيثُ الرَّوْمِيِّ رَسُولُ الْوَلِيدِ
ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَمَوْلَاهُ، يَأْمُرُهُ بِالْخُرُوجِ عَنِ الْأَنْدَلُسِ
وَالْإِضْرَابِ عَنِ الْوُغُولِ فِيهَا، وَيَأْخُذُهُ بِالْقُفُولِ^(٤) إِلَيْهِ،

دخول موسى
جليقة

(١) أى ضيق وشدة (٢) ينتابها : يأتيها مرة بعد أخرى (٣) نطالبه بذلك
وتسغله وتجعله قلقا غير هادئ - وفي حديث أنس : « رأيت عمر يزعم أبا بكر
ازعاجا يوم السقيفة » أى يقيمه ولا يدعه يستقر حتى يابسه (٤) القفول : الرجوع

فَسَاءَهُ ذَلِكَ وَقَطَعَ بِهِ عَنْ إِرَادَتِهِ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْدَلُسِ
بَلَدًا لَمْ يَدْخُلْهُ الْعَرَبُ إِلَى وَقْتِهِ ذَلِكَ غَيْرُ جَلِيقَةٍ ^(١) ، فَكَانَ
شَدِيدَ الْحَرْصِ عَلَى اقْتِحَامِهَا ^(٢) ، فَلَاطَفَ مُوسَى مُغِيثًا
رَسُولَ الْخَلِيفَةِ وَسَّالَهُ إِنْظَارَهُ ^(٣) إِلَى أَنْ يُنْقَذَ عَزْمُهُ فِي
الْدُخُولِ إِلَيْهَا وَالْمَسِيرِ مَعَهُ فِي الْبِلَادِ أَيَّامًا ، وَيَكُونُ
شَرِيكَهُ فِي الْأَجْرِ وَالنَّعِيمَةِ ، فَفَعَلَ وَمَشَى مَعَهُ حَتَّى بَلَغَ الْمَفَازَةَ
فَافْتَسَحَ حِصْنَ بَارُو وَحِصْنَ لُكَّ ^(٤) ، فَأَقَامَ هُنَاكَ وَبَثَّ السَّرَايَا
حَتَّى بَلَّغُوا صَخْرَةَ بِلَايَ ^(٥) عَلَى الْبَحْرِ الْأَخْضَرِ ، فَلَمْ تَبْقَ
كَنِيسَةٌ إِلَّا هُدِّمَتْ وَلَا نَاقُوسٌ إِلَّا كُسِرَ ، وَطَاعَتِ
الْأَعَاجِمُ فَلَاذُوا بِالسَّلَامِ وَبَدَلِ الْجُزْيَةِ ، وَسَكَنَتِ الْعَرَبُ
الْمَفَاوِزَ . وَكَانَ الْعَرَبُ وَالْبَرْبُرُ كُلُّمَا مَرَّ قَوْمٌ
مِنْهُمْ بِمَوْضِعٍ اسْتَحْسَنُوهُ حَطُّوا بِهِ وَتَزَلُّوهُ فَاطْنِينَ ،
فَاتَّسَعَ نِطَاقُ الْإِسْلَامِ بِأَرْضِ الْأَنْدَلُسِ وَخُذِلَ الشُّرُكُ .

(١) ناحية قرب ساحل البحر المحيط من جهة شمالى الأندلس في أقصاه من
جهة الغرب (٢) اقتحامها : دخولها بالقوة (٣) أى امهالها وتأخيرها (٤) لك :
مدينة من أعمال خص البلوط (٥) انظر صفحة ٣٢٤ ج ١ صخرة جليقية

وَيَسْمَا مُوسَى كَذَلِكَ فِي اشْتِدَادِ الظُّهُورِ وَقُوَّةِ الْأَمَلِ إِذْ
 قَدِمَ عَلَيْهِ رَسُولُ آخَرُ مِنَ الْخَلِيقَةِ يُكْنَى أَبَا نَصْرٍ، أَرَدَفَ
 بِهِ الْوَلِيدُ مُعِيثًا لَمَّا اسْتَبْطَأَ مُوسَى فِي الْقُقُولِ ، وَكَتَبَ
 إِلَيْهِ يُوبِّحُهُ وَيَأْمُرُهُ بِالْخُرُوجِ ، وَالزَّمَ رَسُولُهُ إِزْعَاجَهُ ،
 فَأَقْلَعَ حِينَئِذٍ مِنْ مَدِينَةِ لُكَّ يَحْلِيْقِيَّةَ ، وَخَرَجَ عَلَى الْفَجِّ ^(١)
 الْمَعْرُوفِ بِفَجِّ مُوسَى . وَوَفَّاهُ طَارِقٌ فِي الطَّرِيقِ مُنْصَرِفًا
 مِنَ الْبَحْرِ الْأَعْلَى ، فَأَقْفَلَهُ مَعَ نَفْسِهِ وَمَضِيَ جَمِيعًا وَمَعَهُمَا
 مِنَ النَّاسِ مَنْ اخْتَارَ الْقُقُولَ ، وَأَقَامَ مِنْ آثَرِ الشُّكْنَى
 فِي مَوَاضِعِهِمْ الَّتِي كَانُوا قَدْ اخْطَطَوْهَا وَأَسْتَوْطَنُوهَا ، وَقَفَلَ
 مَعَهُمُ الرَّسُولَانِ : مُعِيثٌ وَأَبُو نَصْرٍ حَتَّى أَهْتَلَا ^(٢) بِإِشْبِيلِيَّةَ ،
 فَاسْتَخْلَفَ مُوسَى ابْنَهُ عَبْدَ الْعَزِيزِ عَلَى إِمَارَةِ الْأَنْدَلُسِ ، وَأَقْرَهُ
 بِمَدِينَةِ إِشْبِيلِيَّةَ لِاتِّصَالِهَا بِالْبَحْرِ نَظَرًا لِقُرْبِهِ مِنْ مَكَارِهِ
 الْإِجَازِ ، وَرَكِبَ مُوسَى الْبَحْرَ إِلَى الْمَشْرِقِ بِذِي الْحِجَّةِ
 سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَطَارِقٌ مَعَهُ ، وَكَانَ مُقَامُ طَارِقٍ
 بِالْأَنْدَلُسِ قَبْلَ دُخُولِ مُوسَى سَنَةً ، وَبَعْدَ دُخُولِهِ سَتَيْنِ

(١) الفج : الطريق الواسع الواضح بين جبلين (٢) احتلوا بإشبيلية :
 نزلوا بها .

وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، وَحَمَلَ مُوسَى النِّعَامَ وَالسَّبْيَ ^(١) وَهُوَ ثَلَاثُونَ
أَلْفَ رَأْسٍ ، وَالْمَائِدَةُ مِنْهُمَا بِهَا وَمَعَهَا مِنَ الذَّخَائِرِ وَالْجَوَاهِرِ
وَنَفِيسِ الْأَمْنَةِ مَا لَا يُقَدَّرُ قَدْرُهُ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مُتَلَهِّفٌ
عَلَى الْجِهَادِ الَّذِي فَاتَهُ ، آسَفٌ عَلَى مَا لَحِقَهُ مِنَ الْأَزْعَاجِ ،
وَكَانَ يُؤْمَلُ أَنْ يَخْتَرِقَ مَا بَقِيَ عَلَيْهِ مِنْ بِلَادِ الْفَرَنْجَةِ ،
وَيَقْتَحِمَ الْأَرْضَ الْكَبِيرَةَ حَتَّى يَتَّصِلَ بِالنَّاسِ إِلَى الشَّامِ ،
مُؤَمِّلًا أَنْ يَتَّخِذَ مُحْتَزَقَهُ بِنَتِكَ الْأَرْضِ طَرِيقًا مَهِيغًا ^(٢)
يَسْلُكُهُ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ فِي مَسِيرِهِمْ وَحَيْثُ مِنْ الشَّرِيقِ
وَالِيهِ عَلَى الْبَرِّ لَا يَرَى كَبُورَ بَحْرًا . وَقِيلَ : إِنَّهُ أَوْغَلَ
فِي أَرْضِ الْفَرَنْجَةِ حَتَّى أَتَتْهُ إِلَى مَفَازَةٍ كَبِيرَةٍ وَأَرْضٍ
سَهْلَةٍ ذَاتِ آثَارٍ ، فَأَصَابَ فِيهَا صَمًّا عَظِيمًا فَأَتَمَّا كَالسَّارِيَةِ
مَكْتُوبًا فِيهِ بِالنَّقْرِ كِتَابَةٌ غَرِيبَةٌ ^(٣) قُرِئَتْ : فَإِذَا هِيَ :
يَا بَنِي إِسْمَاعِيلِ اإْتَهَيْتُمْ فَأَرْجِعُوا ^(٤) ، فَهَالَهُ ذَلِكَ وَقَالَ :

(١) السبي: الأسرى (٢) المهيغ: الطريق الواسع البسيط والواضح البين
(٣) في الأصل عربية وأظنها محرفة عن غريبة (٤) روى أنه عند اجتياز
العرب جبال البرنات عثروا على حجر منقوش عليه نقوش غريبة
توصلوا الى حل رموزها فاذا هي : يا بني اسماعيل ارجعوا من حيث
أتيتم ، وان سألتهم عن سبب فذلك كي يذبح بعضكم بعضا

مَا كُتِبَ هَذَا إِلَّا لِمَعْنَى كَبِيرٍ ، فَشَاوَرَ أَصْحَابَهُ فِي
الْإِعْرَاضِ عَنْهُ وَجَوَّازِهِ إِلَى مَا وَرَاءَهُ فَاخْتَلَفُوا عَلَيْهِ ،
فَأَخَذَ بِرَأْيِ مُجْهَرِهِمْ ، وَأَنْصَرَفَ بِالنَّاسِ وَقَدْ أَشْرَفُوا
عَلَى قَطْعِ الْبِلَادِ وَتَقَصَّى الْغَايَةَ

« وَحَكَى الرَّازِيُّ » : أَنَّ مُوسَى خَرَجَ مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ
إِلَى الْأَنْدَلُسِ فِي رَجَبِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ ، وَأَسْتَخْلَفَ
عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ أَسْنٌ وَلَدَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى ، وَكَانَ مُوسَى
فِي عَشْرَةِ آلَافٍ . قَالَ : وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ
هُوَ الَّذِي أَغْزَى مُوسَى الْمَغْرِبَ فِي خِلَافَتِهِ ، فَفُتِّحَ لَهُ
فِي أَهْلِ الْبَرَابَرَةِ فُتُوحٌ كِبَارٌ ، حَتَّى لَقَدْ بَعَثَ إِلَى عَبْدِ
الْمَلِكِ فِي الْخُمْسِ بَعْشَرِينَ أَلْفَ سَبْيَةٍ ، ثُمَّ أُرْدَفَهَا بِعِشْرِينَ
أَلْفًا أُخْرَى ، كُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْبَرْبَرِ ، فَعَجِبَ عَبْدُ الْمَلِكِ
يَوْمَئِذٍ مِنْ كَثَرَةِ ذَلِكَ .

وَزَعَمَ ابْنُ حَبِيبٍ أَنَّهُ دَخَلَ الْأَنْدَلُسَ رَجُلًا

غُثَامُ مُوسَى
ابْنُ لُصْبَرٍ

الْبَاخُلُونِ إِلَى
الْأَنْدَلُسِ

وَاحِدٌ مِنْ أَصَاغِرِ الصَّحَابَةِ وَهُوَ الْمُنِيرُ^(١) قَالَ :
وَدَخَلَهَا مِنْ التَّابِعِينَ ثَلَاثَةٌ : مُوسَى الْأَمِيرُ ، وَعَلِيُّ
ابْنُ رَبَاحٍ^(٢) اللَّخْمِيُّ ، وَحَيَوْهُ بْنُ رَجَاءٍ التَّمِيمِيُّ ، وَقِيلَ :
إِنَّ ثَالِثَهُمْ إِنَّمَا هُوَ حَنْشٌ^(٣) بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الصَّنَعَانِيُّ صَنْعَاءُ
الشَّامِ ، وَإِنَّهُمْ قَفَلُوا عَنْهَا بِقَوْلِ مُوسَى . وَأَهْلُ
سَرَقُسْطَةَ يَزْعُمُونَ أَنَّ حَنْشًا مَاتَ عِنْدَهُمْ وَلَمْ يَقْلُ
لِلْمَشْرِقِ ، وَقَبْرُهُ لَدَيْهِمْ مَشْهُورٌ يَتَبَرَّكُونَ بِهِ وَلَا
يَحْتَلِفُونَ فِيهِ ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَقِيلَ إِنَّ التَّابِعِينَ أَرْبَعَةٌ بَابِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبْلِيِّ^(٤)

- (١) هو المنير الأسلمي ، وقيل اسمه منير وكان يسكن إفريقية
(٢) هو علي بن رباح بن قصير اللخمي أبو عبد الله المصري ، روى
عنه ابنه موسى ، وتوفي سنة ١١٧ ويقال إن قبر ابنه موسى للتوفي سنة ١٦٣
بسرقسطة بأزاء قبر حنش (٣) هو حنش بن عبد الله (أبو ابن علي)
السبئي الصنعاني ثم الأفريقي ، روى عن علي وابن عباس توفي سنة ١٠٠ هـ
وكان ثقة صالحا (٤) عبد الله بن يزيد الماعفري الحبلي أبو عبد الرحمن
المصري ، روى عن أبي ذر وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وكان
ثقة وتوفي بإفريقية سنة ١٠٠ هـ (وفي الأصل في غير موضع : الجبلي وهو
تحريف) والحبلي نسبة إلى بني الحبلي بطن من الأنصار ثم من الحزرج ،
والحبلي لقب سالم بن غنم بن عوف بن الحزرج لقب به لعظم بطنه ، وبني الحبلي
هؤلاء من ولده .

الْأَنْصَارِيِّ، وَأَسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ .
وَحَمَسَهُمْ بَعْضُهُمْ بِحَيَّانَ بْنِ أَبِي جَبَلَةَ مَوْلَى بَنِي عَبْدِ الدَّارِ ،
وَكَانَ فِي دِيْوَانِ مِصْرَ ، فَبَعَثَ بِهِ عُمرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ
إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ الْفُقَهَاءِ لِيُفَقِّهُوْا أَهْلَهَا ، وَكَانَ
رَوَى عَنْ عُمرِ بْنِ الْعَاصِ وَأَبْنِ عَبَّاسٍ وَأَبْنِ عُمرَ ، وَحَدَّثَ
عَنْهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ^(١) بْنُ زِيَادٍ بْنُ أَنَعَمْ وَغَيْرُهُ ، وَغَزَا مَعَ
مُوسَى حِينَ أَفْتَتَحَ الْأَنْدَلُسَ وَأَتَتْهُ مَعَهُ إِلَى حِصْنٍ
مِنْ حُصُونِ الْعَدُوِّ يُقَالُ لَهُ قَرْقَشُونَةُ ، وَقِيلَ : بَلْ قَفَلَ
إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ فَتُوفِيَ بِهَا بَعْدَ الْعَشْرِينَ وَمِائَةً ^(٢)

وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ بَيْنَ قَرْقَشُونَةَ هَذِهِ وَبَيْنَ بَرَشْلُونَةَ ^(٣) أما قرقشونه
مَسَافَةٌ خَمْسَةِ وَعَشْرِينَ يَوْمًا ، وَفِيهَا الْكَنِيسَةُ الْمُعْظَمَةُ
عِنْدَ الْفَرَنْجِ الْمُسَمَّاةُ شَنْتَ مَرِيَّةَ ، وَقَدْ حَكَى ابْنُ حَيَّانَ
أَنَّ فِيهَا سَبْعَ سَوَارٍ ^(٤) مِنْ فِضَّةٍ خَالِصَةٍ لَمْ يَرَ الرَّاوْدُونَ مِثْلَهَا ،

(١) عبدالرحمن بن أنعم الشعباني أبو أيوب قاضي إفريقية توفى سنة ١٥٦
أو سنة ١٦٢ (٢) توفى سنة ١٢٥ (٣) الذي في المعجم : وبين قرقشونه
وقرطبة ٢٥ يوما (٤) سوار . جمع سارية ، الاسطوانة «العمود»

لَا يُحِيطُ الْإِنْسَانُ بِذِرَاعِيهِ عَلَى وَاحِدَةٍ مِنْهَا مَعَ طُولِ مُفْرِطٍ .
وَحَسَنُ الصَّنَائِي الْمَذْكُورُ تَابِعِيٌّ جَلِيلٌ ، كَانَ مَعَ عَلِيٍّ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْكُوفَةِ ، وَقَدِمَ مِصْرَ بَعْدَ قَتْلِهِ فَصَارَ
عِدَادُهُ فِي الْمِصْرِيِّينَ ، وَكَانَ فِيمَنْ قَامَ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ عَلَى
عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَعَقَا عَنْهُ . وَكَفَى الْأَنْدَلُسَ شَرَفًا
دُخُولُهُ لَهَا . وَعَلِيُّ بْنُ رَبَاجٍ بَصْرِيٌُّّ تَابِعِيٌّ يُكْنَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ
وَهُوَ لَخْمِيٌّ ، وَلِدَ عَامَ الْيَرْمُوكِ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ . قَالَ ابْنُ
مُعِينٍ أَهْلُ مِصْرَ يَقُولُونَهُ بَفَتْحِ التَّيْنِ ، وَأَهْلُ الْعِرَاقِ
يَقُولُونَهُ بِضَمِّهَا . وَرَوَى اللَّيْثُ عَنْ ابْنِهِ مُوسَى بْنِ عَلِيٍّ ،
وَكَانَتْ لِعَلِيِّ بْنِ رَبَاجٍ عِنْدَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ مَكَانَةٌ ،
وَهُوَ الَّذِي زَفَّ ابْنَتَهُ أُمَّ الْبَيْنِ لَزَوْجِهَا الْوَلِيدِ ، ثُمَّ عَتَبَ
عَلَيْهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ فَأَغْرَاهُ إِفْرِيقِيَّةً . وَأَمَّا الْمُنَيِّرُ الصَّحَابِيُّ
فَلَمْ يَنْسُبْهُ ابْنُ حَبِيبٍ ، وَذَكَرَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي الصَّحَابَةِ
وَقَالَ إِنَّهُ الْمُنَيِّرُ الْإِفْرِيقِيُّ ، وَرَوَى عَنْهُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ
الْحُلَيْيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْمُنَيِّرُ الْإِفْرِيقِيُّ - وَكَانَ مَسْكَنَ
إِفْرِيقِيَّةَ ، وَكَانَ صَحْبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

أَنَّهُ سَمِعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَنْ قَالَ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا فَأَنَا الزَّعِيمُ لَهُ فَلَا خُذْنَ يَدِهِ فَلَا دُخْلَنَّهُ الْجَنَّةَ » . وَرَوَاهُ عَنْهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ بِسَنَدِهِ إِلَيْهِ ، وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَقِّ الْمُنْذِرِ مَزِيدُ بَيَانٍ .

وَلَمَّا قَفَلَ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ إِلَى الْمَشْرِقِ وَأَصْحَابُهُ سَأَلَ مُغِيثًا أَنْ يُسَلِّمَ إِلَيْهِ الْعِلْجَ صَاحِبَ قُرْطُبَةَ الَّذِي كَانَ فِي إِسَارِهِ ؛ فَامْتَنَعَ عَلَيْهِ وَقَالَ : لَا يُودِّيهِ لِلْخَلِيفَةِ سِوَايَ - وَكَانَ يُدَلُّ^(١) بَوْلَانِهِ مِنْ الْوَلِيدِ - فَهَجَمَ عَلَيْهِ مُوسَى فَأَنْزَعَهُ مِنْهُ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنْ سِرْتَ بِهِ حَيًّا مَعَكَ أَدْعَاةُ مُغِيثٍ ، وَالْعِلْجُ لَا يُنْكَرُ قَوْلَهُ وَلَكِنْ أَضْرِبْ عُنُقَهُ ، فَفَعَلَ ، فَاضْطَفَنَاهُ^(٢) عَلَيْهِ مُغِيثٌ وَصَارَ أَلْبًا^(٣) مَعَ طَارِقِ السَّاعِي عَلَيْهِ . وَاسْتَخْلَفَ مُوسَى

قتل صاحب
قرطبة

(١) يدل : يشق بمحبته فيجترى عليه (٢) اضطفنها : أضمرها وحقدها

(٣) الألب : القوم يجتمعون على عداوة انسان ظلموا قال رؤبة :

قد أصبح الناس علينا ألبا فالتاس في جنب وكنانجا

وألب اليه القوم أتوه من كل جانب ، وتألبوا : اجتمعوا

عَلَى طَنْجَةٍ وَمَا يَلِيهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ابْنُهُ الْأَخَرُ عَبْدُ الْمَلِكِ ،
وَقَدْ كَانَ - كَمَا مَرَّ - اسْتَخْلَفَ يَافِرِيقَةَ أَكْبَرَ أَوْلَادِهِ
عَبْدَ اللَّهِ ، فَصَارَ جَمِيعُ الْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ يَدِ أَوْلَادِهِ .
وَأَبْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ الَّذِي خَلَفَهُ يَافِرِيقَةَ هُوَ الْفَاتِحُ لِجَزِيرَةِ
مَيُورُوقَةَ . وَسَارَ مُوسَى فَوَرَدَ الشَّامَ . وَاخْتَلَفَ النَّاسُ هَلْ
كَانَ وُزُودُهُ قَبْلَ مَوْتِ الْوَلِيدِ أَوْ بَعْدَهُ ؟ فَمَنْ يَقُولُ
بِالثَّانِي قَالَ : قَدِمَ عَلَى سُلَيْمَانَ حِينَ اسْتُخْلِفَ ، وَكَانَ مُنْحَرِفًا
عَلَيْهِ ، فَسَبَقَ إِلَيْهِ طَارِقٌ وَمُعِثٌ بِالشَّكِيَّةِ مِنْهُ وَرَمِيَاهُ
بِالْحَيَانَةِ ، وَأَخْبَرَاهُ بِمَا صَنَعَ بِهِمَا مِنْ خَبَرِ الْمَائِدَةِ وَالْعِلْجِ
صَاحِبِ قُرْطَبَةَ ، وَقَالَا لَهُ : إِنَّهُ قَدْ غَلَّ^(١) جَوْهَرًا عَظِيمًا
الْقَدَرِ أَضَابَهُ وَلَمْ تَحْوِ الْمُلُوكُ مِنْ بَعْدِ فَتَحِ فَارِسَ مِثْلَهُ .
فَلَمَّا وَافَى سُلَيْمَانَ وَجَدَهُ ضَعِيفًا عَلَيْهِ فَأَغْلَظَ لَهُ وَأَسْتَقْبَلَهُ
بِالثَّانِي وَالتَّوَيْيخِ ، فَأَعْتَذَرَ لَهُ بِبَعْضِ الْعُذْرِ ، وَسَأَلَهُ
عَنِ الْمَائِدَةِ فَأَحْضَرَهَا ، فَقَالَ لَهُ : زَعَمَ طَارِقٌ أَنَّكَ الَّذِي

(١) غل الشيء : أخذه خفية ودسه في متاعه . وغل يغل غلولا وأغل : خان ،
وخص به بعضهم الحيانة في الشيء والغنم

أَصَابَهَا دُونَكَ ، قَالَ : لَا وَمَا رَأَاهَا قَطُّ إِلَّا عِنْدِي ، فَقَالَ طَارِقٌ : فَلَيْسَ أَلَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الرَّجُلِ الَّتِي تَنْقُضُهَا ، فَسَأَلَهُ فَقَالَ : هَكَذَا أَصَبْتُهَا وَعَوَّضْتُهَا رَجُلًا صَنَعْتُهَا لَهَا ، فَحَوَّلَ طَارِقٌ يَدَهُ إِلَى قِبَائِهِ ^(١) فَأَخْرَجَ الرَّجُلَ ، فَعَلِمَ سُلَيْمَانُ صِدْقَهُ وَكَذِبَ مُوسَى ، فَحَقَّقَ جَمِيعَ مَا رَأَى بِهِ عِنْدَهُ ، وَعَزَلَهُ عَنْ جَمِيعِ أَعْمَالِهِ وَأَقْصَاهُ وَحَبَسَهُ ، وَأَمَرَ بِتَقْصِي حِسَابِهِ ، فَأَغْرَمَهُ غُرْمًا عَظِيمًا كَشَفَهُ فِيهِ حَتَّى اضْطُرَّ إِلَى أَنْ سَأَلَ الْعَرَبَ مَعُونَتَهُ ، فَيُقَالُ إِنَّ لَحْمًا سَمَلَتْ عَنْهُ فِي أُعْطِيَتْهَا تِسْعِينَ أَلْفًا ذَهَبًا ، وَقِيلَ سَمَلَتْهُ سُلَيْمَانُ غُرْمَ مَا تَنَى أَلْفٍ ، فَأَدَّى مِائَةَ أَلْفٍ وَعَجَزَ فَاسْتَجَارَ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ ^(٢)

(١) القباء : كساء يلبس فوق الملابس (٢) يزيد بن المهلب ابن أبي صفرة الأزدي ، كان أبوه واليا بخراسان وتوفي سنة ٨٣ وكان قد استخلف ولده يزيد مكانه وهو ابن ثلاثين سنة فكث نحو ست سنوات ثم عزله عبد الملك بن مروان برأى الحجاج بن يوسف وصار يزيد في يد الحجاج (وكان الحجاج زوج أخته هند بنت المهلب ، وكان يكره يزيد لما يرى فيه من النجاسة) فعذبه حتى هرب من حبسه إلى الشام يريد سليمان بن عبد الملك فشفع له إلى أخيه الوليد فأمنه ثم ولده سليمان خراسان حين أفضت إليه الخلافة ولما توفي سليمان حبسه عمر بن عبد العزيز فهرب من حبسه حتى مات عمر فخالف يزيد وخلع يزيد بن عبد الملك فوجه إليه أخاه مسلعة فقتله سنة ١٠٢

أَسِيرِ سُلَيْمَانَ ، فَاسْتَوْهَبَهُ مِنْ سُلَيْمَانَ فَوَهَبَهُ إِيَّاهُ إِلَّا أَنَّهُ
عَزَلَ أَبْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ عَنْ إِفْرِيقِيَّةَ

« وَقَالَ الرَّازِيُّ : إِنَّ الَّذِي أَرْعَجَ مُوسَى عَنِ الْأَنْدَلُسِ
أَبُو نَصْرِ رَسُولُ الْوَلِيدِ ، فَفَبَضَّ عَلَى عِنَانِهِ وَتَنَاهَا فَاِفْلًا ، وَقَلَلَ
مَعَهُ مَنْ أَحَبَّ الْمَشْرِقَ ، وَكَانَ أَكْثَرُ النَّاسِ قَطَنُوا بِيْلَادِ
الْأَنْدَلُسِ لِطَيْبِهَا فَأَقَامُوا فِيهَا .

الفنّان وموت
الوليد

وَدَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ التَّارِيخِ إِلَى أَنَّ مُوسَى إِنَّمَا
قَدِمَ عَلَى الْوَلِيدِ ، وَأَنَّ سُلَيْمَانَ وَلِيَ الْعَهْدَ لَمَّا سَمِعَ
بِقُرْبِ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ مِنْ دِمَشْقَ ، - وَكَانَ الْوَلِيدُ
مَرِيضًا - كَتَبَ - أَيْ سُلَيْمَانُ - إِلَى مُوسَى يَأْمُرُهُ
بِالتَّرْبُصِ ^(١) رَجَاءً أَنْ يَمُوتَ الْوَلِيدُ قَبْلَ قُدُومِ مُوسَى ،
فَيَقْدِمَ مُوسَى عَلَى سُلَيْمَانَ فِي أَوَّلِ خِلَافَتِهِ بِتِلْكَ الْفَنَاءِ الْكَثِيرَةِ
الَّتِي مَا رُئِيَ وَلَا سَمِعَ مِثْلَهَا ، فَيَعْظُمَ بِذَلِكَ مَقَامُ سُلَيْمَانَ عِنْدَ
النَّاسِ ، فَأَبَى مُوسَى مِنْ ذَلِكَ وَمَنَعَهُ دِينُهُ مِنْهُ ، وَجَدَّ فِي

السَّيْرِ حَتَّى قَدِمَ وَالْوَلِيدُ حَتَّى، فَسَلَّمَ لَهُ الْأَخْمَاسَ وَالْمَغَانِمَ
وَالْتَحَفَ وَالذَّخَائِرَ، فَلَمْ يَمْكُثِ الْوَلِيدُ إِلَّا يَسِيرًا بَعْدَ
قُدُومِ مُوسَى وَتَوَفَّى،

وَأَسْتُخْلِفَ سُلَيْمَانُ فَحَقَّدَ عَلَيْهِ وَأَهَانَهُ وَأَمَرَ
بِإِقَامَتِهِ فِي الشَّمْسِ حَتَّى كَادَ يَهْلِكُ، وَأَغْرَمَهُ أَمْوَالًا
عَظِيمَةً، وَدَسَّ إِلَى أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ بِقَتْلِ ابْنِهِ الَّذِي
أَسْتَخْلَفَهُ عَلَى الْأَنْدَلُسِ وَهُوَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ مُوسَى - وَكَانَ
تَوَلَّى الْأَنْدَلُسَ بَعْدَ قُفُولِ أَبِيهِ عَنْهَا بِأَسْتِخْلَافِهِ إِيَّاهُ كَمَا
سَبَقَ، فَضَبَطَ سُلْطَانَهَا وَضَمَّ نَشْرَهَا^(١) وَسَدَّ ثُعُورَهَا،
وَأَفْتَحَ فِي وَلَايَتِهِ مَدَائِنَ كَثِيرَةً مِمَّا كَانَ قَدْ بَقِيَ عَلَى أَبِيهِ

تمذيب موسى
وقتل ابنه

(١) النشر بفتح الشين: القوم المتفرقون الذين لا يجمعهم رئيس، وجاء القوم
نشرًا أي متفرقين، وانتشرت الأبل والغنم تفرقت عن غرة من راعيها، والنشر
للنشر، ويقال: ضم الله لشرك، ولم شعثك، أي مالت نشر من أمرك.
ومثله جمع الله شملك، وفي حديث عائشة في أبيها رضى الله عنها: «فرد نشر
الاسلام على غره» أي رد ما انتشر من أمر الاسلام الى حالته التي كانت على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، تعني أمر الردة وكفاية أبيها إياه، رضى
الله عنه. - وفي الاصل نشر، وهو تحريض - نجاني

مُوسَى مِنْهَا، وَكَانَ مِنْ خَيْرِ الْوَلَاةِ إِلَّا أَنْ مُدَّتَهُ لَمْ تَطُلْ
لِوُثُوبِ الْجُنْدِ بِهِ وَقَتْلِهِمْ إِيَّاهُ عَقِبَ سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ فِي
خِلَافَةِ سُلَيْمَانَ الْمَوْقِعِ بِأَيِّهِ مُوسَى لِأَشْيَاءَ تَقْمُوها^(١) عَلَيْهِ -
مِنْهَا - زَعَمُوا - تَزَوُّجُهُ لِرَوْجَةِ لُذْرِيْقِ الْمَكْنَاةِ أُمِّ حَاصِمٍ ،
وَكَانَتْ قَدْ صَالَحَتْ عَلَى نَفْسِهَا وَأَمْوَالِهَا وَقَدْ أُلْفِتِحَ ،
وَبَاءَتْ^(٢) بِالْجُزْيَةِ ، وَأَقَامَتْ عَلَى دِينِهَا فِي ظِلِّ نِعْمَتِهَا إِلَى أَنْ
نَكَحَهَا الْأَمِيرُ عَبْدُ الْعَزِيزِ ، فَحَضَيْتْ عِنْدَهُ^(٣) ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ
سَكَنَ بِهَا فِي كَنِيسَةٍ يَاشِبِيلِيَّةَ ، وَإِنَّمَا قَالَتْ لَهُ :
لِمَ لَا يَسْجُدُ لَكَ أَهْلُ مَمْلَكَتِكَ كَمَا كَانَ يَسْجُدُ لِلذَّرِيقِ
زَوْجِهَا الْأَوَّلِ - أَهْلُ مَمْلَكَتِهِ ؟ فَقَالَ لَهَا : إِنَّ هَذَا حَرَامٌ فِي

(١) تقموها : أنكروها وكرهوا اتباعها (٢) بأت بالجزية : أقرت بها
واعترفت ورضيت بأدائها خاضعة ، وبأت بذنبه احتمله واعترف به
(٣) قيل ان فس باجة هو الذي عقد زواجها به ، وهذا مما يدل على
رضا الأسبان واعتباطهم بحكم العرب فقد سوغوا لهم أن يعتنقوا
ما أرادوا من دين ولم يكرهوهم أبدا على اعتناق الاسلام ماداموا
يدفعون الجزية ، ولما لقي المسيحيون من عدل وحسن معاملة ومراعاة
دخل الكثير منهم في دين الله طائفا مختارا . فكان فتح العرب للأندلس
نعمة على أهلها خاصة ونورا اهدى به أهل أوربة عامة . نجاتي

دِينَنَا ، فَلَمْ تَقْنَعْ مِنْهُ بِذَلِكَ ، وَفَهِمَ لِكَثْرَةِ شَغْفِهِ بِهَا أَنَّ
عَدَمَ ذَلِكَ مِمَّا يُزْرَى ^(١) بِقَدْرِهِ عِنْدَهَا ، فَاتَّخَذَ أَبَا صَغِيرًا قِبَالَةً
مَجْلِسِهِ يَدْخُلُ عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْهُ فَيَنْحَنُونَ ، وَأَفْهَمَهَا أَنَّ ذَلِكَ الْفِعْلَ
مِنْهُمْ تَحِيَّةٌ لَهُ فَרَضِيَتْ بِذَلِكَ ، فَتَنَبَّأَ ^(٢) الْخَبْرُ إِلَى الْجُنْدِ مَعَ
مَا انْضَمَّ إِلَى ذَلِكَ مِنْ دَسِيسَةِ سُلَيْمَانَ لَهُمْ فِي قَتْلِهِ فَقَتَلُوهُ ،
سَاعَهُ اللَّهُ تَعَالَى . وَذَكَرَ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ أَنََّّهُمْ وَجَدُوا
فِي الْخَبْرِ بَعْدَ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْكِتَابَةِ الَّتِي هِيَ « أَرْجِعُوا يَا بَنِي
إِسْمَاعِيلَ » الْخَ مَا مَعْنَاهُ : وَإِنْ سَأَلْتُمْ لِمَ تَرْجِعُونَ ؟ فَأَعْلَمُوا
أَنَّكُمْ تَرْجِعُونَ لِضَرْبِ بَعْضِكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ . اُنْتَهَى .



أرجوزة الغزال « قَالَ ابْنُ حَيَّانَ ^(٣) » وَابْنُ حَيَّانَ بْنِ حَكَمٍ الشَّاعِرُ الْمَعْرُوفُ
بِالْغَزَالِ ^(٤) فِي فَتْحِ الْأَنْدَلُسِ أَرْجُوزَةٌ حَسَنَةٌ مُطَوَّلَةٌ ذَكَرَ

- (١) زرى عليه عابه ، وأزرى به : أدخل عليه عيبا ، وتنقصه
(٢) نبى إليه الحديث : ارتفع وبلغ . وأنبى الحديث : أذاعه على وجه
النميمة . ورجعوا أن نميته - بالتخفيف - : رفعته على وجه الإصلاح ،
وهذه مخمودة ، ونميته - بالتشديد - : بلغته على وجه النميمة ؛ وهذه ممقوتة
(٣) حيان بن خلف القرطبي توفى سنة ٤٦٩ (٤) لقب بالغزال لجماله ،
وأدرك الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم وتوفى حوالى سنة ٢٥٠

فِيهَا السَّبَبُ فِي غَزْوِهَا نَظْمًا، وَتَفْصِيلُ الْوَقَائِعِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ
وَأَهْلِهَا، وَعِدَادُ الْأُمَرَاءِ عَلَيْهَا وَأَسْمَاءُ مُمٍّ، فَأَجَادَ وَتَقَصَّى، وَهِيَ
بِأَيْدِي النَّاسِ مَوْجُودَةٌ. انْتَهَى.

وَقَدْ عَرَفْتَ بِمَا سَبَقَ تَفْصِيلَ مَا أَجْمَلَهُ فَذَلِكَ لَا تَقْدِمُ
ابْنُ خَلْدُونٍ. وَالرُّوَايَاتُ فِي فَتْحِ الْأَنْدَلُسِ مُخْتَلِفَةٌ،
وَقَدْ ذَكَرْنَا نَحْنُ بِحَسَبِ مَا اقْتَضَاهُ الْوَقْتُ مَا فِيهِ
كِفَايَةٌ، وَأَشْرْنَا إِلَى بَعْضِ الْاِخْتِلَافِ فِي ذَلِكَ، وَلَوْ بَسَطْنَا
الْعِبَارَةَ فِي الْفَتْحِ لَكَانَ وَحْدَهُ فِي مُجَلِّدٍ أَوْ أَكْثَرَ. وَعَلِمَ بِمَا
أَلْمَعْنَا^(١) بِهِ مِنْ كَلَامِ ابْنِ خَلْدُونِ السَّابِقِ ذِكْرُ الْوَلَاةِ
لِلْأَنْدَلُسِ مِنْ لَدُنِ الْفَتْحِ، وَهُمْ مِنْ قَبْلِ بَنِي مَرْوَانَ
بِالْمَشْرِقِ الْمُتَفَرِّدِينَ بِإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ قَبْلَ
تَفَرُّقِهِمْ، إِلَى أَنْ انْقَرَضَتْ دَوْلَتُهُمُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي
هِيَ أَلْفُ شَهْرٍ، فَاقْتَطَعَ الْأَنْدَلُسَ عَنْ بَنِي الْعَبَّاسِ

الْدَّائِلِينَ^(١) عَلَى بَنِي مَرْوَانَ النَّاسِخِينَ^(٢) لَهْمُ^(٣) فَلَّ
الْمَرْوَانِيِّينَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ
ابْنِ مَرْوَانَ ، وَأَقْتَمَدَهَا دَارَ مَمْلَكَةٍ مُسْتَقَلَّةٍ لِنَفْسِهِ
وَلِأَعْقَابِهِ ، وَجَمَعَ بِهَا شَمْلَ بَنِي أُمَيَّةَ وَمَوَالِيهِمْ ، وَأَوْرَثَهَا
بَنِيهِ حِقْبَةً^(٤) مِنَ الدَّهْرِ ، بَعْدَ أَنْ قَامَ فِي ذَلِكَ
خُطُوبًا^(٥) ، وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ ثُمَّ عَلَى ذُرِّيَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ أَهْلُ
الْأَنْدَلُسِ أَجْمَعُونَ رِضًا بِهِمْ دُونَ بَنِي الْعَبَّاسِ ، بَعْدَ أَنْ حَاوَلَ
بَنُو الْعَبَّاسِ مُلْكَهَا ، بَانَ وَلَوْ أَمَضَ رُؤُوسُ الْعَرَبِ ، وَأَمَرُوهُمْ
بِالْقِيَامِ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَالِدِ الْغَدَاةِ لِلْعَبَّاسِيِّينَ الْقَاطِعِينَ
جُرْثُومَهُ^(٦) دَوْلَةَ بَنِي مَرْوَانَ فَلَمْ يَنْيَسِرْ ذَلِكَ ، وَظَفِرَ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِمَنْ نَصَبَ لَهُ الْحَرْبَ فِي ذَلِكَ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ
آلَافًا ، وَذَلِكَ فِي مُدَّةِ الْمَنْصُورِ كَمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ
تَعَالَى عِنْدَ ذِكْرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّاخِلِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ .

(١) من الدولة في الحرب وهي أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى ،
و يقال كانت لنا عليهم الدولة أي الغلب ، تقول اللهم أدلني على فلان أي انصرني
عليه . والدولة أيضا : الانتقال من حال الشدة الى الرخاء ، ودال يدول :
صار ذا شهرة (٢) الناسخين : للزيلين (٣) الفل : الجماعة أو المنهزمون
(٤) الحقبه : المدة (٥) الخطوب : الأهوال والحوادث . (٦) جرثومة : أصل

وَسَنَدُ كُرْمَرِيَّاءَ وَلَاَةَ الْأَنْدَلُسِ مِنْ حِينَ الْفَتْحِ إِلَى إِمَارَةِ
الدَّخِيلِ وَإِنْ سَبَقَ فِي كَلَامِ ابْنِ خَلْدُونٍ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ :
كَانَتْ وَلَادَةُ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ مِنَ الْهَجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَى
صَاحِبِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَجَلُ السَّلَامِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ . اُنْتَهَى .

وَقَالَ الْحِجَارِيُّ^(١) فِي الْمُسَبِّبِ : يُحْكَى أَنَّ مُوسَى بْنَ
نُصَيْرٍ أَلْقَى بِنَفْسِهِ عَلَى يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ لِمَكَانِهِ مِنْ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُكَلِّمَهُ
فِي أَنْ يُخَفِّفَ عَنْهُ ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ : أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ فَاصْنَعْ^(٢)
إِلَيَّ ، قَالَ : سَلْ عَمَّا بَدَأَ لَكَ . فَقَالَ لَهُ : لَمْ أَزَلْ أَسْمَعُ عَنْكَ
أَنَّكَ مِنْ أَعْمَلِ النَّاسِ وَأَعْرِفَهُمْ بِمَكَائِدِ الْخُرُوبِ وَمُدَارَاةِ
الدُّنْيَا ، فَقُلْ لِي كَيْفَ حَصَلَتْ فِي يَدِ هَذَا الرَّجُلِ بَعْدَ

(١) نسبة الى وادي الحجارة : كورة بالأندلس وينسب اليها جماعة ،
منهم : محمد بن ابراهيم بن حيون ، وسعيد بن مسعدة الحجاري ، معجم
البلدان ج ٣ ص ٢١٧ (٢) صفا اليه يصغو ويصنى ، وصنى يصنى
« كرضى » مال . وأصنى : استمع ، وأصنى اليه : مال بسمعه

مَا مَلَكَتِ الْأَنْدُلُسَ ، وَأَلْقَيْتَ يَنِّكَ وَيَيْنَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ
 الْبَحْرَ الزَّخَّارَ ، ^(١) وَتَيَقَّنْتَ بُعْدَ الْمَرَامِ وَأُسْتِصْبَاهَهُ ،
 وَأَسْتَخْلَصْتَ بِلَادًا أَنْتَ اخْتَرَعْتَهَا ، وَأَسْتَمَلَكْتَ رِجَالًا
 لَا يَمْرِؤُونَ غَيْرَ خَيْرِكَ وَشَرِّكَ ، وَحَصَلَ فِي يَدِكَ مِنَ الذُّخَائِرِ
 وَالْأَمْوَالِ ، وَالْمَعَالِ وَالرِّجَالِ ، مَا لَوْ أَظْهَرْتَ بِهِ الْإِمْتِنَاعَ
 مَا أَلْقَيْتَ عُثْقَكَ فِي يَدِ مَنْ لَا يَرَحْمُكَ ؟ ثُمَّ إِنَّكَ عَلِمْتَ
 أَنَّ سُلَيْمَانَ وَلِيَّ عَهْدٍ ، وَأَنَّهُ الْمُؤَلَّى بَعْدَ أَخِيهِ ، وَقَدْ
 أَشْرَفَ عَلَى الْهَلَاكِ لَا حَالَةَ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ خَالَفْتُهُ وَأَلْقَيْتَ
 يَدَكَ إِلَى التَّهْلُكَةِ ، وَأَحْقَدْتَ مَالِكَكَ وَمَمْلُوكَكَ ،
 - قَالَ : يَمْنِي سُلَيْمَانٌ وَطَارِقًا - وَمَارِضًا هَذَا الرَّجُلُ
 عَنْكَ إِلَّا بَعِيدٌ ، وَلَكِنْ لَا آلُو ^(٢) جُهْدًا . فَقَالَ مُوسَى :
 يَا بَنَ الْكِرَامِ ، لَيْسَ هَذَا وَقْتُ تَعْدِيدٍ ، أَمَا سَمِعْتَ إِذَا جَاءَ

(١) زخر البحر « كنع » وتزخر : طمى وامتلأ ، وزخر الوادي :

مد جدا وارتفع وطمى سبله وكثر ماؤه وارتفعت أمواجه ، ويقال :

فلان بحر زاخرو بدر زاهر (٢) لا آلو جهدا : لا أدخر وسعاولا

الْحَيْنُ^(١) غَطَّى عَلَى الْعَيْنِ . فَقَالَ : مَا قَصَدْتُ بِمَا قُلْتُ لَكَ
تَعْدِيدًا وَلَا تَبْكِيتًا^(٢) ، وَإِنَّمَا قَصَدْتُ تَلْقِيحَ^(٣) الْعَقْلِ ،
وَتَنْبِيَةَ الرَّأْيِ ، وَأَنْ أَرَى مَا عِنْدَكَ . فَقَالَ مُوسَى : أَمَّا
رَأَيْتَ الْهَذْهَدَ يَرَى الْمَاءَ تَحْتَ الْأَرْضِ عَنْ بُعْدٍ وَيَقَعُ
فِي الْفَخِّ وَهُوَ بِمَرَأَى عَيْنِهِ^(٤) ؟ ثُمَّ كَلَّمَ فِيهِ سُلَيْمَانَ
فَكَانَ مِنْ جَوَابِهِ : إِنَّهُ قَدْ اشْتَمَلَ رَأْسَهُ^(٥) بِمَا تَكُنَّ
لَهُ مِنَ الظُّهُورِ ، وَانْقِيَادِ الْجُمْهُورِ ، وَالتَّحَكُّمِ فِي الْأَمْوَالِ

(١) الحين : الهلاك والأجل ، ولأبي العلاء المرى :

إذا نزل المقدور لم يك للقطا نهوض ولا للخدرات إباء

(٢) التبكيث : التأنيب والتفريع^(٣) من الحجاز : جرب الأمور فلقت
عقله ، والنظر في العواقب تلقيح العقول ، وفلان ملقح : منقح مجرب
مهنب (٤) وأنشدوا في مثل ذلك لأبي عمر الزاهد :

إذا أراد الله أمرا بامرئ وكان ذا عقل ورأى وبصر
وحيلة يفعلها في دفع ما يأتي به محتوم أسباب القدر
غطى عليه سممه وعقله وسله من ذهنه سل الشعر
حتى إذا أنفذ فيه حكمه رد إليه عقله ليعتبر

(٥) كناية عن التعاطف والاعتزاز ، ومثله قولهم : ركب رأسه ، إذا مضى
على وجهه بغير روية لا يطيع مرشدا . ويقال : جعل أمره على ذراعه ، أي
يصنع ما شاء

وَالْأَبْشَارِ^(١) عَلَى مَا لَا يَمْحُوهُ إِلَّا السَّيْفُ ، وَلَكِنْ قَدْ
وَهَبْتُ لَكَ دَمَهُ ، وَأَنَا بَعْدَ ذَلِكَ غَيْرُ رَافِعٍ عَنْهُ الْعَذَابَ
حَتَّى يَرُدَّ مَا غَلَ^(٢) مِنْ مَالِ اللَّهِ . قَالَ : وَآلَتْ حَالُهُ^(٣) إِلَى أَنْ
كَانَ يُطَافُ بِهِ لِيَسْأَلَ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ مَا يَفْتَكُ بِهِ نَفْسَهُ ،
وَفِي تِلْكَ الْأَحَالِ مَاتَ وَهُوَ مِنْ أَفْقَرِ النَّاسِ وَأَذْلِهِمْ بَوَادِي
الْقُرَى سَائِلًا مَنْ كَانَ نَازِلًا بِهِ . وَقَالَ أَحَدُ غِلْمَانِهِ يَمِّنُ
وَفِي لَهُ فِي حَالِ الْفَقْرِ وَالْخُمُولِ : لَقَدْ رَأَيْنَا تَطُوفَ مَعَ
الْأَمِيرِ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ عَلَى أَحْيَاءِ الْعَرَبِ ، فَوَاحِدٌ يُجِيبُنَا ،
وَأَخَرُهُ يَحْتَجِبُ عَنَّا ، وَلَرُبَّمَا دَفَعَ إِلَيْنَا عَلَى جِهَةِ الرِّحْمَةِ
الدَّرْهَمَ وَالْدَّرْهَمَيْنِ ، فَيَفْرَحُ بِذَلِكَ الْأَمِيرُ لِيَدْفَعَهُ إِلَى
الْمُوكِلِينَ بِهِ ، فَيَحْفَفُونَ عَنْهُ مِنَ الْعَذَابِ^(٤) ، وَلَقَدْ

(١) أى الناس (٢) غل : خان واختلس (٣) آلت حاله : انتهت
(٤) بما يناسب هذا مع تقدم ذكر المهدد قول أبى الحسن على بن الحسين
ابن على بن أبى الطيب صاحب دمية القصر ، ذيل بقيمة الدهر (قتل
سنة ٤٦٧) :

لاتنكرى يا عز ان ذل الفتى ذوالأصل واستعلى خبيس المحتد
ان البزاة رموسهن عواطل والتاج معقود برأس المهدد

رَأَيْنَا أَيَّامَ الْفُتُوحِ الْعِظَامِ بِالْأَنْدَلُسِ نَأْخُذُ السُّلُوبَ^(١)
 مِنْ قُصُورِ النَّصَارَى، فَفَضِلُ مِنْهَا مَا يَكُونُ فِيهَا مِنْ
 الذَّهَبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَتَرَى بِهِ، وَلَا نَأْخُذُ إِلَّا الدَّرَّ الْفَاخِرَ،
 فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدِيهِ الْغِزْ وَالذُّكَّ وَالْفِئَى وَالْفَقْرُ . قَالَ :
 وَكَانَ لَهُ مَوْلَى قَدْ وَفَى لَهُ وَصَبَرَ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ صَاقَ
 ذَرْعَهُ^(٢) بِأَمْتِدَادِ الْحَالِ، فَعَزَمَ عَلَى أَنْ يُسَلِّمَهُ^(٣) وَهُوَ بِوَادِي
 الْقُرَى فِي أَسْوَأِ حَالٍ، وَشَعَرَ بِذَلِكَ مُوسَى فَخَضَعَ لِلْمَوْلَى
 الْمَذْكُورِ، وَقَالَ لَهُ : يَا فُلَانُ، أَتُسَلِّمُنِي فِي هَذِهِ الْحَالَةِ ؟
 فَقَالَ لَهُ الْمَوْلَى - مِنْ شِدَّةِ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الضَّجَرِ - :
 قَدْ أَسْلَمَكَ خَالِكُكَ وَمَالِكُكَ الَّذِي هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ

(١) السلب ما يسلب وما يأخذه أحد القرنين في الحرب من قرنه مما يكون
 عليه ومعه من ثياب وسلاح ودابة وغير ذلك، وفي الحديث : «من قتل قتيلًا
 فله سلبه» وجمعه أسلاب، ولا في تمام :

ان الأسود أسود الغاب همتهما يوم الكريهة في السالوب لا السلب
 (٢) ضاق ذرعه بالامر، وذراعه . وضاق به ذرعا : إذا لم يطقه ولم يصبر
 عليه، ويقال مالك على ذراع وذرع أى طاقة . واقصد بذرعك، واربع
 على ظلمك، أى ارفق بنفسك، ولا تحملها مالا طاقة لها به (٣) يخذه

فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ ، وَجَلَلَ يَرْفَعُهُمَا إِلَى السَّمَاءِ خَاضِعًا مُهِنِمًا^(١)
بِشَفْتِهِ . فَمَا سَفَرَتْ^(٢) تِلْكَ اللَّيْلَةَ إِلَّا عَنْ قَبْضِ رُوحِهِ ،
- رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ - فَقَدْ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَثَرِ مَا يُوجِبُ أَنْ
يُتَرَحَّمُ عَلَيْهِ ، وَإِنْ فَعَلَ سُلَيْمَانُ بِهِ وَبَوَلَدِهِ ، وَكَوْنُهُ
طَرَحَ رَأْسِ ابْنِهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الَّذِي تَرَكَهُ نَائِبًا عَنْهُ
بِالْأَنْدَلُسِ - وَقَدْ جِيَ بِهِ مِنْ أَقْصَى الْمَغْرِبِ - بَيْنَ يَدَيْهِ
مِنْ وَصَامَتِهِ^(٣) الَّتِي تُعَدُّ عَلَيْهِ طُولُ الدَّهْرِ ، لَا جَرَمَ^(٤) أَنْ
اللَّهُ تَعَالَى لَمْ يُنْعَهُ بَعْدَهُ بِمُلْكِهِ وَشَبَابِهِ .



وَذَكَرَ ابْنُ حَيَّانَ أَنَّ مُوسَى كَانَ عَرِيًّا فَصِيحًا
وَقَدْ سَبَقَ مِنْ مُرَاجَعَةِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ مَا يَدُلُّ عَلَى
بَلَاغَتِهِ ، وَيَكْفِي مِنْهَا مَا ذَكَرَهُ ابْنُ حَيَّانَ : أَنَّهُ كَتَبَ

بِلاغة موسى
ابن لصير

(١) مهيننا : متكلمًا بصوت خفي (٢) السفر بياض النهار ، وسفر الصبح
وأسفر : أضاء وانكشف ، وخرجوا في السفر أي في بياض الفجر ، وأسفر
الليل عن الصباح إذا انجلى عنه وانكشف أثره (٣) وصامته : عيوبه
وهفواته التي أخذت عليه وعدت من سقطاته (٤) لا جرم : أي حقا

إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِيمَا هَالَهُ مِنْ فُتُوحِ الْأَنْدَلُسِ
وَعَنَائِمِهَا : إِنَّهَا لَيَسْتِ الْفُتُوحَ وَلَكِنَّهَا الْحُشْرُ.

وَقَالَ الْحَجَارِيُّ : إِنَّ مُنَازَعَةً جَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ
أَبْنِ يَزِيدَ ^(١) بْنِ أَسِيدٍ بِمَحْضَرِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ
أَجْلَانَهُ إِلَى أَنْ قَالَ شِعْرًا مِنْهُ :

جَارَيْتَ غَيْرَ سَتُومٍ ^(٢) فِي مُطَاوَلَةٍ

لَوْ نَازَعَ الْحَقْلَ لَمْ يَنْزِعْ إِلَى حَصَرٍ

(١) أظنه عبد الله بن يزيد بن أسيد بن ساعدة الأنصاري من التابعين
(٢) ستوم : ذى سأم وضجر ، والطاولة فى الأصل : مصدر طاوولنى فطلته أى
كنت أشد منه طولا ، والطاولة أيضا التطاول والمهاطلة ، مستعار المنازعة فى
الحديث والجدال . وقد تكون محرفة عن « مصاولة » وهى اللوائبة والمقاتلة ،
قال الفرزدق :

فَيِلَانٌ دُونَ الْمُحْصَنَاتِ تَصَاوَلَا تَصَاوَلُوا أَعْنَاقَ الصَّاعِبِ مِنْ عِلْ
أَوْ مُحْرَقَةٍ عَنْ « مَقَاوِلَةٍ » وهى المشاركة فى القول ، ويقال : قاوَلته فى أمره ،
وتقاوَلوا أى تفاوضوا . والحصر ضرب من العى وضيق الصدر ، قال
الفرزدق : تَوَلَبَ :

أَعَذْنِي رَبِّ مِنْ حَصْرٍ وَعِى وَمِنْ نَفْسٍ أَعْلَجَهَا عِلَاجَا

ومما ذموا به العى قول الشاعر :

وَمَا بَى مِنْ عِى وَلَا أَنْطَقَ الْحَنَّا إِذَا جَمَعَ الْأَقْوَامُ فِي الْحَطَبِ مُحْفَلْ

وَقَدَّمَ مَا ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ كَابْنِ حَيَّانَ أَنَّ مُوسَى
مَوْلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ . « وَكَذَا ذَكَرَهُ الْحَجَّارِيُّ :
تَجَهَّزَ مَعَ أُمِّ الْبَيْنِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ^(١) حِينَ ابْتَنَى ^(٢) بِهَا الْوَلِيدُ
ابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَكَانَتْ تُنْصِي مَكَاتَهُ عِنْدَ الْوَلِيدِ إِلَى أَنْ بَلَغَ
مَا بَلَغَ . وَأَشْهَرُ مَنْ كَانَ فِي صُحْبَةِ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ مِنْ مَوَالِيهِ
طَارِقُ الْمَشْهُورُ بِالْفُتُوحِ الْعَظِيمَةِ وَطَرِيفٌ ، وَقَدْ جَرَى
ذِكْرُهُمَا فِي كِتَابِنَا هَذَا بِمَا اقْتَضَاهُ الْإِخْتِصَارُ .

وحصر في كلامه وفي خطبته عبي ، وقد تكون « حصر » محرفة عن ضجر
وهو القلق ، وضيق نفس مع كلام . والحفل : الجمع من الناس .
وحفل القوم واحتفلوا : اجتمعوا واحتشدوا - والبيت في الأصل محرف
في غير موضع وربما كان أصله هكذا :
جارت غير شؤون في مصالاة لو نازع الحفل لم ينزع إلى ضجر
أه نجاتي

(١) هي ابنة عبد العزيز بن مروان التوفى سنة ٨٥ وأخت أمير المؤمنين
عمر بن عبد العزيز (٢) بنى على أهلها وأهلها وابنتي : دخل بها ، وكان الأصل
فيه أن الداخل بأهلها كان يضرب عليها قبة ليلة دخوله بها فقبل لكل
داخل بأهلها : بان



وَقَالَ ابْنُ سَعِيدٍ - بَعْدَ ذِكْرِهِ اُخْتِلَافَ فِي أَنَّ مُوسَى هَلْ
 هُوَ لَحْمِيٌّ صَرِيحٌ أَوْ بِالْوَلَاءِ أَوْ بِرَبْرِيٍّ أَوْ مَوْلَى لِعَبْدِ الْعَزِيزِ
 ابْنِ مَرْوَانَ ؟ - مَا صُورَتُهُ : وَكَانَ فِي عَقِبِهِ نَبَاهَةٌ فِي السُّلْطَنَةِ ؛
 وَلِيَّ ابْنَتُهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ سُلْطَنَةُ الْأَنْدَلُسِ ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ سُلْطَنَةُ
 الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى ، وَعَبْدُ اللَّهِ سُلْطَنَةُ إفْرِيقِيَّةَ ؛ وَذَكَرَ
 الْحِجَارِيُّ : أَنَّ أَصْلَهُ مِنْ وَادِي الْقُرَى بِالْحِجَازِ ، وَأَنَّهُ خَدَمَ
 بَنِي مَرْوَانَ بِدِمَشْقَ ، وَتَبَّعَ شَأْنَهُ ، فَصَرَّفُوهُ فِي مَمَالِكِهِمْ إِلَى
 أَنَّ وَلِيَّ إفْرِيقِيَّةَ وَمَا وَرَاءَهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فِي زَمَنِ الْوَلِيدِ
 ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَدَوَّخَ ^(١) أَقَاصِي الْمَغْرِبِ ، وَدَخَلَ الْأَنْدَلُسَ
 مِنْ جَبَلِ مُوسَى الْمَنْسُوبِ إِلَيْهِ الْمُجَاوِرِ لِسَبْتَةَ ، وَدَوَّخَ بِلَادَ
 الْأَنْدَلُسِ ، ثُمَّ أَوْقَدَهُ الْوَلِيدُ إِلَى الشَّامِ ، فَوَافَقَ مَرَضَهُ ثُمَّ
 مَوْتَهُ وَخِلَافَةَ أَخِيهِ سُلَيْمَانَ ، فَعَذَّبَهُ وَأُسْتَصْفَى ^(٢) أَمْوَالَهُ ،
 وَآلَ أَمْرَهُ إِلَى أَنْ وَجَّهَهُ إِلَى قَوْمِهِ بِوَادِي الْقُرَى لَعَلَّهُمْ

(١) دوح البلاد : قهرها (٢) استصفي أمواله : أخذها كلها

يُعْطِفُونَ عَلَيْهِ وَيُؤْثُونَ عَنْهُ ، فَمَاتَ بِهَا . وَقَدْ نَصَّ ابْنُ
بَشْكُوَال^(١) عَلَى أَنَّهُ مَاتَ بِوَادِي الْقُرَى . أَمَّا مَعَارِفُهُ
الْإِسْلَامِيَّةُ فَيَكْفِيهِ وَلَايَةُ مَا خَلَفَ مِصْرَ إِلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ
بَيْنَ بَرِّي الْأَنْدَلُسِ وَالْأَنْدَلُسِ ، وَأَمَّا الْأَدَبِيَّةُ فَقَدْ جَاءَتْ عَنْهُ
بَلَاغَةٌ فِي النَثْرِ وَالنَّظْمِ تُدْخِلُهُ مَعَ نَزَارَتِهَا^(٢) فِي أَصْحَابِ
دُرِّ الْكَلَامِ . وَذَكَرَ ابْنُ بَشْكُوَال أَنَّهُ مِنَ التَّلَائِينِ
الَّذِينَ رَوَوْا الْحَدِيثَ ، وَأَنَّ رِوَايَتَهُ عَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ ،
وَذِكْرُهُ فِي كُتُبِ الْأُئِمَّةِ مِنَ الْمُصَنِّفِينَ أَنَّهُ وَأَوْعَبُ مِنْ
أَن يُخَصَّصَ بِذِكْرِهِ وَاحِدٌ مِنْهُمْ ، وَهُوَ غُرَّةُ التَّوَارِيخِ
الْأَنْدَلُسِيَّةِ ، وَذِكْرُهُ إِلَى الْآنَ جَدِيدٌ فِي السَّنِ الْخَاصَّةِ
وَالْعَامَّةِ مِنْ أَهْلِهَا .

(١) هو أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بشكوال بن يوسف
الحزرجي الأنصاري القرطبي Ibn Paxcual ، كان من علماء لاندلس
وله التصانيف المفيدة ، منها كتاب الصلاة الذي جعله ذيلًا على تاريخ علماء
الاندلس لابن الفرضي - ولد سنة ٤٩٤ وتوفي بقرطبة سنة ٥٧٨ ، وتوفي
والده أبو ممران بن مسعود سنة ٥٣٣ و (بشكوال) مأخوذ من Pascual
ومعناها المنتسب لعبد الفصح ، ولا يزال بأسبانيا أسرات كثيرة تسمى
بهذا الاسم (٢) نزارتها : أي قلتها



وَمِنْ مُسْنِبِ الْحَجَارِيِّ : كَانَ قَدْ جَمَعَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -
 مِنْ خِلَالِ الْخَيْرِ مَا أَعَانَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِهِ عَلَى
 مَا بَنَى لَهُ مِنَ الْمَجْدِ الْمُسَيَّدِ ، وَاللَّهُ كَرِ الشَّهِيرِ الْمُحَلِّدِ ، الَّذِي
 لَا يُبْلِيهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَلَا يُغَيِّ^(١) جَدِيدَهُ إِلَى الْأَعْصَارِ ،
 إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَغْلِبُ عَلَيْهِ مَا لَا يَكَادُ رَئِيسُ يَسْلَمُ مِنْهُ ، وَهُوَ
 الْحَقْدُ وَالْحَسَدُ ، وَالْمُنَافَسَةُ لَا تَخْلُو مِنْ ذَلِكَ . وَأَنْشِدَ بَعْضُ
 الرُّؤَسَاءِ : * وَلَيْسَ رَئِيسُ الْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الْحَقْدَا *
 فَقَلَبَهُ الرُّئِيسُ وَقَالَ : « مَنْ يَتْرُكُ الْحَقْدَا » ثُمَّ قَالَ : إِنَّ
 السَّيِّدَ إِذَا تَرَكَ إِضْمَارَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالْمُجَازَاةَ عَلَيْهِمَا اجْتَرَى
 عَلَيْهِ ، وَتُسِبَ لِلضَّعْفِ وَالْعَفْلَةِ ، وَهَلْ رَأَيْتَ صَفْقَةً أَخْسَرَ^(٢)
 مِنْ غَفْلَةِ رَئِيسٍ أَحَقَدَهُ غَيْرُهُ ، فَتَسَى ذَلِكَ أَوْ تَنَاسَاهُ ، وَعَدُوُّهُ
 لَا يَغْفُلُ عَنْهُ ، وَحَاسِدُهُ لَا يَنْفَعُهُ عِنْدَهُ إِلَّا الرَّاحَةُ مِنْهُ ، وَهُوَ
 فِي وَادٍ آخَرَ عَنْهُ ، وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ^(٣) :

(١) يعني : يجمعو ، وعفت الريح الآثار إذا درستها وحتتها ، والعفاء الدروس
 والهلاك وذهاب الأثر (٢) الصفقة : عقد البيع (٣) هو أبو الطيب المتنبي
 وقبله :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

وَوَضِعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْمَلَا

مُضَرَّ كَوْضِعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَا

وَلَكِنَّ الْأَضُوبَ أَنْ يَكُونَ الرَّأْيُ مِيزَانًا لَا يَزِنُ

الْوَافِي لِنَاقِصٍ ، وَلَا يَزِنُ النَّاقِصَ لَوَافٍ ، وَيُدَبِّرُ أَمْرَهُ عَلَى

مَا يَنْتَظِيهِ الزَّمَانُ ، وَيُقَدِّرُ فِيهِ حُسْنَ الْعَاقِبَةِ ^(١) . وَنَصَّ

أَبْنُ بَشْكُوَالٍ عَلَى أَنَّ مُوسَى بْنَ نُصَيْرٍ مَاتَ بِوَادِي الْقُرَى

سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ ، وَغَزَا الْأَنْدَلُسَ سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ ،

وَدَخَلَهَا سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ ، وَقَفَلَ عَنْهَا إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ

(١) وصف أعرابي حقة ودا فقال : يحقد - حقد من لا ينحل عقده ، ولا يلين كبده . وقال يحيى بن جعفر لعبد الملك بن صالح : انك حقود ، فقال : ان كان الحقد عندك بقاء الخير والشر انهما عندي لثابتان . فلما قام قال يحيى : ما رأيت من احتج للحقد حتى حسنه سواء . وقيل لرجل : انك لحقود ، فقال :

وان امرأ لم يحقد الوتر لم يكن
وقال ابن الرومي :

وما الحقد الا توم الشكر في الفتى
و بعض السجيا ينتسبن الى بعض
اذا الأرض أدت ربيع ما أنت زارع
من البئر فيها فهي ناهيك من أرض
ولا تبي العيناء :

اذا أنا لم أمدح على الخير أهله
ولم أذم الجبس اللثيم المذمما
فقيم عرفت الخير والشر باسمه
وشق لى الله السامع والفما ؟

عَبْدُ الْمَلِكِ بِالْفَتْحِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ ، وَذَكَرَ أَنَّ
وَلَايَتَهُ عَلَى الْأَنْدَلُسِ بِالْمُبَاشَرَةِ مُذْ دَخَلَهَا إِلَى حِينَ خُرُوجِهِ
مِنْهَا سَنَةً وَاحِدَةً ، وَمَكَثَ فِيهَا مَوْلَاهُ طَارِقُ سَنَةً أَتَمَّهَا .
وَقَدْ تَقَدَّمَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ . وَذَكَرَ ابْنُ بَشْكُوَالٍ أَيْضًا أَنَّ
أَبْنَ حَبِيبٍ قَالَ عَنْ رِبِيعَةَ : غَلَّ النَّاسُ كُلُّهُمْ يَوْمَ فَتَحِ
الْأَنْدَلُسِ إِلَّا أَرْبَعَةً قَرِيقًا كَانُوا مِنَ التَّالِبِينَ : حَنْشُ
الْبَصْنَعَانِيِّ ، وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبَلِيِّ ، وَأَبْنُ شِمَاسَةَ ^(١) ،
وَعِيشَ ^(٢) ابْنُ عُقْبَةَ . ائْتَمَّ .

قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : وَمَنْ دَخَلَ الْأَنْدَلُسَ مِنْ غَيْرِ هَؤُلَاءِ
الْأَرْبَعَةِ مِنَ التَّالِبِينَ عَلَى ابْنِ رَبَاحٍ اللَّخْمِيِّ ، وَمُوسَى ابْنِ نَصِيرٍ
فَاتَحَ الْأَنْدَلُسَ ، وَحَبَّانُ بْنُ أَبِي جَبَلَةَ الْقُرَشِيُّ ^(٣) مَوْلَاهُمْ ،
وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْغَافِقِيُّ ^(٤) صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ

(١) هو عبد الله بن شماسه للهري أبو عمر والمصري ، يروي عن زيد
ابن ثابت وأبي ذر ، وروي عنه يزيد بن حبيب توفي بعد المائة (٢) عيش
ابن عقبة بن كليب الحضرمي أبو عقبة المصري توفي سنة ١٦٠ وفي الأصل عياض
(٣) حبان ابن أبي جبلة القرشي مولا هم المصري ، روي عن عمرو بن العاص
وابنه عبد الله توفي بأفريقية سنة ١٢٢ . وفي الأصل جيان وهو تحريف . نجاتي
(٤) روي عن ابن عمر ، وروي عنه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ،
قتله الروم بالأندلس سنة ١١٥

أَمَدُ كُورِي فِي سَلَاطِينِهَا، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَوْسٍ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ^(١)
وَزَيْدُ بْنُ قَاصِدٍ السَّكْسَكِيُّ^(٢)، وَالْمَغِيرَةُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ
الْكِنَانِيُّ^(٣) وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمَغِيرَةِ الْكِنَانِيُّ، وَحَيَوْهُ بْنُ
رَجَاءِ التَّمِيمِيِّ، وَعَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ
عَوْفٍ^(٤)، وَمَنْصُورُ بْنُ خُرَّامَةَ، وَعَلِيُّ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ خَطَّابٍ.
وَذَكَرَ ابْنُ حَبِيبٍ أَنَّ عِدَّةً مَنْ دَخَلَ الْأَنْدَلُسَ مِنَ الثَّلَاثِينَ

(١) غزا المغرب والأندلس مع موسى بن نصير وكان من أهل الدين
والفضل معروفًا بالفتوة وروى عن أبي هريرة، ولى إفريقية سنة ٩٣ وقال
ابن عبد الحكم أنه كان على بحر تونس سنة ١٠٢ ولما قتل يزيد بن
أبي مسلم وإلى إفريقية اجتمع رأى أهلها عليه فولوه أمورهم وذلك في
خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان إلى أن ولي بشر بن صفوان السكلي
إفريقية وكان على مصر فخرج إليها واستخلف أخاه حنظلة (٢) السكاسك:
حيان من العين الأول من كندة وجدهم القليل سكسك بن أشرس بن
ثور « وهو كندة » بن غفير بن عدى بن الحرث بن مرة بن أدد، واسم
سكسك حميس وهو أخو السكون وحاشد ومالك بن أشرس، والثاني من
حمير وهم بنو زيد بن واثلة بن حمير ولقب زيد السكاسك، وهي غير
سكاسك كندة. (٣) روى عن أبي هريرة وروى عنه سعيد بن سلمة
(٤) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني أحد الأعلام روى
عن أبيه وأسمه بن زيد، وروى عنه ابنه عمرو وعروة والشعبي وغيرهم
وكان ثقة فقيها كثير الحديث توفي سنة ٩٤ هـ.

سِوَى مَنْ لَا يُعْرِفُ نَحْوُ عِشْرِينَ رَجُلًا . وَفِي كِتَابِ ابْنِ
بَشْكُوَالٍ : إِنَّهُ دَخَلَ الْأَنْدَلُسَ مِنَ التَّالِبِينَ ثَمَانِيَةً وَعِشْرُونَ
رَجُلًا ، وَهُمْ أَسَّسُوا قِبْلَةَ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ بِقُرْطُبَةَ . وَسَمَّى
الْحِجَارِيُّ فِي الْمُسْنَبِ هَؤُلَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ . وَذَكَرَ ابْنُ سَعِيدٍ
أَنَّهُ لَمْ يَتَحَقَّقِ الْمَوَاضِعَ الَّتِي تَخْتَصُّ بِهِؤُلَاءِ التَّالِبِينَ مِنْ
بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ ، مَعَ جَزْمِهِ بِأَنَّهُمْ دَخَلُوا الْأَنْدَلُسَ وَسَكَنُوا
بِهَا . وَسَيَأْتِي ذِكْرُ التَّالِبِينَ الدَّاخِلِينَ الْأَنْدَلُسَ بِمَا هُوَ
أَشْمَلُ مِنْ هَذَا . وَقَدْ تَقَدَّمَ غُلُوبُ مَنْ عَدَا التَّالِبِينَ مِنْ
الْغَنَاءِمِ . وَقَالَ اللَّيْثُ بْنُ سَعِيدٍ — بَعْدَ ذِكْرِهِ أَنَّ طَارِقًا
أَصَابَ بِالْأَنْدَلُسِ مَمَائِمَ كَثِيرَةً مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ — :
إِنْ كَانَتْ الطَّنْفَسَةُ ^(١) لَتُوجَدَ مَنْسُوجَةً بِفُضْبَانِ الذَّهَبِ ،
وَتُنَظَّمُ السُّلْسِلَةُ مِنَ الذَّهَبِ بِاللُّوْلُوِّ وَالْيَاقُوتِ وَالزَّبَرْجَدِ ،
وَكَانَ الزَّبَرْجَدُ رُبَّمَا وَجَدُوهَا قَلًا يَسْتَطِيعُونَ حَمْلَهَا ، حَتَّى يَأْتُوا
بِالْفَأْسِ فَيَضْرِبُوا بِهِ وَسَطَهَا ، فَيَأْخُذَ أَحَدُهُمْ نِصْفَهَا
وَالْآخَرُ النِّصْفَ الْآخَرَ لِنَفْسِهِ ، وَيَسِيرُ مَعَهُمْ جَمَاعَةٌ

وَالنَّاسُ مُشْتَغِلُونَ بِغَيْرِ ذَلِكَ. وَعَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ: لَمَّا
 افْتُسِحَتِ الْأَنْدَلُسُ أَصَابَ النَّاسُ فِيهَا غَنَائِمٌ، فَعَلُّوا مِنْهَا
 غُلُولًا كَثِيرًا سَمَلُوهُ فِي الْمَرَائِبِ، وَرَكِبُوا الْبَحْرَ فَسَمِعُوا
 مُنَادِيًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ غَرِّقْ بِهِمْ، وَتَقَلَّدُوا الْمَصَاحِفَ، فَمَا
 نَسَبُوا^(١) أَنْ أَصَابَتْهُمْ رِيحٌ حَاصِفٌ، وَضَرَبَتِ الْمَرَائِبُ بَعْضُهَا
 بَعْضًا حَتَّى تَكَثَّرَتْ وَغَرَّقَ بِهِمْ. وَأَهْلُ مِصْرَ يُنْكِرُونَ
 ذَلِكَ وَيَقُولُونَ: أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ لَيْسَ هُمْ الَّذِينَ غَرِقُوا، وَإِنَّمَا
 هُمْ أَهْلُ سَرْدَانِيَّةَ^(٢)، فَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ.

وَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ كُتُبِ التَّارِيخِ أَنَّهُ وَجِدَ فِي طَلَيْطَلَةَ
 حِينَ فُتِحَتْ مِنَ النَّخَائِرِ وَالْأَمْوَالِ مَا لَا يُحْصَى، فَمِنْ ذَلِكَ
 مِائَةٌ وَسَبْعُونَ تَلَجًا مِنَ الذَّهَبِ الْأَحْمَرِ مُرَصَّعَةً بِالذَّرِّ
 وَأَصْنَافِ الْحِجَارَةِ الثَّمِينَةِ، وَوُجِدَ فِيهَا أَلْفُ سَيْفٍ مُلَوَّكِيٍّ،
 وَوُجِدَ فِيهَا مِنَ الذَّرِّ وَالْيَاقُوتِ أَكْبَالٌ، وَمِنْ أَوَانِي الذَّهَبِ
 وَالْفِضَّةِ مَا لَا يُحِيطُ بِهِ وَصْفٌ، وَمَانِدَةُ سُلَيْمَانَ، وَكَانَتْ فِيهَا

ذخائر طليطلة
ومائة سليمان

(١) فما نسبوا : لما لبثوا (٢) سردانية : جزيرة في بحر الغرب كبيرة
 وقد غزاها المسلمون وملكوها سنة ٩٢ هـ في عسكر موسى بن نصير

يُذَكِّرُ مِنْ زُمْرَةٍ خَضَرَاءَ . وَزَعَمَ بَعْضُ الْعَجَمِ أَنَّهَا لَمْ
تَكُنْ لِسُلَيْمَانَ وَإِنَّمَا أَصْلُهَا أَنَّ الْعَجَمَ أَيَّامٌ مُلْكِهِمْ كَانَ
أَهْلُ الْحُسَيْنَةِ فِي دِينِهِمْ إِذَا مَاتَ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْصَى
بِمَالٍ لِلْكَنَائِسِ ، فَإِذَا اجْتَمَعَ عِنْدَهُمْ مَالٌ لَهُ قَدَرُهُ صَاغُوا
مِنْهُ أَلَاةً مِنَ الْمَوَائِدِ الْعَجِيبَةِ ، وَالْكَرَاسِي مِنَ الذَّهَبِ
وَالْفِضَّةِ ، تَحْمِلُ الشَّمَامِسَةَ ^(١) وَالْقُسُوسُ فَوْقَهَا الْأَنْجِيلَ فِي
أَيَّامِ الْمَنَاسِكِ ^(٢) ، وَيَضُمُّونَهَا فِي الْأَعْيَادِ لِلْبُهَاةِ ، فَكَانَتْ
تِلْكَ الْمَائِدَةُ بِطُلَيْطَلَةَ مِمَّا صُنِعَ فِي هَذَا السَّبِيلِ ، وَتَأْتِي
الْمُلُوكُ فِي تَحْسِينِهَا ، يَزِيدُ الْآخِرُ مِنْهُمْ فِيهَا عَلَى الْأَوَّلِ ، حَتَّى
بَرَزَتْ ^(٣) عَلَى جَمِيعٍ مَا اتَّخَذَ مِنْ تِلْكَ الْأَلَاتِ ، وَطَارَ ^(٤)
الَّذِي كَرُمَ بِهَا كُلُّ مَطَارٍ ، وَكَانَتْ مَصُوعَةً مِنَ الذَّهَبِ
أَخْلَاصٍ مُرَصَّعَةً بِفَاخِرِ الذَّرِّ وَالْيَاقُوتِ وَالزُّبُرْجَدِ ، وَقِيلَ
إِنَّهَا مِنْ زُبُرْجَدٍ خَضَرَاءَ ، حَافَاتُهَا وَأَرْجُلُهَا مِنْهَا ، وَكَانَ لَهَا

(١) شمامسة : جمع شماس وهو دون النفس . والكلمة سريانية معناها :

خادم (٢) النسك والنسك : العبادة والطاعة وكل ما تقرب به الى الله تعالى

(٣) برزت : فاقت (٤) طار الذكر بها : ذاع صيتها

ثَلَاثِيَّةٍ وَخَمْسُ وَشِثُونَ رَجُلًا ، وَكَانَتْ تُوضَعُ فِي كَنِيسَةٍ
 طَلِيْطَلَةً ، فَأَصَابَهَا طَارِقٌ . انْتَهَى . وَقَدْ ذَكَرْنَا فِيمَا مَرَّ
 عَنْ ابْنِ حَيَّانَ مَا فِيهِ نَظِيرُ هَذَا ، وَذَكَرْنَا فِيمَا مَضَى مِنْ
 أَمْرِ الْمَائِدَةِ وَغَيْرِهَا مَا فِيهِ بَعْضُ مُخَالَفٍ ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّا
 نَنْقُلُ كَلَامَ الْمُؤَرِّخِينَ وَإِنْ خَالَفَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَمُرَادُنَا
 تَكْثِيرُ الْفَائِدَةِ . وَبِالْجُمْلَةِ ، فَالْمَائِدَةُ جَلِيلَةُ الْقَدْرِ وَإِنْ
 حَصَلَ اخْتِلَافٌ فِي صِفَتِهَا وَجَنْسِهَا وَعَدَدِ أَرْجُلِهَا ، وَهِيَ مِنْ
 أَجْلِ مَا غُيِمَ بِالْأَنْدَلُسِ عَلَى كَثَرَةِ مَا حَصَلَ فِيهَا مِنَ الْقَنَائِمِ
 الْمُتَنَوِّعَةِ الْأَجْنَاسِ ، الَّتِي ذَكَرْنَاهَا إِلَى الْآنَ شَائِعٌ بَيْنَ
 النَّاسِ . فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَمَّا اسْتَقَرَّ قَدَمُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ بِالْأَنْدَلُسِ ،
 وَتَنَامَ^(١) فَتَحُهَا ، صَرَفَ أَهْلُ الشَّامِ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْعَرَبِ
 هِمَمَهُمْ إِلَى الْخُلُولِ بِهَا ، فَتَزَلَّ بِهَا مِنْ جَرَائِمِ^(٢) الْعَرَبِ
 وَسَادَاتِهِمْ جَمَاعَةٌ أَوْزَرُوها أَعْقَابَهُمْ ، إِلَى أَنْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ

(١) تنام : تم وكمل (٢) جرائم : أصول . وروى عن بعضهم : الازد
 جرنومة العرب فمن أضل نسبة فليأتهم

مَا كَانَ ؛ فَأَمَّا الْعَدَنَانِیُّونَ فَمِنْهُمْ خَنْدِفٌ ^(١) وَمِنْهُمْ قُرَيْشٌ ،
وَأَمَّا بَنُو هَاشِمٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ ابْنُ غَالِبٍ فِي فَرْحَةٍ
الْأَنْفُسِ : بِالْأَنْدَلُسِ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ كُلُّهُمْ مِنْ وَلَدِ إِدْرِيسَ
ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ،
وَمِنْهُمْ هُوَلَاءُ بَنُو حَمُودٍ مُلُوكُ الْأَنْدَلُسِ بَعْدَ انْتِثَارِ ^(٢) سَيْكِ
بَنِي أُمَيَّةَ .



وَأَمَّا بَنُو أُمَيَّةَ فَمِنْهُمْ خُلَفَاءُ الْأَنْدَلُسِ . قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ ^{بنو أمية وغيرهم}
وَيُعْرَفُونَ هُنَاكَ إِلَى الْآنَ بِالْقُرَشِيِّينَ ، وَإِنَّمَا صَمَوْا نَسَبَهُمْ
إِلَى أُمَيَّةَ فِي الْآخِرِ لَمَّا انْحَرَفَ النَّاسُ عَنْهُمْ ، وَذَكَرُوا

(١) قال ابن الكلبي : ولد إلياس بن مضر عمرا وهو مدركة ، وعامرا
وهو طابخة ، وعميرا وهو قعة ، وأمه خندف ، وهي ليلي بنت حلوان بن
عمران بن الحاف بن قضاة ، وكان إلياس قد خرج في نجدة له ففترت
إبله من أرب فخرج إليها عمرو فأدركها فسمى مدركة ، وخرج عامر
فتصيدا وطبخها فسمى طابخة ، وانقمع عمير في الجباء فسمى قعة ، وخرجت
أمهم تسرع فقال لها إلياس أين تخندين فقالت ما زلت أخندف في أثركم
فلقبت بخندف « والخندة ضرب من السير » فذهب لها أميا ولولدها
نسبا (٢) انتشار : انفرط وتفرق

أَفْعَالَهُمْ فِي الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَأَمَّا بَنُو زُهْرَةَ ^(١) فَمِنْهُمْ
بِإِسْبِيلِيَّةٍ أَعْيَانُ مُتَمَيِّزُونَ

(١) زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن النضر
ابن كنانة أبو حنيفة من قريش وهم أحوال النبي ﷺ ، ومنهم أمه السيدة آمنة
بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة . ومنهم سيدنا سعد بن أبي وقاص بن مالك
بن وهب بن عبد مناف بن زهرة توفى سنة ٥٥ رضى الله عنه . وسيدنا
عبد الرحمن بن عوف بن عبدعوف بن عبد بن الحارث بن زهرة توفى بالمدينة
سنة ٣١ رضى الله عنه . ومنهم بالأندلس أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن
زكريا بن زكريا بن مفرج بن يحيى بن زياد بن عبد الله بن خالد بن
سعد بن أبي وقاص القرشي الزهري المعروف بابن الأفلح من أهل قرطبة
« أفليل قرية من قرى الشام » ولّى الوزارة للمستكفي بالله وكان حافظا
للأشعار واللغة قائما عليها علما بالأخبار وأيام الناس ومن أشد الناس انتقادا
للكلام والتمييز بين غثه وسمينه مع صدق لهجة وطهارة مفيد وصفاء
ضمير وحسن محاضرة ولد سنة ٣٥٢ وتوفى سنة ٤٤١ وصلى عليه محمد
ابن جهور بن محمد بن جهور رحمه الله تعالى . ومنهم أبو مروان عبد
الملك بن عيسى بن عبد الملك بن نوح بن عيسى بن عبد الملك بن
سليمان بن عيسى بن عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف
الزهري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان من أهل قرطبة
ولد سنة ٣٢٥ . وداد بن عبد الله بن عيسى بن حبيب بن اسحق بن
إبراهيم بن عبد الجبار بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف من أهل
بطلوس كان فقيها فاضلا . وطاهر بن محمد بن طاهر بن عبد الرحمن
القرشي الزهري من ولد أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف يعرف بابن
ناهض وسكن سرقطة كان محدثا فاضلا حسن الخط



وَأَمَّا الْمَخْزُومِيُّونَ ^(١) فَمِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ الْمَخْزُومِيُّ
 الْأَعْمَى الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ مِنْ أَهْلِ حِصْنِ الْمَدَوَّرِ ^(٢) . وَمِنْهُمْ
 الْوَزِيرُ الْفَاضِلُ فِي النِّظَمِ وَالنَّثَرِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ زَيْدُونَ ، وَوَالِدُهُ
 الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ أَبُو الْوَلِيدِ ^(٣) بْنُ زَيْدُونَ وَزِيرُ مُعْتَصِدِ
 بَنِي عَبَّادٍ . قَالَ ابْنُ غَالِبٍ : وَفِي الْأَنْدَلُسِ مَنْ يُنْسَبُ إِلَى

(١) مخزوم: أبوحي من قریش وهو ابن يقظة بن مرة بن كعب بن اؤی بن غالب . ومنهم سيف الله خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم رضى الله عنه (٢) حصن حصين مشهور بالأندلس بالقرب من قرطبة غرب الهم فيه عدة وقائع مشهورة ، وأكثر ما يقال فيه (مدور) بفتح الميم وضم الدال مخففة وسكون الواو ، وهناك حصن للدور بضم الميم وفتح الدال وتشديد الواو للفتوحة ، وهو الى الشمال من الاول بفحص البلوط بأسبانيا الوسطى وفي الشعر ما يدل على أن الشاعر من فحص الدور (بالتشديد) والشاعر المذكور كان حيا بعد سنة ٥٤٠ (٣) هو عبد الله بن أحمد بن غالب ابن زيدون كان من أهل النباهة والاجلال والمعرفة باللغة وآدابها متفنانا في ضروب العلم جم الرواية . ولد سنة ٣٥٤ وتوفى باليرة في توجهه اليها لتفقد ضيعة كانت له بها ونقل الى قرطبة فدفن بها سنة ٤٠٥ هـ نجاشي

المخزوميون
 بالأندلس

مُجَحَّ (١) وَإِلَى بَنِي عَبْدِ الدَّارِ (٢) وَكَثِيرٌ مِنْ قُرَيْشٍ
الْمَعْرُوفُونَ بِالْفَهْرِيِّينَ مِنْ بَنِي مُحَارِبِ بْنِ فَهْرٍ (٣)، وَهُمْ مِنْ
قُرَيْشِ الظَّوَاهِرِ (٤) وَمِنْهُمْ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ قُطَيْبٍ سُلْطَانُ
الْأَنْدَلُسِ (٥)، وَمِنْ وَلَدِهِ بَنُو الْقَاسِمِ الْأُمَرَاءُ الْفُضَّلَاءُ ،
وَبَنُو الْجَدِّ الْأَعْيَانُ الْعُلَمَاءُ (٦). وَمِنْ بَنِي مُحَارِبِ بْنِ فَهْرٍ

(١) بنو جح من قریش ، وهم بنو جح بن عمرو بن هيص بن كعب
ابن لؤی (٢) أبو بطن من قریش وهو عبد الدار بن قصی بن كلاب ،
وهو أكبر ولد أبيه وأحبهم إليه ، وكان قد جعل له الحجابة والسقاية
والندوة والرفادة ، ومنهم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة عبد الله بن العزى
ابن عثمان بن عبد الدار صاحب مفتاح الكعبة . والنسبة اليهم عبد رى ،
والدار اسم صنم (٣) فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، وقریش كلهم
ينسبون الى فهر (٤) قریش الظواهر : هم النازلون بظهر جبال مكة ،
وقریش البطاح هم النازلون ببطاح مكة ، وهم أشرف وأكرم من
قریش الظواهر ، قال الكميت .

فحللت معتلج البطاح وحل غيرك بالظواهر

ومعتلج البطاح بطن مكة ، وذلك أن بنى هاشم وبنى أمية وسادة قریش
كانوا نزولا بطن مكة ، وكان من دونهم نزولا بظواهر جبالها (٥) عبد
الملک بن قُطَيْب بن عصمة بن أنيس بن عبد الله بن حِجْوَان بن عمر بن
حبيب بن عمرو بن شيبان بن مُحَارِبِ بْنِ فَهْرٍ الْفَهْرِيُّ أمير الأندلس ولها
سنة ١١٥ بعد عبد الرحمن المعكى من قبل عبيدة بن عبد الرحمن القيسى
أمير إفريقية وقتل بالأندلس سنة ١٢٥ (٦) ابن الجد هو أبو عبد الله
محمد بن عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن فرح الفهرى من

يُوسُفُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفَهْرِيِّ^(١) سُلْطَانُ الْأَنْدَلُسِ الَّذِي غَلَبَهُ

أهل اشبيلية سمع من جده الحافظ أبي بكر وغيره وكان ذا رياسة عظيمة في بلده ووجهة عند الأمراء متمسكة بأورثها عقبه مع الفضل الكامل والسر والظاهر جوادا برا كثيرا المعروف والخير يزين علوقه تواضعه ، وقل أن تجد فاضلا في عصره إلا أخذ عنه واستفاد منه توفي رحمه الله سنة ٩١٨ . وهناك الوزير الفقيه الكاتب أبو القاسم بن الجد من أعيان الاندلس وأدبائه « وهو أقدم من سابقه » وقد أثنى عليه الفتح بن خاقان وأتى بكثير من نظمته ونثره ، ومنه فصول من رسالة كتبها عن أمير المسلمين إلى ابن حمدين في أمر أبي الفضل بن عياض . وكان معاصرا للفتح بن خاقان للتوفي سنة ٥٣٥ و بينها مكاتبات تجد شيئا منها في قلائد العقيان . وعبيد الله بن الجد الفهري من أهل لبلة كان من ذوى العلم والعناية بتحقيق مسائله ، وقد اختصر كتاب الاشراف للقاضي عبيد الوهاب . أحمد نجاشي (١) هو يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري « وأبو عبيدة اسمه مرة توفي سنة ١٠٧ » وعبد الرحمن بن حبيب كان مع أبيه حبيب في العساكر القاصدة لقنال خوارج البربر بنواحي طنجة وهرب في جماعة المنهزمين ودخل الاندلس من مجاز الحضر قبل دخول بلج بن بشر و ثعلبة بن سلامة فأثار الفتن قبل قتل عبد الملك بن قطن أميرها وكانت له في الحروب بها أخبار إلى أن وصل حسام بن ضرار الكلبي أبو الخطار أميرا عليها ففرق جموع الفتن ورد الأمور إلى الاستقامة وأخرج عبد الرحمن بن حبيب من الاندلس إلى افريقية بعد سنة ١٢٥ . وحبيب بن أبي عبيدة كان من وجوه أصحاب موسى بن نصير الذين دخلوا معه الاندلس وبق بعده فيها مع وجوه القبائل إلى أن خرج منها مع من خرج برأس عبد العزيز بن موسى ابن نصير إلى سليمان بن عبد الملك ثم رجع حبيب بعد ذلك إلى افريقية وولى الجيش المقاتل لخوارج البربر ثم قتل في تلك الحرب سنة ١٢٣

عَلَيْهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأُمَوِيُّ الدَّاحِلُ . وَجَدْتُ يُوسُفَ عَقْبَةَ^(١) بْنِ
نَافِعٍ الْفَهْرِيِّ صَاحِبِ الْفَتْوحِ بِإِفْرِيقِيَّةَ ، قَالَ ابْنُ حَزْمٍ :
وَلَهُمْ بِالْأَنْدَلُسِ عَدَدُ وَرَوَّةٍ .

وَأَمَّا الْمُنْتَسِبُونَ إِلَى عُمُومِ كِنَانَةِ فَكَثِيرٌ ،
وَجُلُومٌ فِي طَلِيطَلَةَ وَأَعْمَالِهَا ، وَلَهُمْ يُنْسَبُ الْوَقْشِيُّونَ^(٢) ،
الْكِنَانِيُّونَ الْأَغْيَابُ الْفَضَّلَاءُ ، الَّذِينَ مِنْهُمْ الْقَاضِي
أَبُو الْوَلِيدِ^(٣) ، وَالْوَزِيرُ أَبُو جَعْفَرٍ ، وَمِنْهُمْ أَبُو الْحُسَيْنِ

المنتسبون إلى كنانة

أو ١٢٤ ومن قريش الفهرين بالأندلس الأمام الثقة الفقيه للملك
الزاهد أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب
الطرطوشي العالم الجليل الأديب رحل إلى المشرق سنة ٤٧٩ وأخذ عن
كثير من أفاضله وسكن الشام مدة ودرس بها وهو صاحب كتاب سراج
الملوك وغيره من المؤلفات للمتعة . ولد سنة ٤٥١ ، وتوفي سنة ٥٢٥ بمدينة
الاسكندرية (١) عتبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط بن عامر بن أمية
ابن الحرث بن عامر بن فهر القرشي الفهري ، ولد على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان ابن خالة عمرو بن العاص ولاء عمرو وإفريقية لما
كان على مصر ففر إلى البر سنة ٤١ ثم افتتح كثيرا من بلادهم ، وهو الذي
بنى مدينة القيروان سنة ٥٠ وأقام بها ثلاث سنين ، وقتل عتبة سنة ٦٣
(٢) نسبة إلى وقتش وهي مدينة بالأندلس من أعمال طليطلة (٣) هو
أبو الوليد هشام بن أحمد بن هشام بن سعيد بن خالد الكناني المحافظ
الوقفي الفقيه الجليل كان إماما عالما في كل فن محدثا نسبة أديبا مؤرخا
محققا ، ثم اتهم برأى المعتزلة وظهر له تأليف في القدر والقرآن وغير ذلك
من أقاويلهم وزهد فيه الناس وترك الحديث عنه جماعة من كبار مشايخ

ابْنُ جَبْرِ الْعَالِمِ صَاحِبِ الرَّحْلَةِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ فِي مَحَلِّهِ . وَأَمَّا هُذَيْلُ بْنُ مُدْرِكَةَ بْنِ إِيَّاسَ بْنِ مُضَرَ فَذَكَرَ ابْنُ غَالِبٍ أَنَّ مَنَزِلَهُمْ بِجَهَةِ أَرْيُولَةَ^(١) مِنْ كُورَةِ تَدْمِيرَ .

وَأَمَّا تَمِيمُ بْنُ مُرٍّ^(٢) بْنُ أَدُّ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ إِيَّاسَ بْنِ نَوْعِيمَ بِالْأَنْدَلُسِ ابْنُ مُضَرَ فَذَكَرَ ابْنُ غَالِبٍ أَيْضًا أَنَّهُمْ خَلَقُوا كَثِيرًا بِالْأَنْدَلُسِ ، وَمِنْهُمْ أَبُو الطَّاهِرِ^(٣) صَاحِبُ الْمَقَامَاتِ الْلُزُومِيَّةِ . وَأَمَّا ضَبَّةُ بْنُ أَدُّ بْنِ طَلْحَةَ فَذَكَرَ أَنَّهُمْ قَلِيلُونَ بِالْأَنْدَلُسِ . فَهَؤُلَاءِ خِنْدِفٌ مِنَ الْعَدَنَانِيَّةِ . وَأَمَّا قَيْسُ عَيْلَانَ^(٤) بْنُ إِيَّاسَ بْنِ مُضَرَ مِنَ الْعَدَنَانِيَّةِ

الْأَنْدَلُسِ . ودخل العدو بطنسية وهو بها فالتزم قضاء المسلمين بها ثم خرج إلى مدينة دانية وتوفي بها سنة ٤٨٨ . ومن كنانة دكين بن ربيعة بن رفر ابن دكين بن الحرث بن مروان بن أسد بن كنانة الحاربي المؤدب من أهل قرطبة أدب الحكم بن هشام وكان علما فاضلا
(١) أريولة : مدينة بشرقي الأندلس من ناحية تدمير على نهر مرسية وإلى الشمال منها وبساتينها متصلة ببساتين مرسية (٢) مر « وفي الأصل مرة ، وهو خطأ » (٣) هو محمد بن يوسف بن عبد الله التميمي من أهل سرقسطة سكن قرطبة ، كان مقدما في اللغة والأدب شاعرا محسنا ، وله مقامات من انشائه أخذت عنه واستحسنفت ، توفي بقرطبة سنة ٥٣٨
(٤) وعيلان أبو قيس هو إلياس بن مضر بن نزار ، وقيل الصواب قيس

فِي الْأَنْدَلُسِ كَثِيرٌ مِنْهُمْ يَنْتَسِبُونَ إِلَى الْعُمُومِ ، وَمِنْهُمْ
مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى مُسْلِمٍ ^(١) بْنِ مَنْصُورٍ بْنِ عِكْرِمَةَ بْنِ
خَصَفَةَ بْنِ قَيْسٍ ، كَعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ حَبِيبِ السَّلَمِيِّ ^(٢) الْفَقِيهِ
صَاحِبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَالْقَاضِي أَبِي حَفْصٍ ^(٣)
أَبْنِ عُمَرَ قَاضِي قُرْطُبَةَ . وَمِنْ قَيْسٍ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى

عيلان مضافا ، ويؤيد الأول قول سحبان :

لقد علمت قيس بن عيلان أنني إذا قلت أما بعد أتى خطيبها
وقول زفر بن الحرث :

الاعاء قيس بن عيلان بقية إذا وجدت ربح العصير تغنت
ويؤيد الثاني قول الآخر :

إلى حكم من قيس عيلان فيصل وآخر من حي ربيعة عالم

وقول الأخطل

ضجوا من الحرب اذغضت غواربهم وقيس عيلان من أخلاقها الضجر
(و عيلان) في الأصل اسم للذكر من الضباع ، ويقال هو في الأصل
اسم فرسه فأضيف إليه وعرف به كما عرف قيس كبة في بجيلة بفرس له
اسمه كبة ، وقيل غير ذلك ^(١) أبو قبيلة من قيس عيلان ^(٢) كان فقيها
محدثا عالما لغويا أدبيا ويقال انه لقي الإمام مالكا آخر عمره ، وكان يقال :
فقيه الأندلس عيسى بن دينار ، وعالمها عبد الملك بن حبيب ، وراويها يحيى
ابن يحيى . توفي الإمام أبو مروان عبد الملك بن حبيب سنة ٢٣٨ -
وابنه عبيد الله كان رجلا صالحا فاضلا توفي بالأندلس في نيف وتسعين ومائتين
(٣) هو عمر بن عبد الله بن عمر السلمي أبو حفص الأغماني نزيل فاس
روى عن جده لأمه عبد الله بن علي اللخمي سبط أبي عمر بن عبد البر ،
كان عالما أدبيا ولى قضاء تلمسان ، ثم قضاء فاس ولى أيضا قضاء اشبيلية
ونال دنيا عريضة وكان خطيبا مقبولا توفي سنة ٢٠٣

هَوَازِنَ بْنِ مَنصُورٍ بْنِ عِكْرِمَةَ ، قَالَ ابْنُ غَالِبٍ وَهُمْ
بِإِسْبِيلِيَّةَ خَلَقَ كَثِيرٌ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى بَكْرِ
ابْنِ هَوَازِنَ ، قَالَ ابْنُ غَالِبٍ : وَلَهُمْ مَنْزِلٌ بِجَوْفِ بَلَنْسِيَّةَ
عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنْهَا ، وَإِسْبِيلِيَّةَ وَغَيْرَهَا مِنْهُمْ خَلَقَ
كَثِيرٌ .

* *

وَمِنْهُمْ بَنُو حَزْمٍ ^(١) وَهُمْ يَنْتَسِبُونَ إِلَى ابْنِ غَالِبٍ وَهُمْ
مِنْهُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَزْمٍ الْحَافِظُ الظَّاهِرِيُّ ^(٢) وَهُوَ فَارِسِيٌّ

(١) قال في بغية للتمس : أبو بكر يحيى بن حزم شيخ من شيوخ
الأدب ، وله في ذلك ذكر ، وهو الذي خاطبه أبو عامر بن شهيد برسالة
التنوير والزواجر التي سماها شجرة الفكاهة ، وهو من بيت آخر غير
بيت الفقيه أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم . والذي في مطمح
الأنفس أن صلة ابن شهيد كانت بأبي المغيرة الوزير الكاتب عبد
الوهاب بن حزم . وابن خلكان يقول في ترجمته : ابن شهيد . وينهون بين
ابن حزم الظاهري مكاتبات ومداعبات . وسنحقق هذا الموضوع بما يشفي
في غير هذا الموضع إن شاء الله . نجاتي (٢) هو أبو محمد علي بن أحمد بن
سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن زيد
مولى يزيد بن أبي سفيان ، وجده يزيد أول من أسلم من أجداده ، وجده
خلف أول من دخل الأندلس من آبائهم ، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤ ، وتوفي
سنة ٤٥٦ وهو أشهر من أن يذكر

الْأَصْلِ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى سَعْدِ بْنِ بَكْرِ بْنِ
هَوَازِنَ ، وَذَكَرَ ابْنُ غَالِبٍ أَنَّ مِنْهُمْ بَفَرْنَاطَةَ كَثِيرًا
كَبَنِي جُودِيٍّ ^(١) ، وَقَدْ رَأَسَ بَعْضُ بَنِي جُودِيٍّ .
وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى سَلُولَ : أَمْرَأَةٌ نُسِبَ إِلَيْهَا
بَنُوهَا ^(٢) وَأَبُوهُمْ مُرَّةُ بْنُ صَعَصَعَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ
ابْنِ هَوَازِنَ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى كِلَابِ بْنِ رَيْبَةَ بْنِ عَامِرِ
ابْنِ صَعَصَعَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ .

بنو ربيعة
بالأندلس

(١) جودي بن أسباط بن جعفر بن سليمان بن أيوب بن سعد السعدي
من أهل البيرة ولاء محمد بن بشير بن محمد العافري قاضي الجماعة بقرطبة قضاء
بلده البيرة في مدة الحكم بن هشام « ومحمد بن بشير قاضي الجماعة كان
قاضيًا صالحًا عدلًا تضرب بعده الأمثال توفي سنة ١٩٨ » وسعيد بن جودي
ابن سواده بن جودي بن أسباط أمير المغرب كان أيضًا من الفضلاء الأعيان
وجدتهم أسباط كان من أهل الدين والعلم والفقه والورع والصلاح تولى
قضاء البيرة في مدة الأمير عبد الرحمن ومدة هشام وابنه الحكم
(٢) سلول : ابنة ذهل بن شيبان بن ثعلبة ومنهم عبد الله بن همام السلولي
الشاعر وفيهم يقول السموءل .

وأنا أناس لا نرى القتل سبة إذا ما رآه عامر وسلول

يريد عامر بن صعصعة ،

وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى ثُمَيْرِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ صَعْصَعَةَ ،
قَالَ ابْنُ غَالِبٍ : وَهُمْ بَغْرَنَاطَةٌ كَثِيرَةٌ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى قُشَيْرِ بْنِ كَعْبِ بْنِ رَيْعَةَ
ابْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ .

وَمِنْهُمْ بَلِجٌ ^(١) بْنُ بَشْرِ صَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ وَآلِهِ ،
وَبَنُو رَشِيقٍ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى فَرَّارَةَ بْنِ ذِيَّانَ بْنِ بَغِيضِ
ابْنِ رَيْثِ بْنِ غَطَفَانَ بْنِ سَعْدِ بْنِ قَيْسِ عَيْلَانَ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى أَشْجَعِ بْنِ رَيْثِ بْنِ غَطَفَانَ ،
وَمِنْ هَؤُلَاءِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَشْجَعِيُّ سُلْطَانُ
الْأَنْدَلُسِ ^(٢) .

(١) أحد قواد عرب الشام كان شجاعا فارسا وكان واليا على طنجة
وما والاها ، فكاثرت عليه الجنود من خوارج البربر هناك ، فغادرهم
إلى الأندلس في جماعة من أصحابه وادعى ولايتها وشهد له من كان معه ،
وكان الأمير حينئذ بالأندلس عبد الملك بن قطن فوقع في ذلك اختلاف وقتنة
إلى أن ظفر بلج بعبد الملك فسجنه ثم قتله ، ومات بعده بزم يسيرة سنة ١٦٥
(٢) قدمه المهيم بن عبيد الكلاني وإلى الأندلس عند موته وتخييره لذلك
وكان فاضلا ، فصلى بالناس شهرين إلى أن قدم عبد الرحمن بن عبد الله
الفاقي واليا من قبل عبيد الله بن الحبحاب وإلى إفريقية والمغرب فدخلها
في شهر صفر سنة ١١٣ .

وَفِي ثَقِيفٍ اخْتِلَافٌ : فَفِيهِمْ مَنْ قَالَ إِنَّهَا قَيْسِيَّةٌ ^(١)
وَأَنَّ ثَقِيفًا هُوَ قَيْسِيٌّ ^(٢) بَنُ مُنْبَهٍ بَنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ .
وَمِنْهُمْ بِالْأَنْدَلُسِ جَمَاعَةٌ ، وَإِلَيْهِمْ يَنْتَسِبُ الْخُرَّ
أَبْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الثَّقَفِيُّ صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ ^(٣) ، وَقِيلَ
إِنَّهَا مِنْ بَقَايَا ثَمُودَ . أَتَتْهُ قَيْسُ بْنُ عَيْلَانَ وَجَمِيعُ مُضَرَ .
وَأُمَّارِيَّةٌ بَنُ زُرَّارٍ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى أَسَدِ بْنِ رَيْبَعَةَ
أَبْنِ زُرَّارٍ ، قَالَ فِي فَرْحَةِ الْأَنْقَسِ : إِنَّ إِفْلِيمَ هُوَ لَا
مَشْهُورٌ بِاسْمِهِمْ يَجُوفِي مَدِينَةَ وَادِي آشٍ ، أَتَتْهُ .
وَالْأَشْهُرُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَسَدٍ أَبَدًا بَنُو أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ
ابْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ .
وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى مُحَارِبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ وَدَيْعَةَ

(١) أى من قيس عيلان (٢) لقب ثقيف وهو قيس بن منبه ، قيل
لأنه مر على أبي رغال وكان مصداقاً فقتله فقبل قسا قلبه قسيا فسمى
قسياً ، قال شاعرهم * نحن قسي وقساؤونا * وأم ثقيف « قسي » هى أميمة
بنت سعد بن هذيل بن مدركة . وفى الأصل « قيس » بدل قسي ، وهو
تحريف خاطئ ، وكلمة فيه من تحريف . اهـ : « أحمد نجاشي »

(٣) كان أمير الأندلس ثم عزل عنها بعنيسة بن سعيم سنة ١٠٦

أَبْنُ لُكَيْزٍ ^(١) بِنِ أَفْصَى بْنِ دُعْمَى ^(٢) بِنِ جَدِيلَةَ بْنِ أَسَدٍ
أَبْنِ رَيْعَةَ ،

قَالَ ابْنُ غَالِبٍ فِي فَرَحَةِ الْأَنْفُسِ :

وَمِنْهُمْ بَنُو عَطِيَّةَ ^(٣) أَعْيَانُ غَرْ نَاطَةَ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ
بَنُو عَطِيَّةِ

(١) لُكَيْزٌ هُوَ ابْنُ أَفْصَى ، وَهِيَ أَفْصِيَانُ : أَفْصَى بْنُ دُعْمَى بْنِ جَدِيلَةَ
ابْنِ أَسَدٍ بْنِ رَيْعَةَ بْنِ زَارٍ بْنِ مَعَدٍ ، وَأَفْصَى بْنُ عَبْدِ الْقَيْسِ بْنِ أَفْصَى
ابْنِ دُعْمَى بْنِ جَدِيلَةَ بْنِ أَسَدٍ بْنِ رَيْعَةَ . وَأَفْصَى فِي اللُّغَةِ مَعْنَاهُ تَخْلَصَ
مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ، أَوْ التَّخْلَصَ مِنَ الضِّيقِ وَالْبَلِيَّةِ ، وَتَفْصَى مِنَ الدُّيُونِ
خَرَجَ مِنْهَا وَتَخْلَصَ . وَفِي الْأَصْلِ يَدُلُّ (لُكَيْزٌ) بِكَبَرٍ ، وَهُوَ خَطَأٌ : « نَجَاحِي »
(٢) مِنْ مَعَانِي الدُّعْمَى فِي اللُّغَةِ الشَّيْءُ الشَّدِيدُ

(٣) يَنْسَبُونَ إِلَى عَطِيَّةِ الدَّخَلِ بِالْأَنْدَلُسِ ، وَهُوَ عَطِيَّةُ بْنُ خَالِدِ بْنِ
خُفَافٍ بْنِ أَسْلَمَ بْنِ مَكْرَمٍ الْحَارِثِيِّ الْخُضَرِيِّ مِنْ وَلَدِ زَيْدِ بْنِ مَحَارِبٍ بْنِ خُصْفَةَ
ابْنِ قَيْسِ عِيلَانَ ، وَهُمْ أَسْرَةٌ نَبِيلَةٌ جَمَعَتْ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْوَجَاهَةِ ، وَمِنْهُمْ أَفْرَادٌ
مَعْرُوفُونَ بِالْفَضْلِ وَالْأَدَبِ ، وَنَسَفَرُوا لِلتَّعْرِيفِ بِهِمْ مَقَالًا خَاصًا ، وَمِنْ أَشْهُرِهِمُ
الْإِمَامُ الْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْحَقِّ بْنُ غَالِبٍ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَالِبٍ بْنِ
تَمَامٍ بْنِ عَبْدِ الرَّوْفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ تَمَامٍ بْنِ عَطِيَّةِ الْفَقِيهِ الْحَافِظِ وَالْمُحَدِّثِ
الشَّهِيرِ ، وَكَانَ مَعَ هَذَا أُدْبِيًّا نَحْوِيًّا شَاعِرًا بَلِيغًا كَاتِبًا مَجِيدًا وَاسِعَ الْمَعْرِفَةِ
غَزِيرَ الْأَدَبِ جَامِعًا لِكَثِيرٍ مِنَ الْعُلُومِ ، وَلَهُ تَفْسِيرٌ ضَخْمٌ أَرَبِيٌّ فِيهِ عَلَى كُلِّ
مَتَقَدِّمٍ ، وَلَدَ سَنَةَ ٤٨١ هـ وَتَوَفَّى بِمَدِينَةِ لُورَقَةَ سَنَةَ ٥٤٢ هـ . وَلَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ :

وَلِيلَةٌ جَبَّتْ فِيهَا الْجَزَعُ مَرْتَدِيًا بِالسَّيْفِ أَسْحَبَ أَذْيَالًا مِنْ الظُّلَمِ

كَأَنَّهَا اللَّيْلُ زَنَجِيٌّ بِكَاهِلِهِ جَرَحَ فَيَنْتَبِهُ أَحْيَانًا لَهُ بِلِسْمِ

وَكَانَ أَبُوهُ غَالِبٌ فَقِيهًا زَاهِدًا وَعَالِمًا مُحَدِّثًا فَاضِلًا ، وَكَانَ رَجُلًا أَتَقَطُّ ابْنَهُ

إِلَى النَّعْرِ بْنِ قَاسِطٍ بْنِ هِنَبِ بْنِ أَقْصَى بْنِ دُعْمَى بْنِ جَدِيلَةَ
أَبْنِ أَسَدٍ كَتَبَنِي عَبْدُ الْبَرِّ الَّذِينَ مِنْهُمْ الْحَافِظُ أَبُو عُمَرَ بْنُ
عَبْدِ الْبَرِّ^(١). وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى تَغْلِبَ بْنِ وَائِلِ بْنِ قَاسِطٍ
أَبْنِ هِنَبٍ كَتَبَنِي مُحَمَّدِيسٍ^(٢) أَعْيَانِ قُرْطُبَةَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ

عبدالحق في الليلة مرتين يقول له قم يا بني اكتب كذا وكذا في موضع كذا من
تفسيرك ، وله فيه نكت كثيرة. ولد سنة ٤٤١ وتوفي سنة ٥١٨ «أحمد بن حنبل»
(١) هو الأمام يوسف بن عبد البر بن محمد بن عبد البر بن عاصم القرطبي
الهمزى امام عصره في الحديث والاثار وما يتعلق بهما ، وله مؤلفات متممة
وكتب قيمة ، ولد سنة ٣٣٨ وتوفي سنة ٤٦٣ ، وتوفي ولده أبو محمد
عبد الله «أعبد البر» بن محمد سنة ٣٨٠ - وكان والد الحافظ أبو محمد
عبد الله بن يوسف من أهل الأدب البارع والبلاغة وله رسائل وشعر ، وينسب
إليه قوله :

لَا تَكْثُرَنَّ تَأْمَلًا وَاحْبِسْ عَلَيْكَ عَنَانَ طَرْفِكَ
فَلَرَبِّمَا أَرْسَلْتَهُ فَرَمَاكَ فِي مِيدَانِ حَتْفِكَ

وتوفي سنة ٤٨٠ (٢) أظنها حدين « ومحمد بن محمد بن محمد بن علي بن محمد
تعليم » وبنو محمد بن من أهل قرطبة ، ومنهم محمد بن محمد بن علي بن محمد
ابن عبد العزيز بن محمد بن تغلبى قاضى الجماعة بقرطبة ، ويكنى أبا جعفر
ولى قضاء بلده بعد أبي عبد الله بن الحاج الشهيد فى شعبان سنة ٥٢٩
ثم صرف عن القضاء بأبى القاسم بن رشد سنة ٥٣٢ ، ثم أعيد ثانية
بعد استعفاء ابن رشد ، وكان أبو الحسين بن سراج يقول : لا تزال قرطبة
دار عصمة ونعمة ممالك أزمتهأ أحد من بنى حمدين ، وصارت إليه الرئاسة
عند اختلال أمر اللثمين ودغى له بالامارة سنة ٥٣٩ وتسمى بأمر المسلمين
للتصور بالله ، ولكن مالبث أن تاورته ألحن وتقلب به الاحوال حتى
توفى بمدينة مالقة سنة ٥٤٨

يَنْتَسِبُ إِلَى بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ كَالْبَكْرِيِّينَ أَصْحَابِ أُوتَيْةَ^(١)
وَشَلْطِيشَ^(٢) الَّذِينَ مِنْهُمْ أَبُو عُبَيْدٍ الْبَكْرِيُّ^(٣) صَاحِبُ
الْصَّائِفِ . انْتَهَتْ رَبِيعَةٌ .

* *

وَأَمَّا يَا ذُبْنَ زَكَرٍ - وَقَدْ يُقَالُ إِنَّهُ ابْنُ مَعَدٍ وَالصَّحِيحُ
الْأَوَّلُ - فَيَنْتَسِبُ إِلَيْهِمْ بَنُو زَهْرٍ^(٤) الْمَشْهُورُونَ بِإِشْبِيلِيَّةٍ

(١) أظنها محرفة عن أوتبة « بفتح الهززة وسكون الواو وفتح النون بعدها
باء موحدة » قرية في غرب الأندلس على خليج البحر المحيط وبها توفي
الامام ابن حزم وهي في الأصل (أوتبة) (٢) بليدة غربى اشبيلية على البحر
(٣) هو عبدالله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو من أهل شاطئ
سكن قرطبة وكان بحرا في اللغة والانساب توفي سنة ٤٨٧ . ومن ذريته
عبد الله بن محمد بن أبي عبيد البكرى وهو كجده علما ومعرفة توفي بقرطبة
سنة ٥٨١ (٤) في الأصل زهرة بالتاء وهو خطأ ، وبنو زهر ينسبون الى أبي العلاء
زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان بن عبد الملك بن خلف بن زهر
الايادى ، نشأ بشرق الأندلس ، وكانت بقايا داره لا تزال بحفص شاطبة
معروفة به الى أن تملكها الروم وأجلاوا عنها المسلمين سنة ٦٤٥ وكان عالما
محدثا ماثلا الى علم الطب الذى أخذه عن أبيه فكان في وقته طبيبا ناسيا
يشار اليه بالبنان حتى كان أهل المغرب يفاخرون به وبأهل بيته ، وكانت
اليه رئاسة بلده ومشاركة ولاته في التدبير ، وكان مع هذا أديبا شاعرا ،
ومن شعره « وهو لما يتم عن صناعته »

ياراشقى بسهام ملهسا غرض الا القواد وامنه لها عوض
ومرضى بحفون كلها غنج صحت وفي طبعها التريض والمرض
جد لى ولو بخيال منك يطرقتى فقد يسد مسد الجوهر العرض

وَعَبْرَهُمْ . اُنْتَهَتْ الْعَدَنَانِيَّةُ وَهُمْ الصَّرِيحُ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَاخْتَلَفَ فِي الْقَحْطَانِيَّةِ هَلْ هُمْ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ أَوْ
مِنْ وَلَدِ هُودٍ عَلَى مَا هُوَ مَعْرُوفٌ ، وَظَاهِرُ صَنِيعِ الْبُخَارِيِّ
الْأَوَّلِ ، وَالْأَكْثَرُ عَلَى خِلَافِهِ ، وَالْقَحْطَانِيَّةُ هُمْ
الْمَعْرُوفُونَ بِالْيَمَانِيَّةِ ، وَكَثِيرًا مَا يَقَعُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُصْرِيَّةِ
وَسَائِرِ الْعَدَنَانِيَّةِ الْحُرُوبُ بِالْأَنْدَلُسِ ، كَمَا كَانَ يَقَعُ
بِالْمَشْرِقِ ، وَهُمْ الْأَكْثَرُ بِالْأَنْدَلُسِ ، وَالْمَلِكُ فِيهِمْ أَرْسَخُ ،
إِلَّا مَا كَانَ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَإِنَّ الْقُرَشِيَّةَ قَدَّمَهُمْ

الفتحانية

توفي بقرطبة سنة ٥٢٥ وعقبه كلهم أهل بيت شرف منهم العلماء والرؤساء
والحكام ومنهم الوزراء الذين نالوا للراتب العلية وتقدموا عند الملوك
ونفذت أوامره ، ومن أفضلهم أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر وكان
ضليعا في اللغة وآدابها شاعرا رقيقا وهو القائل :

وموسدين على الأكف خدودهم قد غلهم نوم الصباح وغالني
مازلت أسقيهم وأشرب فضلهم حتى ثملت وغلهم ما نالني
والخمر تعرف كيف تأخذ ثارها أني أملت اناءها فأمالني
وقد نبغ في الموشحات نبوغا عظيما وله منها كل مرقص مطرب يسيل رقة
وعذوبة وللسنة ٥٠٧ وتوفي سنة ٥٩٥ : ولنا مع بني زهر حديث مستفيض
سندقدمه للقراء قريبا إن شاء الله : « أحمد نجاني »

عَلَى الْفِرْقَتَيْنِ ، وَأَسْمُ الْخِلَافَةِ لَهُمْ بِالْمَشْرِقِ . وَكَانَ عَرَبُ
الْأَنْدَلُسِ يَتَمَيِّزُونَ بِالْعَمَائِرِ وَالْقَبَائِلِ وَالْبُطُونِ وَالْأَفْخَادِ^(١) .
إِلَى أَنْ قَطَعَ ذَلِكَ الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ الدَّاهِيَةَ الَّتِي
مَلَكَ سُلْطَنَةُ الْأَنْدَلُسِ ، وَقَصَدَ بِذَلِكَ تَسْتِيهِمَ وَقَطَعَ
الْتِحَامَهُمْ وَتَمَصُّبَهُمْ فِي الْأَعْتَزَاءِ^(٢) ، وَقَدَّمَ الْقَوَادَ عَلَى
الْأَجْنَادِ ، فَيَسْكُونُ فِي جُنْدِ الْقَائِدِ الْوَاحِدِ فِرْقٌ مِنْ كُلِّ
قَبِيلٍ ، فَأَنْحَسَمَتْ^(٣) مَادَّةُ الْفَتَنِ وَالْأَعْتَزَاءِ بِالْأَنْدَلُسِ ، إِلَّا
مَا جَاءَتْ عَلَى غَيْرِ هَذِهِ الْجِهَةِ .



قَالَ ابْنُ حَزْمٍ : جَمَاعُ الْأَسَابِ الْيَمَنِ مِنْ جَرَمٍ^(٤) بَيْنِ

(١) المائر جمع المارة وهي أصغر من القبيلة أو الحى العظيم الذى يقوم بنفسه
ينفرد بظنها وإقامتها ونجتها . وقال ابن الأثير وغيره هي فوق البطن من القبائل
أولها الشعب ثم القبيلة ثم العارة ثم البطن ثم الفخذ (٢) الاعتزاء الانتساب ،
وعزاء الى أبيه يزوه : نسبة اليه ، وعزا لفلان واعتزى وتعزى : انتسب
صدقا كان أو كذبا وهو من العزة « كمدة » أى العصبة من الناس والجماعة
المنتسبة بعضهم الى بعض أما فى الولادة وأما فى المظاهرة والتعاون (٣) انحسمت :
انقطعت (٤) جرم : بطن فى طيئ وهو ثعلبة بن عمرو بن العوث
ابن جلهمة وهو طيئ بن أدد ، واليه ينتسب أبو عبد الله محمد بن مالك
التحوى للصرى ، وجرم يفتح الجيم جدها لى من طيئ من بني بنو حيان .
واسمه جرم بن عمرو بن العوث كما فى الأعلام ص ١٨٩ اه منصور .

كَهْلَانُ وَحَمِيرٌ^(١) بِنِ يَشْجُبَ بِنِ يَعْرُبَ بِنِ قَحْطَانَ بِنِ عَابَرَ
 أَبْنِ شَالَخَ بِنِ أَرْفَخْشَدَ بِنِ سَامَ بِنِ نُوحٍ ، وَقِيلَ قَحْطَانُ
 أَبْنِ الْهَمَيْسَعِ^(٢) بِنِ تَيْهَانَ بِنِ نَابِتِ بِنِ إِسْمَاعِيلَ ، وَقِيلَ
 قَحْطَانُ بِنِ هُودَ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ بِنِ رَبَاحَ بِنِ جَارِفِ بِنِ عَادِ بِنِ
 عَوْصِ بِنِ إِرَمَ بِنِ سَامٍ ، وَالْخُلْفُ فِي ذَلِكَ مَشْهُورٌ .
 فَمِنْهُمْ كَهْلَانُ بِنِ سَبَأَ بِنِ يَشْجُبَ بِنِ يَعْرُبَ بِنِ قَحْطَانَ ،
 وَمِنْهُمْ الْأَزْدُ^(٣) بِنِ الْغَوْثِ بِنِ نَبْتِ بِنِ مَالِكِ بِنِ زَيْدِ بِنِ
 كَهْلَانَ ، وَإِلَيْهِمْ يَنْتَسِبُ مُحَمَّدُ بِنِ هَانِيءِ الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ

(١) أوحير بن سبأ بن يشجب ، ومنهم كانت الملوك قديماً : قال الهمداني :
 حمير في قحطان ثلاثة الأَكْبَرُ والأَصْغَرُ والأَدْنَى ، فالأَدْنَى حمير بن الغوث
 ابن سعد بن عوف بن عدى بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة وهو حمير
 الأصغر ابن سبأ الأصغر بن كعب بن سهل بن زيد بن عمرو بن قيس بن
 معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن حذار بن قطن
 ابن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير الأَكْبَرُ بن سبأ الأَكْبَرُ
 ابن يشجب ، والله أعلم بصفة ذلك (٢) الذي عليه أكثر علماء النسب
 أن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ولد مالكاً بطناً ، وعامراً
 بطناً ، وعوفاً بطناً ، وسعداً بطناً وائلة وهميسع قبيلة ، وعمرو وفيه البيت .
 والعدد ، وأعقب هميسع من ولده أيمن بن هميسع وهو جد ذِي رَعِينِ
 والهميسع معناه في اللغة الحميرية القوي من الرجال الذي لا يصرع (٣) والأنصار
 كلهم من الأزد .

الْأَلْبِيرِيُّ، وَهُوَ مِنْ بَنِي الْمُهَلَّبِ، وَمِنْ الْأَزْدِ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى غَسَّانٍ^(١) وَهُمْ بَنُو مَازِنِ بْنِ الْأَزْدِ - وَغَسَّانُ مَالِئِ شَرَبُوا مِنْهُ . وَذَكَرَ ابْنُ غَالِبٍ أَنَّ مِنْهُمْ بَنِي الْقُلَيْبِيِّ^(٢) مِنْ أَعْيَانِ غَرْنَاطَةَ ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ بِصَالِحَةِ قَرْيَةٍ عَلَى طَرِيقِ مَالَقَةَ . وَمِنْ الْأَزْدِ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى الْأَنْصَارِ عَلَى الْعُمُومِ وَهُمْ أَجْلَمُ الْتَغْفِيرِ^(٣) بِالْأَنْدَلُسِ ، قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : وَالْعَجَبُ أَنَّكَ تَعْدَمُ

(١) يقال أزْد شَنْوَةٌ وأزْد عَمَان وأزْد السَّرَاةُ ، وهناك أزد غَسَّان ، قال حسان بن ثابت :

أما سألت فإنا معشر نجب الأزد نسبنا وللماء غسان
ومن أزد غسان بنو جفنة رهط الملوك (٢) نسبة إلى القليعة، وقليعة « بالتصغير » قرية حصينة بالمغرب على حجر صلد في سفح جبل منقطع عنه وبها أبار طبية ونخيل ، ومنها الولي الصالح عبد القادر بن محمد بن سليمان القليبي المغربي ، وولده أبو جعفر توفي ببلده سنة ١٧١ ودفن عند والده بمقبرتهم للعروفة بالأبيض اه تاج. قلت : وهناك يحيى بن محمد بن حسين الغساني القليبي من أهل غرناطة ويكنى أبا زكريا رحل إلى الشرق وأخذ عن علمائه وكان خيرا فاضلا ثقة وكان من كبار أهل غرناطة جليل القدر حسن الهيئة والسمت توفي سنة ٤٤٢ هـ وأحمد بن خلف بن عبد الملك بن غالب الغساني الغرناطي القليبي يكنى أبا جعفر بن القليبي روى عن أبي زكريا القليبي السابق وأبي مروان بن سراج وغيرها وكان ثقة صدوقا أخذ الناس عنه وتوفي سنة ٤٩٨ هـ ومحمد بن أحمد بن خلف « ابن السابق » كان يكنى أبا بكر كان من أهل العلم والفضل ولى قضاء بلده عن إجماع أهله على ذلك وتوفي وهو يتولاه أول صفر سنة ٥١٠ ودفن بروضه أبيه . وكان بيت القليبي من ناهة الذكرو علوا القدر بحيث كان موضع إجلال أهل غرناطة . وفي الأصل (القسيمي) محرفة . اه « نجاشي » (٣) أجم التغير : الجمع الكثير

هَذَا النَّسَبَ بِالْمَدِينَةِ وَتَجِدُ مِنْهُ بِالْأَنْدَلُسِ فِي أَكْثَرِ
بُلْدَانِهَا مَا يَشِدُّ عَنِ الْعَدَدِ كَثْرَةً ، وَلَقَدْ أَخْبَرَنِي مَنْ سَأَلَ
عَنْ هَذَا النَّسَبِ بِالْمَدِينَةِ ، فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ إِلَّا شَيْخًا مِنْ
الْخَزَرَجِ وَعَجُوزًا مِنَ الْأَوْسِ . قَالَ ابْنُ غَالِبٍ : وَكَانَ جُزْءُ
الْأَنْصَارِ بِنَاحِيَةِ طُلَيْطَلَةَ ، وَهُمْ أَكْثَرُ الْقَبَائِلِ بِالْأَنْدَلُسِ فِي
شَرْفِهَا وَمَغْرِبِهَا . اُنْتَهَى .

وَمِنْ الْخَزَرَجِ بِالْأَنْدَلُسِ أَبُو بَكْرٍ عُبَادَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنُ مَاءِ السَّمَاءِ مِنْ وَلَدِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ الْمَشْهُورُ بِالْمَوْشِحَاتِ ^(١) ، وَإِلَى
قَيْسِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ يَنْتَسِبُ بَنُو الْأَخْمَرِ سَلَاطِينُ
غَرْنَاطَةَ الَّذِينَ كَانَ لِسَانُ الدِّينِ بْنُ الْخَطِيبِ أَحَدَ وُزَرَاءِهِمْ ،
وَعَلَيْهِمْ أَنْقَرَضَ مُلْكُ الْأَنْدَلُسِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأُسْتُوْلِيَ
الْمَدُونُ عَلَى الْجَزِيرَةِ جَمِيعًا كَمَا يُذَكَّرُ . وَمِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ

الخزرج
بالأندلس

(١) هو عبادَةُ بن عبد الله بن محمد بن عبادَةَ بن أفلح بن الحسين بن
يحيى بن سعيد بن قيس بن سعد بن عبادَةَ الأنصاري الخزرجي ، كان يكنى
أباً بكر ويكنى قرطبة وكان أديباً شاعراً مقدماء أخذ عن أبي بكر الزبيدي وغيره ،
وأخذ عنه الأديب أبو محمد غانم بن الوليد اللاتقي ، وتوفي بمالقة سنة ٤١٩

مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى الْأَوْسِ أَخِي الْخَزَجِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ
يَنْتَسِبُ إِلَى غَافِقِ بْنِ عَكٍّ بْنِ عُدْنَانَ^(١) بْنِ أَرَانَ بْنِ
الْأَزْدِ ، وَقَدْ يُقَالُ عَكُّ بْنُ عُدْنَانَ بِالنُّونِ فَيَكُونُ أَخَاهُ
مَعْدُ بْنُ عُدْنَانَ وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ^(٢) . قَالَ ابْنُ غَالِبٍ : مِنْ
غَافِقِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْخِصَالِ الْكَاتِبِ^(٣) ، وَأَكْثَرُ

(١) في التاج: عدنان بن أدد بن المميسع أبو عك وهو أبو قبائل اليمن كلها وقال
في موضع آخر: عك بن عدنان بن عبد الله بن الأزد ، وفي الأصل (عدنان) محرفة
(٢) المسألة مختلف فيها بين علماء النسب ، قال الجوهري والليث: عك بن عدنان
« بالنون » أخو معد ، ومثله في كتاب المعارف في الأنساب لابن قتيبة وطبقات
محمد بن سلام ، ويستدلون على ذلك بقول عباس بن مرداس السلمي :
وعك بن عدنان الذين تلعبوا بفسان حتى طردوا كل مطرد

وقال بعض النسابين إنما هو معد بن عدنان ، فأما عك فهو ابن عدنان
من ولد قحطان « وعدنان من ولد إمام عيل » وقال ابن حبيب : وفي الأزد
عدنان « بالنون » بن عبد الله بن الأزد ، اه ملخصا من التاج . « نجاشي »
(٣) هو ذو الوزارتين محمد بن مسعود بن أبي الخصال الغافقي من أهل
شقورة سكن قرطبة ، كان مفضحة وقته وجمال جماعته متفنا في العلوم
مستبحرا في الآداب كاتبا بليغا شاعرا مجيدا مؤلفا مفيدا هذا إلى حسن
عشرة وسعة مبرة وكرم خلال وحدة ذهن حتى كان أحد رجال الكمال في
وقته ، توفي سنة ٥٤٠ وكان مولده سنة ٤٦٥ وقد أورد الفتح بن خافان
في فرائد العقيان كثيرا من ثمره ونظمه . وابنه عبد الملك بن محمد
سمع أباه وغيره ورحل حاجا فأدى الفريضة وتوفي شهيدا وشكاه أبوه
وله فيه رثاء مؤثر « توفي حوالي سنة ٥٣٠ » ودفن بالمرية وكان من
تجباء الأبناء وبررتهم رحمه الله .

جِهَاتِ شَقُورَةٍ^(١) يَنْتَسِبُونَ إِلَى غَافِقٍ ، وَمِنْ كَهْلَانٍ
مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى هَمْدَانَ وَهُوَ أَوْسِلَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ
أَبْنِ أَوْسِلَةَ بْنِ رَيْمَةَ بْنِ الْحِيَارِ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ ،
وَمَنْزِلُ هَمْدَانَ مَشْهُورٌ عَلَى سِتَّةِ أُمَيْالٍ مِنْ غَرْنَاطَةَ ،
وَمِنْهُمْ أَصْحَابُ غَرْنَاطَةَ بَنُو أَضْحَى^(٢) . وَمِنْ كَهْلَانَ
مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى مَذْحِجٍ ، وَمَذْحِجٌ اسْمُ أَكْمَةِ خَمْرَاءَ بِالْيَمَنِ ،
وَقِيلَ اسْمُ^(٣) أُمِّ مَالِكٍ وَطِيٌّ ابْنُ أَدَدَ بْنِ زَيْدِ ابْنِ كَهْلَانَ

- (١) مدينة شمالى مرسية : ينسب اليها عبد العزيز بن علي بن موسى
ابن عيسى الغافقي الفقيه الحافظ العلامة أبو الاصمغ توفي سنة ٥٣١ هـ
(٢) من بني أضحى الوزير الحسيب الفقيه المشاور أبو الحسن علي بن
أضحى ، وقد ذكره الفتح بن خاقان وأثنى عليه وأتى بشيء من كلامه
وكان معاصرا له . قلت وقدمه أبو بكر الخزومي الشاعر الأعشى بقصيدة
جمع فيها بين المزل والجد ولم تخل من غمزات طريفة كعادته ، منها :
عجبا للزمان يطلب هضمي وملاذي منه علي بن أضحى
وكان فقيها أديبا شاعرا بليغا مبرزا في نثره ونظمه ، عدلا في قضائه وحكمه
(٣) مذحج : شعب عظيم فيه قبائل وأفخاذ و بطون ، قيل اسمه مالك
ابن أدد ، وقيل هو مالك بن زيد بن كهلان ، وقيل هو اسم للمالك وطى
سميا بذلك لأن أهمالها هلك بعلمها أذحجت على ابنها مالك وطى هذين
فلم تزوج بعد أدد « يقال أذحجت المرأة على ولدها أى أقامت » وقيل
مذحج اسم أكمة خمرأ باليمن ولدت مدلة « بضم الميم وكسر الدال » أم مالك
وطى ابنها عندها ، أو سموها مذحج لانهم نزلوا عندها ، وقيل سميت المرأة
باسم الأكمة ثم سميت بها القبيلة . اهـ ملخصا من التاج وغيره . « نجاتي »



قَالَ ابْنُ غَالِبٍ : بَنُو سِرَاجٍ ^(١) الْأَعْيَانُ مِنْ

بَنُو سِرَاجٍ
أَعْيَانُ قَرْطَبَةِ

(١) أسرة كانت غرة في جبين قرطبة ودرة في تاجها ، جمعت بين العلم والأدب والوجاهة والحسب ، فكانوا بيت خير وفضل ونباهة ونبيل منهم من جمعوا بين قوى السيف والقلم والحكم والحسب ، وبعد استيلاء الأسيان على قرطبة هاجروا الى غرناطة فكانوا من أنبل أسراتها وأشرف ساداتها فكان منهم الوزراء والقواد والقضاة والحكام والعلماء الاعلام ، والمعروف أنهم كانوا من سادات موالى بنى أمية ومن مشهورى الموالى بالاندلس ، وكان عندهم عن الخلفاء آثار قديمة كثيرة ، غير أن أبا الحسن سراج بن عبد الملك من أعيانهم كان يتنى من ولائهم رقا وانعاما ويقول ان جدهم هو سراج ابن قرة السكلاي الوافد على رسول الله ﷺ - وكان أبو مروان عبد الملك ابن سراج « المتوفى سنة ٤٨٩ » يقول انهم عرب من كلب بن وبرة أصابهم سباء - ومن أشهرهم أبو الزناد سراج بن سراج بن محمد بن سراج كان فقيها حاذقا ثقة صادقا عظيم العناية بالعلم والأدب وأقام بسر قسطة وتوفى سنة ٤٧٢ وأبو القاسم سراج بن عبد الله كان قاضى الجماعة بقرطبة ولى القضاء بها سنة ٤٤٨ الى أن فارق الدنيا فلم تنع عليه سقطة ولا حفظت له زلة ، بل كان عدلا صالحا عفيفا نقي الضمير سليم العقيدة طيب الطعنة ، وتوفى سنة ٤٥٦ . ومنهم الوزير الأستاذ أبو الحسين سراج بن عبد الملك كان شديد العناية بالعلم واللغة والآداب حسن الخلق كامل المروءة ، وهو القائل
بِثِ الصَّنَائِعِ لَا تَحْفَظْ بِمَوْقِعِهَا مِنْ أَمَلِ شُكْرِ الْإِحْسَانِ أَوْ كُفْرِهَا
فَالْعَيْشُ لَيْسَ يَسَالِي أَيُّهَا النَّسِيبُ مِنْهُ الْغَنَائِمُ تَرِيَا جَادَ أَوْ حَجَرَا
ومولده سنة ٤٣٩ . وتوفى سنة ٥٠٨ . فطفى من العلم سراج ، وأعيان على الناس علاجه ، رحمه الله .

أَهْلِ قُرْطَبَةَ يَنْتَسِبُونَ إِلَى مَذْحِجٍ . وَمَنْزِلُ طَيِّ
بِقَبْلِي مُرْسِيَّةَ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى مُرَادِ بْنِ مَالِكٍ
ابْنِ أَدَدَ ، وَحِصْنُ مُرَادٍ بَيْنَ إِشْبِيلِيَّةَ وَقُرْطَبَةَ مَشْهُورٌ ،
وَقَالَ ابْنُ قَالِبٍ : وَأَعْرِفُ بِمُرَادٍ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا .
وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى عَنَسٍ ^(١) بْنِ مَالِكِ بْنِ أَدَدَ ، وَمِنْهُمْ

وكان بنو سراج الغرناطيون من أكرم بيوتات العرب الباقية
بالأندلس لهد عطل جيدها من حلية الاسلام ، وخالوها من حمر الاعلام
وهي من أشهر القبائل العربية الأندلسية عند الافرنج وأرفعها ذكرا
وأبعدها صيتا . ويزعم الأسبان أن ابنة أحد الملوك من بني الأحمر
« واسمها فهيمة » علفت بأحد بني سراج حتى شغفها حبا فكانا يجتمعان
تحت ستار الليل في زاوية من بستان القصر ، وكان في قصر الحمراء قاعة
تسمى قاعة بني سراج . وقد ألف « الفيكونت دوشاتوريان » الكاتب
الفرنسي الشهير رواية سماها « وقائع آخر بني سراج » وقد ترجمها الى العربية
أمير البيان الكاتب القدير والشاعر المجيد صاحب السعادة الأمير شكيب
أرسلان فأهدى الى الناطقين بالصاد ذخيرة ثمينة . وهذا ماوسعه المقام الآن .
وعندي لبني سراج حديث طويل ، ولبعض أعيانهم لدى سيرة شائقة
وسأخصهم بمقالة طويلة أرخي فيها للقلم عنانه ان شاء الله تعالى : وتجذب
لبعض أفرادها ذكرا منتثرا في أثناء نفع الطيب وكتابي الفتح بن خاقان .
« أحمد يوسف نجاتي » :

(١) أبو قبيلة من اليمن من مذحج وفيها قيل :

لامهل حتى تلحق بعنس أهل الرياط البيض والقلنس
ومهم سيدنا عمار بن ياسر رضى الله عنه

بُنُو سَعِيدٍ^(١) مُصَنَّفُو كِتَابِ الْمَغْرِبِ ، وَقَلَمَةُ بَنِي سَعِيدٍ
مَشْهُورَةٌ فِي تَمَلُّكِ عَرْنَاطَةَ . وَمِنْ مَذْهَبٍ مَنْ
يَنْتَسِبُ إِلَى زَيْدٍ^(٢) . قَالَ ابْنُ غَالِبٍ : وَهُوَ مُنْبَهُ بْنُ سَعِيدِ
الْعَشِيرَةِ بْنِ مَالِكِ بْنِ أَدَدَ . وَمِنْ كَهْلَانٍ مَنْ يَنْتَسِبُ
إِلَى مُرَّةَ بْنِ أَدَدَ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ ، قَالَ ابْنُ غَالِبٍ :

(١) ييت بنى سعيد العنسى ييت مشهور فى الاندلس بقلمة يحسب نزله
جدهم الاعلى عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر رضى الله عنه ، وكان
ييت رياسته وقيادة ووزارة وقضاء وكتابة . ومن أعيانهم أحمد بن عبد
الملك بن سعيد « بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن
ابن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر » كان كاتبا شاعرا أدبيا
توفى سنة ٥٥٠ ومنهم حاتم بن سعيد بن خلف بن سعيد ، وكان صاحب
سيف وقلم وعلم وأدب ولد سنة ٥٣٥ وتوفى بقرناطة سنة ٥٩٢ ومنهم
محمد بن عبد الله بن أحمد بن على بن سعيد بن خلف بن سعيد بن خلف
بن محمد بن عبد الله بن سعد بن الحسن بن عثمان بن الحسن بن عبد
الله العنسى القرناطى رحل الى الشرق وجاب أفطاره وعنى بالرواية أنهم
عناية ، وذهب ضحية حوادث التتار بالشرق سنة ٦٣٠ (٢) زبيد بطن
من مذهب وهو منبه الأكبر بن صعب بن سعد العشيرة بن مالك وهو
جماع مذهب ، وزبيد الأصغر هو منبه بن ربيعة بن سبعة بن مازن
ابن ربيعة بن زبيد الأكبر - ومن زبيد سيدنا عمرو بن معد يكرب بن
عبد الله بن عمرو بن عصم بن عمرو بن زبيد الأصغر ، كنيته أبو نور
قدم فى وفد زبيد وأسلم سنة تسع وشهد الفتوح وقتل بالقادسية وقيل
بهاوند رضى الله عنه

مِنْهُمْ بَنُو الْمُتَصَرِّ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَهْلِ غَرْنَاطَةَ . وَمِنْهُمْ مَنْ
يَنْتَسِبُ إِلَى عَامِلَةٍ ^(١) وَهِيَ أَمْرَأَةٌ مِنْ قُضَاعَةَ ، وَلَدَتْ
لِلْحَارِثِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ أَدَدَ ، فَنُسِبَ
وَلَدُهَا مِنْهُ إِلَيْهَا . قَالَ ابْنُ غَالِبٍ مِنْهُمْ بَنُو سِمَاكِ ^(٢) الْقُضَاءُ
مِنْ أَهْلِ غَرْنَاطَةَ ، وَقَوْمٌ زَعَمُوا أَنَّ عَامِلَةَ هُوَ ابْنُ سَبَأٍ
ابْنِ يَشْجُبَ بْنِ يَرْزُبَ بْنِ قَحْطَانَ ، وَقِيلَ لَهُمْ مِنْ قُضَاعَةَ .
وَمِنْ كَهْلَانَ خَوْلَانَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مُرَّةَ ^(٣) ،
وَقَلْعَةُ خَوْلَانَ مَشْهُورَةٌ بَيْنَ الْجَزِيرَةِ الْخَضَاءِ وَإِشْبِيلِيَّةَ ،
وَمِنْهُمْ بَنُو عَبْدِ السَّلَامِ أَعْيَانُ غَرْنَاطَةَ . وَمِنْهُمْ مَنْ

(١) بنو عاملة حتى باليمن نسبوا الى أمهم عاملة بنت مالك بن وداعة بن قضاة
أم الزاهر ومعاوية ابني الحارث بن عدى نفسه . ومنهم عدى بن الرفاع
العاملي الشاعر وغيره ، ويزعم نسبوا مضر أنهم من ولد قاسط قال الأعشى :

أعامل حتى متى تذهبين الى غير والدك الأكرم
ووالدكم قاسط فارجموا الى التسبب الفاخر الاقدم

(٢) ومنهم الوزير الفقيه صاحب الأحكام أبو محمد عبد الله بن أحمد
ابن سمالك العاملي ، وقد أثنى عليه الفتح بن خاقان وكان معاصرا له
وأورد شيئا من نظمه وشرده في فلاتد البقيان ، وكان فقيها محدثا توفي سنة ٥٤٠ هـ .

(٣) وللشهور خولان بن عمرو بن الحافي بن قضاة بن مالك بن عمرو
ابن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ . وفي خولان كانت النار التي
تعبدها اليمن

يَنْتَسِبُ إِلَى الْمَعَاوِرِ ^(١) بَنِي يَعْقَرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْحَرِثِ بْنِ مُرَّةَ ،
وَمِنْهُمْ الْمُتَنَصِّرُونَ بَنِي أَبِي عَامِرٍ صَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ . وَمِنْهُمْ
مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى لَحْمِ ^(٢) بَنِي عَدِيِّ بْنِ الْحَرِثِ بْنِ مُرَّةَ ، مِنْهُمْ
بَنُو عَبَّادٍ أَصْحَابُ إِشْبِيلِيَّةَ وَغَيْرِهَا ، وَهُمْ مِنْ وَلَدِ الثُّعْمَانِ
أَبْنِ الْمُنْذِرِ صَاحِبِ الْحِيرَةِ ، وَمِنْهُمْ بَنُو الْبَاجِيِّ ^(٣) أَعْيَانُ

(١) وقيل معافر بن أد . وقال سيبويه : معافر بن مر - فيما يزعمون - أخو
تيم بن مر . ومن معافر بالأندلس : عبيد الله بن عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله
ابن إبراهيم بن يوسف بن حسين بن سعيد بن محمد بن بشير بن شراحيل المعافري
من أهل قرطبة ، توفي سنة ٤٩٨ ، وأصل جده الأعلى محمد بن بشير قاضي
الجماعة بقرطبة من جند باغة من عرب مصر ، ونزل باجة بغربي
الأندلس . وكان ابنه سعيد بن محمد أيضا قاضي الجماعة بقرطبة
(٢) قال ابن الكلبي وغيره : لحم اسمه مالك ، وجذام اسمه عامر وهما أخوان
فجندم مالك أصبح عامر فسمى جذاماء ، ولحم عامر مالكا فسمى لحما ، واللحم
اللطيم . ومنهم كانت ملوك العرب في الجاهلية . وهم آل عمرو بن عدى
ابن نصر اللخمي . وكان ملوك لحم قد نزلوا الحيرة وهم آل المنذر
(٣) منهم أبو محمد عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد الملك بن علي
ابن محمد بن أحمد بن أبي محمد الراوية عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة
ابن رفاع بن صخر بن سباعة اللخمي الباجي الاشبيلي كان عالما مقرئا وكان يقرئ
القرآن الكريم بمسجد سلفه النبي في اشبيلية ويؤم الناس به ، ولد سنة ٥٣٢
وتوفي سنة ٦٢٠ ومنهم أبو الأصم عبد العزيز بن علي بن عبد الله بن عبد العزيز
(١٩ - نفح الطيب - ثان)

إِشْبِيلِيَّةَ ، وَبَنُو وَافِدٍ ^(١) الْأَعْيَانُ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى
جُدَامَ مِثْلُ ثَوَابَةِ بْنِ سَلَامَةَ ^(٢) صَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ ،

ابن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الراوية وكان فقيها حافظا ثقة ، وتوفي سنة ٦٢١
ودفن بروضة سلفه بمسجد الباجي . ومنهم الراوية أبو مروان محمد
ابن أحمد بن عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الله
اللخمي الباجي الاشبيلي قاضي الجماعة بها ، روى عن أبي بكر بن الجدد وغيره
وكان فاضلا متواضعا ، وامتنحن في الفتنة عند مقتل ابن أخيه وإلى اشبيلية
أبي مروان أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن عبد الله بن الأحر سنة ٦٣١
فرحل إلى الشرق حتى توفي بمصر سنة ٦٣٢ (١) منهم أبو بكر يحيى
ابن عبد الرحمن بن وافد اللخمي قاضي الجماعة بقرطبة كان فقيها حافظا
بصيرا بالاحكام مع الورع والفضل والدين والتواضع والمروءة ، استقضاءه
الخليفة هشام بن الحكم بقرطبة مرتين ففضى بين الناس أحسن قضاء
وأعدله ، وسار فيهم أحسن سيرة ، وكان يؤذن في مسجده ويقم الصلاة
فيه مدة قضائه ، ثم نالته محنة شديدة من قبل البربر حين تغلبهم على
قرطبة فحبس بها حتى مات سنة ٤٠٤ رحمه الله . ومنهم أبو مظرف
عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير بن يحيى بن وافد بن مهند اللخمي
من أهل طليطلة ورحل إلى قرطبة فلقى بها أبا القاسم خلف بن عباس
الزهرأوى وأخذ عنه علم الطب (وكان مع تقدمه في ذلك فقيها عالمنا متفنا)
وله في الطب تآليف حسنة وله في الفلاحة مجموع مفيد ، وكان عارفا بوجوهها
وهو الذي تولى غرس جنة للأمنون بن ذى النون الشهيرة بطليطلة ، ولد
سنة ٣٨٩ وتوفي سنة ٤٦٧ (٢) ثوابة بن سلامة الجذامي ولي الأندلس
بعد خلع أبي الحطار وأقام واليها سنة وأشهر ، وتوفي في عقب سنة ١٢٨
فأرادت اليمن أن تعيد أبا الحطار . وأبى ذلك مضر .

وَبَنِي هُودٍ مُلُوكٍ شَرْقِيَّ الْأَنْدَلُسِ . وَمِنْهُمْ الْمُتَوَكِّلُ بْنُ هُودٍ
الَّذِي صَحَّتْ لَهُ سُلْطَنَةُ الْأَنْدَلُسِ بَعْدَ الْمُوَحِّدِينَ ، وَمِنْهُمْ
بَنُو مَرْدَنِشٍ أَصْحَابُ شَرْقِيَّ الْأَنْدَلُسِ .

* *

قَالَ ابْنُ غَالِبٍ : وَكَانَ لِحُذَامٍ جُزْءٌ مِنْ قَلْعَةِ رَبَاجٍ ، وَأَسْمُ جَزَامٍ وَكُهْلَانٍ
جُذَامٍ عَامِرٌ ، وَأَسْمُ لَخْمٍ مَالِكٌ ، وَهُمَا أَبْنَا عَدِيٍّ . وَمِنْ
كُهْلَانٍ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى كِنْدَةَ ^(١) وَهُوَ ثَوْرٌ بْنُ عُفَيْرٍ
أَبْنِ عَدِيٍّ بْنِ الْحَرِثِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ أَدَدَ ، وَمِنْهُمْ يُوسُفُ
أَبْنُ هَرُونَ الرَّمَادِيُّ الشَّاعِرُ ^(٢) . وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى

(١) في نسب كندة اختلاف كثير ، والنسب جزم به أكثر شراح الحماسة
وديوان امرئ القيس أن كندة بن ثور وأن ثورا والد كندة
لا لقبه . واختلفوا في سبب تسميته كندة ، فقليل لأنه كند أباه
النعمة (أى كفرها) ولحق بأخواله ، أو من كنده إذا عقه ،
وقيل لكونه كان بخيلا ، من قولهم أرض كنود أى لا تنبت شيئا
(٢) هو أبو عمر يوسف بن هرون الكندي ، شاعر قرطبي
كثير الشعر سريع القول ، كان مشهورا عند الخاصة والعامة هنالك
لساوكة في فنون من الشعر مسالك تتفق عند جميع الطبقات ، حتى

تُجِيبَ ، وَهِيَ أُمْرَأَةٌ أَشْرَسَ بْنِ السَّكُونِ بْنِ أَشْرَسَ^(١) بْنِ
كِنْدَةَ . وَمِنْ كَهْلَانَ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى خَشْمِ بْنِ أُنْمَارِ
ابْنِ أَرَاشِ بْنِ عَمْرِو بْنِ النَّوْثِ بْنِ نَبْتِ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ
ابْنِ كَهْلَانَ ، وَمِنْهُمْ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي نِسْعَةَ سُلْطَانُ
الْأَنْدَلُسِ^(٢) ، وَقَدْ قِيلَ : أُنْمَارُ بْنُ نِزَارِ بْنِ مَعْدٍ بْنِ عَدْنَانَ .
أَتَتْهُ كَهْلَانُ :



وَأَمَّا حَمِيرُ بْنُ سَبَا بْنِ سَبَا بْنِ يَشْجَبَ بْنِ يَرْزُبَ بْنِ قَحْطَانَ
فَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى ذِي رُعَيْنٍ ، قَالَ ابْنُ غَالِبٍ : وَذُو رُعَيْنٍ
هُمْ وَلَدُ عَمْرِو بْنِ حَمِيرٍ فِي بَعْضِ الْأَقْوَالِ ، وَقِيلَ هُوَ
مِنْ وَلَدِ سَهْلِ بْنِ عَمْرِو بْنِ قَيْسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ جُشَمِ

كان كثير من شيوخ الأدب في وقته يقولون : بدى الشعر بكندة
وختم بكندة ، يعنون امرأة القيس والتنبى والرمادى وكانا متعاصرين ،
وتوفى الرمادى سنة ٤٠٣ (١) أمه رملة بنت أسد بن ربيعة ،
(٢) ولّى الأندلس من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السامى صاحب إفريقية
سنة ١١٠ وعزله بعد خمسة أشهر بمحذيفة بن الأحوص القيسى

أَبْنُ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ وَائِلِ بْنِ الْغَوْثِ بْنِ قَطَنِ بْنِ
عَرِيبِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ أَيْمَنَ بْنِ الْهَيْسَعِ بْنِ حَمِيرٍ . قَالَ :
وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْخَنَاطُ الْأَعْمَى الشَّاعِرُ ، قَالَ الْخَازِمِيُّ فِي
كِتَابِ النَّسَبِ : وَأَسْمُ ذِي رُعَيْنٍ عَرِيمُ بْنُ زَيْدِ بْنِ سَهْلٍ ،
وَوَصَلَ النَّسَبَ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى ذِي أَصْبَحَ ، قَالَ
أَبْنُ حَزْمٍ : هُوَ ذُو أَصْبَحَ ^(١) بْنُ مَالِكِ بْنِ زَيْدٍ ، مِنْ وَلَدِ
سَبَّاءِ الْأَصْغَرِ ابْنِ زَيْدِ بْنِ سَهْلِ بْنِ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ ،
وَوَصَلَ النَّسَبَ . وَذَكَرَ الْخَازِمِيُّ أَنَّ ذَا أَصْبَحَ مِنْ كَهْلَانَ ،
وَأَخْبَرَ أَنَّ مِنْهُمْ مَالِكُ بْنُ أُنْسٍ الْإِمَامَ ، وَالْمَشْهُورُ أَنَّهُمْ
مِنْ حَمِيرٍ ، وَالْأَصْبَحِيُّونَ ^(٢) مِنْ أَعْيَانِ قُرْطُبَةَ . وَمِنْهُمْ مَنْ

(١) وقيل هو الحرث بن عوف بن مالك بن زيد بن سعد بن زرعة ،

وقال ابن حزم : هو مالك بن زيد بن الغوث من ولد سبأ الخ

(٢) منهم أبو عبد الله أحمد بن عبد الله بن أبي طالب غصن بن طالب

ابن زياد بن عبد الحميد بن الصباح بن يزيد بن زياد بن ملبع بن جبر الأصبحي

القرطبي ، ولى القضاء بقرطبة بعد أحمد بن بقي ، وتوفي سنة ٣٢٧

يَنْتَسِبُ إِلَى يَحْصَبَ^(١)، قَالَ ابْنُ حَزْمٍ: إِنَّهُ أَخُو
ذِي أَصْبَحَ، وَهُمْ كَثِيرٌ بِقَلْعَةِ بَنِي سَعِيدٍ، وَقَدْ تُعْرَفُ
مِنْ أَجْلِهِمْ فِي التَّوَارِيخِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ بِقَلْعَةِ
يَحْصَبَ^(٢). وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى هَوَازِنَ^(٣) بْنِ عَوْفٍ
ابْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ وَاثِلِ بْنِ الْغَوْثِ، قَالَ ابْنُ غَالِبٍ: وَمَنْزِلُهُمْ
بِشَرْقِ إِشْبِيلِيَّةَ. وَالْهَوَازِنِيُّونَ^(٤) مِنْ أَغْيَانِ إِشْبِيلِيَّةَ.

(١) منهم أبو جعفر أحمد بن بقاء بن مروان بن نميل اليحصبي نزل بمرسية
وتوفي سنة ٥٤٤ هـ. ومنهم جمال العصر وفخر الأفق ونبوع العرفة ومعدن
الافادة وصدر رجال المغرب القاضي عياض ذائع الذكر، توفي سنة ٥٤٤ هـ، وحفيده
محمد بن عياض بن محمد بن عياض بن موسى كان من جلة القضاة وعدو لهم
وأشراف العلماء وسراهم. توفي بقرنطة سنة ٦٤٥ هـ، وأبو عبد الله محمد بن عياض
ابن موسى ولد الامام أبي الفضل عياض كان فقيها جليلا أدبيا كاملا ولى
قضاء قرنطة وتوفي سنة ٦٧٥ هـ (٢) منها سعيد بن مقرون بن عفان المحدث
وله رحلة وسباع. ومنها النابغة بن ابراهيم بن عبد الواحد توفي سنة ٣١٣ هـ
(٣) المعروف أن حى النجاشي اسمه هوزن (لا هوازن) وهو أبو بطن
من ذى الكلاع، وهو هوزن بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدى
ابن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة بن سبأ الاضر، أما هوازن
فقبيلة من قيس، وهو هوازن بن سعد بن منصور بن عكرمة بن خصفة
ابن قيس عيلان. اهـ نجاتي (٤) ومنهم أبو القاسم اسمعيل بن اسحق
ابن ابراهيم بن زياد بن أسود بن زياد بن نافع بن معاوية بن عوف

وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى قُضَاعَةَ ^(١) بْنِ مَالِكِ بْنِ
حَمِيرٍ - وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ قُضَاعَةُ بْنُ مَعْدٍ بْنِ عَدْنَانَ
وَلَيْسَ بِمَرْضِيٍّ - وَمِنْ قُضَاعَةَ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى مَهْرَةَ -
كَالْوَزِيرِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَمَّارٍ الَّذِي وَثَبَ عَلَى مَلِكِ مُرْسِيَّةَ -
وَهُوَ مَهْرَةُ بْنُ حَيْدَانَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ أَخْلَافِ بْنِ قُضَاعَةَ .

ابن صعصعة بن بكر بن هوازن ويعرف بابن الطحان ، كان علما فقيها
محدثا مؤرخا أديبا مفيدا ، ولد سنة ٣٠٥ وتوفي سنة ٣٨٤ (وهوازن كما
عرفت قبيلة من قيس لامن اليمن) ومن هوازن اليمنية الحسن بن عمر
ابن الحسن بن عمر الهوزني الاشيلي كان فقيها عارفا من أهل بيت
فضل ونبل ، روى عنه الحافظ أبو بكر بن العربي ، وتوفي سنة ٥١٢ . نجاتي
(١) العروف أن قضاة لقب عمرو بن مالك بن مرة بن زيد بن مالك بن
حمير ، وقيل قضاة بن معد بن عدنان وأن مالك بن مرة زوج أمه
فنسب إلى زوج أمه وهي عادة عند العرب معروفة بينهم . وقال أبو جعفر بن
حبیب النسابة : لم تزل قضاة في الجاهلية والاسلام تعرف بمعد ، حتى كانت
الفتنه بالشام بين كلب وقيس عيلان أيام مروان بن الحكم قال كلب
يومئذ إلى اليمن واتممت إلى حمير استظهارا منهم بهم إلى قيس ، ولهذا
قال محمد بن سلام البصري النسابة لما سئل انزار أكثر أم اليمن ؟ فقال :
ان تعددت قضاة فنزار أكثر ، وان تيمنت فاليمن . هذا والخلاف في
قضاة طويل عريض من قديم . ومن قضاة بالاندلس عبد الله بن
عبد الرحمن بن عبد الله بن يونس القضاعي من أهل أندة (وهي دار
القضاعيين بالاندلس) ويعرف بابن خيرون ، كان راوية جليلا فقيها
حافظا أديبا وله حظ من فرض الشعر ، وتوفي سنة ٥١٠ ،

وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى خُشَيْنٍ ^(١) بْنِ تَنُوحَ ، ذَاكَ ابْنُ
غَالِبٍ وَهُوَ ابْنُ ^(٢) مَالِكِ بْنِ فَهْمٍ بْنِ نَعْرِ بْنِ وَبَرَةَ بْنِ تَعْلَبَ .
قَالَ الْحَارِثِيُّ : تَنُوحٌ ^(٣) هُوَ مَالِكُ بْنُ فَهْرٍ بْنِ فَهْمٍ ^(٤) بْنِ تَيْمِ اللَّهِ
ابْنِ أَسَدِ بْنِ وَبَرَةَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى بَلِي ^(٥) بْنِ عَمْرِو

(١) ممن ينتسب الى خشين أبو عبد الله محمد بن عبيد الله بن أحمد
ابن محمد بن هشام بن عبد الرحمن بن غالب بن نصر بن سالم الحشني من
أهل رندة وسكن مالقة ويعرف بابن العويص ، أخذ عن كثيرين ، منهم
أبو عبد الله بن أبي الحصال وأخوه أبو مروان وأبو القاسم بن جهور
وغيرهم ، كان مقرئاً ماهراً وتوياً نحويّاً أديباً جليلاً قضى حياته في التعليم
ونشر الأدب توفي بمالقة سنة ٥٧٦ هـ (٢) وقيل هو وائل بن النمر بن وبرة
ابن تغلب بن حلوان ، وهم رهط أبي ثعلبة جرثوم بن ناشب الحشني رضي
الله عنه اشتهر بكنيته (وفي اسمه أقوال قيل جرثم ، وقيل جرهم ، وقيل
ابن ناشم ، وقيل ابن ناشر) شهد الحديبية وبايع تحت الشجرة بيعة
الرضوان وضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه يوم خيبر ،
وأرسله الى قومه فأسلموا ، ونزل الشام ومات أول امرأة معاوية ، وقيل أيام
يزيد ، وقيل توفي سنة ٧٥ أيام عبد الملك بن مروان . ومنهم بالاندلس
محمد بن عبد السلام الحشني القرطبي توفي سنة ٢٨٦ هـ ، وولده محمد بن محمد
الأمير أبو الحسن توفي سنة ٣٣٣ هـ (٣) من تنخ بالمكان أقام به لأنهم
اجتمعوا وتحالفوا فأقاموا في مواضعهم . وقال ابن قتيبة في المعارف :
تنوخ ونمر وكتب ثلاثتهم أخوة (٤) وفهم بن عمرو بن قيس عيلان
منهم تابع شرا (ثابت بن جابر بن سفيان) أحد فتاك العرب وشعراهما . ومنهم
أبو الحرث الإمام الليث بن سعد فقيه مصر وامامها توفي سنة ١٧٥ . وفي الأزد فهم
ابن غنم بن دوس بن عدنان منهم جذيمة بن مالك بن فهم للملك الأبرش المشهور
(٥) بلي (كخني) وهو ابن عمرو بن الحاف بن قضاة

أَبْنِ الْحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ ، وَمِنْهُمْ الْبَلَوِيُّونَ الْأَشْيَلِيُّونَ . وَمِنْهُمْ
مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى جُهَيْنَةَ ^(٣) بْنِ أَسْوَدَ بْنِ أَسْلَمَ بْنِ عَمْرِو بْنِ
الْحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ ، قَالَ أَبُو غَالِبٍ : وَيَقْرُبُهُ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ .
وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى كَلْبٍ ^(٤) بْنِ وَبَرَةَ بْنِ تَغْلِبَ بْنِ
حُلْوَانَ كَنْبِي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الَّذِينَ مِنْهُمْ بَنُو جَهْوَرٍ مُلُوكُ قُرْطُبَةَ
وَوُزْرَاؤُهَا . وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى عُذْرَةَ ^(٥) بْنِ سَعْدٍ هَذِيمٍ
أَبْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْوَدَ ^(٥) بْنِ أَسْلَمَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْحَافِ بْنِ
قُضَاعَةَ ، وَمِنْهُمْ أَعْيَانُ الْجَزِيرَةِ الْخَضِرَاءِ بَنُو عُذْرَةَ .

وَمِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى حَضْرَمَوْتَ ، مِنْهُمْ

الْحَضْرَمِيُّونَ

(٢) وقيل جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسام . ومن جهينة بالأندلس
أبو محمد موسى بن محمد بن موسى بن سهل بن عمران بن صبيح بن عبد الله
الجنهني القرطبي الفقيه المحدث وأصله من بياسة ولد سنة ٣٢٨ وتوفي
سنة ٣٩٠ (٣) منهم أبو القاسم خلف بن سعيد بن عبد الله بن عثمان
الطلي القرطبي من ذرية الأبرش السكابي وزير عبد الملك بن مروان
رحل إلى الشرق واستفاد كثيرا من علومه وأفاد بها وتوفي سنة ٤٠٠ ،
(٤) منهم أبو الحسن الحضرمي بن رضوان بن محمد المذري الفرائضي كان
من أهل المعرفة بالعربية وقصد للتعليم بها وكان موصوفا بالنزاهة وتوفي ببليد
غرناطة سنة ٥٢٣ (٥) أظنه محرفا عن سود

الْحَضْرَمِيُّونَ بِمُرْسِيَةِ وَغَرْنَاطَةِ وَإِسْبِيلِيَّةَ وَبَطْلَيْوسَ^(١)
وَقُرْطُبَةَ ، قَالَ ابْنُ غَالِبٍ : وَهُمْ كَثِيرٌ بِالْأَنْدَلُسِ . وَفِيهِ
خِلَافٌ قِيلَ إِنَّ حَضْرَمَوْتَ هُوَ ابْنُ^(٢) قَحْطَانَ ، وَقِيلَ هُوَ
حَضْرَمَوْتُ ابْنُ قَيْسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ جُشَمَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ
وَائِلِ بْنِ الْقَوْثِ بْنِ جَيْدَانَ بِالْجَيْمِ ابْنِ قَطَنِ بْنِ الْعَرِيبِ بْنِ
الْعَزْزِ بْنِ نَبْتِ بْنِ أَيْمَنَ بْنِ الْهَمَيْسَعِ بْنِ حَمِيرٍ ، كَذَا نَسَقَ
النَّسَبِ الْحَازِمِيُّ . وَمِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى
سَلَامَانَ^(٣) ، وَمِنْهُمْ الْوَزِيرُ لِسَانَ الدِّينِ بْنُ الْخَطِيبِ حَسَبًا
ذُكِرَ فِي مَحَلِّهِ .

(١) بطليوس : بفتحين وسكون اللام وباء مضمومة أو مفتوحة وسين مهملة
مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة على نهر آنة غربي قرطبة ينسب إليها
خلق كثير ، منهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي النحوي
اللقوي (٢) وقيل هو عامر بن قحطان ، وقيل هو ابن قحطان بن عامر (٣) هو
سلمان ، وأهل الحديث يفتحون اللام بطن من مراد وهو سلمان بن يشكر بن
ناجية بن مراد ، منهم عبيدة (بفتح العين) بن عمرو (وقيل ابن قيس)
الكوفي السلمي أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره ، وتوفي
عليه الصلاة والسلام وهو في الطريق وروى عن علي وابن مسعود ، وروى
عنه الشعبي والنخعي وابن سيرين ، وكان يوازي شريحا في العلم والقضاء . توفي
سنة ٧٢ . اهـ نجاشي



أسماء ملوك
الأندلس

وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَسْرُدَ هُنَا أَسْمَاءَ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ مِنْ
لَدُنِ الْفَتْحِ إِلَى آخِرِ مُلُوكِ بَنِي أُمَيَّةَ وَإِنْ تَقَدَّمَ ، وَيَأْتِي
ذِكْرُ جُمْلَةٍ مِنْهُمْ بِمَا هُوَ أَتَمُّ مِمَّا هُنَا ، فَنَقُولُ : طَارِقُ
ابْنُ زِيَادٍ مَوْلَى مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ ، ثُمَّ الْأَمِيرُ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ -
وَكَلاَهُمَا لَمْ يَتَّخِذْ سَرِيرًا لِلسُّلْطَانَةِ - ثُمَّ عَبْدُ الْغَزِيرِ بْنُ
مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ - وَسَرِيرُهُ إِشْبِيلِيَّةٌ - ثُمَّ أَيُّوبُ بْنُ حَبِيبِ
الْخَمِي - وَسَرِيرُهُ قُرْطَبَةٌ ، وَكُلُّ مَنْ يَأْتِي بَعْدَهُ فَسَرِيرُهُ
قُرْطَبَةٌ وَالزَّهْرَاءُ ^(١) وَالزَّاهِرَةُ بِجَانِبِهَا إِلَى أَنْ انْقَضَتْ دَوْلَةُ
بَنِي مَرْوَانَ عَلَى مَا يُنْبَأُ عَلَيْهِ - ثُمَّ الْحُرُّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
الْقُفِّي ، ثُمَّ السَّمْعُ بْنُ مَالِكِ الْخَوْلَانِي ، ثُمَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ الْغَافِي ، ثُمَّ عَبْسَةُ بْنُ سَحِيمِ الْكَلْبِي ، ثُمَّ عُدْرَةُ
ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْفَهْرِي ، ثُمَّ يَحْيَى بْنُ سَلَمَةَ الْكَلْبِي ، ثُمَّ

(١) مدينة صغيرة قرب قرطبة اختطها عبد الرحمن الناصر بن محمد بن
عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الملك بن
مروان بن الحكم الأموي وهو يومئذ ملك تلك البلاد في سنة ٣٢٥

عُثْمَانُ بْنُ أَبِي نِسْعَةَ الْخُمَيْيُّ ، ثُمَّ حُذَيْفَةُ بْنُ الْأَخْوَصِ
 الْقَيْسِيُّ ، ثُمَّ الْهَيْثَمُ بْنُ عُيَيْدٍ الْكِلَابِيُّ ، ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ
 عَبْدِ اللَّهِ الْأَشَجِيُّ ، ثُمَّ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ قَطَنِ الْفَهْرِيُّ ،
 ثُمَّ بَلِجُ بْنُ بَشَرَ^(١) بْنِ عِيَاضٍ الْقَشِيرِيُّ ، ثُمَّ ثَعْلَبَةُ بْنُ سَلَامَةَ
 الْعَامِلِيُّ ، ثُمَّ أَبُو الْخَطَّارِ حُسَامُ بْنُ ضَرَّارٍ الْكَلْبِيُّ^(٢) ، ثُمَّ
 ثَوَابَةُ بْنُ سَلَامَةَ الْجَذَامِيُّ ، ثُمَّ يُوسُفُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
 الْفَهْرِيُّ . وَهَهُنَا أُنْتَهَى الْوَلَاةُ الَّذِينَ مَلَكَوا الْأَنْدَلُسَ مِنْ
 غَيْرِ مُوَارَثَةٍ أَفْرَادًا ، عَدَدُهُمْ عِشْرُونَ فِيمَا ذَكَرَ ابْنُ سَعِيدٍ ،
 وَلَمْ يَتَعَدَّوا فِي السَّمَةِ لَفْظَ الْأَمِيرِ . قَالَ ابْنُ حَيَّانَ : مُدَّتْهُمْ
 مِنْذُ تَارِيخِ الْفَتْحِ - مِنْ لُذْرِيْقَ سُلْطَانِ الْأَنْدَلُسِ التَّصْرَانِيَّ
 وَهُوَ يَوْمُ الْأَحَدِ لِخَمْسٍ خَلَوْنَ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ
 وَتِسْعِينَ إِلَى يَوْمِ الْهَزِيمَةِ عَلَى يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
 الْفَهْرِيِّ ، وَتَغَلَّبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْمَرْوَانِيُّ عَلَى سَرِيرِ

(١) كذا بالأصل ، وابن عياض القشيري هو كلثوم بن عياض والى
 افريقية من قبل هشام بن عبد الملك ، ولها سنة ١٢٣ وقتلة البربر سنة ١٢٤
 وتقدم في صفحة ١٣٥ مانصه : ثم دخل بلج بن بشر القشيري بجند الشام
 ناجيامن وقعة كلثوم بن عياض . فليحذر (٢) في بعض المراجع القيسى

الْمَلِكِ قُرْطُبَةَ ، وَهُوَ يَوْمُ الْأَضْحَى لِعَشْرِ خَلَوْنَ مِنْ ذِي
الْحِجَّةِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ - سِتُّ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً وَخَمْسَةً
أَيَّامٍ . اُنْتَهَى .

* *

ثُمَّ كَانَتْ دَوْلَةُ بَنِي أُمَيَّةَ ؛ أَوَّلُهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ
مُعَاوِيَةَ بْنِ هِشَامٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، ثُمَّ ابْنُهُ هِشَامُ الرَّضِيُّ ،
ثُمَّ ابْنُهُ الْحَكَمُ بْنُ هِشَامٍ ، ثُمَّ ابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطُ
ثُمَّ ابْنُهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، ثُمَّ ابْنُهُ الْمُنْذِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ،
ثُمَّ أَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ ، ثُمَّ ابْنُ ابْنِهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
النَّاصِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، ثُمَّ ابْنُهُ الْحَكَمُ الْمُسْتَنْصِرُ
- وَكَرْسِيَهُمَا الزَّهْرَاءُ - ، ثُمَّ هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ - وَفِي أَيَّامِهِ
بَنَى حَاجِبُهُ الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ الزَّاهِرَةَ - ، ثُمَّ الْمَهْدِيُّ
مُحَمَّدُ بْنُ هِشَامٍ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ النَّاصِرِ ، وَهُوَ أَوَّلُ
خُلَفَاءِ الْفِثْنَةِ ، وَهَدُمَتْ فِي أَيَّامِهِ الزَّهْرَاءُ وَالزَّاهِرَةُ ، وَعَادَ
السَّرِيرُ إِلَى قُرْطُبَةَ . ثُمَّ الْمُسْتَعِينُ سُلَيْمَانُ بْنُ الْحَكَمِ بْنِ
سُلَيْمَانَ بْنِ النَّاصِرِ .

ملوك بني أمية
وكراسيهم



ثُمَّ تَخَلَّتْ دَوْلَةُ بَنِي حَمُودِ الْمَلَوِيِّينَ ، وَأَوَّلُهُمُ النَّاصِرُ
عَلِيُّ بْنُ حَمُودِ الْمَلَوِيِّ الْأَذْرَبِيِّ ، ثُمَّ أَخُوهُ الْمَأْمُونُ
الْقَاسِمُ بْنُ حَمُودٍ . ثُمَّ كَانَتْ دَوْلَةُ بَنِي أُمَيَّةِ الثَّانِيَةِ ،
وَأَوَّلُهَا الْمُسْتَظْهَرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ هِشَامٍ بْنُ عَبْدِ
الْجَبَّارِ بْنِ النَّاصِرِ ، ثُمَّ الْمُسْتَكْنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
أَبْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، ثُمَّ الْمُعْتَمِدُ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ
أَبْنِ النَّاصِرِ ، وَهُوَ آخِرُ خُلَفَاءِ الْجَمَاعَةِ بِالْأَنْدَلُسِ ؛ وَحِينَ
خَلَعَ اسْقَطَ مُلُوكُ الْأَنْدَلُسِ الدَّعْوَةَ لِلْخِلَافَةِ الْمَرْوَانِيَّةِ ،
وَأَسْتَبَدَّتْ مُلُوكُ الطَّوَائِفِ كَأَنَّ جَهْرًا فِي قُرْبَةِ ، وَأَبْنِ
عَبَادٍ بِإِشْبِيلِيَّةِ ، وَغَيْرِهِمَا ، وَلَمْ يَعُدْ نِظَامُ الْأَنْدَلُسِ إِلَى شَخْصٍ
وَاحِدٍ ، إِلَى أَنْ مَلَكَهَا يُوسُفُ بْنُ تَاشَفِينَ الْمَلَكُ مِنْ بَرٍّ
الْمُدَوَّةِ ، وَفَتَكَ فِي مُلُوكِ الطَّوَائِفِ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ مَا خَلَصَتْ لَهُ
وَلَا لَوْلَاهُ عَلِيُّ بْنُ يُوسُفَ ، لِأَنَّ بَنِي هُودٍ نَازَعُوهُ فِي شَرْفِهَا
بِالنَّغَرِ ، إِلَى أَنْ جَاءَتْ دَوْلَةُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَبَنِيهِ ، فَمَا صَفَتْ

دولة بني حمود
وبني أمية الثانية

لِعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْدَنِشَ الَّذِي كَانَ يُنَازِعُهُ فِي
 شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ ، ثُمَّ صَفَتَ لِيُوسُفَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِمَوْتِ
 ابْنِ مَرْدَنِشَ ، ثُمَّ لَمِنَ بَعْدَهُ مِنْ بَنِيهِ ، وَحَضَرَهُمْ مَرَاكُشُ .
 وَكَانَتْ وَلَاهَتُهُمْ تَرَدَّدُ عَلَى الْأَنْدَلُسِ وَمَمَالِكِهَا ، وَلَمْ
 يُؤُولُوا عَلَى جَمِيعِهَا شَخْصًا وَاحِدًا لِعِظَمِ مَمَالِكِهَا ، إِلَى أَنْ
 انْقَرَضَتْ مِنْهَا دَوْلَتُهُمْ بِالْمَتَوَكِّلِ مُحَمَّدِ بْنِ هُوْدٍ مِنْ
 بَنِي هُوْدٍ مُلُوكِ سَرْقُسْطَةَ وَجِهَاتِهَا ، فَفَلَكَ مُعْظَمُ الْأَنْدَلُسِ
 بِحَيْثُ يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ السُّلْطَانِ ، وَلَمْ يُنَازِعْهُ فِيهَا إِلَّا
 زِيَانُ بْنُ مَرْدَنِشَ فِي بَلَنْسِيَّةٍ مِنْ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ ،
 وَابْنُ هِلَالَةٍ فِي طَبِيرَةِ (١) مِنْ غَرْبِ الْأَنْدَلُسِ ، ثُمَّ كَثُرَتْ
 عَلَيْهِ الْخَوَارِجُ قَرِيبَ مَوْتِهِ ، وَلَمَّا قَتَلَهُ وَزِيرُهُ ابْنُ الْأَرْمِينِيِّ
 بِالْمَرْيَةِ زَادَ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ مَلَكَ بَنُو الْأَحْمَرِ . وَكَانَ

(١) هي مدينة بغرب الاندلس (من بلاد البرتغال التي منها لشبونة
 وشتيرين وفلمبرية) ومن طابيرة أبو بكر محمد بن مفضل بن حسن بن عبد
 الرحمن بن محمد بن مهيب اللخمي أصله من طابيرة وولد بأبويله سنة
 ٥٨١ وسكن الريه وولى الخطبة بها وكان أدبيا شاعرا . صالحا وتوفى بمدينة
 سبتة سنة ٦٤٥ : «نجاشي»

غَرَبُ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ فِي الْمِائَةِ السَّابِعَةِ يَخْطُبُونَ
لِمَصَاحِبِ إِفْرِيقِيَّةِ السُّلْطَانِ أَبِي زَكْرِيَّا يَحْيَى بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ
عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَبِي حَفْصٍ ، ثُمَّ تَقَلَّصَتْ ^(١) تِلْكَ الظُّلَالُ ،
وَدَخَلَ الْجَزِيرَةَ الْإِنْحِلَالُ ، إِلَى أَنْ أُسْتَوَلَى عَلَيْهَا حِزْبُ
الضَّلَالِ ، وَاللَّهُ وَارِثُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَهُوَ خَيْرُ
الْوَارِثِينَ . وَقَدْ ذَكَرْتُ فِي هَذَا الْكِتَابِ جُمْلَةً
مِنْ أَخْبَارِ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ مِمَّا يَصْلُحُ لِلْمُذَاكَرَةِ ، وَرُبَّمَا
سَرَحْتُ ^(٢) طَرَفَ الْقَلَمِ فِي بَعْضِهِمْ .

(١) تقلص : انقبض ، انزوى ، ونقص ، وذهب . وقلصوا عن الدار : خفوا

(٢) سرحت طرف القلم . أرسلته وتركته له العنان

* ترجمه له فی کتاب المغرب فی حلی المغرب « ج ١ ص ٤١ » بما یأتی

« الوزير أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور بن عبيد الله بن محمد

الغمر بن يحيى بن عبد الغافر بن أبي عبدة الكلبي مولى بني أمية

كان من وزراء الدولة العامرية ، قديم الرئاسة ، موصوفاً بالدهاء والسياسة

ولم يغير أمر توجيهه للملكة ، حتى أنه بقي يؤذن على باب مسجده ، ولم

يتحول عن داره ، وأحسن ترتيب الجند ، فتمشت دولته ، وكان حرماً

يلجأ إليه كل خائف ومخلوع عن ملكه إلى أن مات في صفر سنة خمس

وثلاثين وأربعمائة ، فولى بعده ابنه .

قلت : وأبوه محمد بن جهور كان من أهل الأدب والشعر ومن بيت

وزارة واجلال ومن شعره :



وَبَنُو جَهْوَرٍ الْمُشَارُ إِلَيْهِمْ قَرِيبًا كَانُوا وَزَرَاءَ الْأُمَوِيِّينَ، الوزير أبو الحزم
 سَمَّيْنَاهُ إِنَّهُ لَمَّا أَتَتْهُ سِلْكُ الْخِلَافَةِ اسْتَبَدَّ بِقُرْطَبَةَ الْوَزِيرِ
 أَبُو الْحَزْمِ * بَنُو جَهْوَرٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَعَدَّى اسْمَ الْوِزَارَةِ .
 قَالَ فِي الْمَطْمَحِ : الْوَزِيرُ الْأَجَلُ جَهْوَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ

أبلغت في حبيك أسماعى فصرت لأصغى إلى الداعى
 من صمم أورثنيه الأسمى وحرقة تشعل أوجاعى
 كلفتنى الصبر وأنى به وكيف بالصبر للتساع ؟
 جزعت في الحب على أنى في الخطب جلد غير مجزع
 وابنه أبو الوليد محمد بن جهور بن محمد بن جهور بن عبيد الله الخ، كان
 كثير العناية بالعلم والاهتمام به، وسماعه من الشيوخ ورأيتهم، وكان حافظا
 للقرآن الكريم مجودا لحروفه كثير التلاوة له، ولما كان يتولاه أبوه قبله
 وحذا حذوه في السياسة وحسن التدبير غير محمل بشئ من ذلك، وتوفي بمدينة
 سلطيش معتقلا بها من قبل للتمند على الله محمد بن عباد في ١٥ شوال
 سنة ٤٤٣ .

وهناك أبو مروان عبد الملك بن جهور : كان وزيرا جليلا وشاعرا
 أديبا وكاتبا مجيدا وكان في أيام عبد الرحمن الناصر، وبما ينسب إليه
 ان كانت الأبدان نائية فنفس أهل الطرف تألف
 يارب مقترفين قد جمعت قلبيهما الأقلام والصحف
 ومن شعره رجع كتاب ورد إليه يصفه ويذكر شوقه :

أنا في كتاب منك أحلى من اللبى وأعذب من وصل محابة الصد
 فجدد لى شوقا إليك مذكرا فأذكرى الذى فى القلب من لوعة الوجد
 جوانى على أضعاف ما قد وصفته لديك من الشوق للبرج والجهد
 خدوا أنى أقوى أطير صباية جعلت جوانى نحو أرضكم قصدى
 (٢٠ - نفع الطيب - ثان)

جَهْوَرٍ ، أَهْلُ يَنْتِ وَزَارَةِ ، اُسْتَهَرُوا كَاشِهَارِ ابْنِ هُبَيْرَةَ ^(١)
فِي فَزَارَةِ ، وَأَبُو الْحَزْمِ أَجْدُهُمْ فِي الْمَكْرُمَاتِ ، وَأَنْجَدُهُمْ
فِي الْمِلَمَاتِ ^(٢) ، رَكِبَ مَتُونٌ ^(٣) الْفُنُونِ فَرَاضَهَا ^(٤) ، وَوَقَعَ

عليك سلام من محب متيم يراك بعين القلب في القرب والبعد
« أحمد نجاني »

(١) هو أبو خالد يزيد بن عمر بن هبيرة بن معة بن سكن بن خديج بن
بغيس بن مالك بن سعد بن عدى بن فزارة. كان من ولاية العراق وجمع له
للممران الكوفة والبصرة ، وولى قنسرين للوليد بن يزيد بن عبد الملك. وفي
سنة ١٢٨ وجه مروان بن محمد يزيد والبايعي العراق لحرب من بها من
الخوارج ، ثم استظهرت عليه جيوش خراسان الداعية لبني العباس سنة
١٣٢ فهزمت عسكره ، وظهر أمر بني العباس وقويت شوكتهم وأدبرت دولة
بني مروان ، ولحق يزيد بمدينة واسط فتحصن بها فوجه اليه السفاح أخاه
المنصور لحربه وحصر يزيد بواسط شهورا ثم أمنه وافتتح البلد صلحا
وجرت السفارة بينهما حتى كتب له المنصور أمانا وأمضاء السفاح له ، وكان
رأى أبي جعفر المنصور الوفاء له بما أعطاه ، غير أن أبا مسلم الخراساني
خوف السفاح منه وأوغر صدره عليه فألح على أخيه للمنصور في قتله واشتد في
ذلك ، فقتل رحمه الله . وكان يزيد شجاعا مكرما كريما حازما مدبرا مهيبا
الطلعة مرهوب الجانب . وقد رثاه أبو عطاء السندی بقوله :

الا ان عينا لم نجد يوم واسط عليك بجارى دمعا لجمود
عشية قام النائمات وشققت جيوب بأيدي ماتم وخدود
فان تمس مهجور الفناء فرما أقام به بعد الوفود وفود
وانك لم تبعد على متهد بل كل من تحت التراب بعيد

(٢) للمات : للصاب والحوادث النازلة وأنجدهم : أشجعهم (٣) متون : جمع
متن وهو الظهر ، والمراد تمكن منها . وقد تكون (الفنون) محرفة عن
(الفنون) أو (الفن) وهو أظهر فيكون معنى العبارة أنه قهرها واستولى
عليها وذلل صعبها (٤) راضها : ذللها وسهلها

فِي بُحُورِ الْمَحَنِ^(١) فَخَاضَهَا ، مُنْبَسِطٌ غَيْرُ مُنْكَمِشٍ ،
لَا طَائِشٌ^(٢) أَلْسَانٍ وَلَا رَعِشٌ ، وَقَدْ كَانَ وَزَرَ^(٣) فِي
الدَّوْلَةِ الْعَامِرِيَّةِ فَشَرُفَتْ بِجَلَالِهِ ، وَأَعْتَرَفَتْ بِاسْتِقْلَالِهِ^(٤) ،
فَلَمَّا انْقَرَضَتْ ، وَعَاقَتْ الْفِتْنُ وَأَعْتَرَضَتْ ، تَحِيْزٌ^(٥) عَنِ
التَّدْيِيرِ مُدَّتْهَا ، وَخَلَّى لِخِلَافِهِ^(٦) أَعْبَاءُ^(٧) الْخِلَافَةِ وَشِدَّتْهَا ،
وَجَعَلَ يُقْبَلُ مَعَ أَوْلِيَاكَ الْوُزَرَ أَوْ يُذَرُّ ، وَيُذَرُّ الْأَمْرُ مَعَهُمْ وَيُذَرُّ ،
غَيْرُ مُظْهِرٍ لِلْإِنْفِرَادِ ، وَلَا مُتَصَرِّفٍ^(٨) فِي مِيدَانِ ذَلِكَ الطَّرَادِ ،

(١) الحن : البلايا (٢) الطائش : الاهوج ، والرعى : المتلجلج ، يصفه
بسداد القول وصوابه وتجنبه هجر القول ، و بالشجاعة والجرأة . ويقال فلان
رعش اليدين : أى جبان . وهو سبط الباع واللسان : أى قوى قادر بليغ .
انبسط الى الناس : هس اليهم وأحسن لقاءهم . ونكمش الجلد وانكمش :
تقبض واجتمع (٣) يقال : استوزره فتوزرله ، ووزر فلان للامير يزر
وزارة . وقد تكون (بجلا له) محرفة عن (بخلاله) (٤) استقل الشئ : حمله
ورفعه ، واستقل الطائر في طيرانه : نهض وارتفع في الهواء حلقا ،
والاستقلال بالامر : الاستبداد به والانفراد ، يقال : هو مستقل
بنفسه أى ضابط لأمره ، وهو لا يستقل بكذا أى لا يطيقه ولا يقوى عليه
(٥) تحيز : تمنحى وابتعد (٦) فى للطبع أخلافه ، وهو جمع خلف
(٧) أعباء : أحمال ومهمات وأثقال (٨) فى للطبع ولا مقصر ، وهو الظاهر
للحنى والسياق وللزدواج فى السجع . والطاردمطاردة الاقران والفرسان
وحمل بعضهم على بعض فى الحرب وغيرها

إِلَى أَنْ بَلَغَتْ الْفِتْنَةُ مَدَاهَا، وَسَوَّغَتْ^(١) مَا شَاءَتْ رَدَاهَا ،
وَذَهَبَ مَنْ كَانَ يَحِدُّ^(٢) فِي الرِّيَاسَةِ وَيَحْبُ^(٣) ، وَيَسْعَى فِي
الْفِتْنَةِ وَيَدِبُ ، وَلَمَّا أَرْتَفَعَ الْوَبَالُ^(٤) ، وَأَذْبَرَ ذَلِكَ الْإِقْبَالَ ،
رَاسَلَ^(٥) أَهْلَ التَّقْوَى مُسْتَمِدًّا بِهِمْ ، وَمُعْتَمِدًا عَلَى بَعْضِهِمْ ،
تَحِيلاً مِنْهُ وَتَمْوِيهَاً^(٦) ، وَتَدَاهِيَاً^(٧) عَلَى أَهْلِ الْخِلَافَةِ وَذَوِيهَا
وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ تَقْدِيمَ الْمُعْتَمِدِ هِشَامٍ ، وَأَوْمَضَ^(٨) مِنْهُ

(١) سوغت أو (بالبناء للجهول) : أجازت ، وسوغه جوزه ، وسوغه له كذا : أعطاه إياه . وسوغه الشيء : أذن له في تناوله ، وسوغ له ما أصاب : أجاز له .
ويقال : أسغى لي غصتي ، أي أمهلني ولا تعجلني (٢) في الطمع يحد وهو مضارع
وخذ كوعده ، أي أسرع ، ووخذ الفرس : ضرب من سيره) وهو أنسب بالفعل بعده
(يحب) (٣) الحُب ضرب من العدو والاسراع في الشيء وخب الثبات : طال وارتفع
وفلان يحب في الفتنه ويوضع . وخب يحب خبا بالكسر فهو خب (بالكسر
والفتح) اذا خدع وسعى بين الناس بالفساد ، والحب : الخداع الخبيث
المنكر للفسد (٤) الوبال : الشدة والثقل والمكروه والعذاب (٥) كانت
بالأصل (رأى) وفي الطمع (راسل) وهو الصواب (٦) من المجاز موه الحديث
اذا خرفه وزوره ونمقه ليخدع به ، وموه عليه الخبر اذا أخبره بخلاف ما سأله
والتمويه : التلبيس ، وموه باطله اذا زينه وأراه في صورة الحق ، والأصل فيه
موه الشيء اذا طلاه بفضة أو ذهب وتحتته شبه أو نحاس أو حديد (٧) من
الدهاء وهو النكر والمكر وجودة الرأي ، وفلان داهية أي منكر بصير
بالأمور - وداهاه : أصابه بداهية (٨) أو مض البرق : لمع لما خفيفا

لِأَهْلِ قُرْطُبَةَ بَرَقَ خُلْبٌ^(١) يُشَامُ^(٢)، بَعْدَ سُرْعَةِ آتِيَانِهَا^(٣)،
وَتَعْجِيلِ انْتِكَاسِهَا^(٤)، فَأَنَابُوا^(٥) إِلَى الْإِجَابَةِ، وَأَجَابُوا إِلَى
أَسْتِرْعَائِهِ^(٦) الْوَزَارَةَ وَالْحِجَابَةَ، وَتَوَجَّهُوا مَعَ ذَلِكَ الْإِمَامِ،
وَأَلْمُوا بِقُرْطُبَةَ أَحْسَنَ إِمَامٍ، فَدَخَلُوهَا بَعْدَ قَتْلِ كَثِيرَةٍ،
وَأُضْطَرَّابَاتٍ مُسْتَيْثِرَةٍ، وَالْبَلَدُ مُقْفَرٌ^(٧)، وَالْجُلْدُ مُسْفِرٌ^(٨)،

(١) في اللطمح خلافة، وهي الخداع، أو الخديعة باللسان، وخبث عقله،
وخبثته عقله إذا سلبت إياه، وبرق خلب: لاغيث معه (٢) يشام: ينظر إليه
(٣) الالتياث: الالتباس والاختلاط وصعوبة الأمر وشدة (٤) انتكاسها:
انتفاضها (٥) أنابوا: رجعوا (٦) استرعاه الشيء: استحفظه إياه، ومنه
المثل: من استرعى الذئب فقد ظلم، أي من اتهمن خائفا فقد وضع
الامانة في غير موضعها (٧) مقفر: خال من الناس (٨) الجلد
الأرض الصلبة المستوية للثمن. والجلد أيضا الشدة والقوة والصبر والصلابة.
ولعل كلمة مسفر هنا من السفر وهو الكنس والكشط والازالة، ويقال
سفرت الريح الغيم عن وجه السماء سفرا: كسطته وفرقه فانسفر وزال،
وسفرت التراب: ذهبت به كل مذهب، ومن ذلك قول أبي صخر الهذلي
للبيلى بذات البين دار عرفتها وأخرى بذات الجيش آياتها سفر
قال السكري: درست فصارت رسومها أغفالا، وقال ابن جني: ينبغي أن
يكون السفر من قولهم سفر البيت: كنسه، فكأنه كنست الكتابة من
الطرس. وأسفر الصبح: أضاء وأشرق لونه، وسفرت المرأة إذا كشفت عن
وجهها النقاب. وأسفرت الشجرة: صار ورقها سفيرا تسقطه الرياح،
وذلك إذا تغير لونه وأبيض، وأسفرت الحرب: اشتدت، فالفرض هنا وصف
البلد والأرض بالحوين يمكن مشاركته في الرياسة حتى صار خلاه من الرؤساء
والكبار، وأن الصبر قد نفذ والقوة زالت

فَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ يَسِيرٍ حَتَّى حِيدَ ^(١) وَأَضْطَرَبَ أَمْرُهُ فَخُلِعَ ،
وَأَخْطِطَ مِنَ الْمَلِكِ وَأَنْزِعَ ، وَأَقْرَضَتِ الدَّوْلَةُ الْأُمَوِيَّةُ
وَأَرْتَقَتِ الدَّوْلَةُ الْعُلَوِيَّةُ ،

وَأَسْتَوَى عَلَى قُرْطَبَةَ عِنْدَ ذَلِكَ أَبُو الْحَزْمِ ، وَدَبَّرَ
أَمْرَهَا بِالْجِدِّ وَالْعَزْمِ ، وَضَبَطَهَا ضَبْطًا أَمَّنَ خَائِفَهَا ،
وَرَفَعَ طَارِقَ تِلْكَ الْفِتْنَةِ وَطَائِفَهَا ، وَخَلَا لَهُ أَلْجُو فَطَارَ ،
وَقَضَى اللَّبَانَاتِ ^(٢) وَالْأَوْطَارَ ، فَعَادَتْ لَهُ قُرْطَبَةُ إِلَى
أَكْمَلِ حَالِهَا ، وَأُنْجِلَى بِهِ نُورُ جَلَالَتِهَا ، وَلَمْ تَزَلْ بِهِ
مُشْرِقَةً ، وَغُصُونُ الْأَمَالِ فِيهَا مُورِقَةً ، إِلَى أَنْ تُوُفِيَ
سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِينَ ، فَانْقَلَبَ الْأَمْرُ إِلَى ابْنِهِ
أَبِي الْوَلِيدِ ، وَأَشْتَمَلَ مِنْهُ عَلَى طَارِفٍ وَتَلِيدٍ ^(٣) ،

استيلاء أبي
الحزم على قرطبة

ويبدو لي أن الأولى أن تكون كلمة (مسفر) محرفة عن (مصرف) بالصاد -
وصفر الاثنا، واللسان (كفرج) اذا خلا فهو صفر. والصفر: الشيء الخالي ،
وأصفر الرجل اذا افتقر وخلت يده من المال فكانت صفرا . وأصفر البيت
وصفره : أخلاه . وكل هذا من جنابة السجع والتقصدي ترصيعه والتجنيس
فيه. وقد شغف ذلك كتاب هذا العصر حتى القوع عليه أرواقهم «أحمد نجاشي»
(١) في الطمع (جبذ) أى جنب وقد تكون محرفة عن (ضير) أى
أوذى لتكون مع يسير قبلها فقرتى سجع (٢) اللبانات: الحاجات والأغراض
(٣) الطارف : الجديد ، والتليد : القديم ، والفرض أنه ولي الأمر كله



وَكَانَ لِأَيِّ الْحَزْمِ ، أَدَبٌ وَوَقَارٌ وَحِلْمٌ ، سَارَتْ بِهِ الْأَمْثَالُ أَدَبُ أَبِي الْحَزْمِ
وَعُدِمَ فِيهَا الْمِثَالُ ، وَقَدْ أَثْبَتَ مِنْ شِعْرِهِ مَا هُوَ لَائِقٌ ، وَفِي
سَمَاءِ الْحُسْنِ رَائِقٌ ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي تَفْضِيلِ الْوَرْدِ :
الْوَرْدُ أَحْسَنُ مَا رَأَتْ عَيْنٌ وَأَزَّ

كَيْ (١) مَا سَقَى مَاءَ السَّحَابِ الْجَائِدُ (٢)
خَضَعَتْ نَوَاوِيرُ (٣) الرِّيَاضِ لِحُسْنِهِ
فَتَذَلَّتْ تَتَقَادُ وَهِيَ شَوَارِدُ (٤)
وَإِذَا تَبَدَّى الْفُضْنُ (٥) فِي أَغْصَانِهِ
يَزْهُو (٦) فَذَا مَيِّتٌ وَهَذَا حَامِدٌ

(١) زكا النبات : نماوراع ، وزكا : تنعم وكان في خصب ، وزكا الرجل :
صلح - ، وذكا المسك ذكاه فهو ذكي وذلك : ساطع ريحه ، وأصل الذكاه
في الريح شدتها من طيب أو غيره ، وخصه العرف بالطيبة (٢) السحاب
الجائد : الغزير للطر (٣) نواوير جمع نورة : الزهرة ، والنور : الزهر
أو الأبيض منه (٤) شوارد : متفرقة ، وشردت الدابة : نفرت
واستعصت وذهبت على وجهها (٥) كذا بالأصل ولعلها الغض صفة
للورد ، والنض والفضيض : الحديث ، والثر أول ما يبدو ، والطلع الناعم
حين يظهر ، والطرى الناضر من كل شيء ، والطرف الفضيض : الفاتر ،
والغضة من النساء : الرقيقة الجلد الظاهرة الدم ، وكل ناضر غض نحو
الشباب وغيره - وفي اللطمح (الورد) وهو أظهر (٦) الزهو : النظر
الحسن ، والنبات الناضر ، وهز الريح النبات غب التندى ، والكبر

وَإِذَا أَنَّى وَفَدُ الرِّيعِ مُبَشِّرًا
 بِطُلُوعِ وَفْدَتِهِ فَنِعَمَ الْوَافِدُ
 لَيْسَ الْمُبَشِّرُ كَالْمُبَشَّرِ بِاسْمِهِ
 خَبَرٌ عَلَيْهِ مِنَ النُّبُوَّةِ شَاهِدُ
 وَإِذَا تَعَرَّى الْوَرْدُ مِنْ أَوْرَاقِهِ
 بَقِيَتْ عَوَافِقُهُ ^(١) فَهِنَّ خَوَالِدُ
 أَتَتْهُ الْقَصُودُ مِنْهُ . وَكَأَنَّهُ عَارِضَ هَذِهِ الْأَيَّامِ
 فِي تَقْضِيلِ الْوَرْدِ قَوْلَ ابْنِ الرُّومِيِّ فِي تَقْضِيلِ النَّرْجِسِ
 عَلَيْهِ مِنْ قَصِيدَةٍ :

والتيه والمظمة والفخر ، ورجل مزهو : معجب بنفسه ، وزها النبات : طلعت
 ثمرته ، وزها الطل النور : زاده حسن منظر . وشي زاهي اللون : مشرقه
 والزهوة : يريق أي لون كان . وزها الزرع : زكا ونما ، وفي بعض المراجع
 (ذلت) بدل يزهو فالضمير راجع إلى أنوار الرياض في البيت قبله كما
 يروى (بطالع صفحته) بدل وفدته في البيت بعده (١) جمع عارفة وهي
 المعروف ، يقال : أولاه عارفة أي معروف ، والعرف الجود واسم ما ينزل
 ويعطى من الصنائع . والعرف : الريح مطلقا ، وأكثر استعماله في الطيبة
 كقول مسلم بن الوليد :

ثناء كعرف الطيب يهدي لأهله وليس له إلا بني خالد أهل
 وعرف الرجل عرافة : طابت ريحه وذكت .

لِلنَّرْجَسِ الْفَضْلُ الْأَمِينُ وَإِنْ أَبَى

آبٍ وَحَادَ عَنِ الْحَقِيقَةِ حَائِدٌ^(١)

وَهِيَ مَشْهُورَةٌ . وَرَدَّ عَلَى ابْنِ الرُّومِيِّ بَعْضُهُمْ^(٢)

بِقَوْلِهِ :

(١) أول هذه الأبيات :

خجلت خدود الورد من تفضيله خجلا توردها عليه شاهد
للنرجس الفضل للبين اذا بدا بين الرياض طريفه والتالد الخ
وكان ابن الرومي متعصبا للنرجس كثير الدم للورد ، وقد ناقضه جماعة
من البغداديين وغيرهم في هذا المذهب وذهبوا الى تفضيل الورد فما دانوه
وما استطاعوه . وكان كسرى أنوشروان مستهترا بالنرجس وكان يقول :
هو ياقوت أصفر بين درأبيض على زمرد أخضر . ونسبه العميون بالنرجس
لذبوله كما قال ابن المعتز :

وسنان قد خدع الناس جفونه فحكى بمقلته ذبول النرجس
أوفى الشكل دون اللون كقول أبي نواس :

لدى نرجس غض القطاف كأنه اذا ما منحناه العميون عيون
مخالفة في شكله فصرة مكان سواد واليباض جفون
(٢) هو أحمد بن يونس الكاتب وروى (راقد) بدل فاسد
وقد حكم بينهما فضل سعيد بن هاشم الخالدي فقال :

منحت النرجس البلدي ودى ومالى باجتباب الورد طافه
كلا الأخوين معشوق وانى أرى التفضيل بينهما حماقه
هما فى عسكر الأزهار هذا مقدمة يسير وذاك ساقه

يَا مَنْ يُشَبِّهُ نَزْجَسًا بِنَوَاطِرٍ

دُعْجٍ ^(١) تَنْبَهْ إِنْ فَهَمَكَ فَاسِدٌ

النج . وهى أيضا مشهورة

« رَجِعْ إِلَى مَا كُنَّا فِيهِ » وَكَانَتْ لِأَهْلِ الْأَنْدَلُسِ

بَيْنَ زَمَانِ الْفَتْحِ وَمَا بَعْدَهُ وَقَالُوا فِي الْكُفَّارِ شَفَتِ الصُّدُورَ

مِنْ أَمْرَاضِهَا ، وَوَقَّتِ النُّفُوسَ بِأَعْرَاضِهَا ، وَأُسْتَوَلَتْ عَلَى

مَا كَانَ لِمِلَّةِ الْكُفْرِ مِنْ جَوَاهِرِهَا وَأَعْرَاضِهَا ، ثُمَّ وَقَعَ

الْإِخْتِلَافُ ، بَعْدَ ذَلِكَ الْإِتِّلَافِ ، فَعَصَفَتْ رِيحُ الْعَدُوِّ

وَالْخُرُوبُ سِجَالٌ ^(٢) ، وَأَعْيَا ^(٣) الْعِلَاجُ حُكَمَاءَ الرِّجَالِ ،

فَصَارَ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ يَتَذَكَّرُونَ مُوسَى بْنَ نَصِيرٍ وَطَارِقَ ،

وَمَنْ بَعْدَهُمَا مِنْ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ الَّذِينَ رَاعَتِ ^(٤) الْعَدُوُّ

الْكَافِرَ مِنْهُمْ طَوَارِقٌ ^(٥) .

(١) دعج : شديدة السواد مع سعتها (٢) سجال : نارة لهم ونارة عليهم

(٣) أعيا : أعجز (٤) أى أفرغت وخوفت (٥) أى حوادث مفاجئة ، وطرق

الباب : دق وقرعه ومنه سمي الآتى بالليل طارقا . وحذف تنوين طارق للسجع

أو اهل الاصل . زمن موسى الخ



كتاب أبي
المطرف إلى
أبي جعفر

وَمَا أَحْسَنَ مَا أَعْرَبَ الْإِمَامُ الْكَاتِبُ الْقَاضِي
أَبُو الْمُطَرِّفِ بْنُ عُثَيْرَةَ، عَمَّا يَشْمَلُ هَذَا الْمَعْنَى وَغَيْرَهُ ،
فِي كِتَابٍ بَعَثَ بِهِ إِلَى الشَّيْخِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ أُمَيَّةَ ، حِينَ حَلَّ
الرُّزْءُ بِبِلَنْسِيَّةَ ، وَهُوَ :

أَلَا أَيُّهَا الْقَلْبُ الْمُصْرَحُ^(١) بِالْوَجْدِ

أَمَّا لَكَ مِنْ بَادِي الصَّبَابَةِ مِنْ بُدٍّ؟

وَهَلْ مِنْ سُلُوقٍ يُرْتَجَى لِمَتِّمْ

لَهُ لَوْعَةٌ^(٢) الصَّادِي وَرَوْعَةٌ ذِي الصَّدِّ؟

(١) صرح بما في نفسه وصارح : أبداه وأظهره ، والنصريح تبين الأمر
وكشفه ، وفي المثل : عند التصريح تستريح . وقد تكون المصريح
محرفة عن اللبح ، من اللبح وهو الشدة والأذى والعذاب الاليم والمشقة .
و برح به اللهم والوجد تبريحا اذا جهده ونال منه . وتباريح الشوق
توهجه وشدائده (٢) اللوعة حرقه في القلب وألم يجده المرء من حب
أوهم أو مرض أو حزن ونحو ذلك ، وقد لاعه الحب : أمرضه ، والاتضاع:
الاحتراق من المم . واللاع ما يجده الانسان لولده أو حميمه من الحرقه
وشدة الحب، والروعة الخوف والفرع

يَحْنُ إِلَى نَجْدٍ وَهَيْهَاتَ حَرَمَتْ
 صُرُوفُ^(١) اللَّيَالِي أَنْ يَعُودَ إِلَى نَجْدٍ^(٢)
 فَيَجْبَلَ الرِّيَّانَ لَا رِيَّ بَعْدَ مَا
 نَدَّتْ غَيْرُ الْأَيَّامِ عَنْ ذَلِكَ الْوَرْدِ^(٣)
 وَيَا أَهْلَ وُدِّي ، وَالْحَوَادِثُ تَقْتَضِي
 خُلُوءِي عَنْ أَهْلٍ يُضَافُ إِلَى الْوُدِّ
 أَلَا مُتَعَةً^(٤) يَوْمًا بِعَارِيَةِ الْغَنَى
 فَإِنَّا نَرَاهَا كُلَّ حِينٍ إِلَى الرَّدِّ

(١) صرُوف : حوادث ونوائب (٢) مأخوذ من قول أعرابي من بني طهية « بالتصغير » .

أحن الى نجد واني لآيس طوال الليالي من فقول الى نجد
 (٣) جبل الريان في بلاد العرب ، وفيه يقول جرير :
 يا حبيذا جبل الريان من جبل وحبيذا ساكن الريان من كانا
 وحبيذا نفحات من يمانية تأتيك من قبل الريان أحيانا
 وللشريف الرضي :

أيا جبل الريان ان تعر منهم فاني سأكسوك الدموع الجواريا
 وياقرب ما أنكرتم العهد بيننا نسيتم وما استودعتم السر ناسيا
 فياليتني لم أعل نشرنا اليكم حراما ولم أهبط من الأرض واديا
 وكنتي هنا بنجد وجبل الريان وهما من البلاد العربية عن بلاد وطنه بالاندلس
 (٤) المتعة والمتاع : التمتع بالشئ والانتفاع به ، وما يبلغ به ويتزود من الزاد
 ونحوه . وأمتعته الله بكنا : أبقاه ليتمتع به فيما يحب من الانتفاع والسرور
 بمكانه ، وأطال له ذلك وملاه به

أَمِنْ بَعْدِ رُزْوٍ^(١) فِي بَلَنَسِيَّةٍ ثَوَى
 بِأَحْشَانِنَا^(٢) كَالنَّارِ مُضْمَرَةً أَلَوْقِدٍ
 يُرْجَى أَنْاسُ جُنَّةٍ^(٣) مِنْ مَصَائِبِ
 تُطَاعِنُ فِيهِمْ بِالْمُتَّقَةِ أَلْمَدِ^(٤) ؟
 أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لَهَا مِنْ مَطَالِعٍ^(٥)
 مُعَادٍ إِلَى مَا كَانَ فِيهَا مِنَ السَّعْدِ ؟
 وَهَلْ أَذْنَبَ الْأَبْنَاءُ ذَنْبَ آبَائِهِمْ
 فَصَارُوا إِلَى الْإِخْرَاجِ مِنْ جَنَّةِ الْخُلْدِ ؟

(١) الرزء : الكارثة والمصيبة (٢) جمع حنو وهو كل ما فيه اعوجاج أو شبهه من البدن كعظم الحجاج (تحت الحاجب) واللحي والضلع الخ ويقال : طوى عليه أحناء صدره ، وربما كانت محرفة عن (بأحشائنا)
 (٣) جنة : وقاية وكل ما وقى به من الدروع والسلاح (٤) ملد : جمع أملد وهو المهتز الناعم اللين المستوى القائم ، وللتقف للعدل ، وللتقفقة الملد : كناية عن الرماح (٥) مطالع الشمس والكواكب : مشارقها ، يقولون طالعه سعيد يعنون الكوكب



وصف الكتاب مَرَجَبًا بِالسَّحَابَةِ^(١) ، وَمَا أَعَارَتْ أَفُقِي مِنَ الْإِصَاءَةِ ،
وَرَدَّتْ تَسَحَّرُ النُّهْيَ^(٢) ، وَتَسَحَّبُ ذَيْلًا عَلَى السَّهْمِ^(٣) . وَهَزْ
مِنَ الْمَسَرَّةِ أَعْطَافًا ، وَتَرْدُ مِنْ نُجُومِ الْمَجَرَّةِ نِطَافًا^(٤) ،

(١) سحابة القرباس وسحايته وسحاوته: ماسحى منه أى أخذ ، وقد سحا
من القرباس إذا أخذ منه شيئاً قليلاً ، وسحا الكتاب يسحوه ويسحيه
إذا شده بسحابة (وهى ما يقشر عن ظاهره ليشد به) وسحوت القرباس
والجلد قشرت منه شيئاً رقيقاً ، وفى الاثر : « أثر بو الكتاب وسحوه من
أسفله » يصف الكاتب رسالة ألقيت إليه بمن يكتب له (٢) تسحر النهى :
أى تأخذ بالعقول وتؤثر فيها كما تشاء (٣) السها : كوكب صغير خفى الضوء
يكون مع الكوكب الاوسط من بنات نesh ، وكانوا يمتحنون به قوة
ابصارهم ، وفى المثل : أريها السها وترى القمر ، يتمثل به فى الخطأ ، وقيل فيه :
كأن سهاها عاشق بين عود فأونة يبدو وأونة ينحى
(٤) النطاف : جمع نطفة وهو اللاء الصافى قل أوكثر ، وفى الاصل (المجردة)
بدل (المجرة) محرفة ، ولطيف قول ظافر الحداد :

كأن نجوم الليل لما تبلجت توقد جمر فى خلال رماد
حكى فوق تمتد المجرة شكها فواقع تطفو فوق لجة وادى
وقول الآخر :

وكأن المجر جدول ماء نور الاقحوان فى جانبه

عَامَتِ مِنَ الظُّلْمَةِ فِي مَوْجِهَا ، ثُمَّ غَلَبَتِ الشُّهْبَ عَلَى أَوْجِهَا^(١)
 قَلْبُ الْعَقْرَبِ^(٢) يَجِبُ ، وَسَهِيلٌ^(٣) بِدَارِهِ يَحْتَجِبُ ، وَالطَّرْفُ^(٤)
 غَضِيضٌ ، وَجَنَاحُ الطَّائِرِ مَهِيضٌ^(٥) ، وَصَاحِبُ الْأَخْيَةِ^(٦)

(١) الأوج ضداً لـ بوط ، وهو من اصطلاحات المنجمين ، وهي كلمة معربة
 معناها الملو

(٢) العقرب برج في السماء ، وجب قلبه وجيباً : خفق واضطرب . وما
 قيل في العقرب :

كواكب العقرب عشرون والقلب لمن يجب من ضبطها
 وقلبها يحكي على خفقه واسطة تلعب في سمطها
 (٣) سهيل نجم يماضي يقول فيه البحري :

كان سهيلاً شخص ظمآن جانح من الليل في نهر من الماء يكرع
 وقال أبو العلاء :

وسهيل كوجنة الحب في اللون وقلب الحب في الحفقان
 (٤) الطرف كوكبان يقدمان الجبهة بين يديهما سمياً بذلك لأنهما عينا
 الأسد ينزلهما القمر وما قيل في وصف الطرف :

الطرف طرف للخليفة أشهب لا يقتفيه سلاهب وصالدم
 أجرى اللجين لسرجه ولجامه ونجومه التدرجات براجم
 وقلب العقرب الكوكب الذير الأحمر الذي وراء الأكيل وهم يستحسنونه .
 وغض طرفه : خفقه وكسره فهو غضيض (٥) يريد النسر الطائر وهو
 كوكب يشبه بالنسر الطائر ، وما قيل فيه :

وطير لا يضم له جناحاً تعالى في السماء وما يطير
 نهارة باقياً لأود فيه وليلاً يعرس اذ يسير
 وهاض العظم : كسره بعد جبر (٦) الأخبية كواكب مستديرة هي
 إحدى منازل القمر ، وقيل فيها من أبيات :

يَقْرَضُ ، وَالذَّابِحُ ^(١) عَنْ ذَيْبَحَتِهِ يُعْرِضُ ، وَرَامِحُ
السَّمَاءِ كَيْنِ ^(٢) يَحْوِيهِ السَّلَاحُ ، وَوَاقِعُ النَّسْرَيْنِ ^(٣) يُوَدُّ

وبعدا أخبية خنس قصيرات الطنب

كيجزجو البطة مع منقارها اذا انتصب

(١) سعد الذابح منزل من منازل القمر أحد السعود ، وهما كوكبان
غير يبرين بينهما قدر ذراع وفي نحر أحدهما نجم صغير لقربه منه كأنه
يذبحه فسمى لذلك ذابحا ، وقيل :

وثلاثة وسمت بسعد ذابح هو في السعود كجاذب لائنين

وسمونه بالسمتين وهو فلا يرى منه سوى السكين والحملين

والنجم الصغير هو ذبخته .

(٢) السماء كان أحدهما الأعزل والآخر الرامح ، وسمى رامحا لكوكب
صغير بين يديه يقال له راية السماء ، وسمى الآخر أعزل لأنه لاشئ بين
يديه كأنه عندهم لاسلاح معه . قال كعب بن زهير يصف نائفته :

فلما استبان الفرقدان زجرتها وهب سماك ذو سلاح وأعزل

وقال أبو العلاء :

لا تطلبن بألة لك رتبة قلم البايغ بغير حظ مغزل

سكن السماء كان السماء كلاهما هذا له رمح وهذا أعزل

وقال محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان (وكان من أفصح
المحدثين وأوصفهم للأزمنة والنجوم) من قصيدة طويلة :

وفي يمين شمالا هوا سماك عتيد

مسدد صدر رمح فيه سنان رصيد

ورامح مستعد وأعزل مستقيد

سلم ملهى الدهر هذا وذاك قرن غنيد

(٣) النسور الواقع نجم كأنه كاسر جناحيه من خلفه حيال النسور الطائر قرب بنات
شمس ، ولما كان بجذائه النسور الطائر سمي واقعا ، والنسر الواقع شامى ،

لَوْ أَنَّهُ يُخْفِيهِ الصَّبَاحُ ، بَلَاغَةُ تَقْتِنُ كُلَّ لَيْلٍ ، وَتَرَعَى
رَوْضَ كُلِّ أَدِيبٍ ، وَتَقْضَى عَلَى رَغَمِ الْعَدُوِّ مِنْ حَيْبٍ ^(١) ،
إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ ^(٢) لَسِحْرًا ، وَيَأْتِيهَا الْجَوَادُ وَجَدْنَاكَ بَحْرًا ،

والطائر حده ما بين النجوم الشامية والجمانية وهو معترض غير مستطيل ،
وهو نير ومعه كوكبان غامضان وهو بينهما وقاف كأنهما له جناحان قد
بسطهما ، وكأنه يهيم أن يطير وهو معهما معترض مصطف ولئلا يجعلوه
طائرا ، وأما الواقع فهو ثلاثة كواكب كالآثاني فكوكبان مختلفان ليسا
على هيئة النسر الطائر فهما له كالجناحين ولكنهما منضمان إليه كأنه
طائر وقع :

وانقض منهن نسر للأخريات طرود
كأنه حين أهوى لهن باز صيود
ومر آخر بهوى فقلت أين تريد؟
ميامنا لغفور والغور منه بعيد اه

هذا وقد وجه الكاتب بأسماء هذه الكواكب وجعل في كل منها تورية
ورشحها بما يناسبها ، وجعل رسالة الممدوح أرقى من هذه الأجرام العلوية
فهي تحجب منها وتعرف أنها لا تجاريها اه « أحمد نجاتي »
(١) وري بحبيب عن اسم أبي تمام الطائي حبيب بن أوس ورشح لذلك
بقوله عدو ، ويشير إلى قوله :

من كان مرعى عزمه وهمومه روض الأمانى لم يزل مهزولا
(٢) أول من قاله النبي ﷺ . وحديثه معروف ، يعني أن بعض البيان
يعمل في النفوس عمل السحر لقوة تأثيره في سامعه وسرعة قبول القلب
له ، فالبلغ يبلغ بحسن بيانه ما يبالغ الساحر بلطف حيلته في سحره .

أَدْرَيْتَ أَيَّ بُرَى ^(١) بَرَيْتَ ، وَبَأَى قَمَرٍ أَهْتَدَيْتَ لَيْلَةَ سَرَيْتَ ؟
 أَفْتَسَحْتَ بِأَيَّاتِكَ الْإِحْسَانَ ، وَلَنْظَمَتَهَا نَظْمَ الْجَمَانِ ^(٢) ،
 فَمَوَّذْتُ مَسْبَعَهَا ^(٣) بِالسَّيْعِ ، وَعَرَفْتُ مِنْهَا بَرَاعَةَ ذَلِكَ الطَّبْعِ
 ثُمَّ تَثَرْتُ عَلَى الْقِرْطَاسِ شُدُورِ ^(٤) النُّشُورِ ، بَلْ مِنْ جَوَاهِرِ ^(٥)
 النُّشُورِ ، مَا اسْتَوْقَفَ النُّظَّارَ ، وَبَهَرَاجِ ^(٦) اللَّجَيْنِ ^(٧) وَالنُّضَارِ ،

ويضرب مثلاً في استحسان للنطق وإيراد الحجة الباقية والتعجب من قوة
 أثره في النفس (١) جمع بروة وهي نحانة القلم اللبري (يقال برى القلم
 يبريه ، وقوم يقولون براه يبروه) وتسمى أيضا براية . بدأ بوصف قلم
 الكاتب ثم انبرى لوصف رسالته (٢) اللؤلؤ أو هنوات أشكال اللؤلؤ
 تعمل من فضة ، معرب (٣) في الأصل (سننها) وأرى أنها محرفة عن
 سبعتها ، يريد سبعة أبيات بدأ بها المكتوب اليه رسالته ، ثم اتبعها بشئ من
 النشور وعزز ذلك بأربعة أبيات أخرى سيذكرها الكاتب بعد «أحمدنجاني» .
 (٤) جمع شذر : قطع من الذهب تلقط من معدنه من غير اذابة ، وما يصاغ من
 الذهب فرائد يفصل بها اللؤلؤ والجوهر ويطلق أيضا على اللؤلؤ الصغار على
 التشبيه بالشذر لبياضها ، واحدته شذرة . ويقال شذر كلامه بشعر اذا فصله .
 به (على المثل) (٥) يظهر أن أصل العبارة هكذا : ثم تثرت على القِرطاس
 من شُدُورِ النُّشُورِ ، بل جواهر النحور (أو : بل من جواهر البحور) الخ
 (٦) بهرجه رده لردائه ، البهراج الباطل والردى من كل شئ ، ودرهم
 بهرج : زائف ، ومن الحجاز ، كلام بهرج ، وعمل بهرج : أي ردى غير مقبول
 كأنه طرح فلا يتنافس فيه (وهو لفظ معرب) والبهرجة أن يعمل بالشئ
 عن الجادة القاصدة الى غيرها ، وبهرج بهم الطريق اذا أخذ بهم في غير
 الحجة . ومن ذلك قول أبي محجن الثقفي لسعد بن أبي وقاص رضى الله
 عنهما : أما اذا بهرجتني فلا أثمر بها أبدا (يعني الخمر) يريد هدرتني
 باسقاط الحد عنى (٧) اللجين : الفضة ، والنضار : الذهب

وَرَأَيْتُكَ أَسْتَمَدَدْتَ وَلَكَ الْبَاغُ الْأَمْدُ^(١) ، وَأَعْرَتْ مَحَاسِنَكَ ،
وَالْعَارِيَةُ تُرَدُّ . وَجِئْتَ بِاللَّالَاءِ^(٢) تَرْوِقُ أَرْبَعَتَهَا ، وَتَحْرُسُ^(٣)
بِهَا قَعْقَعَةً^(٤) الْأَشْعَارِ وَجَمَعَتْهَا^(٥) ، فَأَدَّتْ مِنْ حُسْنِهَا
مَا يَسُرُّ ، وَاجْتَمَعَ لِمَنْ رَوَى الْقِطْعَتَيْنِ مَا نُظِمَ فِيهِمَا
وَهُوَ الذُّرُّ . وَأَجْرَيْتَ خَبَرَ الْحَادِثَةِ الَّتِي حَقَّتْ بِدَرِّ الثَّمَامِ ،
وَذَهَبَتْ بِنِصَارَةِ الْأَيَّامِ . فَيَأْمَنْ حَضَرَ يَوْمَ الْبُطْشَةِ ،
وَعُزَّى فِي أَنْسِهِ بَعْدَ تِلْكَ الْوَحْشَةِ ، أَحَقًّا إِنَّهُ دُكَّتِ
الْأَرْضُ ، وَتَرَفَ^(٦) الْمَعِينُ وَالْبَرُضُ^(٧) ، وَصَوَّحَ^(٨)

(١) الأمد : شديد الطول واستمد طلب اللدد ، واستمد : أخذ مدة من
المداد على القلم (٢) اللؤلؤ غاي الدرّة تتلأأ أي تضيء وتلمع . واللالاء أيضا
صاحب الدر وبائمه ، ويريد به هنا الانيات الاربعة كأنها عقد من
اللؤلؤ ذو أربعة سموط (٣) في الأصل تحرس وأرى أنها محرفة عن تحرس
بالحاء المعجمة . «أحمد نجاشي» (٤) قعقعة : صوت ، وحركة الشيء اليابس الصلب
مع صوت (٥) هي في الأصل صوت الرحي ، وأصوات الابل اذا اجتمعت
(٦) ترف المعين : قل الماء الجاري الذي تراه العين وغاض (٧) البرض :
الماء القليل ضد الغمر (٨) صوح الثبت وتصوح : تم يسه وجف ، أو
أصابته آفة أو حرق فليس ، وقال أبو علي البصير (الفضل بن جعفر)

لعمري أياك مانسب العلى الى كرم وفي الدنيا كريم
ولكن البلاد اذا اقشعرت وصوح نبتها رعى الهشيم

رَوْضُ الثَّنَى ، وَصَرَّحَ الْخُطْبُ وَمَا كُنَى ؟ ابْنُ لِي كَيْفَ
فُقِدَتْ رَجَاةُ الْأَخْلَامِ ^(١) ، وَعَقِدَتْ مَنَاحَةُ ^(٢) الْإِسْلَامِ ،
وَجَاءَ الْيَوْمُ الْعَسِيرُ ، وَأُوقِدَتْ نَارُ الْحُزَنِ فَلَا تَزَالُ تَسْتَعِرُ
حُلْمُ مَا نَرَى ؟ بَلْ مَا رَأَى ذَا حَالِهِ ، طُوفَانٌ يُقَالُ عِنْدَهُ
لَا عَاصِمَ ، مَنْ يُصِفُنَا مِنَ الزَّمَانِ الظَّالِمِ ، اللَّهُ بِمَا يَلْقَى
الْفُؤَادُ عَالِمٌ . يَا اللَّهَ أَيُّ نَحْوٍ ^(٣) تَنْحُو ، وَمَسْطُورٍ تُثْبِتُ وَتَمْحُو ،
وَقَدْ حُدِفَ الْأَصْلِي وَالزَّائِدُ ، وَذَهَبَتِ الصَّلَةُ وَالْعَائِدُ .
وَبَابُ التَّعَجُّبِ طَالَ ، وَحَالُ الْبَائِسِ لَا تَحْشَى الْإِنْتِقَالَ .
وَذَهَبَتْ عَلَامَةُ الرَّفْعِ ، وَفُقِدَتْ سَلَامَةُ الْجَمْعِ . وَالْمُعْتَلُ
أَعْدَى الصَّحِيحِ ، وَالْمُثَلَّثُ ^(٤) أَرْدَى الْفَصِيحِ . وَأُمْتَمَعَتْ

(١) الاخلام : العقول (٢) المناحة : موضع النوح . وكنا في مناحة فلان
أى مأتمه (٣) شرع من هنا يستعمل توجيهات نحوية ، بعد أن أكثر من
تكلف التوجيهات الفلسفية (٤) كذا بالأصل ، وأرى أنه تحريف عن :
المثلث ، والثلاثة العجمة وعدم ابانة الكلام والحجسة في للنطق . والثلاثة
البطي . في كل أمر كلما ظننت أنه قد أجابك الى القيام في حاجتك تقاعس ،
قال رؤية * لاخير في ود امرئ مثلث * يريد بالمثلث هنا الأفرنج الذين
تغلبوا على العرب وقسوا في معاملتهم (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها
ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) صدق الله العظيم . «أحمد نجاتي»

الْعُجْمَةُ مِنَ الصَّرَفِ ، وَأَمِنَتْ زِيَادَتُهَا مِنَ الْحَذَفِ . وَمَالَتْ
قَوَاعِدُ الْمِلَّةِ ، وَصِرْنَا إِلَى جَمْعِ الْقِلَّةِ . وَلِلشَّرِكِ صِيَالٌ
وَتَحْمُطٌ ^(١) ، وَلِقَرْنِهِ فِي شَرِكِهِ تَحْبُطٌ . وَقَدْ عَادَ الدِّينُ
إِلَى غُرْبَتِهِ ، وَشَرِقٌ ^(٢) الْإِسْلَامُ بِكُرْبَتِهِ ، كَأَن لَّمْ يُسْمَعْ
بِنَصْرِ ابْنِ نُصَيْرٍ ، وَطَرَقَ طَارِقُ بِكُلِّ خَيْرٍ . وَهَشَاتِ
حَنْشٍ ^(٣) وَكَيْفَ أُعْيِتِ الرُّقَى ، وَأَذَالَتْ ^(٤) بَلِيلَ السَّلِيمِ

(١) التَّحْمُطُ : التَّكْبَرُ وَالنُّعْظُ وَالْأَخْذُ وَالْقَهْرُ بَغْلَبَةٍ ، وَتَحْمُطٌ : غَضَبٌ وَنَارٌ
وَأَجْلَبٌ ، شَبَّهَ بِهِدِيرَ الْفَجَلِ ، وَتَحْمُطُ الْفَجَلِ هَدْرٌ لِلصِّيَالِ وَتَحْمُطُ الْبَحْرِ إِذَا
زَخَرَ وَالتَّطْمُ وَاضْطَرَبَتْ أَمْوَاجُهُ ، قَالَ أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ :

إِذَا مَقَرَّمْنَا ذُرَا حَدَّنَا بِهِ تَحْمُطُ فِينَا نَابَ آخِرُ مَقَرَّمِ

وَقَالَ آخَرُ :

إِذَا تَحْمُطُ جِبَارُ ثَنُوهُ إِلَى مَا يَشْتَهُونَ وَلَا يَتَنَوَّنُونَ إِنْ خَطَوْا

- (٢) شَرِقَ الْإِسْلَامُ : كَادَ أَنْ يَغْرُبَ وَيَذْهَبَ . وَأَصْلُ الشَّرِقِ النِّصْفَةُ .
(٣) يَرِيدُ حَنْشُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الصَّنَعَانِي تَوَفَّى سَنَةَ ١٠٠٠ وَسَيِّدُ كَرِهَ
بَعْدَ (٤) كَذَا بِالْأَصْلِ وَأَرَى أَنَّهَا مُحَرَّفَةٌ عَنْ أَذَالَتْ بِالْهَالِ الْمَهْمَلَةِ
مِنَ الدَّوْلَةِ فِي الْحَرْبِ وَهِيَ أَنْ تَدَالَ أَحَدَى الْفَتَنَيْنِ عَلَى الْآخَرَى
وَيَهْزِمُ أَحَدُ الْجَيْشَيْنِ الْآخَرَ ، وَالدَّوْلَةُ (بِالضَّمِّ) اتِّقَالَ النِّعْمَةُ مِنْ قَوْمٍ
إِلَى قَوْمٍ ، وَالدَّوْلَةُ اسْتِيلَاءُ وَالْغَلْبَةُ ، وَأَدَالْنَا اللَّهُ مِنْ عَدُونَا أَيْ جَعَلَ لَنَا
الدَّوْلَةَ وَالْغَلْبَةَ وَنَصَرْنَا عَلَيْهِ ، وَالسَّلِيمُ الدِّينُ سَمِيَ سَلِيمًا لِأَنَّهُمْ تَطَيَّرُوا

يَوْمَ الْمُلْتَقَى . وَلَمْ تُخْبِرْ عَنِ الْمَرْوَانِيَّةِ وَصَوَائِفِهَا^(١)
وَفَتَى مَعَاوِيَةَ وَتَعْفِيرِهِ لِلْأَوْثَانِ^(٢) وَطَوَائِفِهَا . لِلَّهِ ذَلِكَ السَّلَفُ ،
لَقَدْ طَالَ الْأَسَى عَلَيْهِمْ وَالْأَسَفَ . وَبَقِيَ الْحُكْمُ الْعَدْلُ ،
وَالرَّبُّ الَّذِي قَوْلُهُ الْفَصْلُ ، وَيَسِيْدُهُ الْفَضْلُ . رَبَّنَا أَمَرْتَ
فَعَصَيْنَا ، وَنَهَيْتَ فَمَا أَتَيْنَا ، وَمَا كَانَ ذَلِكَ جَزَاءَ إِحْسَانِكَ
إِلَيْنَا ، أَنْتَ الْعَلِيمُ بِمَا أَعْلَنَّا وَمَا أَخْفَيْنَا ، وَالْمُحِيطُ بِمَا
لَمْ نَأْتِ وَمَا أَتَيْنَا ، لَوْ أَنَّكَ فِيكَ أَخْبَيْنَا وَقَلَيْنَا^(٣) ، لَمْ

من اللدنيغ فقلبوا المعنى ، كما قالوا للفلاة مفازة تفاؤلا بالفوز والسلامة ،
ويقال : بات بليلة السليم وهو اللدنيغ والجربيع الذي أشقى على المهلكة
فلم يذق جفنه غمضا ، والرقى جمع رقية وهي العوذة التي يرقى بها صاحب
الآفة كاللدنيغ والحمل والصرع وغير ذلك ، يعني أن ذلك البطل واخوانه
قهروا أعداءهم هؤلاء فبدلوهم من نهار أنسهم وفرحهم وأيام سرورهم
ومرحهم ليالي كئيبة أطالها هم ناصب وحزن مسهد^(١) جمع صائفة وهي
غزوة الروم والفرنجية لأنهم كانوا يغزون صيفا لمكان البرد والثلج ،
ويقال : هم يغزون الصائفة ويمتارون الصائفة ، وهي الغزوة والميرة
بالصيف . هذا وقدورى الكاتب بأسماء هؤلاء الغزاة ولبح بها الى الاصل
النقول عنه والمعنى للأخوذة منه^(٢) الاوثان : الأصنام ، وقال ابن الأثير :
الفرق بين الوثن والصنم أن الوثن كل مالهجنة مصنوعة من جواهر الأرض
أو من الخشب والحجارة كصورة الآدمي تعمل وتنصب فتعبد ، والصنم
بالصورة بلاجنة ، ومنهم من لم يفرق بينهما^(٣) قلينا : أبغضنا وكرهنا

ثَرَانَا مِنَ الْفُرْقَةِ مَا رَأَيْنَا ، وَلَمْ تُسَلِّطْ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّنَا عَلَيْنَا ،
لَكِنْ أَنْتَ أَرْحَمُ مِنْ أَنْ تُؤَاخِذَنَا بِمَا جَعَلْنَا ، وَأَكْرَمُ
مِنَ الْآلَاءِ تَهَبْ حُقُوقَكَ إِلَيْنَا . وَأَشْرَتْ أَيُّهَا الْأَخُ الْكَرِيمُ
إِلَى اسْتِرَاحَةٍ إِلَيَّ ، وَتَنَدَّيْ^(١) بِمَا لَدَيَّ ، لِتُبْرِدَ - كَمَا زَعَمْتَ -
حَرَّ نَفْسٍ ، وَتَقْدَحَ زِنَادَ قَبَسٍ^(٢) ، وَهَيَّاتِ صِلْدَ^(٣) الزَّيْنُدِ ،
وَذَوَى الْعَرَارِ^(٤) . وَالزَّيْنُدُ . وَأَقْشَعَ الشُّبُوبُ^(٥) ، وَرَكَدَ^(٦)

(١) تنسم النسيم اذا تشممه كتشمم العليل والحزون اياه فيجدان لذلك
خفة وراحة ويحسان هزة وفرحا ، وتنسم المكان بالطيب أرج به
(٢) القبس : النار أو شعلة منها تقتبس أى تؤخذ من معظم النار ،
ومن سجعات أساس البلاغة : ما أنا الا قبسة من نارك ، وقبسة من آثارك
(٣) صلد الزند : صوت ولم يوقد ، وقبح فلان فأصلد ، أى لم يور ،
ويضرب مثلا لمن يحاول الأمر فيعجز عنه ويعيا دونه (٤) ذوى
النبات : ذبل ويس ونشف ماؤه ، العرار : الترجس البرى ، قال الصمة
ابن عبد الله القشيري :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العنية من عرار

والزند : نبات من شجر البادية طيب الرائحة يستاك به ، وقد يسمون
العود الذى يتبخر به رندا - أو هو الآس (٥) الشُّبُوب . الدفعة من
الطر . وأقشع : انكشف وتفرق (٦) الركود : السكون والنبات ، وركبت
ريحهم أى زالت دولتهم وأخذ أمرهم يتراجع ، وطفقت ريحهم تراكد

مَا كَانَ يُظَنُّ بِهِ الْهُبُوبُ . فَأَلْقَمَ دَفِينٌ لَا يُحْشَرُ ، وَمَيَّتٌ
لَا يُنْشَرُ . وَالطَّبِيعُ قَدْ نَكَصَ الْفَهْقَرَى ^(١) وَقَلَّ مَنْزِلُهُ
أَنْ يُدْعَى لَهُ التَّنْقَرَى ^(٢) ، فَهِيَ هُوَ لَا يَمْلِكُ مَيِّتًا ، وَلَا
يَحْدُ لِقَلَمِهِ تَثْبِيْتًا . وَأَنْتَ - أَبْقَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - بِمُقْتَبَلِ
الْآدَابِ ، طَائِرُ هَيْعَةٍ ^(٣) الشَّبَابِ ، وَأَيْنَ سِرُّ السُّمُوِّ مِنْ
سِرِّ الْإِنْحِطَاطِ ، وَوَقْتُ الْكَسَلِ مِنْ وَقْتِ النِّشَاطِ ؟
وَقَدْ رَاجَعْتُكَ لَا دَاخِلًا فِي حَلْبَتِكَ ^(٤) ، بَلْ قَاضِيًا حَقَّ

(١) نكص الفهقري : رجع الى الوراء (٢) النقرى : الدعوة الخاصة ،
وانتقر الرجل اذا دعا بعضا دون بعض ، فكانه انتقرهم أى اختارهم
واضطفاهم من بينهم ، قال طرفة بن العبد :
نحن فى الشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدب فىنا ينتقر
(وإذا ضاق منزله عن النقرى فهو عن الجفلى أضيق) « أحمد نجاشى »
(٣) أصل الهيعة الصوت الشديد والصيحة يفرع المرء منها ويخافها من
عدو ، وفى الحديث « خير الناس رجل يمسك بطن فرسه فى سبيل الله كلمة
سمع هيعة طار إليها » وعبارة الكاتب مأخوذة من هذا الحديث الشريف
مشيرة إليه ، فالترض منها أن للرسال اليه لقوته ونشاطه متى دعاه داعى
الشباب الى عمل جليل يضعف الشيب عنه أسرع باجابة دعائه وتلبية
ندائه . اهـ . « أحمد نجاشى » . (٤) الحلبة : الدفعة من الخيل فى الرهان
بخاصة وخيل تجتمع للسباق من كل أوب ، والحلبة أيضا مجال الخيل
للسباق ، تقول : فلان يركض فى كل حلبة من حلبات المجد .

رَغْبَتِكَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُكَ بِوَسِيلَةِ الْعِلْمِ مُتَرَقِّيًا ، وَبِحُجَّةِ
الطَّاعَةِ مُتَوَقِّيًا ، وَلِهَذَا الْآنُفُسِ مُسْتَقْبَلًا وَمُتَلَقِّيًا ، بِعِثَّةِ
وَالسَّلَامُ . اُنْتَهَى .



﴿ انتهى الجزء الثانى من كتاب نفع الطيب ﴾
ويليه الجزء الثالث وأوله

﴿ كتاب أبى المطرف الى سلطان إفريقية ﴾

حقوق الطبع محفوظة للمترجم

الدكتور أحمد فريد رفاعى

جميع النسخ موهورة بخط ناشره

استدراكات على الجزء الأول

رقم صفحة سطر

١ ٩ ١١ اسم الكتاب (فتح النحال ..) في بعض المراجع (ق أوصاف
فعل التي صلى الله عليه وسلم) وفي بعضها (نعل) وهو
الذي آثرناه - وقد عني العلماء ولاسيما بالأندلس بوصف لله
صلى الله عليه وسلم وأكثروا القول فيها نظما ونثرا ، فن
ذلك ما رواه أبو عبد الله التيجي قال : أنشدنا أبو الحسن
علي بن إبراهيم بن سعد الخير لنفسه يلبسية (ووجدت أنا
هذه الأبيات بخط ابن سعادة هنا) وأنشدنا أبو الريح
ابن سالم قال وأنشدنا غير واحد من ممها منه -
يعني من قائلها - :

يا لاحظا تتثال نعل نبيه قبل مثال النعل لا متكبيرا
والثم به فلطالما علفت به قدم التي مروحا ومكبرا
أو لا ترى أن المحب مقبل طلالا وإن لم يلف عنه مغبرا
وكان ابن سعادة هذا عالما فاضلا ومقرئا محدثا وورعا

زاهدا توفي غريبا في البحر حوالي سنة ٨٠ هـ

٢ ١٠ ٧ الوفق عند أئمة الحرف والمشتغلين بأسرار الحروف والأسماء
الحسنى ونحوها ، هو شكل قد توافقت أضلاعه وأقطاره ،
وللماء للغرب غاية بذلك من قديم الى اليوم ، وانظر كتاب
شمس المعارف اللبني وغيره

٣ ١٢ ١٢ ابن خاتمة الأنصاري ، هو أبو جعفر أحمد بن علي بن محمد
ابن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري من أهل المرية ، عالم أديب
دمت الطباع عذب المخضر تاظم تائر توفي بعد سنة ٧٧٠ هـ
ووقع في صفحة ٨٠ ، و ٣١٣ (ابن خاتمة)

٤ ١٤ المولى أحمد بن شاهين ترى ترجمته في كتاب (ريحانة الألبا)
للشهاب الخفاجي ، وكان معاصرا له ، وبينهما مكاتبة

رقم	صفحة	سطر
٥	١٦	قبة النسر بجامع دمشق يقول فيها برهان الدين القيراطي (مضمنا عجزى يتيه عجزى بيتين لأبي الطيب المتنبي) : يقول لنا نسر بجامع جلق أنا الطائر المحكي والآخر الصدى وقد أطرب الأسماع مطرب جنكها وغنى به من لا يغنى مفردا وقد احترق الجامع سنة ١٣١١ هـ ولم يبق فيه شيء من الآثار القديمة فأعيد بناؤه على حاله الحاضرة اليوم
٦	١٩	باب الفرج باب كان من أبواب المسجد من جهة شمال البلد وهو محبت ، أحدثه الملك العادل نور الدين وحماه بهذا الاسم تناؤلا لما وجد من الفرج بفتح هـ ، وقد رُم سنة ٦٠٦ هـ
٧	٢١	آخر بيت : يحسن أن يضبط الفعل (يطوى) بالبناء للمعلوم ، يعني أنه لو كان ما أهدى إليه من جنس ما يسير ويطوى الأرض ويقطع المسافات لملاحي يكون مكانه فوق هذه المنزلة السابعة روضة قمر وجلال منزلة
٨	٢٢	المولى المهادى هو المولى عبد الرحمن بن حماد الدين الشامي الحلبي وكان مفتي الشام ، ذكره الفهات الحفاجي في (ريحانة الألبا) وكان بينهما صداقة ومراسلة
٩	٢٤	(مقصورة حازم) هو الامام أبو الحسن حازم بن محمد ابن حسين بن حازم الأنصاري ، وقد شرح هذه المقصورة الخطيب الشريف أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الحسيني قاضى الجماعة بفرنطة شرحا مفيدا ممتا في جزءين سماه : وقع الحجب المشفورة على محاسن المقصورة : ولد الشريف شارح المقصورة سنة ٦٩٧ وتوفي سنة ٧٦٠ - ولنا بعد كلام على هذه المقصورة وأغراضها وشروحها ان شاء الله «أحمد نجاتي»
١٠	٢٦	السطر الأول (حمام) مشدد اللام الاول من (حمام) كما هو ظاهر
١١	٣١	رقم (٢) هامش (يعني قلبه الساكن)

رقم	صفحة	سطر
١٢	٣٧	٣ وتباين أدواتهم ، لعله محرف عن (أدواتهم)
١٣	٤٠	٢ حق أضاعت بوممه ، أولى منه أن يكون (برسمه)
١٤	٤١	١ يجوز أن تكون (غيوثها النافعة) معرفة عن (النافعة)
١٥	٤٣	١١ (وصدر) لعل فيه تورية ، والمضى الثانى صدره صلى الله عليه وسلم الذى ملئ حكمة
١٦	٤٩	البيت الأول : الأولى فى ضبطه فتح الظاء (يشكو ظلامه) أى ظلام الحيرة
١٧	٥٠	٣ (كم واحد) لعله (كم واحد) بالميم المعجمة أى غنى ذى سمة وقدرة
١٨	٥٤	٦ غرناطة هي بفتح النون ، وقد ضمت خطأ مطبعيا
١٩	٥٥	١ مرج غرناطة ، علق عليه سهوا بالهامش ، والمقصود مرج غرناطة كما هو ظاهر وإن سبقه الحديث عن دمشق الشام ، وأصل المرج كل أرض واسعة ذات نبات وكلاء كثير تمرج فيها الدواب ، أى تررع ذهابا وجيئة ، وقد كانت ضواحي غرناطة وأرباضها أنيقة أريضة .
٢٠	٥٦	٤ (سامه) آخر البيت يجوز أن يكون من سامه الأمر اذا كلفه إياه
٢١	٦٥	٧ ابن الزقاق هو أبو الحسن على بن عطية الله بن مطرف بن سلمة الأندلسى البليسى الأخرى ، كان شاعرا بارعا وأديبا جليلا ، امتدح كبار عصره فأجاده. توفى سنة ٥٢٨ هـ
٢٢	٦٦	٤ يقرأ البيت (بجيا) بالتنوين
٢٣	٦٨	الحائك الأمى اسمه إبراهيم ، وقيل كان معمارا ، وقيل كان حجاما ، وهو غلام التورى المصرى كان عاميا مطبوعا تقع له التوريات المليحة المتمكنة ولا سيما فى الأزجال ، وكثير من شعره فى أغراض خلية من المحبون والاهو
٢٤	٧١	الأبيات فى آخر الصفحة لأبى فراس الحمدانى

- رقم صفحة سطر
- ٢٥ ٧٢ ١٠ علاء الدين الوداعي (هو الأديب علي بن المظفر بن ابراهيم
ابن عمر بن يزيد الكندي الشامي مولده سنة ٦٤٠ وتوفي
سنة ٧١٦ كان كاتباً لابن وداعة فنسب اليه . وكان شيعياً
واشتغل شاهداً بديوان الجامع الأموي وله كتاب أسماه
التذكرة الكندية في عدة فنون فهو موسوعة عربية جامعة
هي الآن بين سمع الأرض وبصرها ، كانت في ٥٠ مجلداً
- ٢٦ ٧٧ ٦ يجوز أن يكون عجز البيت (وجازت الحد جدا)
- ٢٧ ٨٢ آخر سطر في الفرح بالهامش حصل قلب مطبعي وتقدم
وتأخير وأصل العبارة : تزع الدولة منك وحولها الى
يوم القضاء
- ٢٨ ٨٣ ١٣ يصح أن يكون (البتات) محرفاً عن (البتات) — والسطر
الأول كان محرفاً في الأصل بجعل كلمة (حارث) (حادث)
- ٢٩ ٨٦ ٥ (خليل) هو الشاعر المشهور خليل بن أبيك الصفدي ،
وهناك أيضاً المولى الفاضل الأمير خليل شاعر غير نبيه
الذكر كالصفدي من شعراء القرن التاسع
- ٣٠ ٩٠ ابن قطرال المغربي هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد
ابن يوسف بن يوسف بن أحمد الأنباري القرطبي مولده
سنة ٥٦٣ ولى قضاء مدينة أبلدة من عمل جيان فأسره العدو
بها حين تغلبوا عليها سنة ٦٠٩ ، ثم تخلص من الأسر وولى
قضاء شاطبة مدة ثم قضاء شريش ثم قرطبة ثم أميد الى قضاء
مدينة شاطبة وخطابها ، وانتقل منها في آخر سنة ٦٣٦
لتغلب العدو في صدر هذا العام على بلنسية وشاطبة فولى قضاء
مدينة سجة بالمغرب ثم قضاء فاس ، وكان ابن قطرال من
أكمل الرجال علماً وعملاً وبلاغاً وأدباً ، وتوفي بمراكش
سنة ٦٥١ بعد ولايته قضاء مدينة أغيات ،

رقم	صفحة	سطر
٣١	٩٤	ابن أبي الأصميص هو زكى الدين عبد العظيم بن عبد الواحد ابن ظافر بن عبد الله بن محمد الأديب أبو محمد بن أبي الأصميص الشاعر المصرى المدونى البديعى المشهور، امام فى الأدب والبلاغة وشاعر رائق الشعر وله تصانيف حسنة فى الأدب وعلم البديع توفى بمصر سنة ٦٥٤ .
٣٢	١٠١	ابن فضل الله المصرى الفاضل أبو العباس هو شهاب الدين ابن فضل الله أحمد بن يحيى بن فضل الله بن يحيى ينهى نسبه الى عبد الله بن عمر بن الخطاب. كان فى عصره امام أهل الأدب وحجة الكتاب وأحد رجالات الزمان كتابة وعاما وأدبا ، ترجمه الصلاح الصفدى فى تذكرته وبالف فى التناء عليه ، ولد بمشقة سنة ٧٠٠ وله مؤلفات جمة نافعة من أشهرها كتاب مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار فى عشرين مجلدا ، طبعت منه المكتبة المصرية جزءا ، ولعل الزمان يسمح بطبع سائرهم بهمة نصير الأدب والعلم وناسر لواء الثقافة حضرة صاحب المال (على زكى باشا العراقى) وزير المعارف الجليل أيدماقة
٣٣	١٠٢	آخر سطر رقم (٦) بالمرح ، فيه خطأ مطبعى وأصله (لعله : كما يريد)
٣٤	١٠٣	ابن جابر الأندلسى . هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن جابر الضرير الأندلسى ناظم البديعية المشهورة
٣٥	١٠٤	ابن الصاحب : هو الشيخ بدر الدين بن الصاحب الشاعر الأديب المصرى من شعراء البديع والتورية فى القرن الثامن ، ولد سنة ٧١٦ وتوفى سنة ٧٨٨ وله فى التيل مقطعات كثيرة منها قوله التيل أليس حلة حمراء فى تخليقه وله أصابع زينب قد ختمت بمقيقه ومنها قوله مع حسن التصدين :
		لله يوم الوفا والناس قد جموا كالروض تطفو على نهر أزارهم وللوفاء عمود من أسابه مخلق تملأ الدنيا بشائره

رقم صفحة سطر

- وأما اخترنا هاتين القطعتين لأنهما تمرحان يبقى ناصر الدين
ابن النقيب في أول صفحة ١٠٣ وارجع الى خطط المقرئى ،
وحسن المحاضرة ، والنجوم الزاهرة لتعرف اصطلاح ذلك العصر
في النيل والاحتفال به .
- كان في الأصل (.. لم ينسكب بارداء) فرأينا أن نستبدل بها
(بأرزاء) ويصح نصب كلمة شوق في أول عجز البيت بعده
كما يصح رفعه .
- المارف بالله الشبلى - هو أبو بكر دلف بن جحدو ، وقيل
جعفر بن يونس (وهو هكذا مكتوب على قبره) الصالح
لشهور الخراسانى الأصل البغدادى المولد والنشأة ، كان أمارا
جليل القدر مالكي المذهب ، وصحب الشيخ أبا القاسم الجنيد
ومن في عصره من الصلحاء رضى الله عنهم ، وكان مع هذا
رقيق الشعر وإن كان مغلا توفى سنة ٣٣٤ ببغداد (والشبلى
منسوب الى شبلة قرية من قرى أغروسنة وهى بلدة عظيمة
وراء همرقند من بلاد ماوراء النهرين . وهناك شاعر متأخر
يسمى الشبلى وهو أبو حفص عمر بن الحسام الدمشقى الشافعى
وكان رجلا صالحا ، وأكثر شعره في التوسل الى الله والحث
على العمل الصالح توفى سنة ٧٤٩ .
- محسن ضبط (عمرة) في السطر السابع يسكون الميم للجمع
والجناس التام القى يقصده المؤلف كثيرا .
- يصح أن تكون كلمة (يباح) محرفة عن (يباح) أى يمنع
في الأصل كان السطر الثالث (فضلك مدن لخير مدن) كما في
التعليق ولكن حرفها السكاتب - ويصح ضبط (المي والميت
والجماد) بالسطر العاشر بالجر على البدل من القلوب ، . ويجب
تحرريك الميم من (مطاياهم) في عجز البيت سطر ١٢
يشير معنى البيت السادس الى قولهم :
ثلاثة تنى عن القلب الحزن الماء والخضرة والوجه والحسن
ويصح ضبط كلمة (نداء) في أول البيت العاشر بالنصب
على أنه مفعول مطلق

رقم	صفحة سطر	
		إذا كنت في نجد وطيب نسيمها تذكرت أهلي بالوى فحجر وإن كنت فيهم ذبت شوقاً ولوعة .. الخ . وتوفى رضى الله عنه سنة ٧٠٢ .
٤٧	١٤٤ ٧	شمس الدين الطيبي ، هو أحمد بن أبي المحاسن ولد ببغداد سنة ٦٤٩ وتوفى بطرابلس سنة ٧١٠
٤٨	١٥٦	(السطر الأول) البيت لأبي الطيب المتنبى . والبدر بن حبيب هو بدر الدين حسن بن حبيب الحلبي ولد سنة ٧١٠ وتوفى سنة ٧٧٧
٤٩	١٦٣ ٦	البيت مأخوذ من قول البحترى : ضموك الى الأبطال وهو يرعوهم وللسيف حد حين يسطر وروث
٥٠	١٧١ ٨	البيت لأبي شريح الصير (شاعر قديم) وقوله : فإن أهلك فقد أبقيت بعدى قسوافي تحجب التمثيلية
١	١٧٢ ٩	البيت لأبي الفتح البستي
٥٢	١٧٥ ١٣	أول كلمة في السطر هي (الباطن) لا الباطل كما في الأصل
٥٣	١٨٢ ٧	يصح ضبط (تنب) في البيت بالسكون ومحرك بالكسر لالتقاء الساكنين
٥٤	١٨٤	المهذب بن سعد الموصلي (كتب بن اسعد معرفة) هو أبو الحسن علي بن سعد بن علي بن عبد الواحد بن عبد الفاهر بن أحمد ابن مسهر الموصلي الملقب مهذب الدين ، كان شاعرا يارعا رئيسا مقدما تنقل في أكثر ولايات الموصل ومدح الخلفاء والملوك والأمراء وله ديوان شعر كان في مجلدين وتوفى سنة ٥٤٣
٥٥	١٨٥	القاضي بهاء الدين السنجاري (هو أبو السعادات أسعد بن يحيى بن موسى بن منصور السلي السنجاري الفقيه الشافعي الشاعر المنعوت بالبهاء اشتهر بالشعر وخدم به الملوك ونال جوائزهم وطاف البلاد ومدح الأكابر وكان له ديوان شعر في مجلد كبير) ولد سنة ٥٣٣ وتوفى بسنجار سنة ٦٢٢
٥٦	١٠٣	(ناصر الدين ابن التقي) هو الحسن بن شاور بن طرخان بن الحسن الكنانى المعروف بالتقيسي شاعر مشهور وشعره جيد في عصره منسجم فيه التورية الرائعة اللامعة المتمكنة غالبا . وهو أحد فرسان تلك الحلية الذين كانوا من شعراء مصر في ذلك العصر توفى سنة ٦٨٧ والبيت الاول من بيتيه أول المصدحة المشهور فيه (تنقله) بالنون المعجمة -

رقم	صفحة	سطر
٥٧	١٩١	شمس الدين بن الصائغ ولد سنة ٧١٠ وتوفى سنة ٧٧٦
٥٨	١٩٢	الصدر بن الأدمى (هو قاضى القضاة صدر الدين على بن القاضى أمين الدين بن الأدمى من حلبة أدباء مصر والشام فى القرن الثامن والتاسع (ولد سنة ٧٦٨)
٥٩	٢٠١	(صفوان بن ادریس) هو أبو بحر صفوان بن ادریس بن ابرهیم بن عبد الرحمن بن عیسی بن ادریس التجیبی الأندلسی الكاتب من أهل سرسیة كان من صفوة الأدباء البلغاء ومهرة الكتاب الشعراء أجاد المنظوم والمثور وجمع ما صدر عنه فى كتاب قیم سماه (عجالة المتحضر وبداية المستوفز) وكان من الفضل والدين بمكان، وتوفى دون الأربعين فقد ولد سنة ٥٦١ هـ . وتوفى سنة ٥٩٨ هـ وتكلم والده وصلى عليه ودفن بمرسیة رحمه الله
٦٠	٢٢٠	البيت السادس يريد بالطائى فيه أبا عبادة البحرى لسبق ذكره فى هذه الأبيات ، ويريد بنفسه الجو الكوكب السمى بالنسر وسبأى القول فيه .
٦١	٢٤٧	البيتان سطر ٧ ، ٨ هما للباخرزى الأديب الفاضل أبى الحسن على بن الحسن بن على بن أبى الطيب الشاعر المشهور والكاتب البليغ ، وهو صاحب كتاب (دمية القصر وعصرة أهل مصر) جعله ذیلاً لكتاب قبیه الدهر للشمالى . وديوان شعره مجلد كبير تعلق فيه الاجادة . وأبوه الحسن كان أديبا فاضلا . قتل الباخرزى بمجلس الألس يباخرز سنة ٤٦٧ هـ وذهب دمه هدرا (وباخرز ناحية من نواحي نيسابور بينها وبين هراة تشتمل على قرى ومزارع وقد خرج منها جماعة من الفضلاء)
٦٢	٢٥٠	(مابيه) (الأولى حذف شدة الياء) هو محمد بن احمد الرومى المعروف بمابى ابن أخت الخيالى نزىل دمشق والشام وهو من أصل رومى ولهذا جمع شعره بين التفكير اليونانى وحسن التوفيق الشامى لأنه نشأ بالشام فصقل طبعه ، وله ديوان شعر قد يمتريه فى بعضه ملل وتور أغليه فى التصوف والفرز .
٦٣	٢٥٦	مدينة (أربونة) بلد فى طرف الثغر من أرض الأندلس بينها وبين قرطبة ألف ميل - ويمزو بعض المؤرخين الى الحر بن عبد الرحمن الذى ولى الأندلس سنة ٩٧ هـ أنه فتح إقليم أربونة (نربونة Narbonne) من بلاد الغال ولكن المحققين ينسبون ذلك الى خلفه السمع بن مالك الحولانى الذى تولى

الأندلس سنة ١٠٠ هـ (سنة ٧١٨ م) فقد استولى على أربونة بعد حصار ٢٨ يوما فخضعت له المدن التابعة لها ثم أوغل في أرض الفرنج (فرنسا) حيث امتد الغزى الى مافوق نهر الرون واستولى على مدائن كثيرة وعاد الى أربونة ومعه غنائم كثيرة وسبى ، ولما تولى عبد الرحمن الفائقى ولايته الثانية سنة ١١٣ أخذ بعد القوة والأهبة لفتح بلاد الغال (التي خلف جبال البرانس من الشمال) وكانت تعرف بالارض الكبيرة (وهى فرنسا الآن) وكانت هذه البلاد حين قصدها مقسمة الى أقاليم منها اقليم سبتانيا في الجنوب الشرقى وقصبتها أربونة وكان قد دخل في حيازة المسلمين من جبال البرت الى نهر الرون وفي زمن يوسف بن عبد الرحمن الفهرى سنة ١٢٩ قسم البلاد الى خمسة أقاليم منها اقليم سبتانيا ومن مدنه الشهيرة أربونة وقرقشونة ، ويطيراس ، أغادة ، ومغلونة ، ونيبوسة ، ولوطبة ولم تبدأ ثورات الفرنجة بل كانوا كلما سئمت لهم فرصة يشنون الغارات على هذه الجهات فيستولون على بعضها وقد تسترد ثم يستعيدون أخذها فى سنة ١٨٠ (سنة ٧٩٧ م) أرسل لويس اكيثانة جيشا استولى على أربونة وجيرونه وهدد مدن الحد الشرقى وخضعت له مدن بنبلونة ووشقة ولاردة وكانت من ذلك أن هبت ثورة في برشلونة أعقبها سقوط المدينة في يد من أهداها الى شرلمان ، ثم كان بعد ذلك ما كان .

٦٤ ٢٥٧ ١٣ مدينة (برديل) علق على هذه المدينة سهوا. تلافينا في الجزء الثانى والثالث في غير موضع وقلنا ان هذه المدينة هى مدينة (يوردو) الشهيرة وأن العرب قد سموها بحسب التسمية اللاتينية (برديل ويردال) بالبال المهملة والذال المعجمة في كلا الاحمين ، وبها كانوا يسمون (خليج غسقونية) بحر برديل . كذلك تلافينا سهوا التعليق الذى بصفحة ٢٥٩ رقم (١) بالهامش على (دوكر) فواضح من الكلام أنها بالضمال الغربى عند (شنت ياقب) التى علقنا عليها بما فيه كفاية في الجزء بين الثانى والثالث — فترجو العذر والتنبه لذلك) وقد وردت مدينة زربونة (أربونة) مصبغة في صفحة ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ والخطب في ذلك سهل) وكذا ورد ضبط مدينة (طليطلة في بعض الصفحات يكسر الطاء الثانية وهو خطأ

رقم صفحة سطر

- مطبعي ، والصواب ضم الطاءين وفتح اللام ، وقد تفتح الطاء الثانية (وفي صفحة ٢٥٨ ضبط كلمة (البرت) بكسر الباء والأولى ضمها ، ويعني بجبل البرت جبال البرانس .
- ٦٥ ٢٦٢ علق أسفل الصفحة (رقم ٢) على مدينة (شنت مرية) فزيدت خطأ كلمة (شرق قرطبة) فيحسن محوها فإن بينها وبين قرطبة مسافة بعيدة بل هي شرقي جريط ووادي الحجاره ، على أن هناك شنتمرية الفرق وشنتمرية الغرب . ويريد محوز اغرطة في آخر الصفحة مدينة مجريط (مدريد) وفي صفحة ٢٦٣ بالسطر الثاني (لورقة) وهي مدينة بشرقي الأندلس من أعمال تدمير ، وكان بها حصن ومقل محكم ، قال ياقوت وأرضها جزر لا يرويا الاماركس عليها من الماء كأرض مصر وفي هذه الصفحة سطر ٤ (وادي ابره) Abroh Ebro بتطتين فوق الماء زائدتين . وقد تضبط أحيانا في بعض الصفحات مدينة (اشيلية) بتشديد الياء ، ولكن نص ياقوت على أن ياءها مخففة . وفي صفحتي ٢٦٧ و ٢٦٨ اسم (طالقة) وهي ناحية من أعمال اشيلية ، ومن ينسب اليها عباس بن محمد ابن عبد العظيم السليحي (سليح بطن من قضاة) الطائي المحدث توفي سنة ٣٥٩ .
- ٦٦ ٢٦٣ ٩ عبد الله بن عبد الحكم الأندلسي هو من أهل قرطبة وكان أديبا أخباريا تاريخيا يحكي عنه ابن حيان في كتابه .
- ٦٧ ٢٧٣ ١١ (الشاهلوط ، وعربه المولدون المتأخرون باسم (قسطل) أو (قسطل) (معرب كستانه) ويسميه أهل مصر بأبي فروة ، قال الشاعر :
- يا حبذا القسطل المجرد من قمر بعيد الجفاف في الشجر
كانه أوجه الصقالبه البيضاء وفيها تجسد الكبر
- ٦٨ ٢٦٠ ٤ أحمد بن محمد بن موسى بن بدير بن حماد بن لقيط الكنانى الرازى أندلسي وأصله من مدينة الري وله في أخبار ملوك الأندلس وتاريخهم وغزواتهم كتاب كبير ، وألف في صفة قرطبة وخططها ومنازل العظماء بها كتابا على نحو ما بدأ به أحمد بن أبي طاهر في أخبار بغداد ، وله كتاب في أنساب مشهورى الأندلس في خمسة مجلدات ضخمة من أحسن الكتب وأوسعها . وقد أبوه

رقم صفحة سطر

محمد بن موسى على الامام محمد وكان من ذوى اللسن والخطابة
وولد ابنه أحمد هذا سنة ٢٧٤ وكان كثير الرواية حافظا

للأخبار والآثار أديبا بليغا شاعرا توفي سنة ٣٤٤

٦٩ ٢٦٨ ■ (امم اسبانيا والأندلس) الذى يثبتته نظرية تشعب الشعوب أن

سكان جنوب الأندلس الأولين كانوا من الجنس السامى الذى
نزع من غرب آسيا قبل الميلاد بزمان عريق فى القدم وانتشروا
فى ضفتى دجلة والفرات وفينيقية وفلسطين ومصر ثم فى قرطاجة
واسبانيا ، ثم دخلها الرومان فالقوط وكان من ذلك مزيج من

السكان ذو مزاج خاص زاد وتلون بلون آخر حين اختلط بهم
العرب الفاتحون الساميون . وقد قسم الرومان الأندلس الى
ولايتين يفصلهما نهر ابرو وسموها هسبانيا الخارجية وهسبانيا

الداخلة ، ثم سموا البلاد كلها هسبانيا يريدون للملكة ذات
الولايتين ، وأولقسمة الى قسمين . وقبل ان اطلاق اسم (اسبانيا)
عليها كان زمن الفينيقيين قبل الرومان وان كلمة (اسبان Span)

فينيقية معناها المحتجب أو المستور لأن هذه البلاد كانت بعيدة عن
الفينيقيين محجوبة عن أنظارهم فى أقصى الأرض جهة الغرب
وقيل انما سموها بذلك لانتهاها وأنها أراب كثيرة ، والأرنب
بلفظهم (اسبان) أيضا ، ثم حكم البلاد الرومان سنة ١٣٤ م

وبقيت خاضعة لحكمهم الى سنة ٤٠٦ م . اذ أغار على رومة
ثم اسبانيا قبائل مختلفة بربرية وفدت من شمال أوربة ، ومنهم
(السواف Suèves) (والفندال Vandales) ثم جاء

القوط (ويغال قوط اسبانيا : الويزقوط Visigothes)

أى قوط المغرب فصدوا قبائل السواف الى الشمال والفندال الى
الجنوب فأخذ من اسمهم اسم (قنداليسيا Vandalicia)

للجهة التى احتلوها فحرفه الاسبانيون الى أندالوشيا ثم عربها
العرب بلفظ الأندلس) . واختار الرومان الاسم الفينيقي لأسبانيا
فان وسام أدريان (Adrien) العاهل الرومانى (من سنة

١١٧ — سنة ١٣٨ م) صورت فيه اسبانيا بصورة سيده

بجانها أرنب :

رقم	صفحة	سطر
٧٠	٢٧٠	ما ذكره من أن مضيق الزقاق كان موضعه برزخا يصل ما بين سكان الصديتين وحكاية الاسكندر الخ دعوى ينكرها العلم والواقع ، ثم كان البلدان متصلين بذلك اللسان ولكن الذي أزاله وصير موضعه ماء فاصلا هو قوة الطبيعة عقب ثورة بركانية شديدة دكت له أرضه دكا كما اندصكت له الأرض التي كانت بين بلاد الأناضول والأستانة ، فصار موضعها الآن مضيق البوسفور الذي وصل البحر الأسود بالبردينيل وذلك قبل أن يؤرخ التاريخ من زمان موغل في القدم - وما تقوى عليه يد خالق الاله كوان تميز عنه يد الانسان
٧١	٢٧٩	مدينة دلالية (Dalias) بينها وبين المرية نحو ٤ كيلومترات وهي الى الجنوب المرقى لمدينة برجة بجنوب الأندلس ، ومن ينسب الى دلالية أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس النخري المري ويعرف بأبن الدلائى العالم المحدث الأديب توفى سنة ٤٧٨ وفي هذه السنة دخل الأذنفونش مدينة طليطلة .
٧٢	٢٨٠	السطر الأول (أكشونية) مدينة يتصل عملها بعمل أشونة وهي غربي قرطبة ، وكانت كثيرة الخيرات برية بحرية قد يلقى بحرهما على ساحلها الضبر الفائق الذي لا يقصر عن المندى . ومن ينسب اليها أبو مضر محمد بن ابراهيم بن مزين الأودى من أهل أكشونية ولاء عبد الرحمن بن معاوية قضاء الجماعة بقرطبة سنة ١٧٠ وأقام أشهراً ثم استغنى فأعفاه ورحل حاجا فأدى الريضة وسمع في رحلته من الامام مالك وعاد وتوفى سنة ١٨٣ ومنهم أحمد بن حيون الأكشوني سجع من محمد ابن عمر بن لبابة المتوفى سنة ٣١٤ ومنهم قاسم بن أصبح بن أبي الأسود بن عبد الواحد المعروف بأبن الملاح كان من أهل الرواية والحديث أديبا بليغ اللسان جيد القلم كان من أهل باجة وتحول منها الى أكشونية . وكان واليا على أكشونية في أول فتح الأندلس أبو العباس البياض الجصبي ومن فرجه مسرة ابن خلف بن فرج بن خلف بن عزيز بن عبيد الله الجصبي من أهل شنترية المرق وابه أبو مروان عبد الملك بن مسرة الفرطلي كان من مفاخر الأندلس وأعلامها وجامعا بين فنون العلم والأدب والفقه والحديث والخط الحسن والفضل والدين

رقم صفحة سطر

والورع والتواضع والمهدي الصالح على منهاج السلف المتقدم رفيع الذكر جليل القدر توفى سنة ٥٥٢ هـ ومن ذريته أيضا أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد العزيز بن جابر بن أوس بن حفص بن أوس بن عزير بن اسمعيل بن ميمر بن حسان بن سلمة بن حبي أبي الصباح (والى أكشونية) بن يحيى بن الجبير الحصبى ، من أهل قرطبة ، روى عن عبد الملك بن مسرة وغيره وكان قتيها محدثا أدبيا وولى الخطبة بالجامع الأعظم وتوفى سنة ٥٨٤ هـ . ومن تولى قضاء أكشونية أبو بكر محمد بن خالد بن وهب بن الصغير التيمي القرطبي توفى سنة ٣٢٩ هـ . هنا وقد تحرف كلمة (أكشونية) بكلمة (أشكونية) كما في صفحة ٢٨٣ مع أن أشكونية المشهورة ليست بالأندلس وإنما هي بآسيا من نواحي بلاد الروم الشرقية من الثغر غزاها سيف الدولة بن حمدان فقال شاعره أبو الباس الصفرى (وشدت الياء ضرورة) :

وحلت بأشكونية كل نكبة

ولم يك وقد الموت عنها بناكب

جعلت رباها للخوامع مرثا

ومن قبل كانت مرثا للسكواكب

الخوامع : جمع خامع وخامسة أى الضبيع ، يقال أ سكتته الخوامع أى الضبيع اسم لازم لها لأنها تجمع خامعا اذا مشت أى عرجاء يشير الفاعر بذلك الى كثرة لحوم القتلى فوق هذه الربا فكانت لحومها جزرا لها ترتفع فيها عاثمة . « أحمد يوسف نجاشى »

في السطر الأخير حجر الشاذنة (بالذال للمعجمة) ويسمى حجر الدم كان يستعمل فى مداواة العين وخشونة الأجفان على طرق مختلفة . وفي صفحة ٢٨٢ حجر للرقيشينا (بالثاء لا بالنون) قال ابن البيطار هو صنف من الحجارة يستخرج منه النحاس منها ذهبية وفضية ونحاسية وحديدية وكل صنف يشبه الجوهر القذى نسب اليه فى لونه وكأما يغالطها كبريت وهي تهدج النار مع الحديد النقي ، وهو من الأحجار التى لها قوة شديدة جدا يستعمل مخلوطا فى المراهم المحللة للقيح والرطوبة . و (حجر الطلق ٢٨٢ حجر براق يتحلل اذا دق ، وكانوا يعلون منه مضامى* »

رقم صفحه سطر

للجبال فيقوم مقام الزجاج ، ويسمونه كوكب الأرض لأن له بصيما وبريقا ، ويوجد بجزيرة قبرس شبيها بالشب الباني ، وبالأندلس نوع منه يسمى عرق الثروس لا يؤثر فيه الدق . ما كان ولا يتكسر وان أمر عليه حجر الماس كسره من موضعه ، وكانوا يبالغون به الأورام وتزيف الدم والقروح التي تهيج بأطراف المجنومين .

٧٤ ٢٨٣

في السطر الثاني (وحال جة) وكذا بالأصل وأرى أنها معرفة عن جبال حة أي حامة ، وحامة من أعمال مالقة جنوبى الأندلس غربى للرية وجنوبى جبال شلير ، وإلى الجنوب الغربى من بجاية . وهذه الصفحة سطر ٨ (بطرنة) (ولم يذكرها ياقوت) وهي قرية بمصرق بالنسية ، ومن كان أصله منها أبو عبد الله محمد بن حسن بن أحمد بن محمد بن موسى بن سعيد بن سمود الألبارى المعروف بابن الوزير وغلبت عليه الشهرة بابن البطرني كان نقيها مقرنا كاتباً ولى قضاء بعض الكور ولد بمدينة بالنسية سنة ٥٧٣ وتوفى بتونس سنة ٦٣٧ ووالده أبو على حسن ابن أحمد المعروف أيضا بابن الوزير البطرني كان نقيها مقرنا ولى قضاء بعض الجهات ، ولد سنة ٥٤٧ وتوفى سنة ٦٢٤ ولما قصد الأسبان مدينة بالنسية سنة ٥٦٦ خرج اليهم أهلها بملابهم الحريرية وكانوا قد أفسدوا الترف وقل من غرب حديثهم فأنزمو أمام الأسبان في وقعة بطرنة وفي ذلك يقول الشاعر :

ليسوا الحديد إلى الوغى ولستم حلال الحرير عليكم ألوانا
ما كان أنبجهم وأحسنكم بها لو لم يكن ببطرنة ما كانا
« أحمد نجاتي »

٧٠ ٢٨٠

(لبة) قصبة كورة كبيرة بالأندلس يحصل عملها بصل أكشونية وهي شرق من أكشونية وغرب من قرطبة بينها وبين قرطبة على طريق اشيلية ٤٤ فرسخا وبين اشيلية ٤٢ ميلا وهي مدينة برية وبحرية غزيرة الفضائل والتمر والزروع والشجر وتعرف لبة بالحراء ومنها يجلب الجنطيانا أحد عقاقير السطارين وينسب اليها كثير من أهل العلم والأدب .

رقم	صفحة	سطر
٧٦	٢٩٠	<p>زعم المؤلف تبعا لغيره أن اسم (لقرقي) صمة للوك القوط وهو وهم خاطئ وضلال قديم وإنما هو علم شخصي لآخر ملوكهم إلا أنه كسائر الأعلام قد يسمى به آخرون . ومثل ذلك ما كان يظن أن اسم (الفونس) لقب لا اسم كقبصر وكسرى حتى أن ابن خلكان يقول : انه اسم لأكبر ملوك الفرنجة وهو صاحب طليطلة ، والا فلا فرق يقولون الفونس الأول والثاني والثالث لأنه علم شخصي . والفونس السادس هو صاحب واقعة الزلاقة مات بجراحه منها سنة ١١٠٩ م</p>
٧٧	٢٩٢	<p>بالسطر الأول (البيرة) بكسر همزة القطع في أولها وسكون اللام وكسر الباء بينها وبين قرطبة ٩٠ ميلا الى الجنوب الشرقي منها وأرضها كثيرة الأنهار والأشجار وفيها معادن الذهب والفضة والحديد والنحاس وكان السكان الجيد يصنع في جميع نواحيها والحريير الفائق ، وينسب اليها كثير من أهل الأدب والعلم في كل فن . وفي سطر ٨ (جبل شليز) وشليز على صيغة التصغير وقد حرفت هنا .</p>
٧٨	٢٩٤	<p>من ينسب الى جليانة أبو للطرف عبد الرحمن بن أحمد بن حطيشة القيسي من أهل المرية ويعرف بالجلياني لأن أصله منها وحدث عنه أبو عمر الخضر بن عبد الرحمن القيسي المتوفى سنة ٥٤٠ هـ وروى عن طاهر بن هشام الأزدي المتوفى سنة ٤٧٧ هـ ومن اقلب جليانة عبد الرحمن بن زياد ولي أحكام وادي آش وتوفى سنة ٤٨١ هـ .</p>
٧٩	٢٩٨	<p>أبو الحجاج يوسف بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن غالب البلوى الملقب المعروف بابن الشيخ كان منقطع القرين في العبادة والزهد وافر الحظ من علوم الفقه والأدب والفقه والأصول ، ومن ميزاته أنه بنى في بلده مائة خمسة وعشرين مسجدا من خالص ماله وعمل فيها بيده وغزا عدة غزوات مع المنصور بالمغرب ومع صلاح الدين بالشام ، ولد سنة ٥٢٧ هـ وتوفى سنة ٦٠٤ هـ . وفي هذه الصفحة أبو محمد عبد الوهاب بن محمد بن علي المنشري (منقر قرية من قرى ماله) ولي الصلاة والخطبة بحاجم ماله وكان ورعا صالحا أدبيا فاضلا ناثرا ومن شعره :</p>

رقم صفحة سطر

للوت حصاد بلا منجل يسطو على القاطن والمنجلى
لاقبل العذر على حلة ماكان من مشكل أو من جلى
ولد سنة ٥٢١ وتوفى سنة ٥٩٨ هـ وفى صفحة ٢٩٧
سطر ٢ (وادى عذراء) وأظنها عنزة Abra قال الأدريسى
عنزة مدينة صغيرة لاسوق لها ومن عنزة الى قرية يلسانة
عمرون ميلا ، وهى تفر على البحر الأبيض يصب على مقربة
منها نهر يلعب من جبل شلير المشهور جبل غرناطة .

«أحمد يوسف نجاتي»

(أبو عبد الله بن عبد الملك) هو محمد بن أحمد بن عبد الملك
ابن عبد العزيز بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الله بن محمد
ابن على بن شريعة بن رفاعة اللخمي الباجي الأشبيلي كان من
أهل العلم والفضل أديبا مع نباهة السلف وجلالة البيت ولى
قضاء اشبيلية ثم صرف عنه بأبي محمد عبد الحق بن عبد الله
ابن عبد الحق فى سنة ٦٠٥ وتوفى سنة ٦٠٦ .

(شنترين) Santaren مدينة متصل أممالها بأمال باجة
فى غربى الأندلس ثم غربى قرطبة واقعة على نهر تاجه قارب
انصبابه فى البحر المحيط وهى مدينة حصينة واستردها الفرنجة
فى سنة ٥٤٣ هـ ومن ينسب اليها أبو محمد عبد الله بن محمد بن
سارة البكرى الشنترى جال بلاد الأندلس وامتدح الولاة
والرؤساء وكان أديبا ماهرا شاعرا مقلعا مخترعا مولانا ضليعا
فى اللغة وعلومها وآدابها ومن شعره :

أسدبى لك فى الحياة ولا تكن تبغى عليه حذار فقر حادث
فالبخل بين الحادتين وأنما مال البخل لحادث أو وارث
توفى سنة ٥٠٧ هـ ومنها أبو القاسم خلف بن يوسف بن فرتون
الشنترى المعروف بابن الأبرش كان عالما بالأدب واللغات مقدما
فى معرفتها واثمناها مع الدين والفضل والخير والتواضع توفى
بقرطبة سنة ٥٣٢ هـ . وفى السطر الثانى من صفحة ٣٠١ ينبنى جر
(قرطبة) بالفتحة

أبو بكر بن (القبطنة) بفتح القاف وسكون الباء وضم
الطاء وسكون الراء ثم نون فتاء تأنيث (وقد حرف الضبط
فى هذه الصفحة ، هو عبد العزيز بن سعيد بن عبد العزيز الكاتب بن

٢٩٩ ٨٠

٣٠٠ ٨١

٣٠٦ ٨٢

رقم صفحة سطر

أهل بطليوس كان من أجلاء الأدياء ورؤسائهم كاتباً بليغاً
وشاعراً مجيداً كتب الفتوكل على الله بن الأفتس ولا بن
تاشفين من بعده ، وكان أبو الوليد بن الطايغ يقول : أبو
بكر بن البطرنة وأبو محمد بن عبدون هما أديبا غرب الأندلس ،
توفي بعد سنة ٥٢٠ . وأخوه أبو محمد طلحة بن سعيد بن عبد
العزيز كان أحد الأدياء الأذكاء وتوفي في حياة أخيه أبي بكر
عبد العزيز وكان صاحباً لأبي بكر بن العربي وقد رثاه ابن
العربي حين مماته . (وأبو الحسين بن سراج) هو سراج بن
عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن سراج القرطبي خاتمة أولى
البيان بقرطبة وصدر أعيانها الطماء وعلماؤها الأعيان وإليه
كانت الرحلة بعد أبيه أبي مروان في اللغة والأدب ، وقل مشهور
بالأندلس إلا وقد أخذ عنه أو عن أبيه ، وكان من أكمل أهل
عصره مروءة وصيانة وأوسعهم مالا وجاهاً وأكثرهم مهابة
واجلاً ، وتوفي سنة ٥٠٨ وقد كتبنا كلمة موجزة في هذا
الجزء عن بني سراج ووعدنا أن نوفيهم حقهم من القول وأنا
لفاعلون إن شاء الله (أحمد يوسف نحاس)

٨٣ ٣٠٧

(أبو عامر بن شهيد) هو أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن عبد
الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن سعيد الأشجعي (من ولد
الوضاح بن رزاح الذي كان مع الضحاك يوم مرج راهط وهو
جد بني وضاح من أهل مرسية وإليه ينتسبون ، وأسر الوضاح
في يوم المرج ومن عليه مروان بن الحكم) وكان أبو عامر
من أفاضل الأدياء وذوى البلاغة والبيان شاعراً كاتباً متصرفاً
في فنون الكلام ومن قوله :

ألت بالحب حتى لو دنا أجلى لما وجدت لطمع الموت من ألم
وذاذنى كرمى عما وهت به وعلى من الحب أو يلى من الكرم
ومنه :

كتبت لها أننى عاشق على مهرق الكرم بالناظر
فردت على جواب الهوى بأحور في مائه حائر
منصمة نطقت بالجفون فدللت على دقة الخاطر
كأن فؤادى إذا أعرضت يعلق في غلبي ملسائر

وقد جمع شعره بين الجدل النافع والمزل المروج، وكان له من علم الطب نصيب وافر وتوفي سنة ٤٢٦ وصلى عليه أبو الحزم جهود بن محمد بن جهور وكان حين وفاته حامل لواء الشعر والبلاغة بالأندلس، ولم يقب وأعرض عقب الوزير أبيه بموته رحمه الله في التليق على وادى اشبيلية شيء من الغموض . فلعل قوله آخر الصفحة (وادى الفرج) أى الواسع المنكشف ، وفرج الوادى ما بين عدوتيه وهو بطنه ، والفرجة الخلاص من المم والراحة من حزن أو مرض . واشبيلية على شاطئ نهر الوادى الكبير فى أجل بقاع الأندلس وأعد لها هواء وأطيبها ماء وأخصبها تربة وأزكاها غرسا ، وفيها يقول الشاعر :

٣١١ ٨٤

هواؤها فى جميع الدهر معتدل طيبا وإن حل فصل غير معتدل
ما ن يالى الذى يحتل ساحتها بالسعد ألا تحل الشمس بالحل
وكانت من أحسن مدن الأندلس وأعظمها مدينة وحضارة
وثروة وعلمًا وصناعة بعد سقوط قرطبة فى أيدي الأسيان
ولاسيا فى مدة المعتمد على الله بن عباد فقد كانت فى أيامه
عاصمة المواسم الأندلسية ومظهر المدينة الراقية فكان فيها
القصور الشاهقة والمباني الرقيقة والدور الواسعة :

ديار قد بمدن مراد طرف تسافر فى مساقها العيون
يضيق مدى لطاق الوصف عنها وتمحصر فى محاسنها الظنون
وكننت ترى فى أماكنها العامة التمايل البديعة مصنوعة
من المرمك ما هو الحال الآن فى البلاد التى لها فى الحضارة قدم
راسخة ، وفى بعض تلك التمايل يقول الشاعر الأندلسى :

ودمية مرمر ترهو بمجد تنهى فى التورد والبياض
لها ولد ولم تعرف حليلا ولا ألت بأوجاع الخاض
ونلم أنها حبر ولسكن تتيئا بالمحاط مراض
لهذا كانت اشبيلية مدينة الطرب والسرور ومرتع الانس
والجور فكانت الحياة فيها مرحلة باسمة ذات بهجة وانسراح لا عبوس
فيها فكانوا يقولون : من لم يراشبية لم ير غربة ، وكانت
الحرب تسيها حمص تشيها لها بمحص الشام فى حضارتها
وعمراتها وطيبها

رقم	صفحة	سطر
٨٥	٣١٣	أبو الحسن علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد العنسي المؤرخ الأديب والكتّاب القدير والشاعر البديع صاحب المصنفات المتعة والمؤلفات المفيدة ولد بمدينة غرناطة سنة ٦١٠ وتوفي بتونس نحو سنة ٦٨٥ وتجد ترجمته مبسطة في فتح الطبيب وفي كتاب الاطاحة في أخبار غرناطة
٨٦	٣١٦	أبو القاسم عباس بن فرناس شاعر أديب مشهور كان في أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن ، ومن شعره في صفة روضة : تري وردها والافحوان كأنه بها شفة لساء ضاحكها ثغر ومحمد بن أحمد بن فرناس الفرناطي كان مقرئاً نحوياً وتوفي بالمرية سنة ٥١٧
٨٧	٣١٩	شنترة (Centrá) مدينة من أعمال لشبونة ، وكانت حصون العرب بها على قمم الجبال لاتزال باقية آثارها وبجانب بعضها مسجد كذلك أبقى الزمان أثر امته وعلى مقبرة منه دفن فيه القوم عظاما وجدوها لم يدروا أهي للمسلمين أم للمسيحيين فوضعوا على رجام القبر صورة الصليب وصورة الهلال . ومن ينسب الى شنترة الإمام أبو القاسم سلمة بن أمية بن وديع التنجي أصله من شنترة من الغرب وسكن اشبيلية كان ثقة فاضلا أديبا توفي سنة ٤٤٢
٨٨	٣٢١	(غافق) حصن بالاندلس من أعمال فحس البلوط منها أبو الحسن علي بن محمد بن الحبيب بن الصياح الغافقي تولى الأحكام ببلده غافق مدة طويلة وتوفي سنة ٥٠٣ وأبوه أبو عبد الله محمد ابن الحبيب بن طاهر بن علي بن شياخ كان من أهل الفضل والنبل والدين والحير تولى القضاء ببلده ، رحل الى المشرق وحج سنة ٤٢١ ولحق بمصر القاضي عبد الوهاب المالكي ، وتوفي سنة ٤٥٩ . وفي آخرهذه الصفحة اسطبة Aslapa بفتح فسكرت ففتح ، وضبطت هنا ضبطاً عرماً وهي من أعمال قرطبة ومن ينسب الى اسطبة أبو الأصم عثمان بن سعيد بن البشر بن غالب بن فيض اللخمي من أهل شنونة من ساكني اسطبة وكان قريبها وصاحب الصلاة فيها وكان شجاعاً صالحاً فقيهاً محدثاً توفي بأسطبة سنة ٣٧٣ ومنهم أبو عبد الله محمد بن يحيى من أهل قرطبة وأصله من اسطبة ، كان مقرئاً مجوداً صوفياً توفي سنة ٦٠٠ . ومن ينسب الى رندة أبو عبد الله محمد ابن عبيد الله بن أحمد بن محمد بن هشام بن عبد الرحمن

ابن غالب بن نصر بن سالم الحنفي من أهل رندة وسكن مائة
وكان مقرناً ماهرراً وأديباً لنحوياً توفي سنة ٥٧٦ .
وأبو الحسن عبيد الله بن عاصم بن عيسى بن أحمد بن عيسى بن
محمد الأسدي من أهل رندة وامام جامعها وخطيبها توفي بعد
سنة ٦٣٥

٨٩ ٣٢٢

يانه وهي قصة كورة قبرة وهي كبيرة حصينة على ربوة
يكتنفها أشجار وأنهار وبينها وبين قرطبة ثلاثون ميلا . وبباسة
مدينة معدودة في كورة جيان بينها وبين أبسة فرسخان
وزعفرانها هو المشهور في بلاد الغرب دخلها الروم سنة ٥٤٢
وأخرجوا منها سنة ٥٥٢ . والقصير بالسطر الأول بصيفة
التصغير . وحسن القصر ثلث إلى الجنوب عند مصب نهر بطليوس
في البحر الأبيض . ومن ينسب إلى طلمنكة أبو بكر عبد الله بن
أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد الله بن لب الماعري الطلمنكي
وأبوه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عيسى لب بن
يحيى بن محمد الماعري الطلمنكي سكن قرطبة ورحل إلى المرق
وكان أحد الأئمة في علوم القرآن الكريم قراءته وإعراجه
وأحكامه ومعانيه وناسخه ومنسوخه وفي علوم الحديث والسنة
وكان سيفاً مصلاً على أهل الأهواء والبدع قائماً لهم غيوراً
على الفريسة الفراء وقصد طلمنكة بلده آخر عمره (بعد أن
اتفق الناس بعلمه وفضله في كثير من بلاد الأندلس) فتوفي
بها سنة ٤٢٩

٩٠

أبسة مدينة من كورة جيان تعرف بأبسة العرب اختطها عبد
الرحمن بن الحكم بن هشام بن معاوية بن هشام بن عبد الملك
وتعما ابنه محمد بن عبد الرحمن ، و (لوشة) مدينة غربي
ألبيرة قبل قرطبة منحرفة يسيرا وهي مدينة طيبة على نهر سنجل
(شليل) وبينها وبين قرطبة عشرون فرسخا وبين غرناطة
عشرة فراسخ وهي من عمل غرناطة ومن ينسب إليها أبو
عبد الله محمد بن عبد الرحمن المذحجي من أهل غرناطة وأصله
من لوشة عملها وكان فيها مشاورا توفي نحو سنة ٥٤٠ . ومن
ينسب إلى أندرش أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن عبد
الله بن أحمد الأنصاري من أهل اللرية ويعرف بالأندرشى
ولى القضاء بمدينة دلالة وبمدينة أندرش وغيرها وأراد أن

رقم صفحه سسر

يوجه الى مائة فرض في طريقه وتوفى على ظهر البحر وأُتزل
بالنسك ميتا ودفن بجذاء أبيه بمقبرة باب بجانة من ظاهر
الرية وذلك سنة ٦٢١ - وأبو عبد الله محمد بن عيسى
ابن قائم بن عبد الله بن وهب بن محمد النعماني يعرف بالأندلسي
وكان مولده ببرجة بني حسان من كورة ألبيرة سنة ٣٢٠
وكان له أصحاب بأندلس يكثر زيارتهم وقصدهم فنسب اليها
و (بلش) قرية من ساحل البحر الأبيض شرق مالقة والى
المرق الجنوبي منها ثمر حصن، والى المرق منه ثمر حصن
للسكب والى المرق منه مدينة شلوين . ومدينة رية الى
الغرب من مائة بأحرف الى الدجال يسيرا . ومن أهل بلش
الفقيه يوسف بن حبارة كان خيرا حافظا فاضلا وأبو بكر فرج
ابن سلام القرطبي الأديب المتطبيب رحل الى المرق ولقى
بها الجاحظ وروى عنه وعاد فتوفى بمدينة بلش من عمل رية
وبها قبره . وبجدة المرية عين حارة كانت تقصد للسلاج ، وقد
زارها للتداوى بها من علته الغالبية الامام عبد الحق بن غالب
من بني عطية . وقد كتبنا عنهم كلمة في الجزء (الثاني)
مدينة مشهورة شرق قرطبة تتصل أعمالها بأعمال طركونة منحرقة
عن قرطبة الى ناحية الجوف ينسب الي كورتها عدة مدن وحصون
في السطر الأول بآبرة وأظنها محرفة عن (يابرة) بالياء أول
الكلمة وضم الباء وهي بلدة في غربي الأندلس الى الشمال
من باجة والى المرق من قصر على دانس ينسب اليها أبو بكر
عبد الله بن طلحة بن محمد بن عبد الله اليابري توفى بمكة سنة ٥٢٣
وأبو القاسم خلف بن فتح بن نادر اليابري توفى سنة ٤٣٩ ومنها
أبو محمد عبد الله بن رضا بن خالد بن عبد الله بن رضا الكاتب من أهل
يابرة من الغرب وهو من رهب الأخطل الشاعر المشهور وكان من
أهل الأدب البارع والشعر الحسن وبلاغة اللسان والتصرف
في العلوم توفى سنة ٤٢٩ بأشبيلية . وشلب مدينة بقربي
الأندلس الجنوبي الى الغرب من حصن القصر وكانت قاعدة
ولاية أشكونية وكانت لأهلها مزيد العناية بالأدب وفرط
اشتغال بالشعر حتى كان سهلا عليهم فاشيا فيهم ، والله أعلم .
وكتب في غرة شعبان سنة ١٣٥٥ ١٧ أكتوبر سنة
١٩٣٦ . « أحمد يوسف نجاتي »

٩١ ٣٢٣

٩٣ ٣٢٤

فهرس

الجزء الثانى من كتاب نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب

تأليف العلامة احمد القرى المغربى المالكى الأشعرى

الموضوع	الصفحة	
	من	الى
المقدمة	٢	٢
جزيرة قادس	٣	٤
جزيرة شلطيش	٤	٦
جزيرة تا ميورقة ومنورقة	٦	٩
مناظرة بين بلاد الأندلس	١٠	٢٠
رحلة ابن بطوطة	٢٠	٢٣
ابن جزى	٢٣	٢٧
وصف بلنسية	٢٧	٣٠
قرية المصنف	٣٠	٥٣
عبد الوهاب الحاجب	٥٣	٥٥
مغن حاذق	٥٥	٥٩
قصر عبد الوهاب	٥٩	٥٩
عجائب سرقسطة	٥٩	٦١

الموضوع	الصفحة	
	من	الى
فراء السمور	٦١	٦٢
منافع القنلية	٦٢	٦٣
وحوش الأندلس وطيورها	٦٣	٦٤
أفاويه الأندلس	٦٤	٦٦
ثمار الأندلس	٦٦	٦٦
معادن الأندلس	٦٦	٦٧
رخام الأندلس	٦٧	٦٨
أمتان الأندلس	٦٨	٦٨
مصنوعات الأندلس	٦٨	٧٠
صنع آلات الحرب	٧٠	٧١
جلب الماء بالأندلس	٧١	٧٢
رصيف الأندلس	٧٢	٧٣
عجائب الأندلس	٧٣	٧٥
وصف آخر للأندلس	٧٥	٧٨
غرائب الأندلس	٧٨	٨١
وصف إشبيلية	٨١	٨٩
الأندلس في أيام عبد الرحمن الناصر	٨٩	٩١
تاريخ الحكم في الأندلس	٩١	٩٦
قيام دولة ابن هود	٩٦	٩٧
فروق بين الماضي والحاضر	٩٧	٩٨

الموضوع	الصفحة	
	الى	من
دولة ابن الأحرر	٩٩	٩٨
الوزارة بالأندلس	١٠٠	٩٩
الكتابة بالأندلس	١٠٠	١٠٠
صاحب الأشغال الخراجية	١٠١	١٠٠
القضاء بالأندلس	١٠١	١٠١
الشرطة بالأندلس	١٠٢	١٠١
الاحتساب بالأندلس	١٠٣	١٠٢
الدرايون بالأندلس	١٠٥	١٠٤
طريقة الدين بالأندلس	١٠٦	١٠٥
الثقافة بالأندلس	١٠٨	١٠٦
القرآن والعلوم الشرعية بالأندلس	١١٠	١٠٨
زى أهل الأندلس	١١٣	١١٠
تدبير أهل الأندلس	١١٤	١١٣
كتاب المغرب لابن سعيد	١١٧	١١٤
الأندلس فى نظر بعض المؤرخين	١٢٣	١١٧
فتح الأندلس	١٢٦	١٢٤
أسباب فتح الأندلس	١٤٥	١٢٦
دخول موسى بن نصير الأندلس	١٤٩	١٤٦
استخلاف تدمير على الأندلس	١٥٠	١٤٩
خطبة طارق	١٥٥	١٥٠

الموضوع	الصفحة	
	من	الى
لحوق ابن نصير بطارق	١٥٥	١٥٦
بيت حكمة اليونان	١٥٦	١٥٨
طليطلة دار الحكمة والملك	١٥٨	١٥٩
حيرة ملك اليونان وحكمة ابنته	١٥٩	١٦١
عمل الرحي	١٦١	١٦٢
عمل الطلسم	١٦٢	١٦٤
فوز صاحب الرحي وموت صاحب الطلسم	١٦٤	١٦٥
دخول العرب والبربر الأندلس	١٦٥	١٦٧
حول بيت الحكمة	١٦٧	١٦٨
كيف ملك لتريق	١٦٨	١٧٠
كيف فتحت الأندلس	١٧٠	١٧١
فذلكة عن فتح الأندلس	١٧١	١٧٣
فتح التابوت	١٧٣	١٧٥
تربية أولاد أكار المعجم	١٧٥	١٧٧
التدبير ضد الملك	١٧٧	١٨٢
طارق والمعجوز	١٨٢	١٨٢
رؤيا طارق	١٨٢	١٨٣
اقتحام العرب الأندلس	١٨٣	١٨٤
لتريق والبازي	١٨٤	١٨٦
آخر ملوك الأندلس	١٨٦	١٨٩

الموضوع	الصفحة	
	من	الى
القدر بلذريق	١٨٩	١٩٠
زول طارق بالمسلمين	١٩٠	١٩٢
انتصار طارق	١٩٢	١٩٣
ظفر طارق بالملج	١٩٣	١٩٥
بعوث طارق الى البلاد	١٩٥	١٩٦
دخول قرطبة	١٩٧	١٩٧
دخول البلاط وفرار الملك	١٩٧	١٩٨
كين الاستطلاع	١٩٨	٢٠١
فتح مالقة	٢٠١	٢٠٥
أولاد غيطشة	٢٠٥	٢٠٩
القوطية مع أبيها وعمها	٢٠٩	٢١٢
دخول موسى بن نصير الى الأندلس	٢١٢	٢١٦
غدر المعجم وانتصار المسلمين	٢١٧	٢١٨
فتوحات موسى بن نصير	٢١٨	٢٢٠
حول مائدة سليمان عليه السلام	٢٢٠	٢٢٢
وصف المائدة	٢٢٢	٢٢٢
صلح موسى مع طارق والفتوحات	٢٢٢	٢٢٦
نصر موسى بن نصير	٢٢٦	٢٢٧
فتوحات عبد الأعلى بن موسى	٢٢٧	٢٢٨
دخول موسى جليقية	٢٢٨	٢٣٢

الموضوع	الصفحة	من	الى
غنائم موسى بن نصير	٢٣٢	٢٣٢	
الداخلون الى الأندلس	٢٣٤	٢٣٢	
آثار قرشونة	٢٣٦	٢٣٤	
قتل صاحب قرطبة	٢٣٩	٢٣٦	
الغنائم وموت الوليد	٢٤٠	٢٣٩	
تمذيب موسى بن نصير وقتل ابنه	٢٤٢	٢٤٠	
أرجوزة الغزال	٢٤٣	٢٤٢	
فذلك لما تقدم	٢٥٠	٢٤٣	
بلاغة موسى بن نصير	٢٥٢	٢٥٠	
أولاد موسى بن نصير	٢٥٤	٢٥٣	
أخلاق موسى بن نصير	٢٦٠	٢٥٥	
ذخائر طليطلة ومائدة سليمان	٢٦٣	٢٦٠	
بنو أمية وغيرهم بالأندلس	٢٦٤	٢٦٣	
المخزوميون بالأندلس	٢٦٨	٢٦٥	
المنتسبون الى كنانة	٢٦٩	٢٦٨	
بنو تميم بالأندلس	٢٧١	٢٦٩	
بنو حزم بالأندلس	٢٧٢	٢٧١	
بنو ربيعة بالأندلس	٢٧٥	٢٧٢	
أعيان غرناطة	٢٧٧	٢٧٥	
إياد بن نزار ومن يتنسب اليهم	٢٧٨	٢٧٧	

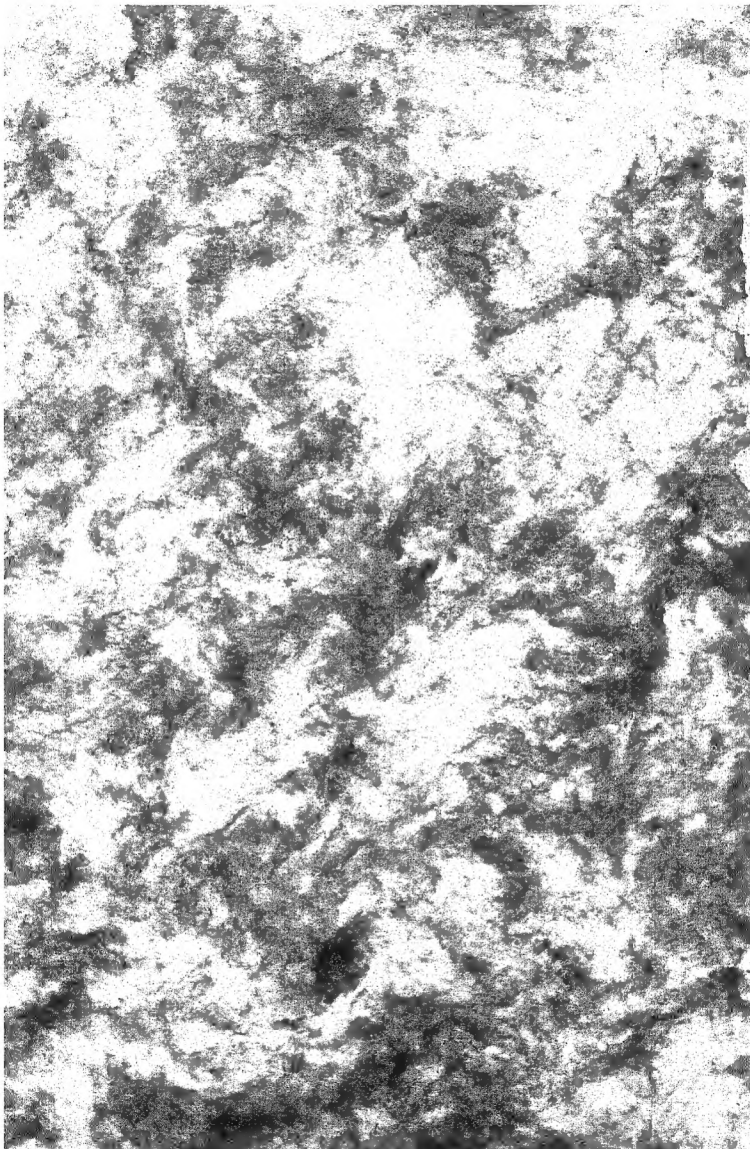
الموضوع	الصفحة	
	من	الى
القحطانية	٢٧٨	٢٧٩
أنساب اليمن	٢٧٩	٢٨٢
الخزرج بالأندلس	٢٨٢	٢٨٤
بنو سراج أعيان قرطبة	٢٨٥	٢٩١
جندام وكهلان	٢٩١	٢٩٢
حمير بن سبأ	٢٩٢	٢٩٧
الحضرميون	٢٩٧	٢٩٨
أسماء ملوك الأندلس	٢٩٩	٣٠١
ملوك بنى أمية وكراسيهم	٣٠١	٣٠١
دولة بنى حمود وبنى أمية الثانية	٣٠٢	٣٠٤
الوزير أبو الحزم	٣٠٥	٣١٠
استيلاء أبى الحزم على قرطبة	٣١٠	٣١٠
أدب أبى الحزم	٣١١	٣١٤
كتاب أبى المطرف الى أبى جعفر	٣١٥	٣١٧
وصف الكتاب	٣١٨	٣٢٩
استدراكات على الجزء الأول	١	٢٢

لشكر

أجد واجبا في عنقي أن أشكر هنا لحضرات أعضاء لجنة مراجعي مشروع احياء الأدب العربي بوزارة المعارف ؛ وخاصة حضرة أستاذنا الثبت العالم الافرغوى الكبير ، المحقق المدقق . « أحمد يوسف نجاتي » أستاذ اللغة العربية بدار العلوم ، وزملائي الافاضل رجالات قسم التصحيح بدار المأمون وعلى رأسهم الأستاذ الأديب الشيخ عبد الرحمن محمد عبد المتعال ، وحضرات مصححي دار احياء الكتب العربية بمطبعة عيسى الحلبي - ما لهم من فضل وجهد وعناية في هذا الكتاب ، مكرزا ما لوزارة المعارف ، ومعالي وزيرها الهام ، ووكيلها الفضال ، وكبار رجالها الانجاد ، من أثر خالد ، في إحياء الأدب العربي ، في هذا العهد اليمون الزاهر ، عهد حضرة صاحب الجلالة ، ملكنا فاروق الاول - حرسه الله - وعهد استقلال مصر ، وتحريرها ، بزعامة حضرة صاحب الدولة الرئيس الجليل ، مصطفى النحاس باشا . مد الله في حياته النافعة لحجر مصر والصريين ووقفهم الله جميعا لحجر اللغة والدين والوطن .

اصمدر فريد رفاعي

دار المأمون في { ١٥ من شعبان سنة ١٣٥٥
٣١ من اكتوبر سنة ١٩٣٦ }





Bibliotheca Alexandrina



0479827